العدد ٨٧ - جمادى الأولى ١٤٠٣هـ - مارس ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

جزء خاص عن قطر : بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير



● قضيّة الشهر:

١٠ اتهامات ضدّ المثقفين العرب

بقلم : د. محمد جابر الأنصاري

● **الأزهر: سيرة وتحيّة**

بقلم: خالد محمد خالد

● **جمال عبد الناصر والألمان**

بقلم: د. السيد فهمي الشناوي

في خطى السندباد : رحلة السفينة "صحار" من عُمان إلى الصّين



بيبسى

إجعَل نهارك عيد مَع

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٨٧ - جمادى الأولى ١٤٠٣هـ - مارس ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
القسم التجاري : ٣٢٧٥٣٩
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الأردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب ٣٢١ - بنغازي

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بنادية الدرازي
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج .
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع السلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي

● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

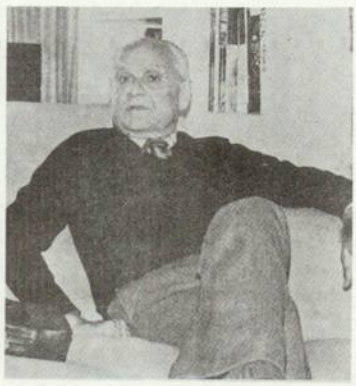
● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبع من هذا العدد ١٠٠ر٠٠٠ نسخة

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
● الآراء المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر عن رأي وزارة الإعلام
● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــدد



مـــع أديـــب إيطاليـــا
ألبرتـــو مورافيـــا ص ٢٠



جميل صدقي الزهاوي بين
همومه وهموم الوطن ص ٦٤



غاندي على الشاشة .. وقصة عشرين
عاماً مع الانتظار والاعتراضات ص ١٦٤

● دراسات ومقالات ●

● الآباء والأبنـــاء .....
د. عبد السلام العجيلي ٦

● الأزهر في عيده الألفي .....
خالد محمد خالد ٨

● خواطر تسر الخاطر .....
زكريا تامر ١٢

● عبد العزيز جاويش : عمامة ثائرة ومثيرة .....
فتحي رضوان ١٤

● الانسان رقم ١٤٧٠ ! .....
عبد الله الجفري ١٨

● قصة مخطط صهيوني فاشل لانشاء مستعمرة يهوديـــة في استراليـــا .....
محمد يوسف عدس ٢٤

● قصص من واقعنا .....
درويش مصطفى الفار ٣٢

● عبد الناصر والألمـــان .....
د. السيد فهمي الشناوي ٤٦

● رؤية المخابرات الأمريكية لمشكلة فلسطين .....
د. عاصم الدسوقي ٦٨

● استنكار البدعة وكراهة الجديد ، موقف اسلامي أم جاهلي
حسين أحمد أمين ٧٤

● الصداقة عند الحيوان .....
د. عز الدين فراج ١٢٦

● توحـد الخلق في فكرة .. ثم شفرة ! .....
د. عبد المحسن صالح ١٢٨

● تشايكوفسكي : عبقرية انسانية لامعة بين الجنـــون والحب والفن .....
عبد القادر عقيل ١٣٤

● سارق النار وملهم الأشـــعار .....
د. أحمد عتمـــان ١٤٢

● رسائل غير عادية .....
معروف رفيق ١٤٧

● شئون الخليج ●

● جارودي في الدوحـــة .....
وضاح طهبوب ٢٨

● عشرة اتهامات ضد المثقفين .....
د. محمد جابر الأنصاري ٣٦

● المثقفون وشهادة دامغة ضدهم .....
محمد سعيد طيب ٤٤

● أول مركز لتوثيق الاعلام لدول الخليج العربية .....
مريم آل سعد ٦٠

● جزء خاص عن ٢٢ فبراير بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لتولي صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم في قطـــر ٨٣

● في خطى السندباد ، رحلة السفينة صحار من عمـــان إلى الصـــين .....
ترجمة : محمد العزب موسى ٩٩

● رحلة نقدية مع كتب الأطفال في قطـــر .....
عبد الرحمن المناعي ١٢٠

● أدب وفنون ●

● مع أديب إيطاليـــا المرموق البرتو مورافيـــا .....
مفيد فوزي ٢٠

● نهاية الرحـــلة ... (قصيدة) .....
حسن شكري فلفل ٣٥

● المرقش فى رحلته الأخيرة .. (قصيدة) .....
عبد الرحيم عمر ٥٢

● خان الورد ... (قصة) .....
وليد اخلاصي ٥٤

● اضاءة ٧٧ وشعراء السبعينات .....
ماجد يوسف ٥٨

● جميل صدقي الزهاوي بين همومه وهموم الوطن .....
حارث طـه الراوي ٦٤

● الرصاصة ... (قصيدة) .....
د. أنس داود ٦٧

● الوداع الأخـير .. (قصيدة) .....
العوضي الوكيل ٧٨

● مسافة طويلة إلى المطـار ... (قصة) .....
سعد مكاوي ٨٠

● لقاء مع الفنانة الفلسطينية لطيفة عبد الرحمن .....
بشرى ناصـر ١١٢

● توهج ... (قصيدة) .....
شهاب غانم ١١٥

● موقف الشـذى ... (قصيدة) .....
حسن طـلب ١١٨

● أبجدية : م . ص ... (قصيدة) .....
محمود صفر ١١٩

● غاندي على الشاشة .....
رءوف توفيق ١٦٤

● أبـــواب ●

● دائرة المعارف القرانية : الشـح .....
د. محمد البهي ٧٧

● من روائع الفن العالمي : جماعة باربيزون ، معزوفـــة الطبيعة فى وجدان الفنان .....
جمال قطب ١١٦

● لقطات من الكون المثير ١٢٤

● أقلام جديدة : الصغير والبحر ومسرحية من فصل واحد .
صالح أحمد المناعي
تعقيب د. محمد كافود ١٣٨

● كتاب الشهر : ذكريـات ووجوه .....
عرض سمير عوض ١٤٨

● أوراق خضراء ١٥٥

● العلم هو المستقبل .....
لبنى الريدي ١٦٢

● ضحكات الشهر .....
صلاح الليثي ١٧٠

● دوحة القراء ١٧٢

● استراحة الدوحة .....
رءوف ١٧٦

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
ليلى الحريري
مريم آل سعد
سنان المسلماني
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

الآباء والأبناء

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

كلما جئت المدينة الكبيرة زائراً وجدت فيها صديقي غ . غارقاً في هم جديد . إنه ممن فطروا على أن يروا الحياة دوماً من جانبها القاتم ، وأن يلتمسوا في كل ما يسمعون نذر الشر . جلست منذ أيام إليه في مقهانا المعتاد فرأيته يطيل التفكير ساهماً . ولما سألته عما يشغل باله هذه المرة قال :

ـ إنه هم الأولاد : صبيان أكبرهما يتم دراسته الثانوية في العام القادم ، وبينهما بنت .

قلت : وأي هم لهم تشكو أنت منه ؟ حالك والحمد لله ميسورة . وهم في ميعة الصبا وتمام الصحة ، هانئون بحياتهم .

فزفر وقال : كأنك لا ترى الدنيا حولنا .. غابة والناس فيها ذئاب مفترسة . كيف أمن على أبنائي في هذه الغابة ؟

قلت له : هون عليك . ليس أبناؤك أعواداً هشة ، ولا الدنيا بالسوء الذي تتصوره .

قال : أنت امرؤ مطبوع على التفاؤل . ومع ذلك لا أظنك تخالفني في أننا نعيش في أيام ليس أسوأ منها أيام . تطلع حولك تر المجتمع في تفكك والأخلاق في تدن . أي حياة هذه اذا كان البائع يغشك ، وأينما توجهت وجدت أن حوائجك لا تقضى عند من بيده الأمر إلا إذا دفعت ، طوعاً أو كرهاً الهبة التي تفرض عليك ؟ .. فقدت الثقة بين الناس وعم الكذب . في أيامنا السالفة كانت الكلمة الملفوظة تقيد صاحبها ، واليوم يتحايل المتعاقدون على المواثيق والعهود المكتوبة ليكسبوا فلساً زائداً . كيف يستطيع أولادي أن يشقوا طريقهم في هذا العالم الموحل ؟

ابتسمت لمرارة غ في تعابيره وقلت له :

ـ اسمع يا صاحبي . حتى اذا وافقتك على ما تصف به هذا العالم من سوء ، فان سوءه يقع عليك أنت لا على أبنائك .

قال : كيف ؟ إني لا أفهم .

قلت : أنا وأنت يا أخي نشأنا وعشنا زهوة حياتنا في الأيام التي وصفتها بأن الكلمة الملفوظة كانت فيها عهداً موثوقاً على صاحبها . صلب عودنا وتيبس هيكلنا في المشي في دروبها الجديدة . أما جيل هذا الزمان ، أبنائي وأبناؤك ، فما تراه أنت شاذاً من أمور الدنيا يرونه هم عادياً .. ذلك لأنهم فتحوا أعينهم على رؤية هذا الشاذ سائداً ومقبولا .

قال : ولكن الحلال بين والحرام بين . الأمور في هذه الأيام حائدة عن الطريق المستقيم ، وأنا أخشى على أبنائي منها .

قلت : لا تخش عليهم من شيء . نفوسهم وضمائرهم لا تزال عجينة لينة ، وهم قادرون على التكييف مع الظروف التي تحيط بهم .

قال باستنكار : تعني بهذا أن يكونوا مثل غيرهم ... يخادعون وينافقون ، ويعملون بغير ما يعتقدون لكي يكسبوا عيشهم أو ترف حياتهم . أنا لا أقبل بهذا . لقد ربيتهم على الصدق والاستقامة ، وسأحول دون فسادهم .

ضحكت للهجة غ . المتعنتة وقلت له : إذن تتعب نفسك وتكون كما قال الأول :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فلم يضرها ، واوهى قرنه الوعل

● ●

كنت في الواقع أقول ما أقوله لصاحبي لا إيماناً مني بما أعارضه فيه ، بل محاولا إخراجه من وساوسه التي أراه غارقاً فيها بسبب أو دون سبب كلما لقيته . إلا أن كلماتي لم تفد في تعديل مزاجه ، اذ زاد سهوماً على سهومه كأنما تأكدت بها سوداويته أو أنها حققت تشاؤمه . قلت له :

ـ أنت مخطىء في إصرارك على أن تلزم أبناءك بعقليتك أنت . بل انك في هذا تخالف ذوي الألباب والصالحين من الأولين . تذكر ولاشك كلمة علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه ، المشهورة : لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم ، فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم ...

قال : وهل تعتقد ان سيدنا علياً يعني بذلك ان يجاري الأبناء الزمان في فساده ، لا سيما إذا بلغ المرحلة التي بلغها في هذه الأيام ؟

قلت : اسمح لي . إذا كنت تعتقد بأن فساد الزمان مقتصر على أيامنا فانك واهم . الشكوى من الزمان يا عزيزي قديمة قدم الانسان . أنت على ما اعرف جيد الاطلاع على شعر الأوائل ، وتعلم أنه ما من ديوان من دواوين الشعر القديمة يخلو من باب عنوانه : شكوى الزمان . خذ مثلا إليك أبا العلاء . إن له بيتاً كأنه يخاطبك فيه محذراً من تطلبك للاستقامة في كل الأمور وإلا انتهيت نهاية من سماهم هو بالحكماء .

قال : اي بيت تعني ؟

أجبته : أعني بيته المشهور :

غلب المين منذ كان على الخلق
وماتت بغيظها الحكماء ..

وتخوف أنت من أن يقول أبناؤك ، وأن يعملوا بغير ما يعتقدون ... اطمئن ، لقد فعلها معاصرو أبي العلاء أيضاً ، منذ الف عام . ماذا تصنع الرعية المسكينة اذا كان الأمر كما قال رحمه الله .

جلوا صارماً وتلوا باطلا
وقالوا صدقنا ، فقلنا نعم !

وهنا قال غ . محاولا أن يجد ثغرة في ما أحاجه فيه :



أبو العلاء المعري



ابو نواس



المتنبي

ـ ألم تجد غير صاحب اللزوميات تستشهد به ؟ انه رجل موتور ، ونقمته على اولي الامر نقمة بسيكوباتية مردها إلى عماه ولزومه محبسه ...

اجبته : ما قولك اذن بالمتنبي الذى وصف من بيدهم الحل والربط في ايامه بقوله :

في كل أرض وطئتها أمم
ترعى بعبد كانها غنم
يستخشن الخز حين يلمسه
وكان يبرى بظفره القلم

خذ مثلا ذلك العابث الماجن ابا نواس . حتى هو شكا دنياه في اشعار كثيرة خلاصتها قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق .

ما عليك إذن يا صاحبي إلا ان تقر معي بان دنياك اليوم ، اذا لم تكن احسن من دنيا الذين سبقونا ، فانها ليست أسوأ . امح هذا العبوس من وجهك اذن ، وابتسم للحياة ابتسامتي انا لها .

• •

ولم تفلح كل شواهدى الشعرية هذه في اقناع صديقي غ . أو في تهوين قلقه . فتحولت ، في محاولتي التسرية عنه ، إلى اسلوب آخر . قلت :

ـ تريد الصحيح ؟ معرفتي بمفاسد هذه الأيام ، وبسيئات أهلها ، لاتقل عن معرفتك ولكن اعيتنا إذا كانت بها بصيرة فان ايدينا عن اصلاحها قصيرة . وعبثا نقسر أولادنا على مخالفة تيار الواقع . أولى لنا ان نقنع انا وانت وأبناء جيلنا ، بما يكشفه واقعهم عن سعادتنا التى كنا عنها غافلين .

قال غ . في شبه احتجاج : سعادتنا ؟ أي سعادة تعني ؟

فاجبته بقولي : احلم عليّ قليلا ، ارجوك كنت منذ أيام في نقاش مع بعض فتياننا ، في ندوة دعيت الى التحدث فيها . هؤلاء الشباب ، ممن هم في عمر اولادى وأولادك ، ثقتهم بأنفسهم كبيرة ، وعندهم أن لا صواب إلا في ما يرتأونه . تطرقنا في حديثنا إلى السياسة والى حاضر امتنا المؤسي فيها . ومن نقاش إلى نقاش ، وجدتني اقول بانى من جيل يجد نفسه من أسعد الاجيال العائشة حالياً على ارضنا .

ولما سئلت عن هذا القول اجبت بان جيلنا من الناحية القومية ، عاصر حركات النضال ضد الأجنبى المحتل والمستعمر وجاهد لاجلائه عن أرض الوطن ، في مصر والعراق وسوريا . في سوريا ، مثلا ، كنا نحارب فرنسا . ومن هى فرنسا آنذاك ؟ إنها إحدى أكبر دولتين في العالم ، جيوشها جرارة ومكانتها السياسية لاتدانيها مكانة بعد خروجها ظافرة من الحرب العالمية الاولى . ومع ذلك كنا ، نحن صبيان المدارس ، نتحداها ونهاجم دباباتها بالحجارة بينما كان مجاهدونا يصاولون جيوشها في كل بقعة من بقاع البلاد . كانت انتصاراتنا مهما كانت من الضالة ، تملأنا فخارا . ولكنا ، حتى في خسائرنا ، كنا نظل مرفوعي الرؤوس كبرياء واعتزازا ، فما كان عار علينا ونحن الضعاف العزل ان نخسر المعارك أمام تلك الدولة الجبارة ..

وهنا قاطعني غ . قائلا ، بصوت عال ولهجة حارة :

ـ وانتصرنا في النهاية ، نحن الضعاف العزل . ألم تقل هذا لاولئك الفتيان ؟

سرني من صاحبي هذا الحماس المفاجيء ، فاجبته :

ـ لم يكن هذا كل ما قلته لهم ، كما أني لم أحدثهم عن السياسة وحدها . لقد عددت لهم ماذكرته انت من صور السلوك التى سادت أيامنا ، حين كانت الثقة قائمة بين الناس والأمانة سائدة ، وحين كان المواطن يخشى على سمعته من الوصمة المشينة التي تلحقها اذا اتهم بالبعد عن الاستقامة او بتقبل الرشوة او الوساطة . وقلت لهم : كنا نرثي لانفسنا لما عشناه من أيام سود تحملنا فيه المشاق والتضحيات وعسف المحتل الطاغي ، فلما رأيناكم يا ابناء هذا الجيل تَبَيَّنَّا كم كُنَّا سعداء . فانتم منذ عشرات السنين تنحدرون من خسارة إلى هزيمة ، وتتسابقون في مهادنة العدو والاستسلام اليه . ومن هو هذا العدو ؟ ليس عدوكم واحدة من عظام الدول التى كنا نقارعها في ايامنا ، بل شراذم نبذتها سائر الامم في مختلف عهود التاريخ واحتقرتها ، وشردتها وذبحتها . أتنكرون انكم تقفون هذه المواقف امام الدولة المسخ التى اسمها اسرائيل ؟

قاطعني غ . مرة اخرى قائلا : كلامك صحيح مائة بالمائة . كل الحق معك .

نطق بهذه الكلمات في اندفاع وبلهجة تفيض بالثقة . ابتسمت وحدثت نفسي ، راضياً عنها ، بأني استطعت في النهاية ان اخرج صاحبي من سوداويته . واضفت قول :

ـ هذه هى سعادتنا التى سألتني عنها والتى يجدر بنا ان نقنع بها تاركين ابناءنا لزمانهم بعجره وبجره . ألست معى في هذا ؟

فاجابني بقوله : انا معك ، ومع سيدنا علي في نصيحته : لا تقسروا أولادكم ... ولكن ...

فقاطعته انا في هذه المرة قائلا : أرجوك ... اترك « ولكن » هذه الى لقاء آخر ، فانا على موعد في هذه الساعة ... والى اللقاء .

وفارقت صاحبي معجلا ، خوفا من أن تقودنا « ولكن » الاستثنائية هذه الى استعراض هموم جديدة . فقد كنت اعرف هشاشة حججي التى اقنعته بها ، والتى كنت انا أعصى على الاقتناع بصوابها من صديقي غ . على الرغم من طبعي المتفائل ومن تشاؤمه هو وكثرة وساوسه .

الأزهر في عيده الألفي

سيرة وتحية

بقلم : خالد محمد خالد

في جلال المشيب ، وروعة الخطيب ، يقف الأزهر المعمور شامخاً كالزمن ، عبقاً كالتاريخ تصغى الدنيا لمنابره ، وتتضمخ بمآثره ..

عظيماً والله كان .. وسيظل عظيماً كما كان !!

يالروعة تاريخه .. أكثر من ألف عام وطلاب العلم والمعرفة من كل صقع يغدون إليه جياعاً ، ويروحون عنه شباعاً .. يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

حقب تتلوها حقب . وأبو الجامعات وأولها غير مزاحم ، ينشر النور .. وحول أعمدته الذكية الشاهقة تنبث حلق العلم ، وهو يضم إلى صدره الحنون جميع الذين ولوا وجوههم شطره يسئلونه المعرفة ، فيعطى بغير مَنٍّ . وبلا حساب !!

ما أراده أحد بسوء إلا كبه الله على وجهه ، وأطاش سهمه وخيب فاله .

لكأن الله قد اصطنعه لنفسه ، ورعى حرمته ، وبارك دوحته ، وقال له : عش وعلم ولا تخف ، فانك باعيننا !! .

وإذا كان المسجد الأقصى ثانى القبلتين ، فالأزهر المعمور ثالث القبلات .

فزهاء ألف عام وأكثر ، وهو قبلة طالبى العلم ، ومنبت حفظة الدين ، وحارس الثقافة الاسلامية عبر القرون .

هذه الثقافة التى تنقلت بين قرطبة وغرناطة وبغداد ، ثم ألقت عصاها واستوت على الجودى بالقاهرة التى لبثت منذ العهد البعيد والى اليوم عاصمة الثقافة الاسلامية ، لا لشىء إلا لأن الأزهر فيها يروى الظِّماء ويغذى الخماص ، ويقف حارسا يقظان لثقافة الاسلام وشريعته وتقاليده .

● ●

وإذا كانت السيرة هى المسيرة ، فلنطالع سيرة الأزهر من خلال مسيرته عبر القرون .

فى ١٨ سبتمبر ١٩٤٢ ، كان قد مر على إنشاء الجامع الأزهر ألف عام .. وفى عام ١٩٤٦ ، كان قد مر على افتتاح الدراسة فيه ألف عام . أى أن التوقيت المناسب للاحتفال بعيده الألفى قد مضى منذ أربعين عاماً . والأزهر من غرس الدولة الفاطمية . ولقد سبقه الى الوجود ، ثلاثة جوامع كبيرة كان لكل منها دوره التاريخى : جامع عمرو ... وجامع العسكر ... وجامع ابن طولون ..

وقد آل أمرها جميعاً الى مجرد مساجد للعبادة ، وشواهد على المعمار الاسلامى والآثار الاسلامية . بينما بقى الأزهر الذى شيد بعدها شمساً فى سماء الاسلام : حضارته ، وعلومه ، وأمجاده ..

كان الفاطميون قد دخلوا مصر «الفسطاط» فى ٧ يوليه عام ٩٦٩ ، وأسموا المدينة الجديدة التى انشاوها «القاهرة» وردوا بفتحهم هذا خطر القرامطة عن مصر كلها ، وانشاوا المسجد الجامع وأسموه «جامع القاهرة» الذى سمى فيما بعد بالجامع الأزهر . ربما تيمنا باسم بنت رسول الله السيدة فاطمة الزهراء التى كانوا يحملون اسمها .

واصطُبِغ الأزهر فى بدايات أيامه ليدرس المذهب الشيعى ويصون تراثه . وكان الله قد اختاره لأكثر من هذا ، فما فتىء حتى فتح أبوابه لعلوم القرآن والسنة والفقه وللمذاهب السنية .

ورُصِدَتْ له الأوقاف الكثيرة يستظل بمظلتها طلابه ، فيتعلمون ، ويطعمون ، ويكتسون ، وأنشئت به الأروقة لسكناهم ، كما أقيمت حوله مساكن للأساتذة والعلماء.

وعلى الرغم من أنه انشىء ليكون مظهر سلطان الفاطميين الدينى والمذهبى إلا أنه سرعان ما تخطى هذا الوضع وبدأ دوره كجامعة سيكتب لها الخلود فى تاريخ العلم والفكر .

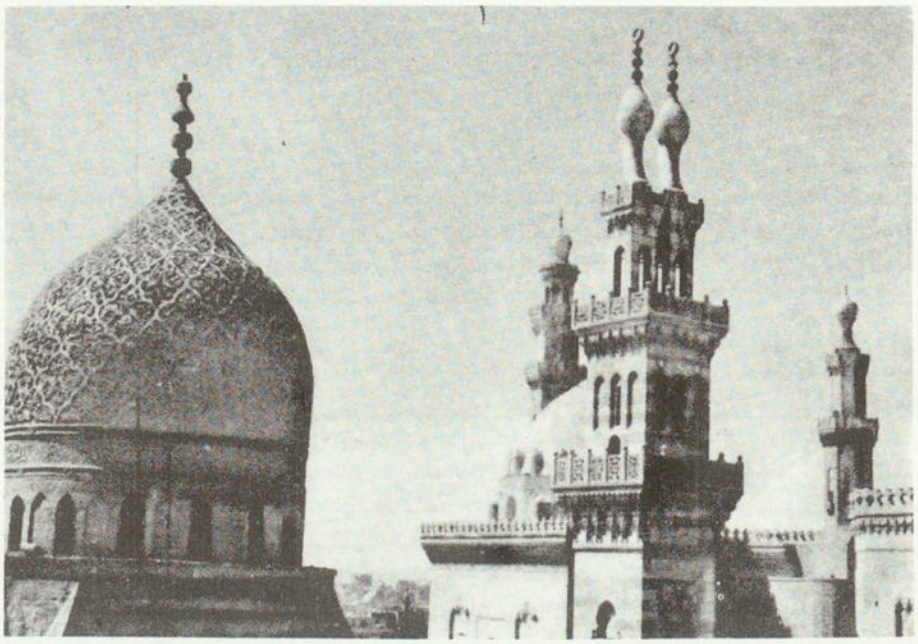
وإنا لنتطلع الى ما وراء ألف وأربعين عاماً مرسلين تحيتنا الى أول حلقة علمية شهدها الأزهر العظيم حيث جلس قاضى القضاة أبو الحسن علي بن النعمان القيروانى يقرأ مؤلفاته فى فقه الشيعة .. وحيث كان «يعقوب بن كلس» وزير المعز فالعزيز يحاضر فى الأزهر جموعاً كبيرة من الأدباء والعلماء والفقهاء والقضاة وخاصة الناس وعامتهم ، وحيث كان بنو النعمان يقومون بدورهم فى تعليم الطلاب والوافدة.

وفى العيد الألفى للأزهر نزجى تحية خاصة الى الوزير «يعقوب بن كلس» الذى كان يهودياً وأسلم .. فقد كان وراء كل خطوة خطاها الأزهر الى الأمام ليكون جامعة تنشد العلم والنور ، وكان يحاضر طلابه ـ كما أسلفنا ـ ويدرس لهم مؤلفاته فى القراءات والفقه والسنة وفقه الشيعة .

● ●

فى عهد الحاكم بأمر الله ظهر للأزهر منافس قوى تمثل فى «دار الحكمة» التى لم يبخل عليها الخلفاء بمال ، وجعلوا منها جامعة كاملة ، وسارت سمعتها مسرى الريح فأمها طلاب العلم من كل واد . وكانت جامعة حرة تدرس فيها النظريات الفلسفية الى جانب المبادىء المذهبية ، وأعدت لتخريج الدعاة ، وصار لها مناهج سرية . وكان من بين تلامذتها ناصرى خسرو الشاعر الفارسى ، والحسن بن الصباح مؤسس طائفة الاسماعيلية الباطنية .

بيد أن ظهور هذا المنافس القوى



الأزهر الشريف .. قصده طلاب العلم والمعرفة من كل مكان لاكثر من الف عام .

للأزهر كان نعمة ساقها الله اليه .. فحين بدأت دار الحكمة تتخصص فى المذهب الشيعى ، وفى خلق الدعاة له ، وفى التعاليم السرية للمذهب وللدولة ، كان الأزهر يتحول من بقايا هذا الالتزام ليتحول الى جامعة اسلامية خالصة للاسلام كله بعيداً عن الالتزام المذهبى والتعصب السياسى متفرغاً لعلوم القرآن والسنة والفقه واللغة وتخريج علماء على مستوى الثقافة الاسلامية جميعها .

ولم يطل العمر بدار الحكمة التى عاشت قرناً واحداً من الزمان ، ثم اغلقت واندثرت بينما مضى الأزهر يستكمل اصالته وشموخه حيث ظل وسيظل الى ما شاء الله عظيما فى عطائه مستمراً فى نمائه .

● ●

فى أوائل القرن السادس الهجرى ، وبعد اغلاق دار الحكمة تالق دور الأزهر وانداحت فيه طرائق العلم ، وإذ ترك لأطلال دار الحكمة نشاطها السرى ، أخذ ما كانت تدرسه من فلك ومنطق ولغة ورياضة وطب وفلسفة وأدب وتاريخ ..

وإنا لنرسل تحيتنا خالصة ومخلصة للشيوخ والأساتذة الذين سهروا على تثقيف الطلاب والوافدين من مشارق الأرض ومغاربها .. ومن هؤلاء الشيوخ العلامة أبو الحسن علي بن ابراهيم الحوفى إمام العربية وصاحب كتاب إعراب القرآن ، وابن بابشاذ النحوى ، وأبو محمد عبد الله بن برى إمام اللغة فى عصره ، وأبو العباس أحمد بن هاشم المحدث وأبو القاسم الشاطبى إمام القراءات ، وفقيه مصر ومؤرخها الكبير الحسن بن زولاق ، والفقيه العلامة الحسن بن الحظير الفارسى أستاذ الفقه الحنفى والتفسير والرياضة وعلوم اللغة والتاريخ .. نحيي هؤلاء الرواد من الرعيل الأول الذى نهض بعبء التعليم فى الأزهر ، وأسهم بدوره فى جعله جامعة لم يكن يضارعها يومذاك جامعة أخرى فى الأرض .

● ●

لبث الجامع الأزهر زهاء قرنين في رعاية الدولة الفاطمية ، ونشاطه العلمي ينمو ويندا حتى أفل نجم الفاطميين في مصر ، وكان آخر خلفائهم العاضد لدين الله .

وجاء صلاح الدين يقود الأيوبيين إلى حكم مصر ، وعز على الحكام الجدد أن يبقى في مصر ما يذكر أهلها بالفاطميين ، لا سيما إذا كان هذا المذكّر هو الأزهر بسمعته الواسعة وعظمته وسموقه .

هنالك منعوا صلاة الجمعة فى الأزهر انتقاصاً من هيبته ، وظل كذلك حتى عصر الظاهر بيبرس الذي رد إليه خطبة الجمعة وصلاتها .

وعلى الرغم من صنيع الأيوبيين ، فقد بقى الأزهر المعلم .. الأزهر الجامعة .. هادراً كالمحيط يكتسح من طريقه كل عائق ونَكِير !!

ومرة أخرى نتلفت إلى وراء لنحيي بعض أساتذته الأجلاء مثل « عبد اللطيف البغدادي » أستاذ علم الكلام والبيان والمنطق ، والعلامة الطبيب اليهـــودي « موسى بن ميمون » الذي كان يلقى في الأزهر دروس الرياضة والفلك والطب . واعجبوا لسماحة الاسلام وسماحة الأزهر الذى ضـــم بين أساتذته يهودياً .. !!! والشاعر الصوفى « عمر بن الفارض » أستاذ التصوف بالجامع الأزهر في ذلك الحين ، وشمس الدين بن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، ومثلهم معهم من أفاضل الشيوخ.

● ●

في العصر الأيوبي شرعت الدولة في بناء المدارس والمعاهد . وكان ظهورها وانتشارها إحدى بركات الأزهر ، وكانا أثراً حميداً من آثاره المجيدة إذ ظل طوال القرون السالفة يحبب العلم الى الناس .. ولكن مرة أخرى شكلت هذه المدارس التى رَبَتْ ونَمت منافساً جديداً للأزهر .. بيد أنه بثقله التاريخي وبجلالة رسالته لم ير في تلك المدارس والمعاهد سوى بنين له وحفدة .. وكان بشمول مناهجه ، وبرصيده العلمي ثابتاً كالرواسي . ولبث طلاب العلم من مصـــــر ومن شتى أقطار العالم الاسلامي يجدون فيه الأب الحاني ،والوطن الثاني ..

وسيبرز في هذه الفترة وما يتلوها علماء أجلاء نرسل إليهم تحيتنا العطرة منهم

الامام «علي بن يوسف الشنطوفي» وقوام الدين الكرماني » و « شمس الدين الاصبهاني » الذي وصفه ابن بطوطة بانه « إمام الدنيا فى المعقولات» وتقي الدين المقريزي .

ثم يجيء الامام ابن حجر العسقلاني ، وابو العباس القلقشندي ، وابن تغريبردي ، وبدر الدين العيني ، وشرف الدين المناوي ، وشمس الدين السخاوي ، وجلال الدين السيوطي ، وابن خلدون .. لقد صار للأزهر الزعامة الفكرية والثقافية في طول العالم الاسلامي وعرضه .. وينقل لنا الأستاذ المؤرخ « محمد عبد الله عنان » في كتابه « تاريخ الجامع الأزهر » تفسير المستشرق « فولرز » لهذه الزعامة فيقول :

« ومنذ عدة قرون يتفوق الأزهر على جميع معاهد العالم الاسلامي . ومن اسباب هذا التفوق عبث المغول وتخريبهم في البلاد الخارجة عن مصر .. والقضاء على الحضارة الأندلسية .. ويجب ان نضيف إلى ذلك موقع الجامع المتوسط وقربه من الحجاز ، وصبغته العربية المحضة ، واهمية البلاد الاقتصادية ، والقارة الأفريقية العظمى التى تمتد فيما وراء مصر .. واخيراً وهو اعتبار له خطره ـ الازدهار العقلي القديم الذي ترك في وادي النيل كثيراً من البذر الصالح لتقدم العلوم والآداب » .

● ●

كان الأزهر في القرن التاسع الهجري قد جعل من القاهرة مهوى الأفئدة . وقبلة الوافدين .. كان هو الجامعة الأم ، وكان يقود نهضة فكرية عالية المستوى .. وكان التدريس فيه شرفاً لا يعلوه شرف .. وكان الأساتذة يعينون بمراسيم خاصة ، وكان يختار لهم من الألقاب أرفعها واعلاها مثل « الجناب الشريف » و « الجناب الكريم » و «جمال الاسلام والمسلمين» و «شرف العلماء العاملين» و «أوحد الفضلاء» و «قدوة البلغاء» الخ .. وعرف الأزهر أيامئذ نظام المعيدين . فكان لكبار الشيوخ معيدون يقومون بتلخيص الدرس بعد فراغ الأستاذ من إلقائه ، أو يقومون مقام الأستاذ فى إلقاء بعض الدروس والمحاضرات .

● ●

وجاء الفتح العثماني لمصر ، فاحدث الكثير من التخريب .. وجمع الكتب من المكتبات الزاخرة وحملها الى استانبول ، وحمل معها جمهرة كبيرة من الشيوخ والعلماء ، واخذهم عنوة إلى عاصمة ملكه .. بيد أن الأزهر رغم ما أصابه من هذه الغزوة المخربة ظل شامخاً مهيباً ، وغشيت قلوب الفاتحين غاشية من جلاله ، فلم يقربوه بسوء ، وظل يؤدي رسالته ويحمي لغة القرآن من صولة الفاتح المغير .

وكانت الزعامة السياسية فضلا عن الثقافية والدينية قد انعقد لواؤها للأزهر حين جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة « نابليون بونابارت » ولم يجد الغزاة مناصاً من ان يتملقوا الشعب بوضع أموره بين أيدي علماء الأزهر الذين لم يفلحوا فى نهنهة الطامع الدخيل ، فتولى الأزهر كله علماؤه وطلابه قيادة الثورة بعد إشعالها فى أفئدة الجماهير . وصار الأزهر بصحنه الرحب الفسيح ملتقى الشعب الثائر . واستفز الأزهر نابليون ، فامر بان تنصب المدافع فوق جبل المقطم ثم تطلق نيرانها مع مدافع القلعة على الجامع الأزهر .

وتدافعت جموع الشعب من القرى والنجوع مسرعين لنصرة أهل القاهرة . وأمام الجامع الأزهر دارت معركة طاحنة بين الثوار والجيش الفرنسي بينما كانت مدافع المقطم والقلعة تدك حي الأزهر دكا .. وانتصر الثوار وقتلوا قائد الجيش المهاجم « سلكوسكي» وكان من كبار قواد نابليون .. واضطرمت مغايظ «بونابرت» فقرر احتلال الأزهر بفرسانه ومشاته وعاثوا في الشيوخ والطلاب والثوار قتلا وتنكيلا ، وقبض الغزاة المهزومون على طائفة من شيوخ الأزهر وطلابه ثم جردوهم من ملابسهم وأعدموهم ـ عراة ـ رميا بالرصاص .. !!

نذكر من هؤلاء الشهداء بكل تجلّةٍ وترضٍّ واحترام الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان .. والشيخ أحمد الشرقاوي .. والشيخ عبد الوهاب الشبراوى .. والشيخ يوسف المصيلحي .. والشيخ اسماعيل البراوي .. هؤلاء الذين نحيي فيهم ومعهم الوف الشهداء من الذين قادهم الأزهر إلى الثورة الحرة الجليلة .

كما نحيي الشهداء الذين اتهموا بقتل «كليبر» خليفة «بونابرت» في حكم مصر وهم : سليمان الحلبي ، وعبد القادر الغزي ومحمد الغزي ، وعبد الله الغزي الذين حكم عليهم بالأعدام فوق الخازوق .

فالى أرواحهم الغالية نرسل كل التحيات والرحمات المباركات

ترى هل كف الغزاة عن مطاردة الأزهر في شيوخه وشبابه وطلابه وفي جموع الشعب التى استجابت لصيحة الثورة التى انبعثت منه كدقات الطبول وهدير المحيط .. ؟ وهل كف الأزهر عن مقاومتهم ؟. كلا .. ولقد خلف كليبر بعد مصرعه القائد الفرنسى الجنرال « منو » الذي بهرته صلابة الثوار فاعتنق الاسلام ، واسمى نفسه « عبد الله جاك منو» ، وأعاد فتح الجامع الأزهر ليستانف رسالته ، ثم طرد الفرنسيون من مصر خزايا نادمين ..

ويذكر لنا الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الذي طلب العلم بالأزهر الشريف ثم صار من هيئة التدريس فيه .. يذكر لنا فريقا من العلماء الكبار الذين قاموا بتبعاتهم الجسيمة ضد الاحتلال الفرنسي ، وقد كان الجبرتي من علماء الأزهر النابهين . وهو مؤلف التحفة النادرة « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » وكتاب « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » .

● ●

كان لشيوخ الأزهر مكانتهم .. وكانوا ذوي شخصيات باهرة وقوية لا تخاف فى الله لومة لائم .

ويقص علينا الأستاذ محمد عبد الله عنان نقلا عن كتاب ذخيرة الاعلام أن احد الشيوخ الأزهريين وهو الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطي قابل داود باشا أول مجيئه إلى القاهرة ، وكان السلطان التركي قد ولاه على مصر .. استقبل الشيخ الوالي وحوله جنوده المدججون بالسلاح وصاح فى وجهه : « انت رقيق لا يجوز لك أن تتولى الاحكام ، وإن أحكامك باطلة حتى تحصل على عتقك» ومن عجب أن حرس الوالي انحازوا للشيخ الجليل ، وأرسل الباشا الوالي نبأ هذه الواقعة إلى السلطان ، فانعم عليه بالعتق ، وأمره أن يبلغ شكره الى الشيخ .. وسعى الوالي إلى الشيخ طالباً رضاءه وقبل قدميه ورفض الشيخ ما حمله الوالي إليه من أموال وهدايا .. وكان هذا الشيخ الجليل

اول من لقب من شيوخ الأزهر بـ « شيخ الاسلام الامام » .. !!!

● ●

ونمت مكانة الأزهر فى الحياة العامة ، وكانت كبريات وظائف الدولة يتقلدها شيوخ من الأزهر لم يتخلوا بمناصبهم الرفيعة عن شرف الاستمرار فى التدريس بالأزهر .

كان القضاة الاربعة وقاضي القضاة من الأزهر . كذلك مناصب نواب القضاة ومنصب المحتسب .. وكان لكبار شيوخ الأزهر واساتذته نفوذهم الكبير الذي يصل في بعض الأحيان إلى التاثير فى تعيين الولاة وعزلهم .

وكان الأزهر موئلا وملاذاً ومسجداً حراماً يلوذ به المضطهدون السياسيون في بلادهم وكانت جماهير الشعب تستجير بعلمائه من كل حيف يقع عليهم من الولاة والحكام .

وعلماء الأزهر وشيوخه هم الذين ولوا « محمد علي » حكم مصر ومكنوه من عرشها بقيادة السيد « عمر مكرم » .

وعلى الرغم من أن « محمد علي » تنكر للأزهر وانتزع أوقافه وأوقاف المساجد ومواردها ، فقد بقى الأزهر كعادته صامداً يؤدي دوره الحضاري والثقافي والديني .. ولعب ابن الأزهر البار الشيخ «محمد عبده» مع استاذه السيد «جمال الدين الأفغاني» دورا مجيداً فى مقاومة الاستعمار وترشيد الفكر الديني .. ومن قلب باريس كانت مجلة «العروة الوثقى» تشعل النار ضد الاستعمار والتخلف والاستبداد وتهيب بالشرق المستعبد أن يستيقظ وينهض .

ويوم قامت الثورة العرابية كان فى طليعة رجالها علماء الأزهر وطلابه ، بل ان « احمد عرابي » نفسه كان ممن تلقوا العلم فى الأزهر المعمور .. وفى ختـــام القرن التاســـع عشر وبداية القرن العشرين تخرج الكثيرون من نوابغ الفكر والصحافة والأدب ـ منهم الشيخ حسن المرصفي ، والشيخ حسن الطويل ،والشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، والشيخ علي يوسف ، والسيد توفيق البكري ، والشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي ، ثم جاء طه حسين ، واحمد امين ، واحمد حسن الزيات ، وعبد العزيز البشري ، ومصطفى عبد الرازق ، وعلى عبد الرازق ، والشيخ محمد مصطفى المراغي ، وكثيرون من قادة الفكر الاسلامي في المشرق العربي والمغرب العربي والهند .

● ●

وجاءت ثورة ١٩ ، فانتـضى الأزهر كعادته سيف الثورة ، وكان المحرض الأكبر عليها .. وكان ملتقى الثوار كل يوم . ومنه كانت تخرج المظاهرات الطامية لتلاقي جنود الاستعمار البريطاني بصدور مفتوحة للرصاص ، وافئدة مشتاقة للشهادة .. !!

وعلى منبره التقى الشيخ والقسيس ، وكان الألوف من طلابه يتقدمون صفوف الثوار ، ويشعلون نار الثورة المقدسة فى القرى والمدن والنجوع .

وحاول الانجليز أن يصنعوا بالأزهر ما صنعه الفرنسيون من قبل ، لكنهم كانوا قد حذقوا الدرس الذي لقنه الأزهر والشعب للغزاة السابقين ، واكتفوا بمحاصرته ومنع الاجتماع فيه ثم ذهبوا إلى شيخه يومذاك الشيخ «أبو الفضل الجيزاوي» وطلبوا منه إغلاقه وتعطيل الدراسة فيه فرفض في إباء .

● ●

ومضت السنون والأزهر يحتضن بين ذراعيه العلم ، والحرية .. وأدخلت عليه التنظيمات الجديدة ليساير موكب التقدم الهادر ، وليظل متمكناً من أداء دوره الحضاري في بث العلم والحفاظ على الدين . حتى جاءت ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ ، فادخلت عليه تطويراً كبيراً وعميماً .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل هذا الذي حدث كان تطويراً ، أم تغييراً .. ؟؟

إن الفارق بين الامرين ، أن التطوير هو إنماء الشيء داخل خصائصه ومكوناته ..

أما التغيير فهو خروج الشيء عن خصائصه ومكوناته .

ونحن إذا أخذنا بالمفهوم المحدود لكلمة الثقافة والعلم قلنا : إن ما حدث كان تغييراً لا تطويراً ، لأن الأزهر إنما أعد وهيىء ليصون التراث الاسلامي من عقيدة وشريعة ولغة . وكان هذا يتفق مع تقسيم نشاطه العلمي إلى ثلاث كليات ـ كلية أصول الدين ـ وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربيـــة .

أما إذا أخذنا بالمفهوم الواسع للثقافة والعلم قلنا : إن ما حدث هو تطوير لا تغيير ، لأن الأزهر في قديم أيامه نبغ في تدريس كل مجالات الثقافة والعلوم ، ولقد رأينا كيف كانت كل العلوم تدرس فيه من منطق وفلسفة وتاريخ وطب وفلك ..ـ

فاذا بسط اليوم جناحيه محلقاً في آفاق المعرفة كلها . فذلك خير لا ريب فيه .

كل ما ينبغي تحقيقه لكي نظفر بمزايا التطوير دون الجنوح إلى التغيير أن تظل جامعة الأزهر بحيث تستقبل في جميع كلياتها أبناء الأزهر الحقيقيين الذين تلقوا دراستهم الابتدائية والاعدادية والثانوية في المعاهد الأزهرية حيث يستطيعون فيما بعد وبعد تخرجهم من الجامعة أن يكونوا بحق خريجي الأزهر الشريف .. ولعل هذا ما اتجهت إليه مشيئة القائمين على الأزهر وجامعته أخيراً .

أما طالب الثانوية العامة ، فبعيد عن طاقته أن يلم بالثقافة الاسلامية والأزهرية مهما نحاول أن نملأ عقله بهذه العلوم فى سنة اعدادية يستقبل بعدها الكلية التى يكون من حظه الدخول فيها .

كما ينبغي أن تزخر جميع كليات الجامعة الأزهرية من هندسة وطب وتجارة وغيرها بالعلوم الدينية واللغوية حتى تكون امتداداً لبعض ، أو لأكثر ما تلقوه في المعاهد الأزهرية

وبذلك يصبح التطوير خيراً وبركة على الأزهر والوطن وأبنائهما .

● ●

● ●

وبعد ، فهذه السطور تحية نزجيها لأبينا الكبير الأزهر الشريف واهبين كل حجر فى بنائه العريق حبنا وتكريمنا .داعين له بطول العمر فى خدمة الدين واللغة والعلم .. هاتفين له : أن طبت ، وطاب ممشـــاك ، وتبوأت من العلى أسمى الرتب وأشرف المنازل .

وسلام عليك فى الخالديـــن .

خالد محمد خالد

المراجع التاريخية للمقال :

(١) الخطط ـ للمقريزي

(٢) تاريخ الجبرتي

(٣) تاريخ الجامع الأزهر للأستاذ محمد عبد الله عنان

حـــــوار ..

الشمس : « انا امنح ضيائي للجميع ولا اطالب بثمن ، فلماذا لا يقلدني الناس ؟ » .
التراب : لانهم ياكلون ويسكنون بيوتا . وحتى اكفانهم وقبورهم باهظة الأسعار » .

البحر : « من اكبر .. انا ام السماء ؟ » .
النهر : « اسال غيري ، فالصغير يقوّم الصغير ، والكبير يقوّم الكبير » .

الشجرة : « ليتني كنت سائحة غنية » .
العصفور : « لو تحققت امنيتك ، فاين ابني عشي ؟ » .

الغيمة : « سامر امطاري بالا تهطل فتجوع وتعطش » .
الغني : « نفذي وعيدك ، فلن اجوع ولن اعطش ، بل ستزداد ثروتي » .

الصقر : « لا احد مثلي يعتز بحريته » .
الحمامة : « هذا كلام لن ينفعك يوم يصيدك مروّض » .



المدفاة : « ما امنيتك ؟ » .
الشتاء : « ان اقابل الصيف » .

الغراب : « لماذا لون العشب اخضر ؟ » .
القط : « لأن اطفالا ركضوا فوقه ضاحكين» .

المطرقة : « لماذا لا تصيح حين اضربك ؟ » .
السندان : « لايحق لي الصياح مادمت وافقت على ان اكون سنداناً » .

الثلج : « سئمت لوني الابيض » .
الليل : « ولكنك لن تجد لونا آخر يليق بك» .

الدجاجة : « اتمنى ان اطير كالنسور » .
الديك : « امتلاكك للأجنحة لن ينقذك من ان تذبحي وتؤكلي » .

النار : « انا مصابة بالزكام » .
الريح : « وانا مصابة بالدوار » .

الأرنب : « ابصرت نمراً يضحك » .
الخروف : « ولماذا لا يضحك مادام واثقاً بانه لن يكون فريسة » .

الطفل : « لماذا تغرد البلابل ؟ » .
العجوز « لأنها ليست مضطرة إلى أن تشتغل لتاكل » .

الجدار : « ماذا يقول الجواد حين يصهل ؟ » .
السقف : « يقول : من يصادق سكيناً لا ينبغي له التذمر من رؤية الدماء » .

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

زلّة كاتب

في الآونة الأخيرة ، اصدر ناقد عربي كتاباً قارن فيه بين الشنفرى وبين شاعر عربي معاصر مازال حياً ، بنتقل بين العواصم العربية والغربية كانه مندوب شركة لترويج السياحة ، آكلا « الشاورما » و « الفلافل » و « البفتيك » و « الهمبرجر » و « الفول المدمس » ، محتسياً القهوة والشاي ، منددا بالامبريالية والصهيونية بغير هوادة في المقاهي والملاهي والمكاتب وكوكتيلات سفارات المعسكرين الشرقي والغربي .

وقد خلصت مقارنة الناقد إلى قرار حاسم صارم هو أن ذلك الشاعر المعاصر كالشنفرى تماماً .

ولما كان القراء العرب يعلمون أن الشنفرى قتل بسيفه مائة من اعدائه ، فقد تساءلوا : «هل قتل ذلك الشاعر المعاصر مائة من أعدائه كالشنفرى ؟ » .

ولما كانوا واثقين بأن الشاعر المعاصر لا يملك سلاحاً سوى شعره ، فقد تساءلوا ثانية : «هل أراد الناقد أن يقول إن ذلك الشاعر المعاصر قد صرع مائة من أعدائه بشعره لا بسيفه ؟ » .

ولكنهم لما كانوا متأكدين أن أعداء ذلك الشاعر المعاصر وفقاً لتصريحاته يجهلون اللغة العربية ، فقد تساءلوا مرة ثالثة : «هل كانت غاية الناقد من المقارنة بين الشنفرى وذلك الشاعر المعاصر هي التنديد خلسة بشعر ذلك الشاعر المعاصر واتهامه خفية بأن قراءه هم مائة قارىء فقط وهم ضحاياه التي لم تدفن بعد ؟! » .

الحالمون بالتكريم



أي تكريم ذاك الذي يحق للأديب العربي الأصيل أن يحلم بالظفر به إبان حياته ؟ .

أن تتبارى دور النشر على طبع ما يكتبه : هو تكريم .

أن يقبل القراء على شراء كتبه فلا تدفن في المكتبات : هو تكريم .

أن يعامله الناس بوصفه صوتهم ويحظى بحبهم واحترامهم : هو تكريم .

أن يظفر باهتمام النقاد ، فينصف قبل مماته : هو تكريم .

ولكن التكريم الحقيقي الأروع للكاتب هو أن يتاح له العيش في وطنه حراً ، متحرراً ، لا تكبله أي أصفاد مرئية أو خفية فيكتب ما يحلو له وما يشاء ، ولا يضطر إلى أن يصبح في وقت واحد كاتباً يكتب وشرطياً يراقب ما كتبه الكاتب ، فيتحول آنذاك الرعد إلى نقيق ضفدع .

حذاء ليلى العثمان



عرفت حكاياتنا الشعبية حذاء أبي القاسم الطنبوري ، والذي احرز شهرة عالمية ، وعرف أدبنا القصصي المعاصر حذاء ليلى العثمان .

في إحدى قصص الكاتبة الكويتية ليلى العثمان رجل يعاني مشكلة طريفة غريبة عويصة ، وهي أن حذاءه يتطاول عليه ويهاجمه وينهال عليه ضرباً ، فيالها من نهاية فاجعة محزنة للانسان العربي ، وهي نهاية ليست بالمفتعلة الخيالية ، بل هي صادقة تقول الحقيقة المرة .

إن الانسان العربي الذي كان في الخمسينات بطلا خارقاً ، مفعماً بالأمل والحماسة ، وحارب بشجاعة وتفان واخلاص ، راغباً في الحرية والتطور ، أرغم على التبدل كنتيجة لتنفيذ مخطط صارم يهدف إلى إبادة كل الصفات الايجابية لهذا الانسان .

ولقد نجح هذا المخطط نجاحاً باهراً ، فاليد العزلاء لا تستطيع الانتصار على مائة سيف مشهر ، وبات الانسان العربي عاجزاً ، مقيد العقل والقلب ، والواعي الواعي يكتفي بالكلام الساخط فقط ، ولكن الكلام وحده لا يهدم ولا يبني ، فاذا احتقره حذاؤه ، فلا لوم على الحذاء ، فالبيت المفتوح الأبواب والنوافذ يغري اللصوص باقتحامه وامتلاكه .

وإذا كان خلاص بطل قصة ليلى العثمان يكمن في أن يمشي حافي القدمين ، فان البشائر كلها تجمع على أن يوم خلاصه قريب آت ، والأسباب قد تبدو انها اقتصادية بحتة ، ولكنها في الحقيقة ليست سوى استمرار لمخطط إبادة كل ما هو ايجابي في الانسان العربي .

عبد العزيز جاويش

عمامة ثائرة ومثيرة!

بقلم: فتحي رضوان

كانت حركة مصطفى كامل الذى ولد فى ١٤ من أغسطس سنة ١٨٧٤ والذى توفى فى العاشر من فبراير سنة ١٩٠٨ ، والذى أسس الحزب الوطنى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٠٧ ، وأصدر جريدة اللواء فى الأسبوع الأول من يناير سنة ١٩٠٠ ، ثم أصدر بعده اللواءين الانجليزى والفرنسى ، واللواء الأسبوعى والشهرى .. كانت هذه الحركة أغنى حركات التحرير والتجديد والنضال خلال القرن العشرين فى مصر بالرجال ذوى المواهب ، فقد ولدت أفواجاً وراء أفواج ، فى عهود بعد عهود من الزعماء والكتاب والشعراء والفقهاء والمشرعين والمحامين والثوار .

فمن أبناء هذه الحركة محمد فريد ، خليفة مصطفى كامل ، والقاضي والمحامي والزعيم والصحفي ومؤلف الكتب والمنفي والمشرد المتوفي خارج بلاده فريداً وحيداً مريضاً ، ليلهم الأجيال التالية باسمى معاني المقاومة والفداء والعناد .

وولدت بعد ذلك كتاباً وصحفيين أمثال أحمد حلمي ، فامين الرافعي ثم عبد العزيز جاويش .

ولم يكن عبد العزيز جاويش صحفياً ، ولا رئيس تحرير للواء ، بعد وفاة مصطفى كامل فحسب ، بل كان بما كتب ، مثيراً ، يحرض الجماهير على أن تتالب ضد السلطة الغازية والدخيلة التى احتلت مصر في ١٤ من سبتمبر عام ١٨٨٢ ، وقد أدى رسالة التحريض كاحسن ما يفعل قواد الثورات ، ومشعلي نارها ، ومؤججي لهيبها بعبارة مثيرة تتدفق لها الدماء في العروق ، حتى تصعد إلى الرءوس ، فتنزع منها دواعي الخوف والتردد ، فينطلق الناس فى غضب لا يقاوم ، واصرار لا ينثني .

ولكن هذا الكاتب الذي خلف مصطفى كامل ، فرفع لواء الحركة الوطنية إلى أعلى مستوى تصل إليه السواعد الفتية ، كان مصلحاً اجتماعياً ، وإماماً في الدين ، ومربياً للأجيال ، ومنظماً للصفوف ، يهدأ فكانه طفل ، يفكر ويدبر فكانه لم يثر أحداً ، ولم يحرض على شيء ، فاذا رأيته وتأملت تقاطيع وجهه ، راعك جمال هذا الوجه ، وحلاوة قسماته ، وسماحة تعبيره حتى تتشكك في أن لصاحبه صلة بالعراك ، ودوراً في الكفاح ، ومساهمة فى مدافعة أعداء الوطن ، المجترئين على مصر ، والعابثين بأقدارها ، والمستعدين بالسلاح. وستعرف بعد حين كيف هش عبد العزيز جاويش بعصاه على عدد غير قليل من أفذاذ المصريين من الكتاب والمفكرين ، فاخرجهم إلى الناس من المبدعين الباقين ، حسبك أن من ابنائه : طه حسين ، الكاتب ، وعلى الغاياتي ، الشاعر ، وامين الرافعي وعبد الرحمن الرافعى ، الصحفي والمؤرخ .

ومن ثم فنحن نستطيع ان نقول إن الشيخ عبد العزيز جاويش ، راح بين رجالات مصر المؤثرين والمثيرين والرواد ، باكبر نصيب من الظلم والاجحاف . فقد بقى عمراً ، لا يكاد يذكر اسمه حتى تتداعى فى الحال ، ذكريات مقلوبة على وجهها ، ينسب بها الى الشيخ العظيم ، انه المسئول عن الفتنة بين المسلمين والأقباط فى مصر ، وهو من هذا كله براء . ثم ينسب إليه أنه لا يحسن إلا الاثارة التى لا تنتج شيئاً ، والدعوة التي تهدم ولا تبني ، مع أن الرجل وضع بيده أساس أعمال كثيرة صالحة ، ومهد لدعوات عديدة نافعة .

فقد بقيت عمراً وانا أسمع اسم (عبد العزيز جاويش) وأفضل أن أنطق لقبه (شاويش) لا (جاويش) بتعطيش الجيم في أول لقبه حتى أصبح شيئاً ، وكانت صورته فى ذهني ، صورة رجل طويل القامة ، عريض المنكبين ، جهوري الصوت ، واسع الخطوة ، كثير الحركة ، عريض الاشارة ، لا يكلمك حتى تنتقل إليك منه عدوى قلق يفور داخله ، ولا يهدأ قط .

وبقيت هذه الصورة تلازم اسمه عندي ، حتى رأيته رأى العين في مدينة بني سويف ، حينما دعاه مدير الاقليم ليخطب أو يحاضر فى قاعة البلدية ، التى أعدت للخطابة والمحاضرة ، وكان يوم رأيته واقفاً على باب المبنى ، ومعه الشاعر علي الجارم ، وكان آنذاك مفتشاً أول للغة العربية ، ولم يكن قد ذاع له من شعره الغنائي سوى قصيدته (الكافية) التى



غنتها مطربة شابة في مطلع شهرتها ، شغلت عرش الغناء بعد ذلك ، وحفظت الأذهان اسمها (أم كلثوم) ، واقتربت على استحياء من الرجلين ، ووقفت بينهما ، وتاملت طويلا في وجه الشيخ عبد العزيز ، وعدت أدقق في وجهه ، والرجل مشغول عني ، لا يجرحه ولا يضايقه تحديقي فيه ، وخيل إلي انني أخطات إذ حسبت هذا الرجل الهاديء الوسيم السمح ، الأنيق ، الربعة ، هو البطل الذي سنسمعه بعد قليل ، لولا انه كان لجاويش سمت وزي تميز بهما ، وكانت له عمامة ، هي العمامة التركية ، التى كان يلبسها علماء الاتراك في ذلك العهد ، مع (كاكولة) أو معطف ، فوق (بنطلونات) أو سراويل أفرنجية .

وأطلت السمع لعلي أظفر بكلمة أو عبارة تنحدر من بين شفاه هذا الذي عاش يشعل النار بقلمه ولسانه في كل مكان حل به الاستعمار فى مصر ، وتبادل الرجل مع صاحبه الشاعر كلمات ، بسيطة وهادئة ، خفت بعدها أن يكون الزمن قد أطفأ نار هذا الثائر وأحاله رماداً . فلما صعدنا إلى حيث قاعة الخطابة ، وقف الثائر القديم وراء منضدة ، وأخذ يحدثنا في صوت خافت ، لا نكاد نلتقط منه ألفاظه إلا بأكبر المشقة . وقد أدار حديثه يومذاك حول الدعوة إلى الاصلاح ، وما يلاقي فى سبيلها المصلحون من افتراء الخصوم ، خصوم الاصلاح ، لا خصومهم ، وقد تردد اسم الشيخ محمد عبده في هذه المحاضرة كثيراً ، غير أن المحاضر قد آثر أن يسميه (الشيخ عبده) .

وخرجنا من هذا الاجتماع ، ونحن أقرب إلى الشعور بخيبة الأمل ، فلم نظفر برؤية رجل خارج من التاريخ ، شهد المعارك وأدارها ، ودخل السجون وكابد أهوالها ، ثم نفى نفسه ، ثم علا مكانه فى عهد الثورة الكمالية ، قبل أن يتحول (كمال) إلى (أتاتورك) ، ثم توالت الشائعات مع الشيخ وحوله ، حتى قيل لنا إن الانجليز حملوا الشيخ فى غواصة من غواصاتهم ، وألقوا به عند نقطة من شاطىء الاسكندرية سنة ١٩٢٣ ، لأنهم في حاجة إليه ، وإلى قلمه ولسانه ، وصدق بعض المصريين هذا الهراء السخيف ، لأن الدول دالت ، وأصبح سعد زعلول زعيم الشعب المصرى ، وقائده ، وملك حبه القلوب ، وكان الشيخ جاويش فى يوم من الأيام ، وعلى وجه التحديد سنة ١٩٠٦ ، من ألد أعداء هذا الزعيم الكبير ، فقد أصلاه بنار قلمه ـ وسعد وزير للمعارف ـ فى سلسلة من المقالات عنونت (ظلموك ياسعد) ، فأصبح هذا العنوان مثلا يستعمل في حق كل من ظلم نفسه .

وقبض على الشيخ جاويش في مصر ، بعد أن أجهضت ثورة ١٩١٩ المجيدة ، بسبب النزاع الداخلي ، الذي أحسن الانجليز تدبيره وإحكامه . وكان من حقه بعد طول الجهاد والتشرد والفقر أن يستريح .

قبض عليه بتهمة التآمر على الملك فؤاد، متعاوناً في هذه المؤامرة مع الخديو عباس حلمي الذي عزل ، وعاش في المنفى فى أوروبا ، لا تنتهي أشواقه إلى عرش مصر ، ولا تنتهي حبائله ومكائده للانجليز ولصنيعتهم السلطان أحمد فؤاد ، الذي وضعوه على العرش ، ثم جعلوه بعد تصريح فبراير الذي صدر في ٢٨ من هذا الشهر سنة ١٩٢٢ ، ثم قبض عليه ثانية لما شرع عبد الخالق عبد اللطيف ـ وهو طالب طب ، يلتمس العلم في ألمانيا ـ في قتل سعد زغلول باشا رئيس الوزراء فى صيف سنة ١٩٢٤ بمحطة مصر ، وهو ذاهب إلى لندن ليفاوض مستر ماكدونالد رئيس

عمامة ثائرة ومثيرة!

الوزراء . وكان أساس الشبهة أن الشيخ كان يتردد على برلين طوال مدة الحرب العالمية الأولى التى استمرت أربع سنوات من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٨ ، وكان للحزب الوطني الذي ينتمي إليه الشيخ ، لجان عديدة في ألمانيا تضم عدداً غير قليل من الشبان المصريين الذين كانوايتعلمون هناك ، وقد تبين من التحقيق أن الشبهة لاتقوم على أساس .

ولد الشيخ عبد العزيز جاويش فى بنغازي في ليبيا سنة ١٨٧٢ ، فهو يكبر زعيمه مصطفى كامل بسنتين ، ويصغر خليفة هذا الزعيم ـ أي محمد فريد ـ بأربع سنوات ، وقد كان الذائع بيننا أن الشيخ ، تونسي ، ولم نعرف أنه ليبي إلا حينما أرخ له المؤرخون أخيراً . وقد كانت الصلة بين الأسكندرية وبين أهل المغرب من ليبيين ، وتونسيين ، وجزائريين ، ومراكشيين ، وثيقة ، فقد كانت الاسكندرية الميناء العربي الرائج والناجح على طول شاطىء البحر الأبيض ، أي الشاطىء المغربي لهذا البحر ، وقد استوطن الاسكندرية عدد ضخم من المغاربة ، وكونوا عائلات اثرت وساهمت فى التجارة ، ثم بعد ذلك فى مختلف دروب النشاط ، ومن هذه العائلات : القباني ، والتونسي ، وجرانه ، وحدايه ، وغاربو . وقد هاجر والد الشيخ ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إلى الاسكندرية ، واتخذ له فيها متجراً للواردات الليبية . ولما بلغ الصبي عبد العزيز سن الرابعة عشرة ، وكان قد حفظ القرآن فى أحد المكاتب ، بدأ يطلب العلم في جامع الشيخ ابراهيم باشا بالاسكندرية ، وكان التعليم فيه ، ككل التعليم في جميع مساجد مصر الكبرى كمسجد طنطا ، ودسوق ، يجري على نسق التعليم في مصر ، فلما أتم دراسته الابتدائية ، ذهب إلى القاهرة ليجاور في الأزهر ، ولكنه سمع أن مدرسة دار العلوم التي أنشأها على باشا مبارك ناظر المعارف في عهد الخديو اسماعيل ، تجري امتحاناً لطلبة الأزهر ليطلبوا العلم على نهج أكثر انطباقاً على مقتضيات العصر ، ودخل عبد العزيز هذا الامتحان ونجح فيه مع ستة عشر طالباً كان أكثرهم من النابهين الذين تركوا آثاراعظيمة فى مجال اللغة العربية ، والنهوض بها والمساهمة فى ترويج الحركة الأدبية والارتفاع بمستواها . وقد كان من زملاء الشاب عبد العزيز في هذه المرحلة الشاعر محمد عبد المطلب فوصفه بقوله :

« لم يمض نحو شهر على هذا الفتى حتى أصبح روح أخوانه وريحانهم ، وقرة كل عين ، وأنس كل نفس ، وقرارة كل فضيلة وخلق كريم ، وكان يزيد عظمة فى أنفسهم ، أنه كان جامعاً لكثير من الكفايات التى نعدها كالصفات المتقابلة ، بينما هو معدود بيننا من النابغين فى العلوم الكونية كالطبيعة والفلك ، أو تراه من خير الأكفاء فى علوم الدين كلها ، ومع هذه الكفايات الكثيرة ، كان كوكب أضواء إخوانه فى الناحية الأدبية ، فهو شاعر الفرقة المطبوع ، وكاتبها الضليع ، ومن عادة المدرسة أن يكون لكل فرقة زعيم في الأدب له الصدارة عنها في مواقف القول ، ومحافل البيان ، فكان الأستاذ عبد العزيز زعيم إخوانه فى هذا الميدان » .

وهذه الشهادة المبكرة تدل على أن المستقبل الذي كان ينتظر الشاب عبد العزيز ، متعدد الدروب والسبل ، ومن ثم فان محنة الاختيار ، وهي ليست بالمحنة الصغيرة ، كانت أول ما واجهه ، وهو يفكر في كيف يصوغ مستقبله . فالشاب الذي لا تكون له إلا شعبة واحدة من المواهب ، يسلك السبيل الذي تؤدي إليه هذه الشعبة ، فيكون مهندساً أو طبيباً أو مدرساً أو خطيباً ، أما إذا كان في وسعه أن يبرز فى أكثر من مجال كان يكون مربياً ، أو مفكراً أو زعيماً لاخوانه أو مدير أعمال ، فان اختياره هو الذي يحدد مستقبله ، وقد يحمله هذا المستقبل العناء ، أو يكبده المشقة والحرمان ، وقد يدفع به إلى مراقي النجاح السريع أو الثروة العظيمة أو الجاه العريض .

وقد بدأ عبد العزيز بدور المربي والمفكر ، إذ لم يكد يتخرج في دار العلوم سنة ١٨٩٧ حتى عين مدرساً للغة العربية بمدرسة الزراعة ، ولكن عمله لم يطل ، إذ ما لبث حتى وقع عليه اختيار الوزارة ليكون مبعوثها إلى جامعة (برورود) في لندن وهي جامعة اعدت لتخريج رجال التربية ، فدرس فيها الآداب والتربية ، وبهذا كان الشاب عبد العزيز واحداً من الأزهريين القلائل الذين طلبوا العلم فى أوربا ، فاتقنوا لغة أجنبية أعانتهم على الاتصال بالأدب الغربي ، وتذوق آثاره ، والتعرف على مناهجه والوقوف على دنيا جديدة من الفكر. والحق أن هذا الاختيار ، أهله ليقوم بالدور الضخم الذي أداه بعد ذلك ، كاتباً تقرؤه



الألوف كل يوم وتتاثر به ، وتهتدي بخطاه ، وزعيماً يقود أبناء شعبه ، إلى ميادين الكفاح والنضال ، وإلماً يرفض الجمود فى دينه ، ويطور أساليب تجديده . وقد أصدر فى هذه المرحلة كتابين هما « غنيـــــة المؤذنين» ، وثانيهما «مرشد المترجم» ، وهذا التاليف المبكر ، يشير إلى صفات نمت في الشيخ الشاب بعد ذلك ، ونفخت على نار التجارب . فقد ألف في الفرعين الذين أتقنهما في لندن ، وهما أصول التربية الحديثة ، وثانيهما قواعد الترجمة الى العربيـــة . وكان الفـــرعان عظيمي الخطر في هذه المرحلة من حياة مصر . فقد كانت في أشد الحاجة الى مئات المعاهد التى تخرج المربين ، إذ كان يعوزها الجيش اللازم لاعداد الألوف من أبنائها إعداداً صحيحاً ، وكانت في أشد الحاجة أيضاً إلى تخريج جيش آخر من المترجمين الذين ينقلون إلى العربية آلاف الكتب فى الأدب والتاريخ والقانون والطبيعة والجغرافيا ، وكان المطلوب أن تجرى ترجمة هذه المصادر على الوجه السليم ، الذي يحيط النص الأجنبي ، وفي الوقت نفسه ينقله واضحاً إلى لغة العرب .

وكان التاليف نفسه ، بواعز من عقل الشاب وقلبه ، دليلا على حيويته وصحته ، وشعوره العميق بما تحتاجه البلاد ، ورغبته فى الأخذ بيدها ، بلا اهمال ولا إبطاء . وهذه استجابة لا تكون إلا لمن طبع على حب بلده من جهة ، والمبادرة بتنفيذ ما يجيش في صدره من آمـــال .

وعبد العزيز جاويش في هذه المرحلة كان امتداداً لرواد الثقافة والتعليم والتربية أمثال على مبارك ، ورفاعة الطهطاوي ، وعبد الله فكري .

وقد أعانه على أن يؤدي هذا الدور ، أنه عرف من أنظمة التعليم ومناهجه ، وهو بعد فى مقتبل العمر ، عدداً غير قليل ، لكل منها طابعـــه المميز . عرف الكتاب ، ومعهد المسجد ، والأسلوب الأزهري القديم بقدمه ، والأسلوب الأزهرى المطعم بأساليب جديدة ، فى دار العلوم ، ثم عرف أساليب التربية الحديثة فى عاصمة الغرب ، لندن ، ومن ثم فان عقلية عبد العزيز جاويش ، ومحصوله الثقافي ، تنوع ، وكان يزيد فى ترامي آفاقه ، وبعد أعماقه ، اتقاد وجدانه، وقوة شخصيته ، واتساع طموحه ، ثم توج هذا كله باختيار جامعة كمبردج في لندن ، للشيخ عبد العزيز جاويش ، ليكون مدرساً للغة العربية بها ، وكان هذا التعيين بتوصية من المستشرق الكبير ، مرجليوث ، الذي لابد أن يكون قد عرفه إبان تحصيله للعلم في جامعة (برورود) .

وبالعمل في جامعة كمبردج ، الشيخ الذي كان لا يزال شاباً ، عرف أموراً غاية في الاهمية والخطر ، أولها جانب آخر من الحياة الجامعية ، التي هي ركن ركين من الحياة الاوربية . فالجامعة في الدول الغربية هي مصنع العقول والنفوس ، وهي تؤثر في شئون السياسة والحرب ، وفي شئون الصناعة والاقتصاد ، وقد عرف جاويش الجامعة طالباً ، وهو بهذه المعرفة، ازداد اتصالا بالحياة الغربية ، وبأساليب الأوربيين في البحث والمناقشة ، وتصنيف المعرفة عن الصـــلات بين الأساتذة والتلاميذ ، وأهمية المكتبة ، إلى آخر هذا العالم الزاخر . والآن عرف الشيخ الشاب دنيا الجامعات فى جانب آخر منها ، هو جانب الأستاذية ، فجالس الأساتذة ، وسمعهم وناقشهم ورد عليهم وقرأ كتبهم ،

وأبدى رأيه فيما يقولون ، وسألوه عن الاسلام وتاريخه ، وعما يشكو منه المسلمون ، وعما يطمحون إليه ، ويفكرون

به ، فكأنما يصنع جاويش من جديد ، ويزود بأسلحة جديدة ، وتكشف له عوالم لا عهد له بها .

وزاد اتصال الشيخ بالحياة السياسية تماماً ، كما حدث لشيخ آخر سبقه إلى السفر إلى أوروبا ، وهو الشيخ رفاعة الطهطاوي ، ولو أتيح للشيخ أن يؤلف كتاباً عن مشاهداته فى بريطانيا بعامة وفي لندن بخاصة لنافس كتابه كتاب سلفه الشيخ رفاعه ، فقد كان له قلم معبر ، ولديه عقل يحفظ الوقائع والذكريات ، ويستخلص العبر والعظات ، ويقارن بين أنظمة أهل الغرب وأنظمة أهل الشرق ، ولكن السياسة استغرقت الشيخ جاويش ، والكفاح السياسى استبد بنشاطه ، ووقته وحيويته ،

فخسرنا كتاباً ككتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ، وإن عوضنا عن هذه الخسارة ، بقائد سياسي وكاتب مقاتل من الطراز الأول .

واستمر دور المفكر والعالم ، يستاثر بنشاط الشيخ عبد العزيز جاويش ، حتى عقد مؤتمر المستشرقين فى الجزائر سنة ١٩٠٥ ، وقد حضر هذا المؤتمر محمد فريد ،

ساعد مصطفى كامل الأيمن ، وكان حضوره فيه سمة حزب مصطفى كامل الوطني . فلم يكن مالوفاً بين المستظلين بالسياسة

الحزبية فى مصر ، أن يجدوا من الوقت ،

ومن الجهد ، ما يصرفونه للشئون الثقافية ،

إلا مصطفى كامل وأنصاره وأعوانه ، فقد كانوا شديدي الاهتمام بكل ما تصدره المطابع فى مصر وفى أوربا من كتب وصحف ودوريات . وكانوا يؤلفون الكتب ويترجمونها ويعلقون عليها ، ولذلك سافر محمد فريد إلى مؤتمر المستشرقين في الجزائر ، وهناك لقي الشيخ عبد العزيز ،

وكان آنذاك موظفاً من موظفي وزارة المعارف وقد لفت نظر محمد فريد إليه أنه وقف يرد على المستشرق الألماني (دلفروسى) الذي ألقى بحثاً قال فيه إن القرآن كان أول كتاب عربي وضع باللغة العامية لعرب ما قبل الاسلام . فكان رد الشيخ قائماً على العلم بتاريخ اللغة وبتاريخ الدين معاً ، وكان فوق ذلك متمكناً إلى أقصى الغاية باللغة الانجليزية ، وكان شديد الغيرة على لغة قومه ودينهم . فعرض محمد فريد على الشيخ جاويش أن يعرفه بالزعيم مصطفى كامل ، وكان آنذاك فى رحلة عمل إلى لندن ، فقبل الشيخ هذا العرض وسافر الى لندن ، وتعرف على الزعيم الشاب مصطفى كامل ، فكان هذا اللقاء بداية دور جديد فى حياة الشيخ .

نتحدث عنه في الحلقة التالية من هذا الحديث باذن اللـــه .

فتحي رضوان

الإنسان رقم ١٤٧٠!

بقلم : عبد الله الجفري

لابد أن يعيد الانسان النظر فى كثير من السباب والشتائم التى اخترعها ، وركبها على صفات مشابهة للحيوانات ، ورمى بها كل واحد لايروقه . أو يضايقه ،

مطلوب أن يصغى الانسان جيداً ، وباهتمام إلى أصواته الداخلية التى تتجمع نتيجة احتكاك الشرارات الحارقة في نفسيته ، وأن يكون هذا الاصغاء من أجل تحسين أسلوب « التربية » فى السلوك الاجتماعى ، وللتصرف الاخلاقى مع الآخرين ، وحتى مع نفسه أيضاً !!

وهذا المطلوب يأتى اليوم ملحاً بعد مرور سنوات طويلة جداً على انتشار نظرية « داروين » التى زعم فيها : أن الانسان والقرد من سلالة واحدة ، وأن هناك حلقة مفقودة أو غير معروفة ، وجعل علماء « الانثروبولوجيا » ـ علم الانسان ـ يكتشفون الاسئلة المدببة ضد الانسان .. هذا المخلوق الذى كرمه الله بنعمة العقل ، والمنطق والفهم !!

ويأتى هذا المطلوب أيضاً ... فى أعقاب اكتشاف اعلنت عنه الصحف البريطانية ، قبل أعوام واسمه : (الانسان رقم ١٤٧٠) وقد أعلن عن هذا الاكتشاف عالم يسمى « دكتور ليكى » مدير المتحف الوطنى فى كينيا الذى يتكلم اللغة المحلية للقبائل هناك . ويقول التلخيص الذى نشر يومها :

● « ان هذا الدكتور استمر فى اعماله الحفرية مدة تقارب ٢٨ عاما قبل أن يصل الى اكتشافه الهام ... وقد أثار به خلافاً علمياً حاداً لم يحسم حتى اليوم ، وكان الاكتشاف عبارة عن جمجمة الانسان اسماه ـ هو موهابليس ـ أى الرجل اليدوى . أما الرقم الذى وضعه الدكتور على الاكتشاف فهو الذى اعطى للجمجمة والعظام فى المتحف الوطنى الكينى . ومن أهم ما يميز الانسان (١٤٧٠) أن شكل الجمجمة والاسنان وعظام الساق يشير إشارة واضحة إلى ملامحه وكيفية سيره .. لأن زاوية ارتباط العمود الفقرى بقاع الجمجمة يؤكد أنه كان قادراً على المشى مثلنا . وأهم من ذلك أنه لا يوجد أي دليل على أن هذا المخلوق كانت له صفات الوحش المعتدي مما يثبت خطأ النظريات الاجتماعية التى بنيت على آراء داروين من أن الصفات العدائية فى الانسان ترجع الى أجداده القرود » !!

وهذه المقدمة الطويلة ... وضعتها مدخلا لنقاش أعرف أنه ربما كان قديماً جداً ، وأنه « سفسطائى » فى اعتبار آخر . ولكن محاولات ، أو « مناورات » العلماء مع الانسان ، وأصله ، وحقيقته ... لم تتوقف أو أنها سوف لن تتوقف ... بحثاً عن « موضوع » يطرحونه بين الفينة والأخرى ليضاف الى الضجة الكبرى الملموسة فى العالم ، والى الهرطقات التى يستغلها المشككون فى الخليقة ، وفى بناء الكون ، ويأخذون الفكر الانسانى الى مزيد من المتاهات والاضطرابات الذهنية !

ولقد استمزجت أن أجعل خبر هذا الاكتشاف بمثابة « جرس » كما الجرس المستخدم فى المدارس يعلن انتهاء « حصة » دراسية ، أو بدء أخرى ، . وأن أربط هذا الخبر ايضاً بالآراء والشواهد التى طرحها « أنيس منصور » فى كتابه « الخبز والقبلات » وقد قال المؤلف فى مقدمة الكتاب هذه الكلمات :

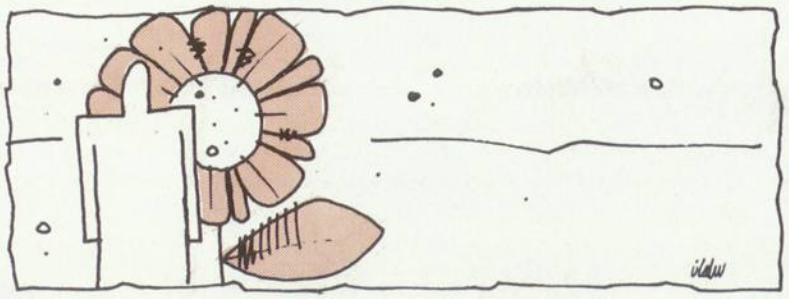
ـ « هذا الكتاب يغريك بأن تنظر باحترام الى كثير من الحيوانات فليست هذه الحيوانات الا بشراً بلا حياء ، وبلا كذب ، ولذلك يخجل الانسان أن يراها أو يحن الى رؤيتها ، ولكنه لايستطيع أن يغمض عينيه عنها ، وكلنا حيوانات عند الخبز والقبلات » !!

ولابد أن نستحضر عبارة أخرى نجعلها جسراً لانطلاق حوار عن حكاية الانسان وحيوانيته ، والحيوان ، وتشبيه الانسان به .. والعبارة تقول : « الناس يقولون ان الانسان القوى يأكل الضعيف . إنها غلبة .. الوحش الكبير يبتلع الوحش الصغير » !

والانسان غلب مع نفسه ، ومع تصرفاته .. فأصابه القلق ، والفزع ، والملل أيضاً .. فهو تارة ينتقد تصرفاته ، وتارة أخرى يمتدح سلوك الحيوانات ليجعل هذا المديح لها صدمة كهربائية لسلوكه .. فأنت تسمع حكايات الوفاء عن الكلب ، وحكايات « الجنتلمان » عن الأسد ، وحكايات الغدر والمقت عن الذئب !

وأنيس منصور فى كتابه الأخير يقول لك :

« بعض العلماء يرى انه لاداعى لان نبحث عن أصل الانسان ، وانما أن نتجه اليه هو ، فهو عقدة العقد ، وأن نستعين بالحيوانات الأخرى على فهمه ، ففى داخل الانسان كل ما حوله من حيوانات أخرى . فهو ثعلب عند اللزوم ، وهو ذئب ، وهو



ثعبان ، وهو حمامة سلام » !

فالانسان مرتهن في حياته بحاجتين ضروريتين : الخبز والقبلات ، فهو يبحث عن الطعام دائماً ليشبع ، وهو يتزوج ليترك بعده ذرية تحيى اسمه .

ولكن .. لم يكن هذا هو « كل » الانسان فهناك عبر التاريخ : المبادىء والقيم ، والكفاح ، والموت فى سبيل العقيدة ، والهدف ، والشرف ، والكرامة .. بمعنى أن الانسان قد وعى حقيقته فى الوجود ، وأن الله سبحانه وتعالى قد اختصه بميزات فريدة تشرفه ، وتعلو به عن مستوى الحيوانية ، وأن النظريات التى جاءت بعد ذلك ، والتى تربط الانسان بالقرد ، أو بالحيوان لاتقوى على الصمود ، وعلى اثبات نفسها .

وأذكر أننى طرحت سؤالا على « أنيس منصور » فى إحدى زياراته التى قام بها الى بلادنا عام ١٣٩٠ ، وكان السؤال يقول : كتبت عن الحضارات المندثرة ، فأى حضارة فى نظرك عاشت لتمد الحضارات بعدها ؟!

وقد أجاب يومها بتفصيل ، وبخلفيات عديدة ، ومما قاله فى سياق شواهده وحديثه عن الانسان هذه الفقرة :

ـ « لا أستبعد أن يكون قد تم فى عصور سحيقة هجرات من كوكب الى كواكب أخرى ، فهذه النظرية ، أو هذا التفسير الذى اهتديت اليه ، وأحاول أن أجد له سندا من التاريخ ، ومن الآثار ، ومن الأديان أيضا .. ليس إلا محاولة هنا لتأكيد الكثير من المعانى الدينية التى وردت فى الكتب المقدسة ، وأنفى بذلك ما يقال عن أن الانسان أصله قرد ... هذا التفسير الجديد الذى أحاول أن أنشره يؤكد أن الانسان أصله انسان وليس قردا ، وأن هناك كائنات أخرى أكثر عقلا فى ملايين الملايين من الكواكب التى تصلح للحياة » !!

ثم أصدر « أنيس منصور » بعد ذلك كتابه المشهور « الذين هبطوا من السماء » وأثبت فيه أصالة الانسان !

أما أن الانسان أصله قرد .. وأما أن الانسان ما زال أصله ، ونشوءه من الحقائق المجهولة ، والتى يجرى وراءها العلماء والباحثون ... فكل ذلك ينطوى تحت معنى التجديف ، والتشكيك ، والضياع التاريخى والنفسى ، والروحى » .. انتهى .

ولو عاد الباحثون ، والعلماء الى القرآن الكريم ... لوجدوا المعرفة الكاملة عن قصة الانسان ، وخلقه ، وأصله ، ومعدنه ... توضيحاً ، وتفسيراً ، وعلما لايتعارض مطلقاً مع « العلم الحديث » ، وانما هو يحسنه ويضيف اليه رؤية صادقة تزرع الايمان فى النفس الانسانية .

ومن القرآن الكريم ... هذه الآية الجامعة المعلمة ... فى سورة « المؤمنون » ... فى قوله تعالى :

● (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين) صدق الله العظيم .

فى هذه الآية ... استعراض للمراحل التى يبدأ منها الانسان ، ويتكون ، ويتجسد وينشأ على هذه الصورة الآدمية ، وهذه المراحل لاتتعارض مع العلم .. فهى غنية بالاقناع ، وحافلة بالأدلة التى تدحض كل تخريف ، وتجديف !!

أما أن الانسان أصله قرد .. فهذه اهانة لكرامة الانسان ، ودوره فى الحياة ، فليس فى القرآن الكريم ما يشير الى أن الانسان فى أصله كان قردا وتطور الى إنسان ، والقرآن الكريم عز الانسان ، وشرفه ، ورفعه الى مستوى الانسانية والكرامة ، ففى سورة الاسراء ـ آية ٧٠ ـ قال جل جلاله :

● « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » صدق الله العظيم .

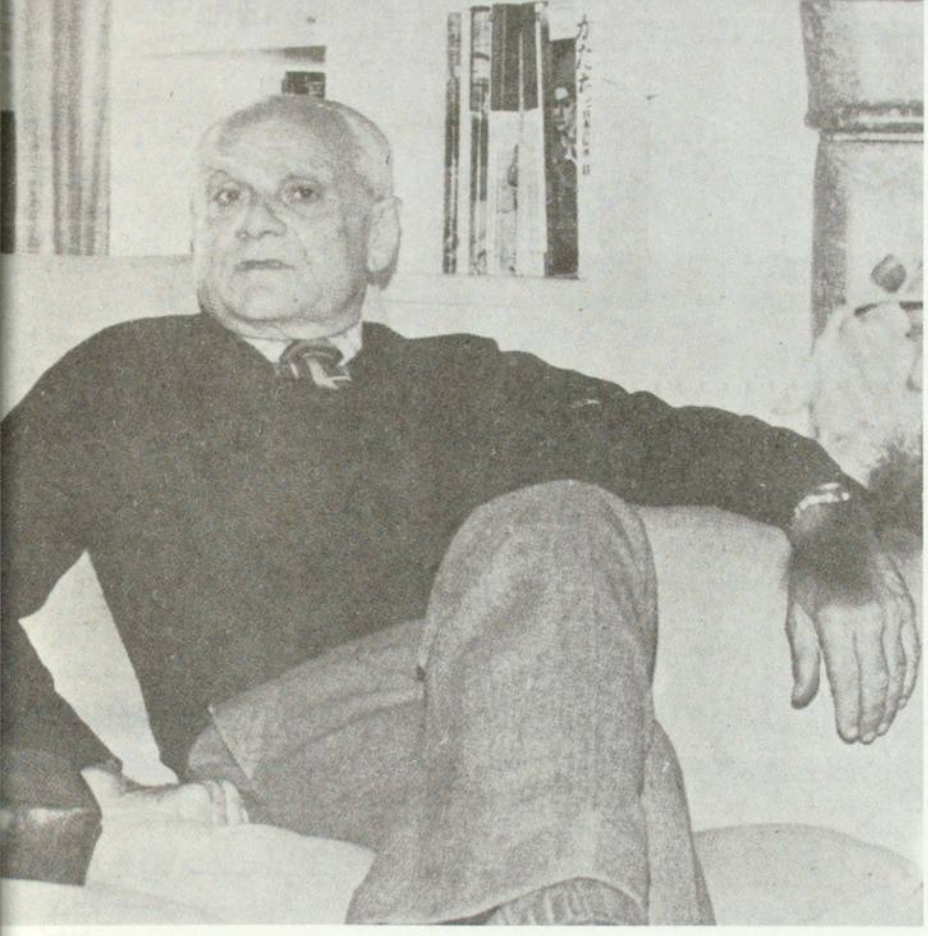
والشيء المضحك ، والسادر فى السخرية ، والاستهانة بكرامة الانسان ... أن يكون هذا المخلوق الكريم « المفضل » على سائر المخلوقات رقماً من الأرقام ... فى تجربة ، أو محاولة لاكتشاف عقيم ، ودجلى

وحقا ... لقد خلص الانسان من الضحك على كل شيء في حياته .. وبقى الآن أن يسخر من نفسه ، ويضحك منها وعليها ، ويبالغ فى الوقاحه ... فيسخر العلم ، ويسخر المنطق ، ويسخر مقوماته الانسانية ... فيضطهد بذلك قيمه ، ومبادئه ، وروحه وكرامتـــه !!

ولابد ـ فى النهاية ـ أن التفت الى الخواجة « ليكى » فأقول له : تعازينا !!

عبد الله الجفري ـ جـدة

مفيد فوزي
يكتب من روما



اديب إيطاليا المرموق البرتو مورافيا .



مفيد فوزى

مع أديب إيطاليا المرموق :

ألبرتو مورافيا

- لايوجد إنسان سيء .. هنالك مواقف سيئة
- السينما لم تصنع شهرتي ، كتبي وحدها صنعتني
- المرأة عندي قيمة ، إنها التواصل والترابط
- قرأت لتوفيق الحكيم : "يوميات نائب في الأرياف"
- الفاشية من أقسى تجارب حياتي

ولد فى روما ، واحبها كبطلات رواياته . وعندما قيل له فى السنوات الاخيرة « لقد اصبحت روما (مسرح العنف والمافيا والالوية الحمراء) فلماذا تتمسك بالبقاء فيها ؟ » قال البرتو بينكرلى ، وشـــهرته « البرتو مورافيا » :

ـ « الذى ينفصل عن جذوره يصبح هشا ، واقل نسمه ريح تقتلعه من ارضه . لقد ولدت فى العاصمة الايطالية عام ١٩٠٧ ، واظن انى سأموت فى روما .. وسوف ادفن تحت تراب روما . وروما مدينة صديقة حميمة لها عندى موقع كبير . وعندمـا اسافر خارج ايطاليا ، اشتاق لكل تمثال من تماثيلها التى يخيل للرائى انها تماثيل لها سواعد واذرع تصافح البشر وتعانقهم ! » .

●

حين أحاور فنانا كبيرا او اديبا مرموقا ، تعودت ان اعرف عنه الكثير قبل ان التقى به . ذهبت الى مورافيا ومعى « مفاتيح » الحوار !

مثلا : عرفت انه مولـــود من اسرة متواضعة ميسورة الحال !

مثلا : عرفت انه اصيب بمرض درن العظام وعمره ٩ سنوات واضطر الى وقف نشاطه حتى بلوغه سن السابعة عشرة .. واخذ يواصل العلاج بصفة مستمرة ودون انقطاع ، ودخل الصبى مورافيا عدة مصحات !

مثلا : عرفت انه كتب من داخل احـدى المستشفيات ـ اثناء العلاج ـ قصـــته « اللامبالون » !

مثلا : عرفت انه اديب ، اعطته السينما الايطالية نجاحا ساحقا ، ولولا السينما لظل اديبا ايطاليا تمتد شهرته عبر المدن الايطالية فقط !

مثلا : عرفت ان اول اسفاره كانت فى الولايات المتحدة ، ومنها سافر الى الصين .

مثلا : عرفت انه اضـــطر خـلال فترة الاحتلال الالمانى الى الهروب الى بلدة « فوندى » فى ايطاليا ، وبعد الحرب ذاعت شهرته وبرزت اهميته وقيمته فى مجـــال الكتابة على المستوى الدولى .

مثلا : عرفت أنه مدير تحرير مجـــلة « نوفى ارجومنتى » اى « الموضـــوعات الجديدة » .

●

البرتو مورافيا ، كاتب ايطالى له سمعة عالمية .

●

مورافيا ـ حين رأيته ـ احسست باكثر من انطباع ! الأول انه مازال نشيطا وقادرا على وقف « زحف السنين » ! الانطباع الثانى ، لانه يهتم بالحوار مع اى كاتب عربى لأنـه يعرف انه واحد من الادباء العالميين المرموقين فى .. الوطن العربى . الانطباع الثالث أنه يعتز بإيطاليته ، لدرجة أنى صحبت معى « مترجمة » تعمل فى سفارة مصر بروما كانت تتولى الترجمة إلى الانجليزية ! الانطباع الرابع ، أن مورافيـا يتقلص فى اجاباته إلى درجة الصمت اذا شعر ان محدثه لم يقرا له شيئا ولا يعرف كنه ادبه ، بل ويرفض الحديث اذا احس ان محاوره لا يعرف عن مورافيا سوى افلام السينما التى جسدت رواياته بالصورة !!

ومورافيا ـ للعلم ـ يحب الحوار . ويستمتع بالصدمة فى النقاش ، ويكره الفتور ! ربما كان هذا « المفتاح » لشخصية مورافيا هو الذى اغرانى ان اقول له :

ـ لقد كنت فى زيارة لاديب ايطالى ناقد هو « روندى » . وسمعته يقول لى ان الفكر الايطالى الآن ، يمثله مخرجو السينما وعلى راسهم فيلليني . وانا لا اعرف هل هذه حقيقة ام انه رأى بولغ فى تقديره من جانب ناقد ؟!

صمت مورافيا ، وهذه عادته حين يستعد للاجابة عن سؤال لم يتوقعه . وقال

ـ اعترف لك أننى قد فوجئت برأى السيد روندى . واعترف لك ايضا أن هذا الرأى هو اجتهاد شخصى .ولكني أرى أن الفكر الادبى فى ايدى القراء . اما المخرجون فتعبيرهم بالصور والمشاهد !

قلت للاديب الايطالى : ولكنك لم تجزم : من يمثل « الفكر الادبى الايطالى » ؟

قال بسرعة : الصفوة الايطالية هم كتابها وادباؤها فقط . اما المخرجون فهم يترجمون ما نكتبه الى صور . ولست اقلل ـ بالمناسبة ـ من شـــأن المخرجين والسينمائيين فلاشك انهم وجه من وجوه الفكر الايطالى ولكنهم ليسوا بالضرورة : الفكر الايطالى !

سألت مورافيا ، قبل ان انتقل إلى نقطة حوار أخرى عن المخـرج الذى كان له فضل نقل الحياة من رواياته الى الشاشة بنفس عذوبة السرد بالكلمة ؟!

قال مورافيا : انه ليس مخرجـــا ايطاليا (!) وصمت ..

فلما صمت مورافيا .. عدت اســـاله « لا يهمنى هويته . يهمنى من هو ، ولم ؟! »

قال : إنه المخرج الاسبانى « لويس بنويل » وهو أهم مخرجى اسبانيا بل أوربا ويأتى بعده ولاشك فيلليني ثم انطونيونى وجاك لوك مخرج روايتى « الاحتقـــار » و « الملل » . ولا أنسى فيتوريو دى سيكا مخرج « امرأة من روما » . وهنـــاك «اللامبالون» التى اخرجها مازيلى .. ولكل واحد من هؤلاء طعم خاص ومذاق فكرى خاص ، ولكن كما قلت لك ، يقف على رأسهم الاسبانى بنويل !



بيت مورافيا .. فى روما . إنـه يعيش فوق ربـــوة !

قلت لمورافيا : لقد صنعت السينما شهرتك يا سيدى ؟!

قال بسرعة وبغضب : لقد صنعت السينما مذاقا ايطاليا ، وجوا ايطاليا .. واخرجت سينما ايطاليا للعالم بروايتى . لا يوجد أديب صنعت السينما شهرته . لا يصنع شهرة الأديب سوى كتبه ومؤلفاته .. واعماله .

مورافيا والسينما ، موضوع شيق ، يغرى باكثر من سؤال !

قلت لمورافيا :

ـ هناك خلاف دائم بين « الـــروائى » و « المخرج » حين ينقل له أحد اعماله الأدبية الى الشاشة . الروائى يقول انه صاحب الكلمة فى العمل . والمخرج يقول انه مدير « العرض » ما موقفك وقد شبعت السينما من مائدتك الأدبية ؟!

قال مورافيا : المخرج ، صاحب رؤية والا ما الداعى إلى وجوده . انا لا اطلب الصدق الحرفى . لكنى أطلب المستوى العالى فى التقديم .

قلت لمورافيا : عندى إحساس ، أريد أن اصارحك به . إن السينما تأخذ من جهدك الكثير هل فقدت الثقة بالقارىء ، وصرت

مع أديب إيطاليا المرموق :

ألبرتو مورافيا

تعتمد على « المشاهد » ، مع انهم يقولون ان السينما من ثقافة الاستهلاك ؟

قال مورافيا : السينما ليست عدوا للثقافة . السينما الرخيصة تعادى الثقافة لقد كتبت مرة مقالا قلت فيه ان السينما فن فيه القليل من الأصالة الفنية . اننى أرى الثقافة فى السينما ربما أكثر مما أراها فى المسرح مثلا .

قلت لمورافيا : قرأت لك مرة قولا ترى فيه أن « أحاديث الكاتب الصحفية جزء مكمل لشخصيته » . هل هذا صحيح أم نسب إليك ؟ .

قال الكاتب الايطالى : هذا صحيح . أنا اعتقد أن أحاديثى هى « صوتى » وهى جزء مكمل لفنى وعطائى . ولن يفهمنى بالطبع سوى قارىء رواياتى !

●

قلت لمورافيا : ما قصة المرأة معك ؟ لقد رأيت كتابك الذى خصصت فيه حواراً طويلا مذهلا مع كلوديا كاردينالى . إنك معجب بالمرأة الايطالية . أليس كذلك ؟

قال أديب ايطاليا الكبير : المرأة تشكل جزءاً هاماً فى أى مجتمع . ليس فى ايطاليا فقط بل فى العالم أجمع . ورغم ذلك فالمرأة ـ لأسباب تاريخية ـ فى موقف أقل من موقف الرجل . ولقد اختلف العالم الآن تماماً . إن المرأة « تعمل مع » الرجل وربما لاتتساوى معه فى الأجر والفرص . لقد كانت آخر رواياتى « حياة أخرى » صرخة احتجاج على لسان امرأة معاصرة .

سألت مورافيا : وزواجك ...

قال قبل أن استطرد : تزوجت مرتين . الأولى من الكاتبة الايطالية المعروفة « الزا مورانتى » من عام ١٩٤١ حتى عام ١٩٦١ ، والثانية زوجتى الحالية الكاتبة « داتشا مارايينى » منذ عام ١٩٦١ .

قلت : هل تؤمن بزواج المهنة الواحدة . هل تؤمن بنجاحه ؟

قال مورافيا : أؤمن بزواج العقول والقلوب ، ولا دخل للمهنة . فالزواج تجربة انسانية بين رجل وامرأة . وبقدر اقترابهما العاطفى والعقلى ، ينجحان . وبقدر بعد المسافة بينهما ، يفشلان !

سألته بالمناسبة كيف تعرفت على زوجتك داتشا ؟

قال: هذه أمور خاصة . ولكن منذ متى يكف الصحفى عن الدخول فى قناة الأمور الخاصة ؟ لقد تعرفت على زوجتى بعد طلاقى من الكاتبة « الزا مورانتى » . إن داتشا أديبة وشاعرة وصحفية مرموقة بجانب أنها مخرجة سينمائية ، وقد أعجبنى من أفلامها « الحب عن طريق الزوجة » ولها مسلسل تليفزيونى هام بعنوان « المرأة الافريقية » .

قلت لمورافيا : وأنا قادم لأراك ، عرفت من « صديقة صحفية ايطالية » زارت مصر ، أن زوجتك لها نشاط نسائى .

قال مورافيا : داتشا مارايينى من رائدات الحركة النسائية الايطالية ..

قلت لمورافيا : ما الذى صنع مورافيا ؟

ضحك وقال : صنعنى عاملان ! أولهما : جهدى . وثانيهما الجمهور الذى تذوق جهدى وأنا مدين بنجاحى لاثنين : مدين لجهدى ، ومدين لجمهور عريض أعطى جهدى اهتماماً بلا حدود . منذ سن الثالثة عشرة قررت القراءة المستمرة . إن الروائى الذى يكتب هو قارىء جيد متأمل . إن الآداب هى « بنت الذاكرة » كما يقول اليونانيون . اننى أكتب فى الصباح وأمارس حياتى بعد الظهر ، وفى المساء ، اتأمل الدنيا والبشر والكائنات . هذا تقليد سرت عليه ، فيما عدا أيام مرضى !

قلت لمورافيا : لمن قرأت من الكتاب العرب ؟

قال : قرأت لتوفيق الحكيم (يوميات نائب فى الأرياف) .

سألته : بم شعرت وأنت تقرأ الحكيم ؟

قال : شعرت بصدق العمل الفنى ..

قلت : يا سيدى ، يقولون فى ايطاليا انك كاتب متناقض مع نفسك ، وأنك لا تعبر عن ايدلوجية معينة أو تيار فكرى ما .. ما قولك ؟

قال مورافيا : ربما كان هذا حقيقياً ، ولكن لماذا لا يجب أن أكون متناقضاً مع نفسى !

قلت لمورافيا : موقفك من السياسة ، لا أعرفه . هل للأديب موقف سياسى ؟

قال أديب ايطاليا : لقد أطلقت على

- أطلقت على كتاباتي السياسية : عمل بلا رغبة
- أخاف من الملل ولا أحلم بشيء .. وأصبحت عجوزًا
- الكاتب يكتب ما حدث وليس ما سوف يحدث
- أنا لا أطلب الصدق الحرفي في نقل أعمالي للشاشة

كتاباتى السياسية عنوان « عمل بلا رغبة » فهل هذا واضح لك ؟!!

قلت : مم تخاف ؟

قال : أخاف من الملل . أنا لا أحلم بشيء محدد . لقد أصبحت عجوزاً بالفعل !

قلت : هل تشعر وأنت فى مرحلة الشيخوخة ، أن هناك جيلا أدبياً ثانياً فى ايطاليا ؟

قال مورافيا باختصار : من ينكر الشمس ؟!

قلت : هل تعانى من الفراغ ؟

قال : ليس عندى وقت فراغ . اننى دائماً مع كتاب جيد أو فيلم جيد أو مسرحية اخذتنى ، أو فكرة تطاردنى !

قلت : حدثنى عن عالمك الذى تكتب منه ينابيعك . أرضك الفكرية ؟

قال مورافيا : ليست هناك ينابيع الا ايطاليا . كل حصاة على أرض ايطاليا ، ينبوع لي . يجب أن تعرف الأشياء لتكتب فلا يأتى فكرنا من فراغ ! القصاصون جميعاً يبدأون من تجربة عميقة ، ولكنهم يصارعون الاوضاع ويخترعون الشخصيات . لقد أدهشنى ترجمة « امرأة من روما » الى العربية ، لأن فيها خاصية تجربتى مع الحرب . أنا الذى اخترعت المرأة ، واخترعت الأوضاع ! هناك أحياناً بعض الاستثناءات من هذه القاعدة . « بروست » مثلا يحكى الحكاية دون اضافة لأنه يريد أن يعطيك مدلولا تدركه كقارىء . و « ستاندال » على سبيل المثال ، يتحدث عن تجربة الحرب وعن الصالونات ولكنه يخترع كل الشخصيات . اما أنا فاننى اعكس من نفسى على النساء . على كل الشخصيات النسائية ، لأنى اعتقد أن كل الرجال هم نساء قليلا . وكل النساء هن رجال قليلا . اننى هنا اعكس جانبى الأنثوى !!

●

سألت مورافيا : متى يكتب الكاتب « يومياته » ؟ بمعنى أدق ، متى يدون هذه اليوميات فى قصة طويلة مثل «الاحتقار» ؟!

قال مورافيا : اذا عدت للرواية ، سوف تدرك أن ما يدفع الكاتب لتسجيل يومياته انه ببساطة قد يكون راغباً فى تسجيل وقائع يعتبرها هامة أو راغباً فى المناجاة والاعتراف أو راغباً فى تلبية نداء غريزة الاقتصاد التى توحى احياناً باستغلال تفاصيل أحداث حياتهم ، أقصد حياة الكتاب ! وهناك حوافز أخرى منها الغرور والاعجاب بالذات !!

●

ويبقى فى نهاية الحوار مع أديب ايطاليا الكبير ، عدد من الأسئلة ، أجاب عليها



وافق السيد المصور « اومبرتو بيتزى » على نشر الصورة ، وكان البرتو مورافيا قد طلب مني ضرورة الحصول على موافقة المصور قبل نشر الصورة .. والصورة هنا لأديب ايطاليا فى صومعته البسيطة المتواضعة التى تخرج منها كل اعماله .

بعبارة « لا أعرف » !

قلت له : قالوا لي فى روما ، انك كاتب « الرجل المرفه » و « الحياة الخاصة اللذيذة » . ما قولك ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت له : أين تقضى أيام اجازتك ؟ مع صديق ؟ مع زوجتك ؟ من هو رفيق هذه العطلة ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت له : هل تذوق العالم أدبك .. هل تعرف رأى كتاب أوربا ونقادها فى فكرك ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : هل تحلم بأن تكون روايتك القادمة ، مسرحها ، أرض عربية ؟!

قال موارفيا : لا أعرف !

قلت : هل لك رأى محدد فى الذكاء ؟

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : أى فصول السنة ، تحب ؟!

قال مورافيا : لا أعرف !

قلت : أريد أن أسألك ، لماذا تكتب ؟

قال مورافيا : لماذا اكتب ؟! .. لا أعرف !

قلت لمورافيا : ماذا تقصد بعبارة « لا أعرف » ؟

قال أديب ايطاليا : أقصد ، انه ليست لدى القدرة على اطلاق أحكام على أشياء لم تحسم !

قلت : ماذا تقول لأديب ناشىء يا سيدى؟

قال مورافيا بحماس ، أقول : لابد من الرؤية .. ومن الحذر ، ومن عدم المخاطرة بنشر ما يكتب الا بعد النضج فى الحياة . فالكاتب ـ فى نظرى ـ يجب أن يكتب ما حدث وليس ما يعتقد أنه سوف يحدث ! حين يكون الانسان صغيراً ، يشعر أن رأسه فارغ .. ومشاعره فقيرة .. ورأسه شحيح العطاء !

قلت لمورافيا : اننى اشعر حين أرى رأسك ، أن تجارب العمر ، قد قامت بعملية « غزو » عليك !

قال الأديب الايطالى بعد تنهيدة : هذا صحيح ! خذ عندك ..

١ ـ تجربة مرض ، اقعدتنى فى السرير ٥ سنوات متصلة . شىء لا يمكن وصفه الا بالتجربة !

٢ ـ تجربة الفاشية ، لقد كنت وقتها فى السابعة والثلاثين وعشت أجمل سنوات عمرى تحت وطأتها القاسية . اننى من اعداء الفاشية ، ومازلت !

٣ ـ رحلاتى ، من أهم تجاربى . عرفت العالم ، وعرفت الناس من كل القارات على اختلاف أجناسهم .

٤ ـ لا يوجد انسان سيىء ، توجد مواقف سيئة !

وأخذ مورافيا يردد .. « نعم لا يوجد انسان سيىء ، توجد ـ فقط ـ مواقف سيئة » !

ولذنا ... بالصمت !

« روما ـ من مفيد فوزى »

كُنْ عادلاً ولا تَخَفْ :

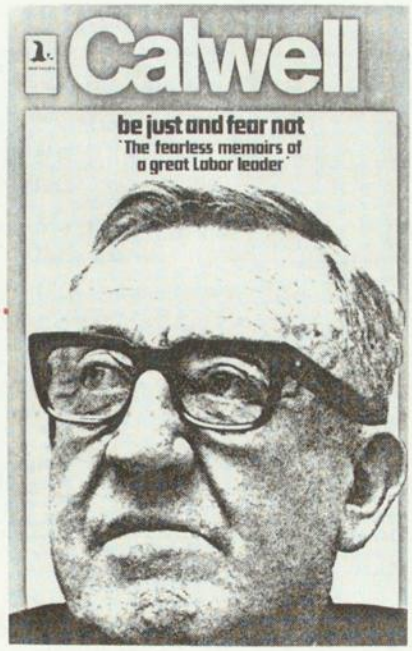
قصة مخطّط صهيوني فاشل لإنشاء مستعمرة يهودية في استراليا

بقلم : محمد يوسف عدس

قرأت دراسة الدكتور عاصم الدسوقي التى نشرت بمجلة الدوحة فى عدة حلقات تحت عنوان « وثيقة تاريخية .. فى المسالة الصهيونية الفلسطينية ٤٣ ـ ١٩٤٥ » وهي دراسة تكشف عن حقائق هامة فى تاريخ الحركة الصهيونية ودورها فى التمكين لليهود بالولايات المتحدة الأمريكية . هذا الدور الذي ـ وإن كان قد اتخذ صورة محاولة لتحريك الرأي العام الأمريكي نحو تفهم قضية يهود أوربا ومساعدتهم للخروج منها هرباً من مذابح هتلر ـ ، إلا أن ذلك كان مجرد مرحلة فى مخطط صهيوني يسعى إلى تسخير قوة الولايات المتحدة واستخدام نفوذها فى تحقيق أهداف الصهيونية العالمية فى فلسطين .

الذي أود أن أسجله هنا هو أن هذه الجهود التى جرت فى الولايات المتحدة لم تكن شيئاً فريداً فى تاريخ الحركة الصهيونية . بل إننا نجد لها نماذج أخرى مشابهة ، وقد تبدو هذه الجهود وكأنها مبادرات أفراد أو جماعات متفرقة هنا وهناك . إلا أن سماتها المشتركة وأساليبها فى العمل على تحقيق أغراضها تؤكد وحدة مصادرها كأنما هي حلقات متكاملة فى مخطط عالمي يأخذ من فلسطين المحتلة مركز انطلاق لتحقيق حلم الصهيونية الكبير فى السيطرة على العالم .

موضوع هذا المقال يدور حول واحدة من هذه المحاولات جرت فى استراليا . الاطار الموضوعي واحد وهو انقاذ اليهود فى أوربا وروسيا ، والفترة الزمنية متقاربة ، أما الهدف فقد كان يتجه إلى إنشاء مستعمرة صهيونية فى قلب استراليا على غرار المستعمرة اليهودية فى فلسطين ، تكون قاصرة على اليهود وحدهم مستبعدة ماعداهم من العناصر والديانات الأخرى . وكأن اليهود فى سعيهم لحل مشكلاتهم وتحقيق ذواتهم لا يستطيعون أن يعيشوا إلا كمجموعات متميزة فى «الجيتو» صغر هذا الجيتو بحيث يكون مجرد حارة في مدينة ، أو كبر ليملأ حدود دولة بأثرها .



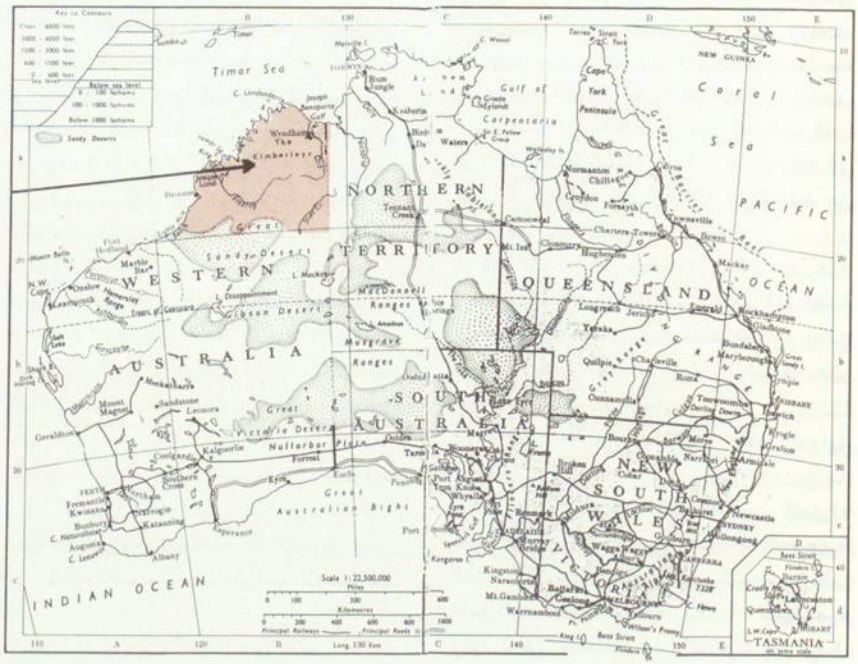
غلاف الكتاب الذي ألفه ارثر كالويل كشاهد عيان على محاولة الصهيونية إنشاء مستعمرة يهودية في استراليا :

لقد أخفقت المحاولات الصهيونية فى إنشاء مستعمرة لليهود فى استراليا وأصبحت هذه المحاولات تاريخاً منسياً لا يحاول أحد أن يذكره أو يتذكره ، فكتب التاريخ لا تتعرض لهذه المحاولات من قريب أو بعيد ، فيما عدا كتاب واحد ظهر على شكل سيرة ذاتية أصر صاحبها على أن يكشف عن أبعاد هذه المحاولات وأن يتحدث عنها كشاهد عيان .

لم يكن صاحب الكتاب مؤلفاً عادياً بل كان مفكراً طليعياً ووزيراً بارزاً فى الحكومة الاسترالية ، وكان زعيماً لحزب العمال فى فترة من فترات حياته السياسية الحافلة . كان شخصية مثيرة فذه ، وجاء عنوان كتابه مثيراً كشخصيته فقد اختار له هذا العنوان : كن عادلا ولا تخش شيئا

(Be just and fear not)

أما المؤلف فانه آرثر أ. كالويل CALWELL



منطقة كمبرلايز « المشار إليها بالسهم » حيث حاول « شتينبرج » إقامة مستعمرة يهودية فيها

كان آرثر كالويل من معارضى الحرب الفيتنامية ، استنكر تورط استراليا فى تلك الحرب الشائنة وقاوم تدخل الكنيسة الكاثوليكية فى السياسة وتعرض ـ بسبب مواقفه الحادة ـ لحملات صحفية عنيفة كادت تطيح بمنصبه وتقضى على مستقبله السياسى أكثر من مرة ، بل إنه تعرض للاغتيال فى يونية سنة ١٩٦٦ وهو يقود الجماهير الثائرة فى سيدنى ضد الحرب الفيتنامية ، وكانت تلك هى حادثة الاغتيال السياسى الوحيدة فى تاريخ أستراليا .

المسألة الصهيونية .. بالصدفة

عندما شرع «كالويل» يدون مذكراته نصحه بعض الأصدقاء أن يتغاضى عن بعض الأمور التى قد تسيء الى حزب العمال الذى ينتمى اليه ، أو تسيء الى الكنيسة الكاثوليكية أو بعض الفئات الأخرى من كبار الشخصيات فى المجتمع .

كان كالويل قد بلغ السابعة والسبعين من عمره حين شرع يؤلف كتابه ولكنه رغم شيخوخته لم يفقد صلابته فى قول الحق ولا قوة المنطق واستقامة الفكر ، وهى خصال ظل يتمتع بها طوال حياته . كان رد كالويل على ناصحيه : «اننى لا أعتقد أن شيئاً مما أكتب سوف يلحق الأذى بأحد من هؤلاء الناس الذين يشغلون مراكز مرموقة فى هذا المجتمع ، فانا أفترض فيهم من القوة ما يكفى لأن يواجهوا أنفسهم بعيوبهم ونقائصهم ، وأنا عندما أكشف عن جوانب الضعف فى أولئك الذين شابت أعمالهم بعض مظاهر الطغيان أو الظلم فاننى أشعر باننى محق فيما قلته عنهم» ثم يضيف «كالويل» قائلا :

«انه ليس من حق أحد أن يموت دون أن يترك شيئاً ، فنحن ملتزمون بان ننقل الى الأجيال التى تاتى من بعدنا حقيقة ما عانيناه ، ومهما تكن ردود الأفعال التى تترتب على ذلك فانا لازلت مستعداً للرد عليها ، ولست أنوى الاعتذار لأحد» .

بمثل هذه الصراحة والشجاعة فى الرأى تناول «كالويل» مسألة الاستعمار الصهيونى فى أستراليا .

جاء أول احتكاك لكالويل بالمسألة الصهيونية عن طريق الصدفة المحضة ، وفى هذا يقول :

«بعد ظهر أحد الأيام خلال النصف الثانى من عام ١٩٤٠ كنت أتحدث الى جون كيرتن John Curtin (رئيس الوزراء فى ذلك الوقت) فى شارع كولينز بملبورن عندما مر أمامنا رجل عجوز ضئيل الجسم له لحية دب فيها المشيب . تفرس فيه كيرتن ملياً ثم قال : أتعرف من هذا الرجل ؟ فاجبت : لا فعقب كيرتن قائلا «ان اسم هذا الرجل شتينبرج Steinberg كان وزيراً فى حكومة لينين وقد وقع عدداً من أحكام الاعدام أكثر من أى رجل آخر فى روسيا» . وقد بدا لي كل هذا غريباً فلم أكن قد سمعت من قبل عن شتينبرج هذا ولا أن أحداً من وزراء لينين قد جاء الى استراليا ، ولكنى علمت فيما بعد أن وزيراً آخر من وزراء لينين ذهب الى سيدنى ومات هناك» .

ويمضى كالويل قائلا : «لم أتحدث مع كيرتن عن هذا الموضوع مرة أخرى ولا هو ذكره فى لقاءاتنا التالية ، غير اننى شعرت أن هذا الرجل الضئيل المسمى دكتور آى . ن شتينبرج Dr. I. N. Steinberg يسبب له كثيراً من الازعاج» .

فى سنة ١٩٣٨ وقعت الحكومة الاسترالية اتفاقية إيفيان بفرنسا والتى بمقتضاها تقبل استراليا ١٥ الف لاجيء سياسى من يهود المانيا والنمسا وذلك خلال السنوات الثلاث التالية (١٩٣٩ ـ ١٩٤١) . والذى حدث أن أستراليا استقبلت ٦٤٥٧ مهاجراً فقط فيما بين سنة ١٩٣٨ و ١٩٤٥ . وذلك لأنه عندما نشبت الحرب فى سنة ١٩٣٩ أصبح الطريق مغلقاً أمام اليهود للخروج من المانيا .

وقد جاء شتينبرج الى أستراليافى منتصف عام ١٩٣٩ لمحاولة إقامة مستعمرة يهودية فى منطقة (كمبرلايز Kimberleys الواقعة فى الشمال الغربى لولاية «غرب استراليا» يقول كالويل : «كان (شتينبرج) يتصور منطقة مثل دولة اسرائيل تقام على ما وصفه بانه سبعة ملايين فدان من الأرض البكر . ومن الأحداث التى تلت ذلك وكذلك من خلال محادثاتى مع قادة اليهود فى لندن علمت أن شتينبرج حاول أن يكسب تاييد أسرة روتشيلد وغيرهم من اليهود الاثرياء فى أوربا لمشروعه ولكنهم لم يوافقوا على مقترحاته» .

ومع ذلك فقد كان شتينبرج من النوع الذى لا يعرف اليأس أو الاستسلام ، رجل ذو مقدرة وعناد شديدين ، ففى خلال بضعة أيام من وصوله الى أستراليا استطاع أن يناقش مشروعه مع (جون كولينجز ويلكوك) رئيس وزراء ولاية غرب أستراليا .

جاء شتينبرج من لندن الى بيرث Berth عاصمة ولاية غرب أستراليا مندوباً عن «عصبة الأرض الحرة للاستيطان اليهودى» Freeland League for Jewish Territorial Colonization وقد ادعى شتينبرج فيما بعد أن ويلكوك وافق على مشروعه . وقد علق ويلكوك على ذاك قائلا «بطبيعة الحال لابد لنا من ضمان أن أبناء قومك (اليهود) سوف يستقرون فى المستعمرة ويعملون على تنميتها وانهم لن يهجروها الى المدن ويصبحون بذلك عبئاً على الحكومة الاسترالية» .

ويقول كالويل :«لقد كانت هذه ملاحظة حكيمة من ويلكوك ، وهى فى الواقع نفس المشكلة التى كانت تقلق بال «كيرتن» (رئيس الوزراء العيدرالى) حيث كان يتساءل فى حالة إقامة مستعمرة يهودية

فى كمبرلايز كيف يمكن ان نجعل اى فرد جاء تحت رعاية (عصبة الأرض الحرة) يستقر فى المنطقة اذا اراد ان يغادرها ؟» .

وكان كيرتن على يقين بانه لن يمر وقت طويل حتى يتململ بعض المستوطنين ويصبحون غير راضين عن الاقامة فى المستعمرة وسوف يتحولون الى سيدنى او ملبورن او غيرهما من عواصم الولايات الاسترالية الاخرى.

وبالرغم من مقاومة كيرتن للفكرة استطاع شتينبرج ان يحصل على مساندة مجلس اتحاد نقابات العمال الاسترالى وعدد من قادة الكنائس المسيحية وقطاع كبير من الصحافة الاسترالية .

يقول كالويل فى مذكراته : عندما افكر فى هذا الموضوع الآن اجد انه كان مشروعاً سخيفاً فقد كان مطلوباً من الاستراليين مراعاة لاعتبارات انسانية وتعاطفاً مع مشكلات فئة من الناس ان يوافقوا على اقتراح لم يكن تحقيقه ممكناً باى حال ، فبالدرجة الاولى لم يكن هناك ضمان ان الناس الذين سوف يستوطنون (المستعمرة) يمكن ان يبقوا فيها ، ولم يكن من الممكن ان نسلم جزءاً من ارض استراليا ليصبح قاصراً على جنس من البشر او دين ما لانشاء كيان منفصل تماماً عن بقية الأمة.

كان كالويل يعرف حقيقة النوايا الصهيونية من مشروعها الاستيطانى فى غرب استراليا وكان مدركاً للنتائج الرهيبة التى يمكن ان تترتب على تنفيذ مثل هذا المشروع وكان يعرف انه بموقفه يمثل راى الغالبية العظمى من الشعب الاسترالى الذى قد يتعاطف مع الويلات التى صبها هتلر على يهود اوربا وقد يمنحهم مكانا بينه مساعدة منه فى تخفيف ويلاتهم ، ولكنه لم يكن ليقبل ان يمنح اليهود مستعمرة يقيمون عليها دولة داخل الدولة . ولذلك وقف كالويل بصلابة ضد مشروع شتينبرج . صحيح ان الكثيرين من يهود اوربا تيسر لهم الدخول الى استراليا للالتحاق باقاربهم واسرهم المقيمة هناك ، وذلك خلال فترة شغله لمنصب وزير الهجرة غير انه فى نفس الوقت عمل على إحباط مساعى شتينبرج وتصدى لحملات اتحاد نقابات العمـــال الاسترالية وحمـــلات الصحافة ورجال الكنيسة .

إن اتحاد نقابات العمال الاسترالي مؤسسة بالغة القوة والنفوذ فى السياسة الاسترالية وقوام حزب العمال الذي ينتمي إليه كالويل ـ في غالبيته ـ من العمال ونقاباتهم . وزعيم اتحادات العمال له نفوذ قد لا يقل عن نفوذ رئيس الوزراء الاسترالي إن لم يكن يزيد عليه احياناً . وقد استطاعت الحركة الصهيونية ان تنفذ إلى قلب هذا الاتحاد . هذه الحركة تتخير من الأشخاص اللامعين من تتوسم فيهم مواهب خاصة تؤهلهم لأن يصبحوا فى مراكز قيادية بارزة ومؤثرة . وهي لا تكتفي بالاستحواذ على عقولهم وافكارهم بل تعمد إلى قلوبهم ايضاً فتحيطهم بشبكة من العلاقات الشخصية الحميمة تجعلهم يقاتلون معاركها وكانهم يدافعون عن مبادئهم الخاصة .

واكبر مثل على ذلك (بوب هوك Bob Hawk) الذي كان زعيماً لاتحادات العمال حتى عهد قريب ، فهو صديق لجولدا مائير ولعدد كبير من قادة حزب العمل الاسرائيلي وتربطه بهم صلات اسرية حميمة . وبوب هوك يمثل في استراليا جبهة الدفاع الاسرائيلي امام اية محاولة عربية لاختراق السياسة الاسترالية حتى ولو رغبت الحكومة الاسترالية نفسها فى ذلك .

لقد تخلى (بوب هوك) عن رئيس وزراء استراليا وزعيم الحزب الذي ينتمي إليه بوب هوك فى اسوا ازمة سياسية مر بها الحزب وذلك عندما اراد (جوف ويتلام Gough Whitlam) رئيس الوزراء الاسترالي السابق ان يقترب من العرب ويسمح لهم باستثمار اربعة آلاف مليون دولار فى استراليا رغبة منه فى ان يخفف من قبضة الولايات المتحدة على الاقتصاد الاسترالي .

لقد كان ويتلام شخصية عالمية وسياسية ، ولكنه لسوء حظه اقترب من المحظور : صداقة العرب ومقاومة النفوذ الأمريكي .

لقد سقطت حكومة ويتلام نتيجة مؤامرة امريكية صهيونية اشترك فيها الحاكم العام الذي استخدم بعض حقوقه الدستورية الغامضة فى طرد الحكومة التى انتخبها الشعب على غير سابقة في تاريخ استراليا.

وكان موقف بوب هوك سلبياً من اول الصراع حتى نهايته ، فقد حجب بموقفه المساندة العمالية الفعالة التى كان يتوقعها « جوف ويتلام » فى محنته السياسية .

وإذا كان هذا هو موقف اتحاد العمال الاسترالي من الحركة الصهيونية فانه ليس بالأمر الجديد ، وإنما هو وضع قائم منذ عهد بعيد ولم يكن اقل وضوحاً في عهد « كالويل » وهو يتصدى لمشروع شتينبرج .

فقد كان الاتحاد متحمساً لمشروع شتينبرج حيث كتب (ب . ج . كلاري) وهو سكرتير الاتحاد إلى كيرتن (رئيس الوزراء) يقول : « لقد كلفتنى اللجنة التنفيذية للاتحاد ان انقل إليك موافقتها على مشروع المستعمرة اليهودية المقترح إقامتها فى كمبرلايز . لقد حظى هذا الموضوع بدراسة جادة من جانب الاتحاد خلال السنتين الماضيتين ، وقد سبق أن أبلغ الاتحاد موافقته ومساندته على المستعمرة المقترحة.

ويعلق كالويل على ذلك بقوله : « انه من المثير حقاً ان نلاحظ ان هذا الخطاب كتب فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٤١ عندما كنا فى معمعة الحرب ، وبعد ١٧ يوماً فقط من تولى كيرتن لرئاسة الحكومة » .

كان كيرتن قد صمم على ان مثل هذه المستعمرة الصهيونية لن تقوم لها قائمة فى استراليا ولكن هذا التصميم لم يمنع اتحاد العمال من مواصلة الضغط على حكومته لقبول المشروع .

فى ٣١ مارس ١٩٤٣ كتب ادوارد جيمس هولواى Edward James Holloway وكان نائباً لرئيس الوزراء كتب الى « ارنست بيفن » بصفة شخصية قائلا : « ان بعثة دكتور شتينبرج الى استراليا كانت معنية بانشاء مستعمرة يهودية فى المنطقة غير المأهولة فى شمال غربى استراليا ، وكان التصور ان تسير المستعمرة على نفس الخطوط التى اتبعت فى المستعمرة الزراعية الشهيرة فى فلسطين . ولقد اعطت الحكومة الفيدرالية اولوية للنظر فى المشروع المقترح . ولكن نشوب الحرب وضع كل مشروع آخر غير الحرب جانباً . ولست متاكداً ما إذا كانت كل من حكومتى منزيس وفـادن قد منحت هذا المشروع اهتماماً خاصاً من قبل » .

ويبدو أن « هولواى » اراد ان يستعين بالوزير البريطانى إرنست بيفن فى اقناع « عصبة الأرض الحرة » بالاقلاع عن مشروعها الاستيطانى فى غرب استراليا ، ولكن هذا لم يثن شتينبرج عن محاولاته ، فقد غادر استراليا الى تورنتو بكندا ، ومن هناك كتب إلى كيرتن فى اغسطس ١٩٤٣ يحثه على اتخاذ مبادرة شخصية للاسراع باتخاذ قرار فى المشروع .

واجاب كيرتن على رسالة شتينبرج قائلا «ان حكومة الكومنولث تتعاطف مع المازق الخطير الذى يعانيه شعبك فى اوربا ، وانا واثق من تقديرك ان مسالة الهجرة الى استراليا ـ وعلى الاخص بالنظر الى مشاعر العداء التى قد تترتب عليها ـ ينبغى ان تبحث من جميع وجوهها . واننا بسبيل انشاء لجنة لدراسة المشكلة فى ابعادها المختلفة ، وحتى تصدر توصيات هذه اللجنة فان الحكومة ليست فى وضع يسمح لها بتشكيل سياسة نهائيـــة فى الموضوع » .

وانشا كيرتن لجنة تمثل الوزارات المختلفة حضر اجتماعاتها كالويل بصفته وزيراً للاعلام ، وذلك لدراسة مشكلات الهجرة الى استراليا وكانت توصية اللجنة

بشان مشروع شتينبرج هى الرفض التام .

وعلى اثر ذلك كتب كيرتن الى شتينبرج : « بعد بحث دقيق لجميع الظروف المحيطة بالمشروع فان الحكومة لا تستطيع ان تتخلى عن سياستها الراسخة فيما يتعلق بالمستعمرات الاجنبية فى استراليا . ولذلك فان الحكومة لا ترحب باى اقتراح يتعلق بانشاء مستعمرة جماعية من ذلك النوع المقصور على فئة معينة كالذى تفكر فيه « عصبة الأرض الحرة » . وبرغم هذا الرفض الصريح والموقف الواضح من جانب حكومة العمال فان اتحاد العمال وقادة الكنائس ظلوا يساندون المشروع بلا فتور ، ولم تضعف همة شتينبرج او ييأس من المحاولة فقد ظهر فى اول مؤتمر للامم المتحدة بسان فرانسيسكو فى مايو ١٩٤٥ وانتهز الفرصة ليثير ـ امام الراى العام العالمى ـ المشكلة الملحة لليهود الذين لا ماوى لهم ، ووزع مذكرة على جميع وفود الدول فى المؤتمر ، ولكنه اختص رئيس الوفد الاسترالى بمزيد من الاتصالات الشخصية . كان رئيس الوفد هو فرانك فورد (Frank Forde) نائب رئيس الوزراء الاسترالى ، وقد اكد لشتينبرج انه سوف يناقش الموضوع مع كيرتن مناقشة إيجابية مفصلة عندما يعود الى استراليا . وبعد شهرين توفى كيرتن وخلفه فورد رئيسا للوزارة . ورغم ان فورد لم يستمر فى الوزارة اكثر من سبعة ايام فقط ، إلا انه انتهز هذه الفرصة وكتب إلى «شتينبرج» قائلا : « بالاشارة إلى استعراضك الشخصي لي فى سان فرانسيسكو بشان إعادة النظر في قرار الحكومة ضد انشاء مستعمرة يهودية فى منطقة كمبرلايز او في منطقة اخرى فى استراليا تكون ماهولة .. اود ان افيدك علما بانه قد اعيد النظر فى الموضوع بعناية . وقد تقرر الالتزام بالقرار الذي سبق إعلانه إليكم من قبل » .

انتخب (تشيفلي Chiefly رئيسا للوزراء خلفا لفورد ، وتابع شتينبرج حملاته غير المجدية بالكتابة إلى «تشيفلي» عندما كان فى زيارة إلى لندن سنة ١٩٤٦ وقد اجل «تشيفلي» إجابته حتى عاد إلى استراليا ، ومن هناك كتب إليه : « إن ملتمسك قد حظى بعناية كاملة من البحث وان حكومة الكومنولث لا تستطيع ان تغير موقفها بشان هذا الموضوع .. واريد ان اضيف انه مساهمة منا فى إيجاد حلول لمشكلات ما بعد الحرب فان حكومة الكومنولث قد اصدرت تصريحات بالدخول لصالح اقرباء اليهود الذين يعيشون بالفعل فى استراليا » .

ويقول كالويل معلقا : « كوزير للهجرة ساعدت تشيفلي فى إعداد هذا الخطاب ، وواقع الامر اننا قدمنا الكثير للشعب اليهودي الذين نجوا من المحن والمحاكمات الرهيبة التى عانوا منها فى اوربا ، ربما اكثر من اية دولة اخرى ، وقد تبين فيما بعد ان مشروعنا كان افضل من المشروع الذي اقترحته « عصبة الأرض الحرة » واعتقد اننا يجب ان نكون جميعا سعداء لان مشروع هذه العصبة لم يكتب له ان يرى النور » .

الأرض غير الموعودة

فى كتاب بعنوان « استراليا : الأرض غير الموعودة » نشر سنة ١٩٤٨ كتب شتينبرج : « هذا هو ما استقر عليه الامر بعد سبع سنوات من الكفاح المستميت والمفاوضات ، وكما اشار مستر تشيفلي فى خطابه ان استراليا مستعدة للاسهام فى تخفيف ويلات اليهود بالسماح لعدد منهم الدخول الى استراليا بصفتهم مهاجرين افراد ، ولكنها غير مستعدة لتطبيق مفهوم اوسع لمستعمرة يهودية .

وللاسف فان الشعب اليهودي لا يستطيع الانتظار ، ومن ثم فان (عصبة الأرض الحرة) قد اضطرت لتحويل نظرها إلى اراض اخرى لاعادة توطين اليهود .

ويرد كالويل معلقا على ذلك : « انا لا اعرف ارضا اخرى استطاعت « عصبة الأرض الحرة » ان تطبق مشروع المستعمرة اليهودية فيها . والآن بعد ٢٦ عاما مضت على خطاب تشيفلي إلى شتينبرج لا ارى سببا واحدا يجعل الاستراليين غير سعداء او يجعلهم يشعرون بالخجل مما فعلوه لمساعدة اليهود المشردين والتخفيف عن ويلاتهم . ولم يستطع د. شتينبرج او غيره من الناس ان يوضح لي حقيقة الأهداف التى سعوا إليها بانشاء «عصبة الأرض الحرة» ، ولكني عندما اصبحت وزيراً للهجرة ، استطعت من بعض الملابسات والشواهد ، ان استنتج ان دكتور شتينبرج ومؤيديه كانوا يؤمنون بامور ثلاثة :

- انه لا مستقبل للملايين الثلاثة من اليهود الذين يعيشون فى روسيا او اليهود الذين يعيشون فى اوربا واسيا وافريقيا .
- وانه لا يوجد متسع كاف لهم فى ارض اسرائيل .
- وان الوضع الامثل هو إنشاء دولة اخرى قاصرة على الديانة اليهودية بدلا من هجرة اليهود واندماجهم فى شعوب اخرى وفقدانهم لهويتهم .

ويعقب كالويل مستنكراً : « إن الشعب اليهودي يمثل جنساً ودينا معاً ، وهذا شيء لم تقبله الشعوب غير اليهودية فى الدول الاوربية بما فيها روسيا » .

لقد تمزق اليهود عبر الوف السنين وانقسموا على انفسهم وظهرت بينهم طوائف متنافرة حتى انهم يعتبرون المسيحية مجرد طائفة منشقة عن اليهودية . ولا شك في ان اليهود قد عذبوا كثيراً وتفرقوا فى آفاق الأرض ، وحبسوا انفسهم فى حارات اليهود ، وتعرضوا للمذابح ، ولكنهم ظلوا متشبثين فى عناد باعتقادهم الذي حملوه خمسة آلاف عام بانهم « شعب الله المختار » حتى ان الروس وصموا اليهود بانهم (مفارقة تاريخية بائدة) Vestigial anachronism

استقبل اليهود ثورة ١٩١٧ بترحاب شديد ، فقد خلفت المذابح القيصرية عندهم ذكريات مريرة ومن ثم اقبلوا على مساعدة لينين فى ثورة اكتوبر ، وكان « ليون تروتسكي» و «جريجوري زينوفيو» و «ليف كامنييف» من ابرز القادة اليهود الذين عملوا مع لينين فى تحقيق الثورة ، فلما قبضت الثورة على زمام الحكم ، كان من بين المشكلات التى واجهتها فى الادارة تخلي اعداد كبيرة من موظفي الدولة عن اعمالهم ، حتى ان وزارة الخارجية الروسية خلت تقريباً من جميع موظفيها بما فى ذلك عاملات النظافة . فجاء اليهود رجالا ونساء ليشغلوا جميع هذه الوظائف الشاغرة .

ولكن سرعان ما انفصمت عرى هذا الزواج غير الشرعي ، فقد عاد اليهود إلى ولائهم القديم يتقوقعون داخل عقائدهم البائدة وجاءت دكتاتورية ستالين تحصد رءوسا كثيرة من بينها عدد من قادة اليهود .

اتيح لبعض اليهود الخروج من الاتحاد السوفييتي فى اوائل الثلاثينات ، وذلك قبل محاكمات سنة ١٩٣٧ الشهيرة ، وهاجر كثير منهم إلى استراليا ، وكانوا موجودين اثناء محاولات شتينبرج اقامة مستعمرة استرالية لتوطين اليهود ، ولكنهم فيما يبدو لم يهتموا كثيراً بهذا المشروع . وفي ذلك يقول كالويل : « اعرف ان كثيراً من هؤلاء كانوا اعضاء فى حركة الشباب الشيوعي Komosmol وقد اصبحوا فى استراليا اثرياء ، ومقدار علمي ان احداً منهم لم يعط خطة شينبرخ اية مساندة مادية او معنوية » .

ويبرر كالويل ذلك بقوله : « لقد كان يهود روسيا يشعرون شعوراً غريزياً بانهم اسرى بابل ومشرديها ، وكان ولاؤهم الحقيقي لصهيون او اسرائيل وليس لكمبرلايز الاسترالية التى لا يمكن ان تكون بديلا لصهيون » .

محمد يوسف عدس



« سلمى التاجي الفاروقي » الفلسطينية المسلمة التى تزوجت من الفيلسوف الكبير جارودي بعد أن اشهر إسلامه .. أصبح اسمها الآن : سلمى جارودي .

جارودي في الدوحة

حوار : وضّاح طهبوب

- تبليغ الشعلة هو الوفاء للأجداد وليس الحفاظ على رفاتهم فحسب
- صداقتي للشيخ الإبراهيمي في الجزائر كانت البداية لفهم حقيقة الدين الإسلامي
- كتابي عن إسرائيل وأكاذيب الصهيونية رفضته دور النشر الفرنسية الكبرى
- جارودي يسلط الضوء على الدور الكبير المنتظر لأجهزة الإعلام العربية

على مشارف القرن الحادى والعشرين ، يقف روجيه جارودى ، أمام مجلد الحضارة الغربية ، ملخصاً تلك الحضارة ذات القرون الخمسة الماضية ، ليعلن أن الطريق مسدود ، وأن الاستمرار فيه سوف يؤدى إلى انتحار الكون بأكمله ! فقد طغى العنف على علاقات الافراد ، والطبقات ، والأمم، ونزعت تلك العلاقات إلى القوة والهيمنة ، وفقدت ثقافة الغرب معناها وغايتها ، أما العقيدة فقد ضاع منها مفهوم التسامي والعلو .. ذلك البعد الانساني الحقيقي للبشر .

روجيه جارودى أورجا جارودى ، واحد من قلائل الفلاسفة المؤرخين للحضارات بمجملها ممن استطاعوا هضم حضارات سالفة ، وأحاطوا تجاربها بشمولية وتشريح ، وهذا ما يفعله جارودى الآن على وجه التحديد .. انه ابن الحضارة الغربية ، ومعتنق عقائدها وداعية لها ومفسر لها ، وناقد لها ، ومنقلب عليها ، وملغ انسانيتها ، ثم الباحث والمهتدي إلى الخلاص .. خلاص الانسانية بأكملها وسعادة الانسانية بأكملها ..

رجا جارودى ، اعتنق اخيراً الاسلام ، ووجد فيه ضالته ، نطق بالشهادتين وأسلم منذ شهر «رمضان» الذى مضى ، وتزوج «على سنة الله ورسوله» من سيدة مسلمة فاضلة ، ولدت فى فلسطين ونشأت وتعلمت فى مصر ، وارتحلت الى السعودية ، واستقر بها المطاف فى جنيف منذ عشر سنوات .. وهناك التقى «جارودى» بها .

يومان قضاهما «جارودى» فى مدينة «الدوحة» ، وبالرغم من الأعوام السبعين التى يحملها «جارودى» على كتفيه وجبهته فقد كان يشع حيوية وتالقا وذكاء .

التقيته بعد محادثة بالهاتف مع قرينته السيدة سلمى التاجي الفاروقى . قالت لي ان زوجها سيعقد مؤتمراً صحفياً فى الرابعة عصر الغد . قلت لها إننى أرغب فى رؤية المفكر الكبير على انفراد .. فردت : بعد المؤتمر نتقابل وسنرى ماذا يمكننا عمله .

المؤتمر الصحفى كان خليطاً من الأسئلة والأجوبة بالانجليزية ، والفرنسية ، والعربية .. تناولت آراء «جارودى» فى غزو لبنان ، وفى ستالين ، وفيما كتبه المواردى وجلال الرومى ، والصهيونية ، ووعود الاسلام ، وكتابه الأخير «أحلام وأكاذيب الصهيونية» أو «ملف اسرائيل» الذى سيصدر فى مارس الحالي

كانت الأسئلة كلها تدور حول «موضوعات» سبق لجارودى أن اجاب عليها فى كتبه ومقابلاته .. وقد نشرت «الدوحة» حواراً مع «جارودى» ، واستعراضاً لآخر كتبه «وعود الاسلام» فى عددين من اعدادها قبل شهور قليلة .

وقد يتصور المرء أن من السهل الولوج الى عالم «جارودى» المتشعب الرحب ، الغنى بالتجارب ، وعصارات المعرفة ، وخلاصة الحضارات .. إلا أن الأمر يبدو شديد الصعوبة عندما تحاول البدء فى السؤال : ماذا تسال جارودى ؟ وهل من السهل استفزازه أو استدراجه ؟ بل ، هل من الضروري استفزازه ؟ وهل هناك ما يخفيه لكى تستدرجه اليه ؟ ..

البعد الروحى والأخلاقى للاسلام

أردت فى البداية أن افتش عن تلك «الشرارة» التى أضاءت فى قلبه وعقله .. وجعلت من الاسلام شاغلا له . كيف بدأ .. ومتى .. وكيف كانت ظروف تلك الاضاءة التى بدأ منها رحلته مع الاسلام الى أن بدأت مرة ثانية رحلته فى الاسلام مفكراً ، مؤمناً ، داعية ، إنساناً مسلماً ؟

قال لي بالفرنسية ـ وترجمت زوجته الى العربية ـ ان حكايته مع الاسلام لم تبدأ بلمحة بارقة ، فقد قرأ كثيراً عن الدين الاسلامي فى مختلف مراحل تجربته مع الفكر والنظريات ، منذ أوائل الأربعينات وهو يقرأ عن الاسلام ، وعن غيره من العقائد والفلسفات ..إلا أن تجربته فى الجزائر عندما كان جندياً فى صفوف المحتل الفرنسى لذلك البلد المسلم قدمت له وعياً اضافياً للبعد الروحى والأخلاقى الذى يرتكز عليه الاسلام ..

فقد وقع ذات مرة أسيراً فى يد الثوار الجزائريين المسلمين ، واعتقد تماماً أن مصيره وزملاءه من الأسرى الفرنسيين سيكون على يد أولئك المحاربين «المسلمين المتعصبين» ولكنه فوجىء بالابقاء على حياته .. هو وزملاؤه .. وفوجىء بالمعاملة الانسانية الكريمة من قبل الثوار .. وهو يعلم فى قرارة نفسه أنه فرنسى غربى يغزوهم ويستعمرهم ويحارب عقيدتهم ووجودهم .. وعندما تساءل عن سر المعاملة الطيبة فهم أن الدين الاسلامى يمنع قتل الأسير ، ويدعو الى معاملته معاملة كريمة.

ومن تجاربه فى الجزائر أيضاً ... أثناء الاحتلال الفرنسى للجزائر ، أنه كان على صلة بالشيخ البشير الابراهيمى ـ وهو والد السيد أحمد طالب الابراهيمى ـ وزير خارجية الجزائر الحالى ـ وكان الشيخ الابراهيمى رجلا عالماً وزاهداً وشاعراً ومتصوفاً .. ويتذكر «جارودى» أنه فوجىء عند زيارته للشيخ أول مرة بصورة كبيرة للأمير عبد القادر تتصدر مجلس الشيخ .. فاستغرب الأمر .. لأن معلوماته عن الأمير عبد القادر أنه رجل حرب ، وزعيم جماعات من الثوار الجزائريين .. وأنه بعيد كل البعد عن أن يكون فى هذا الوضع من الاجلال والتكريم من قبل شيخ شاعر زاهد متصوف .. وهنا بدأ «جارودى» يقارن بين الصورتين ويربط بينهما .. ودعاه التفكير الى التساؤل الى فهم جديد للاسلام هو أنه دين عقيدة وعمل .. وأن الجهاد فى الاسلام له مفهوم غير الذى يعرفه الغرب ، والذى أشاعه الغربيون الحاقدون خاصة أثناء وبعد الحروب الصليبية .. وعلم ساعتها .. أن الأمير عبد القادر لم يكن رجل عصابات ومقاتلين يتحصنون بالجبال والمغاور .. بل انه مجاهد اسلامى ، ومؤمن ورع ، ومتصوف وشاعر واديب .. وهو يحارب الفرنسيين دفاعاً عن عقيدته التى تدعو الى إعلاء كلمة الله وتدعو الى التحرر ليس من المستعمر العدو فحسب ، وإنما الى التحرر من قيود النفس وشهواتها .. وذلك هو الجهاد الأكبر ..

«لقد اثر فى نفسى الأمير عبد القادر الجزائرى .. ومؤخراً قمت بترجمة بعض كتابات الأمير عبد القادر فى التصوف الى الفرنسية وفاء لذلك الرجل» .

نور على نور

يقول المفكر المسلم رجا جارودى عن تجربته التى عبرت اكثر من محطة فكرية :

«لقد كان شغلى الشاغل طيلة حياتى ينصب فى البحث عن النقطة التى يلتقى فيها الابداع الفنى والشعرى بالعمل السياسى والايمان . وقد مكننى الاسلام بحمد الله من بلوغ نقطة التوحيد بينهما ـ ففى حين أن الأحداث فى عالمنا القائم على التنافس والنمو الكمى والعنف . وفى حين ان نسيان الله يجعل منا عباداً «هامشيين» خاضعين «لضرورات وصدف خارجية» ، فان ذكر الله فى الصلاة يكسبنا وعياً بمركزنا ، وبموردنا الذى هو أصل كل وجود. ويعودنا القرآن على أن نكتشف فى كل شىء وفى كل حدث «إشارة للخالق» ورمزاً عن واقع يعلو النظام الفريد الذى يسوس الطبيعة والمجتمع ويسوسنا نحن أنفسنا ، ففطرة الدين الأساسية هى فطرة التناسق والوحدة ، الصادرة عن الله والراجعة اليه » .

والذى قرأ «جارودى» أو استمع اليه يدرك على الفور أن جارودى يعرف عن الدين الاسلامى أضعاف ما يعرفه عن الأمة الاسلامية .. بل إن معلوماته عن المسلمين فى حاضرهم وما يكتنفهم من اختلافات ومذاهب لا يعدو العموميات ، ولكنه يعرف أن التخلف والفرقة والضعف هى الوبال الذى جرته الحضارة الغربية على شعوب العالم الثالث ، لأنها حضارة المادية الفردية وحضارة النمو التراكمى الأعمى فى الانتاج والاستهلاك ، وحضارة العلاقة الجائرة بين الانسان والانسان ، بل إنه يمعن فى احتقاره لحضارة الغرب ناعتاً إياها

جارودي في الدوحة



جارودي ، المفكر الفرنسي المسلم ، اتجه إلى الاسلام والعروبة منذ أكثر من خمسة عشرة عاما ، وهذه هي صورة جارودي في لقاء له مع جمال عبد الناصر في أواخر الستينات

بالحيوانية ، لأنه بعد التسامى والعلو مفقود فيها ، ولأنها لا تخدم فى الانسان إلا حاجاته الغريزية ، وما التقدم التكنولوجى للغرب إلا تقدم فى الوسائل الهادفة لخدمة الغرائز .. غرائز الاستهلاك والتملك والتكاثر .. وهو يعتبر أحدث وسائل العلم الغربية المعاصرة مجرد امتداد لأنياب الحيوان ـ وسيلته للحياة ـ حياته المجردة من هبة التساؤل عن معنى الحياة والموت ، تلك الهبة التى تميز الانسان عن الحيوان ، والتى تدفع بالانسان الذى يتساءل عن معناها الى التحلى بنعمة الايمان ونعمة العقل ، وفى هذا يميز «جارودى» الاسلام كحضارة عالمية لكل البشر بأنه جمع بين الايمان والعقل وضرورة لقائهما لتحقيق الخلاص المنشود للبشرية والسعادة للانسان . فالعقل لا يتعارض مع الوحى بل يستنير به : الوحى ينير العقل ، وهذا كما جاء فى القرآن الكريم «نور على نور» .

جارودى والمشروع الكبير

وقد أولت وزارة الاعلام القطرية اهتماماً ملحوظاً بالمفكر والفيلسوف المسلم جارودى بناء عن اقتراح لسعادة السيد حمد الكوارى السفير القطرى فى باريس ، الذى تربطه علاقات وثيقة بالأوساط المثقفة فى فرنسا وأوربا ، والذى يعد الآن رسالة جامعية عن « أثر الفكر الفرنسى فى الثقافة العربية » وقد تبنت الدعوة وزارة الاعلام القطرية وأرسلت إلى وزارات الاعلام بدول الخليج العربية لذات الغاية .

كما القى جارودى محاضرة فى جامعة قطر لخص فيها آراءه وأظهر الفارق الكبير بين أسس الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية ، وفند كذلك دعاوى الصهيونية في فلسطين ، وافتراءاتها لتشويه صورة العرب والمسلمين .

وتهدف زيارة جارودى للمنطقة الى التعريف بالمعهد الدولى للحوار بين الحضارات ، الذى انشاه فى جنيف ، بهدف أساسى هو الرد على الدعاية الصهيونية المنظمة والمحكمة : حيث تعتبر إحدى العوائق الأساسية أمام تفهم العالم الغربى للدين الاسلامى .

ويعد كتابه «وعود الاسلام» ثمرة أولى لمشروعه ، أما الكتاب الثانى الذى يستعد جارودى لاصداره فهو «ملف اسرائيل بين أحلام وأكاذيب الصهيونية» .

وعندما كان «جارودى» فى الدوحة اتصل من مكان اقامته بمساعديه فى باريس ليخبروه أن ثلاثاً من دور النشر الكبرى الفرنسية رفضت نشر الكتاب . وينوه هنا الى أن خمساً وثمانين بالمائة من دور النشر ومختلف وسائل الاعلام والصحافة تقع تحت طائلة النفوذ الصهيونى ، ولهذا فهو يتعرض لحملة من المضايقة، والتشهير والتعتيم بسبب دفاعه عن الاسلام وهجومه على الصهيونية .

وعلى هذا الأساس فسوف يضطر جارودى الى نشر كتابه بواسطة احدى دور النشر من الدرجة الثانية أو الثالثة مما يضطره الى تقديم عبء إضافى لمصلحة كتابه يتمثل فى تغطية جزء كبير من الدعاية لدار النشر نفسها ، ولسواها ، بهدف ايجاد نوع من التوازن المنافس للسيطرة الصهيونية على دور النشر ، وهذه مهمة تستدعى وقوف أجهزة الاعلام والسفارات والمنظمات العربية الى جانب جارودى . سواء بتحمل تكاليف الطباعة ، أو تكاليف الحملات الدعائيةالمنظمة ، أو توزيع الكتاب . لأن مشروع جارودى كبير ، ويهدف اصدار المزيد من الكتب والدراسات ونشرها وترجمتها الى عدة لغات .

ويتحدث جارودى عن الخطوط الرئيسية لهذا المشروع الذى يتمثل فيما يلى :

أ ـ ان الدعاية الصهيونية تلاقى اليوم خيبة عميقة فى العالم الغربى تمكنت من تقديم الادعاءات الأسطورية على أنها حقيقة واقعة .. مثل اضفاء الدعامة التوراتية والتاريخية على عملية استيلاء الصهاينة على أرض ليست لهم .. وهذه هى مسالة «الوعد» ، ومثل ترويج مقولة «شعب الله المختار» والخلط بين هذا المفهوم التوراتى الكنسى المتوارث وبين «دولة اسرائيل العصرية» .

ب ـ يجب أن نظهر للغربيين أن الاسلام هو الوحيد اليوم القادر على فتح طريق أمام المستقبل ، خارج النمطين الأمريكى الرأسمالى والاشتراكى السوفياتى اللذين وصلا الى طريق مسدود مدمر .

ويوضح «جارودى» انه لوضع المشروع

موضع التنفيذ فان المعهد الدولى لحوار الحضارات قد بدأ أولا بالاعداد النظرى باكتساب التجربة والخبرة وإقامة أوثق العلاقات مع أكبر المؤسسات الثقافية وخاصة «اليونسكو» و «الالكسو» ومع أفضل الباحثين فى العالم .

أما فى إطار التوثيق .. فان المواد المجمعة لدى المعهد تعد من أهم ما تحويه مؤسسات مرموقة مثل مركز الدراسات الفلسطينية ، ورابطة العالم الاسلامى ، ومنظمة المؤتمر الاسلامى وجامعة الدول العربيـــة ، وعديد من المنظمات العامة والخاصة ، خاصة فى لاهاى ، وجنيف ، ولندن ، وباريس .

ويرى جارودى أن هناك ثلاث نقاط مهمة لم يتم حتى الآن العناية بها كما ينبغى وهى :

١) تجزئة البحث النظرى الاساسى وتناوله بالشرح اليومى حتى يكون الضوء الذى سنلقيه على الصهيونية لا يتعلق فقط بجرائمها على المدى القصير ولكن باطماعها على المدى الطويل وبايديولوجيتها وأسطورتها ، وأن نستغل هذا العمل لزيادة تفهم العالم الغربى للاسلام ولتقوية اشعاعه هنالك .

٢) تنسيق المبادرات لتعديد وسائل النشر الضخمة لهذه الأعمال (حضور مستمر فى الصحافة والاذاعة والتلفزيون فى بلدان العالم الغربى ـ نشر الكتب المبسطة التى تكون فى متناول الجميع أو عن طريق تعليم اللغة العربية وتنظيم معارض ومهرجانات وغيرها وذلك كله سيساهم فى انتشار الايمان وثقافة الاسلام) .

هناك ثلاثة أمثلة للعمل العاجل إزاء نشر العقيدة الاسلامية والثقافة العربية والاسلامية فى الغرب . انه من الممكن أن ننشىء حالا فى الأحياء الباريسية مثل «سان كوتان» أو «الفيلى» مركزاً اسلامياً ، أو مسجداً فى منطقة توجد فيها بعد مجموعة من السكان المسلمين يقرب عددهم من ٨,٠٠٠ نسمة وحيث يمكن لنا الحصول على موافقة السلطة المحلية .

ومن الممكن فوراً إعطاء دفعة جديدة ونشاطاً مشعاً «للجمعية الاسلامية بجنيف» حيث يوجد مسجد تقصده لصلاة الجمعة مئات المسلمين .

ويكاد أن يكون اشعاعه الدينى والثقافى معدوماً .

وعلى صعيد آخر يمكن فى احدى البلدان النفطية بالخليج القيام بانشاء وحدة أو وحدات لانتاج بروتينات لتربية الماشية انطلاقاً من صناعة البترول تسمح لها خاصة فى أوروبا باحتلال مكان مرموق فى مجال صناعة الأغذية الحيوانية خاصة للابقار مع العلم أن انتاج اللحوم يعتمد اليوم أساساً فى أوروبا على الصويا الذى يمكن أن تكون هذه البروتينات بديلا له . فان تعتمد أوروبا بقدر كبير على البلدان النفطية ليس فقط فى مجال الطاقة بل أيضاً فى مجال التموين يشكل حدثاً من شأنه أن يغير العلاقات بين أوروبا والبلدان العربية جذرياً فى كل الميادين .

٣) التعجيل بنشر المؤلف الأول : (ملف اسرائيل : أحلام وأكاذيب الصهيونيـــة (وفقاً لروح إعلاننا فى جريدة لوموند بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٨٢) ليكون أول سلسلة من المؤلفات الخفيفة من صنف «ماذا أعلم ؟») واسعة الرواج . وبالنسبة للمرحلة التالية وفى إطار سلسلة حول التعبير الفنى للمقدسات ، نحن بصدد إعداد كتاب عنوانه : «فى الاسلام كل الفنون تؤدى الى المسجد ، وكل المساجد تؤدى الى الصلاة» ، وفى هذا الكتاب ـ انطلاقاً من العلاقة الاساسية مع الاله ، والتى تمثلها الصلاة ، نحاول أن نبين عن طريق زيارة الى كبريات المساجد فى العالم معنى هذه الصلوات . وعن طريق تنوع الثقافات والفنون التى استوعبها الاسلام نحاول ابراز معانى وحدة وشمولية الايمان وأعتقد أن هذا يمثل بالنسبة لمسلمى الغرب ـ الذين أعد واحداً منهم ـ عمل لابد من انجازه .

وسوف نؤدى هذه المهمة باذن الله شريطة أن لا ننسى أبداً أن الوفاء للأجداد لا يتمثل فى الحفاظ على رفاتهم ، ولكن فى العمل على تبليغ الشعلة .

السيدة / سلمى جارودي
"سلمى التاجي الفاروقي"



سيدة فلسطينية مسلمة ، ترافق زوجها الفيلسوف الفرنسي الكبير رجا جارودى فى زيارته لدولة قطر .

ولدت فى فلسطين ـ قضاء الرملة ـ وانتقلت مع ذويها إلى القاهرة .

تلقت دراستها الأولية فى إحدى المدارس الأجنبية التبشيرية فى القاهرة وكان اسمها مدرســـة « ميردو ديو » ، مما كان لتلك الفترة من عمرها أثر بالغ فى سعيها نحو معرفة وفهم دينهـــا الاسلامي بعد ذلك ، ثم انتقلت أسرتها إلـى السعودية حيث يعمل والدها .

استقرت فى « جنيف » منذ عشر سنوات ، وركزت نشاطاتها فى خدمة الجالية الاسلامية هناك . وفى مركز الدعـــوة الاســـلامية ، والجمعيـــة الاسلامية بجنيف ، تدرس اللغة العربية لأبناء المسلمين المقيمين فى « جنيف » ، وتعمل على توثيق أواصر المسلمين وإشاعة الروح الاسلامية بينهم فى بلد الاغتراب ، وتحظى باحترام العديد من المثقفين والمفكرين ، واستطاعت بنشاطاتها كسب صداقات هامة فى الأوساط الأوروبية ، وظفتها لخدمة الدعوة الاسلامية ، ولخدمة القضية العربية .

التقت بجارودى فى جنيف ، فى ندوة عامة ، وحاورته فى كثير من آرائه حول الحضارة الغربية والدين الاسلامي ، وبعدما أعلن جارودى إسلامه طلبها للزواج منه ، فارسلت إلى والدهـــا تستشيره وتستأذنه ، فوافق دون تردد لثقته فى ابنته سلمى ، وكان زواجها من جارودى فى نهاية شهر رمضان الماضى .

قبل زيارتهما للدوحة ، كانا فى زيارة للمملكة العربية السعودية حيث أديا « العمرة »

قصص من واقعنا

بقلم: درويش مصطفى الفار

هذه بضع قصص من واقعنا العربي المعاصر، لا أسوقها للتفكه والتسلية، وإنما للتأمل، عل في التأمل عبرة تدعونا لنعرف انفسنا حق المعرفة، ولنشخص بعض عللنا تشخيصاً صحيحاً، مقترحاً على قراء الدوحة الكرام، أن يمدوا المجلة بكل ما لديهم مما يشبه هذه القصص لتقوم بدورها بتبويب انواعها، ولتجعل منها بحثاً علمياً تتناوله مجموعة من المفكرين العرب، لاستخلاص العبرة. ومحاولة العمل على ان نتخلص من بعض ما نحن فيه من عناء وشقاء ...

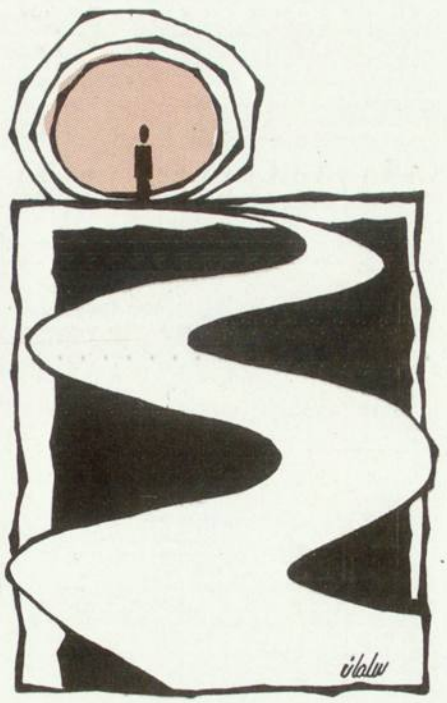
● الحاج على قدم

● عندما قررت الدولة المصرية فى الثلاثينات، إعادة تشغيل مناجم الذهب بالصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر، انشات مركزاً لاستخلاص الذهب فى مكان يسمى (مرسى علم) قبالة مدينة إدفو، على ساحل البحر الأحمر. وكان الوصول من إدفو إلى مرسى علم تلك، مشقة عبر مائتين وخمسين كيلومتراً من الصحراء الوعرة المليئة بكل ما يعوق السيارات في ذلك الزمان، وأحجم عشرات من السائقين عن العمل، ولم يصبر عليه إلاالحاج علي قدم المنحدر من قبيلة العبابدة، وظل علي قدم رائداً يشار إليه بالبنان كبطل لا يبالي بوعثاء طريق إدفو مرسى علم الصحراوي. ولما حان الوقت قبيل واثناء الحرب العالمية الثانية لانشاء طريق اسفلتي بدل الطريق القديم، انبرى الحاج علي قدم يرفع لواء المعارضة، ويرسل برقيات الاحتجاج لكل مسئول في الدولة ليمنع انشاء طريق مسفلت. فلما ساله الناس فى ذلك قال الحاج علي قدم البدوي القح:

إن إنشاء طريق اسفلتي معناه ضياع صيت (علي قدم) لأن الطريق بين ادفو ومرسى علم بعد انشاء الأسفلت سوف يكون اختراقه هيناً حتى على الأطفال والنساء !!!

● المحافظ جارفس

● كان جارفس بك ضابطاً من فلول الجيش البريطاني الذي احتل فلسطين سنة ١٩١٦ تحت قيادة اللنبي، وعين لكفاءته محافظاً لشبه جزيرة سيناء المصرية فيما بين ١٩٢٣ و ١٩٣٦. وكان يهتم بشبه الجزيرة باعتبارها جزءاً من الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس. قرر جارفس ذات يوم أن يجدد طلاء أبواب ونوافذ الاستراحات المنتشرة فى الحسنة، ونخل، والثمد، والقصيمة، والكونتلا، وطابا، والنويبعة، فارسل اشارة تليفونية لكل رؤساء الشرطة فى تلك النقاط، تقول بانه سيرسل لكل منهم طلاء وفراجين وورق (صنفرة)، وتنص الاشارة على أن (يصنفر) الخشب جيداً، ثم يطلى مرة، وفي اليوم التالي يطلى مرة أخرى، وفي اليوم الثالث يطلى للمرة الثالثة، وعند جفاف الطلاء تعاد الأبواب والنوافذ إلى أماكنها ... وبعد شهر قام جارفس بالمرور فشاهد عجباً ... الأخشاب تلمع بلا لون، فسال في ذلك فكانت الاجابة بأن تعليمات (سعادتك) قد نفذت بحذافيرها طبقاً للاشارة الهاتفية ... فسال: ألم تحركوا الطلاء قبل استعماله، ليظهر اللون المطلوب، فكانت الاجابة: إن الاشارة لا تنص على - ولا تشير إلى - عملية التحريك قبل الطلاء !!!



● فليعاد .. فليعاد

● إثر صدور قرار تقسيم فلسطين ، في نوفمبر ١٩٤٧ ، هاج الشارع العربي وماج ، وصال الشعراء وجال الخطباء ، واختلط الجد بالهزل والعلم بالجهل ، وقرر جماعة من الناس إقامة (ندوة شعرية) لالغاء قرار الأمم المتحدة ، فى إحدى البلاد العربية التى كانت بها جالية يهودية ، وكانت الندوة الشعرية المذكورة بالغة الحماس ، وكانت لهجة ذلك البلد العربي ، تقتضي عند الاستحسان أن يقول السامعون للشاعر المجيد : فليعاد .. فليعاد ... وطالت السهرة إلى منتصف الليل ، وانطلق الحاضرون بعد أن كلت أكفهم من التصفيق كل الى قريته ... والتقى اثنان وراء جدار متهدم بامرأة مسنة شمطاء من اليهود يعرفانها بحكم الجوار ... وكانت المرأة تحمل بندقية من طراز (لي انفيلد ٣٠٣) وتلهث ... فتوقفا عندها ... وسألاها الخبر ... فقالت اللهم العن بن جوريون ، فقد قرر التدريب العسكري الشاق حتى على أمثالي من العجائز ... وانصرف الرجلان وهما إلى اليوم في الأحياء من العرب ، ترن فى آذانهما صيحات : فليعاد ... فليعاد ...



● عاشور والعقباوي



● كان عاشور بن محمد (جاويشاً) فى سلاح الحدود مشهوراً بدقة إصابة الهدف في ضرب النار بحكم انحداره من سلالة بدوية تنتمي لقبيلة الحويطات الشهيرة ... نقل عاشور بن محمد ذات عام إلى (نقطة) رأس النقب المشرفة على بير طابا ... وبينما كان ينقل الماء من بير طابا ، عرضت له أرنب برية تسابق الريح ، فأرخى العنان لهجينه وأطلق النار عليها فأصاب منها مقتلا ... وذاعت القصة فى البادية حتى وصلت الى العقبة ... وكان فيها اسماعيل العقباوي رامياً مشهوراً ذاع صيته ... فلما سمع بعاشور بن محمد ألى على نفسه أن يلتقي به ... قطع اسماعيل الطريق الوعر بين العقبة ورأس النقب مشياً على قدميه ، حتى إذا ما أشرف على نقطة سلاح الحدود صاح ينادي عاشور بن محمد الذي برز له من خيمة متداعية ، فبادره بقوله أنا اسماعيل العقباوي ، أشهر الرماة فى هذه المنطقة ، وقد سمعت بقصتك مع الأرنب فجئت لامتحنك ، فرحب به عاشور ودعاه لشرب القهوة فأبى وأقسم ألا يذوق له طعاماً ولا شراباً حتى يباريه فى الرماية ... واستل اسماعيل عظمة ضلع بعير من كنانة على كتفه ورفعها بيمناه أمام عاشور بن محمد قائلا : أنا أصيب هذه على بعد مائة خطوة ، فقال عاشور بن محمد دعنا نرى، فانتحى اسماعيل بعيداً وغرس عظمة البعير فى كومة صغيرة من الرمل والحصى واقعى مرتكزاً على قيد مائة خطوة منها ، وأطلق النار فطار نصفها وبقى النصف الآخر ... وهنا ودون تردد طلب عاشور بن محمد من ضيفه أن يناوله بندقيته وطلقة واحدة ، فأشار اسماعيل مستحسناً أن يعطيه طلقتين ليعرف بواحدة طبيعة بندقية لم يسبق له استعمالها ويصوب الأخرى نحو العظمة ، فأبى عاشور بن محمد وقال لا أريد إلا طلقة واحدة ، وأمسك بالبندقية واقفاً ، وابتعد عن النصف المتبقي من العظمة عشر خطوات زيادة إلى الوراء عن موقف اسماعيل ، وأطلق النار فطار النصف المتبقي في الهواء ، فأخذ اسماعيل بندقيته وقد احمر وجهه غيظاً وأقفل راجعاً إلى العقبة دون أن يسلم على مضيفه ، ودون أن يتناول عنده ولا جرعة من ماء !!!

قصص من واقعنا

● نادي الضباط

● قررت دولة عربية صميمة ، أن تنشيء ناديا فخما للضباط ... واضطلع بالمهمة تصميما ومتابعة وتنفيذا مهندس كفء شاب ، ظل يعمل ليل نهار بكل ما اتاه الله من العزم والهمة ، حتى حانت ساعة افتتاح النادي ، ولما قص رئيس الدولة الشريط ، قدم إليه رئيس هيئة الاركان ، احد الضباط الكبار ، من اصدقائه الحميمين ، على انه الرجل الذي انجز هذا العمل الفخم ، ولم يشر من قريب او بعيد ، الى ذلك الضابط المهندس الشاب الذي احبطه الغيظ ، فاصيب بشلل نصفي بعد ان خر مغشيا عليه ، وهو يلمس بحواسه الخمس ذلك النكران العجيب ...

● ثائر مجاهد



● وقع نفر من الثوار المجاهدين في قبضة جند الاحتلال ، واودعوا السجن تمهيدا للمحاكمة ، وتصادف ان وصل إليهم عن طريق مجاهدين يعملون كطابور خامس وسط العدو ، ما استطاعوا به ان يفتحوا ثغرة في سقف السجن ، خرجوا منها في غفلة الحراسة وتعلقوا بانابيب المجاري حتى وصلوا الى الأرض ، وتهامسوا بالاسراع في النجاة قبل ان ينتبه الحراس ، فابى واحد منهم ان يتحرك لانه قد اضاع غطاء رأسه اثناء النزول ، فاستحثوه ان يتبعهم فابى ، قائلا كيف افلت ويراني اهل القرية حاسر الرأس ؟ ، فتركوه ولاذوا بالفرار . واعاده الحراس الى السجن مرة اخرى !!!

● الميجر بل



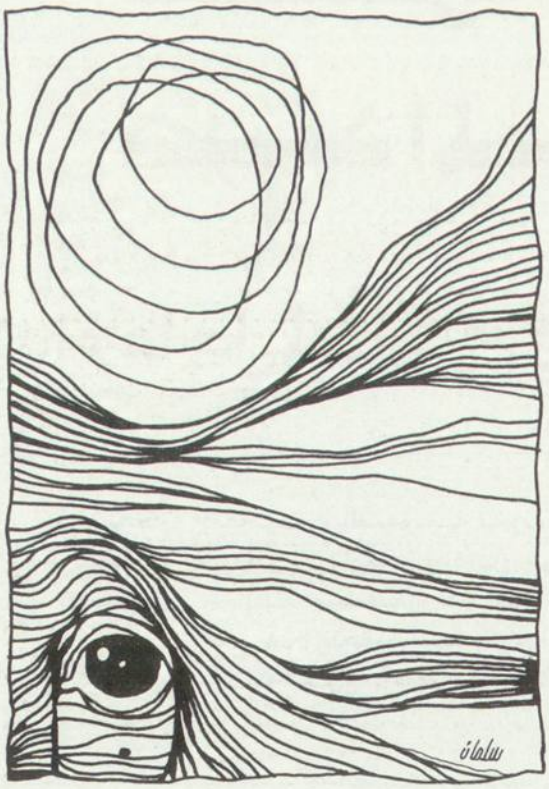
● اشتهر الميجر بل في منطقة ما بالشرق الاوسط فيما بين الحربين العالميتين ، وكانت مهمته ان يصادق الناس ويتقرب إليهم ، وكان من عبقريته ان تبارى كبار العشائر في إكرامه ودعوته وبطانته إلى الولائم والافراح في عرض الصحراء الواسعة ... واراد احد كبار العشائر ان يتفوق بالحظوة لدى (حكومة) الميجر بل ، فذبح عدة جمال وخراف ، وجلب الفاكهة والحلوى ، واولم للميجر بوليمة لم يسبقه في فخامتها احد قبله .. وشاء سوء طالعه ، ان اشترى من اقرب مدينة إلى نجعه عددا من زجاجات الشراب المعتق ، ووزعها على السماط الممدود ... وكانت العادة لدى الناس هناك ، ان يتناول الضيف القهوة العربية الاصيلة قبل الغداء ... فلما اقبل الميجر على الخيمة التي مد فيها الطعام تحيط به بطانته من الضباط والمدنيين ، لمح على التو زجاجات الشراب ، فرطن لجماعته ورهطه الا يجلس إلى الطعام منهم احد ، وظل واقفا ، ونادى المضيف يساله عن تلك الزجاجات ، ولم يترك له فرصة للرد ... وقال له وهو يغادر المكان ، يافلان إنني احترم تقاليدكم وتراثكم ، وما كنت اتصور انك ، لأي سبب ، سوف تقدم على مثل هذا الصنيع الذي هو ليس من شيمة العرب ، وذلك بان تحضر «خمرا» إلى بيتك لضيف كائنا من كان ، والله لا اذوق طعامك ابدا ، واسرع الميجر ومن معه الى سياراتهم تاركين طعام كبير العشيرة نهبا لذباب الصحراء ، وظلت هذه القصة حية يرددها الناس منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمان ...

تلك الاقاصيص مجرد عينات ، في جعبة الذاكرة وددت ان اضعها للتحليل والدراسة ، هي ومثيلاتها التي لا اشك انها كثيرة ، وكثيرة جدا ، فيما بين المحيط والخليج .

درويش مصطفى الفار

نهاية الرحلة ..

شعر: حسن شكري فلفل



عيناك ياحبيبتي .. كانتا الأمل
وكانتا الضياء
تبحثان في ملل
وتسألان والمنى تائهة الدروب
في لهفة دؤوب :
«أما أرى رؤى ، أم أنها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل
تبكين يا حبيبتي .. بدمعة هتون
وأسأل النهار : هل عادت الحياة
بخيطها الرهيف ؟
ويستبد ليلنا الطويل
سواده يخيف
لكنها الحياة .. رموزها القدر
والبعد يا حبيبتي ليل بلا سمر
وتسألين : بالصمت تسألين :
« أما أرى رؤى أم أنها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل
والفارس البلا قلاده
تؤلمه الوساده
قد استراح الفارس الغريب
وتسألين : أهذه النهايه
أمس بلا بدايه
أما أرى رؤى ، أم أنها الحياة
شفيفة الخيوط .. رفيفة الأمل .



قضية الشهر

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

ضوء جديد على أزمة مزمنة :

عشرة اتهامات ضد المثقفين

ونداء عاجل لمشاركتهم في الحوار ومعاناة البناء

مجلة « اليمامة » السعودية نشرت قبل أسابيع قليلة تحقيقاً مطولا عن وضع المثقفين (خريجي الجامعات بالذات) في المجتمع السعودي تحت عنوان : « المثقف السعودي .. شاهد ما شفش حاجة !» (١) .

ونرى أن نشر هذا التحقيق ، بالمستوى الذي نشر به . وبنوعية توجهاته ، وبالصراحة التى عولج بها الموضوع ، يمثل مؤشراً متعدد المعاني والرموز يمكن إيجازها فى الأمور الثلاثة التالية :

أولا : أن التحقيق يمثل تطوراً نوعياً في «فكر» الصحافة السعودية وفي مضمونها ومحتواها ، بما يتجاوز التغيير فى الشكل والمظهر .

ثانياً : أن هذا التطور النوعي يعكس مناخاً اجتماعياً عاماً ، أو توجهاً جدياً نحو خلق هذا المناخ القائم على انفتاح الفكر وتقبل الحوار وتبادل الآراء وتسليط الضوء على الحقائق والوقائع الاجتماعية بروح علمية وموضوعية يحكمها الالتزام بخدمة الوطن ومجتمعه والرغبة البناءة فى تطويره .

ثالثاً : ان ساعة محاسبة المجتمع والوطن للمثقفين والخريجين قد دقت ، وأن ساعة محاسبتهم الذاتية لأنفسهم ، بالأحرى ، قد بدأت ، أو يجب أن تبدأ ، قبل أن يشتد عليهم الحساب الذي لابد منه من جانب الوطن والمجتمع ... فلقد أعطاهم الوطن (خريجي الجامعات وحملة الشهادات العليا بالذات من التكنوقراط والبيروقراط) ـ أعطاهم مختلف الامتيازات والمناصب والحقوق .. فماذا أعطوه بالمقابل من فكر مفيد لتطوره وحل مشكلاته ورسم مستقبله ؟ وما مدى استعدادهم اليوم



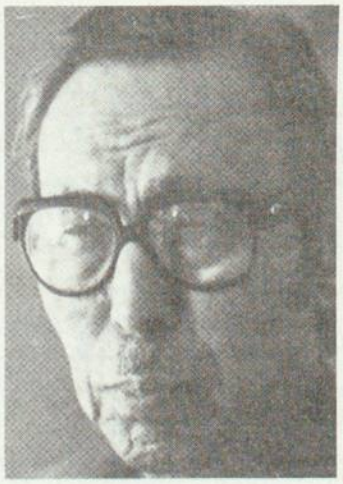
د . أنور جبرتي



د . منصور الحازمي



د . أحمد الضبيب



د . عزيز ضياء



د . عبد الله الغذامي



د . عبد الله حمد القرعاوي

للمشاركة فى عملية الشورى والحوار واللحاق بعملية البناء ؟ .

والمستوى الشمولي الذي طرحت بـــــه «اليمامة» هذه القضية جعلها طرحاً لقضية المثقفين والثقافة في المجتمع العربي كله ، في هذه الفترة العصيبة من حياته ، لا تقتصر على المجتمع السعودي وحده ، وإن كانت تتخذ منه ومن مثقفيه ساحة ميدانية للدراسة والتقييم .

ومن هذه الزاوية نرى أن هذه المعالجة تمثل حدثاً ثقافياً خليجياً وعربياً يستحق التوقف والنظر والتقييم ، ومن خلالها وعلى ضوئها نتوقف أمامه بالعرض والتقديم والمشاركة ليتسنى لقراء «الدوحة» في مختلف أرجاء الوطن العربي متابعة هذه المعالجة الثقافية الرصينة .

ونعتقد أنها شهادة ناطقة لا تحتاج إلى بيان أن يتحول موضوع في مجلة أسبوعية إلى حدث ثقافي يفرض نفسه على المجلات الثقافية المتخصصة ، ولكن هذا ما حققته الزميلة «اليمامة» بالفعل ، وهو ليس إنجازها الوحيد ، فالتقليد الذي سنته بافتتاح كل عدد بقضية من قضايا المجتمع والفكر ، ومعالجتها بشمولية ومن وجهات

عشرة اتهامات ضد المثقفين

نظر متعددة ، يجعل منها ظاهرة أبعد مدى من الصحافة السيارة .

و «الدوحة» بمشاركتها «اليمامة» فى طرح هذا الموضوع فانما تود التاكيد على وحدة المعاناة الفكرية فى خليجنا وجزيرتنا العربية ووطننا العربي الكبير ، باديء ذي بدء ، تقرر «اليمامة» أن «هذه القضية إن لم تكن ضد المثقف السعودي فهي ليست معه»

ذلك : «إن هذا المثقف متهم بالقصور والتقصير معاً . وهو منكفيء داخل نفسه يحدق داخل عالم محدود ، مع ان المطلوب منه أن يحلق الى طموحات هذه البلاد ... ومع اننا نعلم أن هذا المثقف يملك أن يمنح وطنه الكثير ، فهو يمنع نفسه لأسباب حقيقية أو مفتعلة عن القيام بهذا الدور ، ومن هذا أصبح هناك إحساس حقيقي بان مثقفينا إن لم يكونوا معزولين عن حركة الحياة والبناء ، فهم على الاقل غير مشاركين فيها ، لا بالكم ولا بالكيف المطلوب .

وهذه معاينة قد تحمل صدمة للبعض ، لكن ليس فيها جور كثير كما قد نظن لاول وهلة . ولهذا يمكن القول بغير تجن أو ظلم إن «الحدث الثقافي» فى المملكة يلهث وراء الحدث الاجتماعي بما لا يقاس . ولا نعتقد انه يمكن الحديث فى هذه المرحلة التاريخية عن دور «تتبعى» للمثقف السعودى فما بالك بالدور التنبؤى أو التبصيرى فى تحديد المسارات الجديدة أو تعيين محاذير المستقبل وبشائره . فالمثقفون لم يشاركوا فى صياغة الهياكل الفكرية للمجتمع على نحو ما قام أولو الأمر فيه بصياغة هياكله الحضارية . ومن ثم نشات تلك المقولة التى ترى أن للمملكة قامة سياسية واقتصادية ودينية لا تطاولها قامتها الفكرية بحال» .

وقبل عرض هذه العريضة ، نود ايراد التحفظ الذى أوردته اليمامة وهو أن : «هذه القسوة على النفس تطمح الى العلاج ولا تطمع فى العقاب» .

وان الهدف من هذا التحقيق كله هو : «إقامة حوار أشمل بين المثقفين ومظاهر النمو والحركة فى وطنهم ، وهذا هو المعنى الاعمق لفكرة الحوار كما نريد ترسيخها ... وإذا كانت القضية على هذا المستوى من الاهمية فانها تستاهل الحوار والنقاش وربما الخصومة الفكرية أيضاً» .

تسير لائحة الاتهام ضد المثقفين على النحو التالى :

أولا : المثقف فى برج عاجى ، يعتصم بعلمه ويناى به عن الآخرين ، ويرى : «عن حق أو عن باطل أنه نموذج الصفوة الفكرية التى ينبغى عليها أن تحتمى بشرنقة العلم حتى لا يهبط من عليائه الى تفاهات الحياة اليومية» وهذه فكرة بالية سقطت من واقع المجتمعات الحية المتقدمة منذ زمن بعيد ، فالعلم للمجتمع ، والفن للحياة . والرسول الاعظم بشر عالماً لا ينتفع الناس بعلمه ، بعذاب مقيم .

ثانياً : ان مهمة المثقف الحقيقية هى استشراف المستقبل ... وهذا يلقى على كاهل المثقف تبعة رصد وتوجيه مختلف الظواهر الاجتماعية التى تدور حوله ... لكن الملاحظ فى مجتمعنا أن هناك الكثير من المتغيرات التى تمر على المواطن ويتخذ منها موقفاً غامضاً فى أكثر الاحيان لغياب الترشيد والرصد من جانب المثقفين .

ثالثاً : المثقف : «يعيش حالة تناقض غريبة بين التقليد والمعاصرة بمعناهما النظرى .. ولهذا نجد أننا بازاء ثنائية حادة لا يمكن أن تضيف جديداً الى مسارنا الحقيقى نحو طموحاتنا الكبيرة» .

وبالتالى فان هذا المثقف : لا « يضع قدما تمضى فى الحداثة الى نهايتها ، وقدما أخرى تغوص فى التقليد الى منتهاه» .

وهكذا ينعكس على النتاج الفكرى لهؤلاء المثقفين : «فلو راجعت ما يصدر وما ينشر لدينا لوجدت أن الحديث يحلو عن حركات «الهيبز» و «البانك» ولا سكثولوجيا فى الشعر ... وعلى الطرف الآخر ربما وجدت الحديث يحلو أيضاً عن الاسباب التى جعلت «جريراً» اليربوعى مناهضاً ومشاكساً لزميله وأخيه فى الأروقة «الفرزدق» المجاشعى ، وكلاهما تميميان ... ولا شيء أبداً عن «كل» ما اعترى مجتمعنا الحاضر من تحولات .. هى كبيرة ومهمة ويرتكز عليها تحديد منطلقات المستقبل» .

رابعاً : «ان آلاف الآلاف من المواطنين الذين يحتاجون هادياً وموجهاً لازالوا على مواقفهم الغامضة من جميع الرموز الحضارية والثقافية التى يعيشونها ... ومن حسن حظنا ، وربما بعامل الصدفة البحتة أن الكارثة لم تحدث بعد .. وإلا فانه فى مثل هذه العزلة التى يعيشها المثقف عن واقعه كان لابد أن تحل الكارثة .. وقد تبدو كلمة «كارثة» هنا كلمة كبيرة ولكنها كلمة حقيقية وعلى حجم المعنى الذى نقصده بالضبط ، لأن المجتمع بغير قيادة من عقله الواعى يشبه سيارة تنطلق وهى مطفأة الأنوار .. وتلك هى المهمة الملقاة على عاتق مثقفينا ...» .

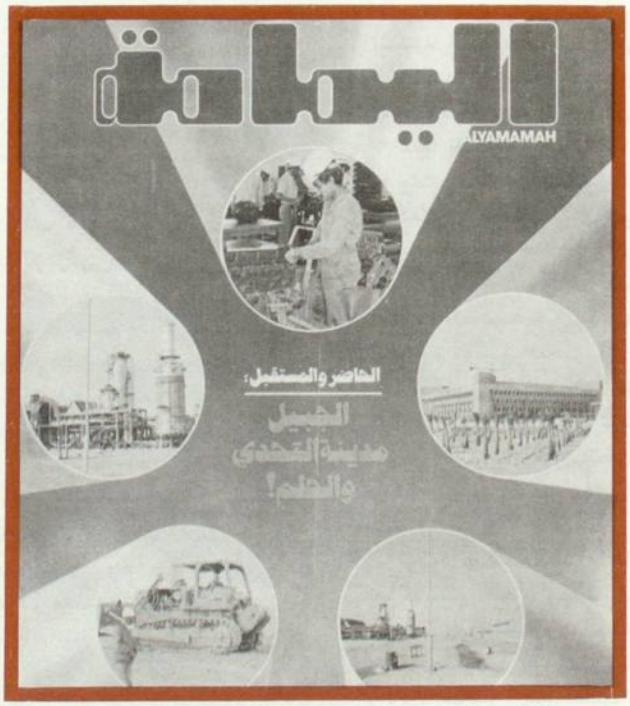
خامساً : إذا طرحت مشكلة على المثقف ليقول فيها رأيه فانه يساهم فى علاجها إسهاماً محدوداً للغاية ، ناهيك عن مدى إسهامه فى تطوير المجتمع ككل . وتراه يقول أشياء جميلة جداً عن المشكلة موضع البحث ، لينساها فى الغد ، ويعيش بمعزل عنها ، ويسير سيرته الأولى فى الحديث عن «الهيبيز» أو عن الفرزدق وجرير !

سادساً : «إننا نشعر أن المثقف مثقف لنفسه لا للمجتمع . حتى المتخصصون فى علوم الادارة والاقتصاد أو علم النفس والتربية والاجتماع ، نكاد نشعر أن النظريات التى حفظوها ظلت مخزونة فى الذاكرة ، دون محاولة أن يفيدوا مما يمكن تطبيقه من هذه النظريات لتحديد معايير جديدة للقياسات النفسية والاجتماعية والحضارية فى مجتمع ينمو نمواً يختلف تماماً عن غيره من المجتمعات» .

سابعاً : ان المثقفين حولوا أنفسهم الى أكاديميين وراء أسوار الجامعة . ودفعوا باتجاه فصل الجامعة عن المجتمع والحياة. فغاب الحوار المنتج بين الجامعة كمؤسسة قومية والكيان الاجتماعى العام . وكادت الجامعات أن تكون «معامل لتفريخ الموظفين فقط، بدل خلق : «الكوادر البشرية التى تحتاجها خطط التنمية» .

ثامناً : عندما يمارس المثقف دوراً فانه يمارس هذا الدور بشكل «فردى ضمن إطاره الخاص وليس ضمن حركة فكرية شاملة . ومن هنا يضيع الجهد مثل «قطرات قليلة فى صحراء عطشى» ونحن : «لا نحتاج الى مبادرات فردية من هذا المثقف أو ذاك ، ولكنا نحتاج الى حركة كاملة فى حركات التنوير الفكرى» .

تاسعاً : يظل المثقف «نظرياً» بشكل عام ولا عيب فى التنظير . ولكن العيب فى ظاهرة «الأيدى الناعمة» التى لا تساهم فى عملية البناء : «ان هذا الوطن يشهد الآن إعادة بناء الحضارة العربية كاملة بعد قرون من الركود . وهذا البناء يتم فى ظل الاكتشاف الذى قلب موازين القوى العالمية ونعنى به ظهور النفط .. وتلك حركة هادرة تحتاج أن يشارك المثقف فى صنعها وخلق أطرها الصحيحة لا أن «يتفرج» عليها من



غلاف مجلة اليمامة : العدد الذى نشر فى صدره التحقيق الهـــام المطول عن موقف المثقفين فى المجتمع الســـعودى

بعيد وكأنها لا تحدث فوق أرضه وفى داخله .

عاشراً : ان هذا المثقف : «يلتمس لنفسه مجموعة من المبررات التى يغطى بها هذا القصور أو التقصير» وأهم هذه المبررات وأكثرها ترداداً على ألسنة المثقفين فى تبرير هذه السلبية القول : ـ

«بان المناخ الاجتماعى بشكل عام غير ملائم للحوار ، وغير مشجع على النقاش ، ونحن نعتقد أن ذلك لا يمثل أكثر من مشجب يعلق عليه البعض غيابهم عما يدور حولهم ، إذ أننا لا نستطيع أن نفهم ما المقصود بهذا «المناخ» الذى يهيىء جواً للحوار والنقاش فلم نجد فى يوم ما أن هناك قائمة بالمحظورات التى يجب على المثقفين عدم الحديث فيها من الأفكار والتحولات التى تحدث كل يوم ...

فما علاقة المناخ بالحديث عن الانسان الجديد وما يتعلق بشئون تعليمه وتطلعاته وتطوره .. وما علاقة المناخ بالحديث عن مستوى التعليم ، وإقبال الناس على التجارة ، وهروب الشباب من معاهد التدريب ، وأثر الظاهرة الصناعية على اتجاهات الجيل القادم ... ؟» .

● ● ●

بعد أن مثلت «اليمامة» الادعاء العام الفكرى فى هذه القضية ، توجهت الى عدد من أهل الرأى والكلمة تستفتيهم فى القضية ، لا كمتهمين فى القضية ولا كمحامين فى جانب الدفاع ، وإنما بالدرجة الأولى كشهود قدموا شهاداتهم التى ألحقتها بملف الدعوى .

وهذه الشهادات تتفاوت فى قيمتها .. والانطباع العام الذى خرجنا به من قراءتها أن «مرافعة» اليمامة فى عريضة الاتهام كانت أكثر تكاملا وشمولا وتراصاً . بينما جاءت «الشهادات» الفردية لأهل الرأى متفاوتة وموزعة ومنحصرة فى عدد من الأسئلة التى وجهت اليهم ، وهى أسئلة أساسية وفى صلب الموضوع ولكنها لم تكن مرفقة فيما يبدو بعريضة الاتهام التى لابد أن يقرأها كل «شاهد» من أهل الرأى فى سياقها التفصيلى قبل الاجابة على أى سؤال يتفرع عن موضوعها ، وذلك لتأتى الاجابات فى شمولية الأفق العام للقضية برمتها .

ولكن هذا لا يقلل من قيمة بعض الآراء التى تضمنتها تلك «الشهادات» ، والتى سنتوقف أمام ما نعتبره إسهاماً حقيقياً منها فى إغناء وتعميق القضية المثارة .

ينبه الأستاذ عزيز ضياء ـ وهو شخصية ثقافية معروفة ـ الى أن الشخص القادر على الوفاء بالتزام التوجيه والتعبير والتنبؤ بالنسبة لحركة المجتمع وتطويره هو «المفكر» وليس مجرد المثقف أو عالم الاختصاص فى علم من العلوم . وان الفنان والعالم والسياسى يحتـــاجون لرؤية المفكر وعطائه المتميز لينير لهم الطريق ، الذى قد لا يكون الأسهل ، لكنه الأصح .

ويضيف : «ان عطاء المفكر ليس عطاء عبقرية أو وحياً غيبياً أو إلهاماً ... وإنما هو عطاء اختيار يعتمد على حساب متأن أو معايير خاصة به ، ولذلك فما أكثر ما يصطدم عطاء المفكر بردود فعل من الشك والحذر ، بل وربما الرفض أيضاً يستمر لفترة تطول أو تقصر ، ليجد فى النهاية من قد يستوعبه ويؤمن به» .

ويلاحظ الأستاذ عزيز ضياء بأسف فى النهاية أن المجتمعات العربية : «شحيحة إن لم تكن عقيمة فى مخاض من يوصف بأنه (المفكر) فيها ، وربما كان السبب هو معاناة هذه المجتمعات واضطراب الحياة فيها بطبيعة الصراع المتلاحق بينها وبين الطوارىء والاحـــــداث التى تعصـف باستقرارها» .

وهذه الملاحظة الصائبة بشأن التمييز بين المثقف والمفكر تطرح فى رأينا ضرورة التمييز بين مستويات ثلاثة عند بحث وظيفة المثقفين ودورهم :

فهناك على المستوى الأول الخريج الجامعى أو رجل الاختصاص الذى يؤدى دوراً مهنياً اختصاصياً كالطب أو الهندسة أو الادارة ، وتنتهى وظيفته ويتوقف دوره عند حدود ممارسته لهذا الاختصاص الوظيفى ، وذلك ، فى حد ذاته ، لا يرقى به بأى شكل الى مستوى المثقف ، ناهيك بمستوى المفكر ، إلا إذا قدم عطاءات تتجاوز عمله الاختصاصى .

أما المستوى الثانى فهو مستوى المثقف العام ، خريجاً كان أم مواطناً متعلماً ، «وهو الشخص الذى استطاع ـ حسب تعبير الدكتور أحمد محمد الضبيب ـ من خلال علمه واطلاعه ومشاركاته وممارساته ومن خلال اختلاطه ببيئته الثقافية والبيئات الأخرى ، أن يجمع لنفسه حصيلة ثقافية تمكنه من إدراك العلاقات بين الأشياء ، كما تمكنه من الحكم عليها بمنظار خاص» .

عشرة اتهامات ضد المثقفين

ثم يبقى المستوى الثالث وهو مستوى «المفكر» حسب تعريف عزيز ضياء له ، وهذا النوع لا يولد ، فى راينا ، إلا إذا ازدحم المجتمع بنوع المستوى الثانى ، أى مستوى المثقف العام ، بحيث يأتى المفكرون ذروة وقمة لوجود أعداد هائلة من المثقفين المبدعين والمنتجين الذين يصبح المتفوقون منهم مفكرين . ومن هؤلاء عندما يتفوقون يخرج مستوى رابع هو مستوى الفلاسفة ، وذلك ما لا نطمح اليه فى المرحلة الحاضرة من تطورنا وما يفصلنا عنه مسار طويل . فالنهضة العربية الحديثة كلها ، وفى الوطن العربى كله ، لم تنتج بعد فيلسوفا واحدا حسب المعايير العالمية الموضوعية لهذا النوع من رجال الابداع الثقافى .

يبقى طموحنا الواقعى ـ إذن ـ أن نامل فى تحويل الخريج والمتعلم ورجل الاختصاص الى مثقف ، ثم فى تحويل المثقف الى مفكر .

والمثقف الحقيقى لا يتحول من متعلم الى مثقف بمجرد توسيع دائرة اهتماماته واطلاعه ، وإنما باتخاذ «موقف» معين محدد من حركة المجتمع . وهذا يقرب من مفهوم «الالتزام» فى الأدب والفن .

هذا المعنى يتضح من خلال هذه الاشارة الهامة التى يطرحها الدكتور عبد الله الغذامى عندما يقول : «إن دور المثقف فى مجتمعه هو دور الرائد الذى لا يكذب أهله ... فعليه مسئولية كشف الحقيقة لامته ودعوتهم الى الأخذ بها ، وهو بذلك يدخل فى معركة ضد التاريخ . إذ أن الماضى عادة يرخى سدوله على الحاضر ويترك رواسب أخذت صفة الثبات . والتمكن من نفوس الناس ، ودائما ما تكون مغلوطة ، ويختلط الزائف منها بالحقيقى . ودور المثقف هو التمييز بين الاثنين وتبصير الناس بهما وكمثال على ما أقول نلاحظ كثيرا من الزيف دخل الى جوهر الدين فاختلطت البدعة بالسنة حتى أصبحت شيئا واحدا عند كثير من المسلمين ، وصار للبدعة صفة القداسة حتى أصبح أمر إزالتها عملا عسيرا . وهنا تأتى مسئولية المثقف الانسانية ....» .

وهذا التحديد لدور المثقف كموقف والتزام ونضال فكرى ضد مختلف أنواع الزيف يلغى ضمنا دور مثقفى «المعلوماتية» ان صح التعبير ، أى المتعلمين الموسوعيين الذين يكتفون بحفظ وتخزين مختلف أنواع المعلومات ونقلها نقلا غير مبدع دون غربلة وتحليل ودون استخراج ما تتضمنه من نتائج عملية وخلاصات تطبيقيه ، أو تنويرية ضد الزيف والخطا .

هذه المسألة يضع الدكتور أنور عبدالمجيد الجبرتى يده على مفتاحها عندما يقول : «إن المثقف الذى لا دور له فى مجتمعه ، أو فى عصره ، لا يعتبر مثقفا . فالموسوعيون السلبيون مكانهم أرفف المكتبات وأرشيف المتاحف ، ويغنى عنهم فى العصر الحاضر ، بل ويفوقهم ، جهاز كومبيوتر صغير له ذاكرة متواضعة . ولذلك لا نحس بهؤلاء حولنا ، .. وننساهم سريعا إذا ما غادرونا ، أما المثقف الحقيقى فهو شاهد عصره ، وضميره ، ووقوده ... ودوره شمولى ومتعدد الجوانب» .

● ● ●

وبعد أن يأخذ هذا السياق الانتقادى للمثقفين مداه ، ويكتمل الوجه الأول للقضية وللحقيقة ، يأخذ فى التشكل شيئا فشيئا ملامح «الوجه الآخر» .. ولكن دون أن يكتسب الدرجة ذاتها من الوضوح ..

فمهما كان تقصير المثقفين فادحا ، فليس من المعقول أن ينصب كله على أسباب ذاتية تتعلق بعجز المثقفين أنفسهم . لابد أن هناك أسبابا حضارية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وبيئية ذات طبيعة موضوعية وذات أثر لا ينكر فى تسبيب ذلك التقصير وزيادته وابقائه مستمرا ، فالمثقف على أهميته جزء من كل ولا يمكن الحكم على الجزء سلبا أو إيجابا ، إلا بالنظر الى «الكل» الاجتماعى التاريخى الحضارى فى شموليته . وهذا المنحى من النظر لا يتضح بالشكل الذى اتضح به المنحى الأول ، أى انتقاد المثقفين ، فى سياق التحقيق ، مع أن التحقيق يطالب المثقفين أنفسهم بمقاربة العوامل الاجتماعية الشاملة التى تحيط بهم ودراستها وتقديم الترشيد بشانها . ومن المؤكد أن المعالجة ستكون أشمل وأكمل وأجدى اذا أتبعنا انتقادنا لظاهرة المثقفين ، وهى الظاهرة ـ الجزء ، بتحليلنا وتقويمنا للظاهرة الكل التى تشملهم وتشمل الوجه العربى كله وتتفرع عنها جميع قضايانا وأزماتنا ، ونعنى بها موضوع المجتمع ـ التاريخ ـ الحضارة فى المنطقة العربية .. فهذه هى الظاهرة الأم التى لابد أن يصل اليها أى بحث شمولى المنحى فى التحليل النهائى .

غير أنه من الانصاف الاشارة الى أن إجابات بعض المثقفين الذين شملهم التحقيق تطرقت بشكل جيد الى جوانب غير قليلة الأثر والأهمية فى رسم وتحديد ملامح «الوجه الآخر» فى القضية ، وهو دور العوامل المجتمعية الموضوعية فى تسبيب الظاهرة موضع البحث .

فالدكتور الضبيب ـ مثلا ـ يرى أن المثقف فى أى مجتمع عربى هو فرد من المثقفين العرب الذين تظلهم ظروف عامة واحدة ، وتؤثر عليهم عوائق عامة متعددة ، منها : ـ

أولا : «حالة الانهزام النفسى التى يمر بها الانسان العربى هذه الأيام والتى تمس كبرياءه ومقدساته ، مما يجعل المثقف يقف موقفا يتأرجح فيه بين القنوط اليائس والأمل البعيد ، مما أصاب بعض المثقفين بما يشبه اللامبالاة ، والانكفاء النفسى» .

ثانيا : «حالة الانبهار التى يعيشها المثقف فى هذه المنطقة من العالم أمام التقدم الهائل والنشاط العقلى الكبير وتدفق المعلومات ... بينما يظل الانسان العربى الى حد كبير خارج هذه الحلقة .. حتى كأنه فى الحقيقة لا يعاصر تلك المجتمعات بل يتخلف عنها مئات السنين» .

وليس المقصود بذلك : «المعاصرة الحسية المتمثلة فى استيراد الآلات ... وإنما أقصد المعاصرة العقلية والفكرية المعتمدة على المشاركة فى الاختراع والاكتشاف وتطويع المواد الخام» .

ثالثا : « المثقف العربى جزء من مجتمعه .. يتأثر بالظروف الاجتماعية التى تسيطر على هذا المجتمع وتشيع فيه . كما انه يجرى كما يجرى الآخرون وراء لقمة العيش والمستوى الاجتماعي المعقول الذى يود أن يحققه له ولأسرته . وهذا يستغرق الكثير من وقته وجهده . ولعل من الخطا ان نحمل المثقف العربى أكثر مما يحتمل فنفترض فيه مثالية تعزله عن الناس فى ابراج عاجية ، ونفترض فيه الزهد الشديد وأبعد عما يضطرب فيه الناس من أمور الحياة المختلفة » .

ويلقى الدكتور منصور الحازمي ضوءا مختلفا على ما يسمى بسلبية المثقف وبرج

ـ عاجيته عندما يقول : « هذه العزلة رغم سلبيتها وعقمها لا تنفي ارتباط المثقف بمجتمعه ، اذ ان موقفه المتعالي انما هو علامة أحياناً على الاحتجاج على مجتمعه » .. نعم أحياناً .. وليس دائماً . فذلك قد يكون صحيحاً من حيث المبدأ ، لكن يجب التمييز بوضوح بين مثقف مخلص حقاً ، ومنتج حقاً ، ولديه ما يقوله ولكنه مضطر الى الصمت ، وبين اكاديمي سلبي يغطي سلبيته بـ « التظاهر » بالاحتجاج .. ولا يخلو الأمر من نماذج كثيرة للصنف الثاني في مجتمعاتنا لأن المواقف الثقافية تتفاوت بتفاوت نوعية المسائل الاجتماعية المطروحة وليس صحيحاً ان جميع هذه المسائل الاجتماعية لا يمكن مقارنتها ومعالجتها فكرياً بدرجة أو بأخرى . ولا توجد أوضاع مثالية للمثقفين في معظم دول العالم الثالث وحتى بعض العالم المتقدم . واذا كانت الثقافة مسئولية ورسالة فلابد من بعض التضحية وتحمل قدر من المصاعب .. تنقص أو تزيد .

ويطرح الدكتور عبد الله العثيمين في اجابته نظرات تحمل المثقف جانباً من المسئولية وتحمل المجتمع الجانب الآخر ـ وذلك المنهج الأسلم ـ حيث يقول : « ان كثيراً من الأمور التي تمثل مشاكل وظواهر اجتماعية مهمة تحاط بسياج من السرية والكتمان وتوحيد الأبواب أمام ايضاح أبعادها . ولعل ما تمر به البلاد من ظروف اجتماعية واقتصادية قد أثرت في بعض المثقفين تأثيراً سلبياً . فهناك من أدرك الظروف الاجتماعية وأدرك ابعاد المشكلات التي قد يؤدي التعرض لها ، فابتعد عن تناولها احساساً منه بعجزه عن ذلك التناول . وهناك من لم يستطع أن يقاوم اغراء الثروة المادية التي نتجت عن الانفجار الاقتصادي ، وأصبحت لقمة سائغة لمن يستحقها ، ولذلك انطلق مع من انطلق من فئات المجتمع الأخرى ليحصل على ما يمكن الحصول عليه من تلك الثروة قبل أن تفوت الفرصة » .

فهنا نحن أمام عامل « الانفجار الاقتصادي » وكيفية تأثيره سلبياً في بعض الجوانب على المجتمع . فلماذا يلام المثقف وحده ولا تلام القطاعات الاجتماعية الأخرى التي تكون مجمل الظاهرة ، وبعضها أقوى أثراً من المثقفين كالتجار وكبار المتمولين وكبار رجال الأعمال ؟

أما الدكتور جبرتي ، فيرى اننا يجب الا نبالغ في تصور حجم العامل الاقتصادي أو الانفجار الاقتصادي إذ : « ليس التقاعس الثقافي لدينا ظاهرة نفطية بحتة ولا نستطيع أن نصندق كل مشاكلنا في تابوت نفطي » ذلك ان : « الابداعات الثقافية الجادة ـ كما يرى ـ لا يعطلها الفقر ولا يلغيها الثراء » .

وهي مقولة نرى فيها قدراً لا يستهان به من الصحة فلا الفقر في الهند عطل ابداعها الروحي والفكري والأدبي .. ولا الثراء في أوربا الغربية عطل ابداعاتها الحضارية على اختلافها وتنوعها وثرائها المستمر .. فما بال فقراء العرب واغنيائهم يردون عقمهم الفكري الحاضر الى سببين متناقضين .. الفقر لدى الفقراء .. والغنى لدى الأغنياء ؟

وذلك ما يدفعنا الى الترجيح بأن المسئول الأول عن ذلك في الحالتين هو الانسان ـ فقيراً أم غنياً ـ وهو معدن الأمة ككل ونظامها الاجتماعي في حالتيها النقيضتين .. فهذا ما يحتاج الى اصلاح وانقاذ : نوعية الانسان ومعدن الأمة .. ودعونا من مقولة الاستعمار ومؤمراته واسرائيل ومن هم وراءها !

ويرد الدكتور جبرتي في النهاية سبب العقم الثقافي لدى المثقفين الى ثلاثة أسباب نراها جديرة بأن تضاف الى «ملف» القضية ، وهي :

أولا : « الخلفيات الاجتماعية والنفسية والسياسية والتي بدأ يعيشها عالمنا العربي منذ الستينات ، والتي جعلت المثقفين جمهوراً وطلائع ، يفقدون اهتمامهم ـ وربما ايمانهم ـ بكل ما هو جاد ورصين ومبدع ، ويعتقدون ان الكل باطل وقبض الريح » .

ثانياً : « تكنولوجيا الثقافة السمعية والبصرية التي غمرت حياتنا بحشو أغلبه هزلي وعبثي وضحل ، وقللت من اعتمادنا على وسائط الثقافة الأخرى التي تتطلب جهداً فكرياً وذهنياً أكبر » .

وهذا يعني باختصار نوعية برامج التليفزيون والاذاعة وأثرها السلبي على الثقافة وعلى الكتاب والمكتبات وشئون الابداع الفكري الجاد الرصين .

ثالثاً : انتماء المثقف الى : « فئة بيروقراطية ـ تكنوقراطية أصبحت تجتذبه وتتنافس على وقته وذهنه واهتماماته. استعمالات أخرى لاستعداداته الثقافية وملكاته الابداعية ، خاصة وان « الذوق » الثقافي أصبح ذوقاً مخملياً ينصب في أغلبه على عادات وانماط استهلاكية وسفرية (يقصد سياحية) تتطلب تمويلا يقذف بالمثقف ، شأنه شأن غيره ، الى أتون « المظهرية » والترفيه وما تستتبعه من تهالك على أنشطة مادية » .

وتحتل ظاهرة الازدواجية في حياة المثقف جانباً هاماً في هذا التحليل لظاهرة عقمه وقصوره ، ويعبر عن ذلك د . العثيمين بقوله : « فهو ـ أي المثقف ـ في كثير من مظاهر حياته العامة يحاول أن يتحلى بما يتفق مع رغبات أكثرية المجتمع أو مع رغبات من يؤثر في مسيرة ذلك المجتمع ، لكنه في واقعه الخاص يمارس حياة بعيدة كل البعد عما يتظاهر به ، حياة تقدر قيماً وعادات أجنبية ، وتنعم بها أكثر مما تحترم قيمه وعاداته الوطنية ، وتحفل بها » .

هذه الازدواجية الخطيرة في واقع المثقف على الصعيد الاجتماعي السلوكي ، تكمن وراءها ازدواجية أخطر في حياة المثقفين والمجتمع والأمة ككل ، يحللها د . الغذامي من ناحيته بهذه الرؤية المتقدمة التي لا نشك ان غالبية المفكرين العرب المدركين لجوهر الأزمة يوافقونه عليها حيث يقول : « أكاد أقول ان لدينا هجرة ثقافية معنوية للعقول . وهي هجرة إما الى الماضي (التراث) وإما الى العصر (الحداثة) ، وهذا أدى الى حالة اغتراب يعيشها المثقف بعيداً عن واقعه (الحاضر) .. ولم نتمكن بعد من عقد وفاق ثقافي بين التراث والعصر وذلك لتباين الثقافتين واختلافهما وحيرة العقول في المزج بينهما وهذه حالة معقدة واجهها طه حسين مواجهة سلبية بأن جعل العصر خصماً للتراث وراح يحاكم الماضي . والمفروض هو محاولة قراءة التراث قراءة عصرية كي نفهم الماضي فهماً عصرياً . وأظن العقاد قد أفلح في ذلك مما مكنه من التعايش السلمي مع الماضي والحاضر » .

عشرة اتهامات ضد المثقفين

ويخلص الى القول : « هذه اشكالية حادة وخطيرة وحلها ليس مستحيلا ولكن المشكل فيها اننا لم نحاول طرحها طرحا حضاريا جماعيا ـ ويبدو اننا لا نريد ـ وتركناها للحلول الفردية الاجتهادية .. وهذا هو العائق الرئيسى فى وجه تفاعلنا تفاعلا حضاريا كاملا مع مجتمعنا وعصرنا » .

وتبقى إضاءة أخيرة من اضاءات هذا البحث المكثف وهى ان المثقفين ينقسمون حاليا ، من حيث أدوارهم ومدى التزامهم وعطائهم ، الى عدة فئات ، كما يرى الدكتور الغذامي :

١) فالجامعيون لهم عطاؤهم العلمى الاختصاصي ، لكنهم مقصرون بوضوح فى عطاء الفكر الاجتماعى الموجه والمرشد والملتزم بقضايا الحياة والتقدم .

٢) أما الأدباء والشعراء فهم مخلصون فى التعبير عن حالة القلق الذاتية التى يمرون بها فى علاقتهم مع المجتمع والعصر وهم بهذا المعنى شهود على عصرهم ، لكنهم مقصرون فى اداء رسالتهم الثقافية بمعناها الانسانى : « ولم يتمكن شاعر واحد من شعرائنا من التعبير عن واقعنا الانساني » فهناك : « انصراف كامل الى الداخل وهو تعبير عن حالة خاصة بالشاعر نفسه وليس تعبيراً عن الحالة الانسانية لمجتمعه » .

وأدباؤنا : « يتلاشى ابداعهم عندما يكون الموضوع اجتماعيا ، ويتحول التعبير عندهم الى صياغة تقريرية وصفية قاصرة » .

ويلاحظ صاحب التحليل ان البترول على عمق أثره الاجتماعى والاقتصادى والسياسى لم يتحول الى معادل أدبي وفنى فى حياتنا وهذا من دلائل القصور والعزلة ، وذلك ما عالجناه مرارا فى مجلة «الدوحة» من جانبنا ، ويسرنا انه أصبح الآن دعوة عامة يحملها مثقفون جادون كثيرون .

وفيما يخص الأدباء والشعراء ، فربما كان من عوائق تواصلهم مع المجتمع ما أشار إليه د . الحازمي من ناحيته من : « ضعف التوصيل بالاغراق فى الرمز ، وتمتمات الأحلام ، واللاوعي » وهذه مسالة لابد أن تحسمها فى النهاية هذه



مقدمة التحقيق الذى نشر بمجلة اليمامة والذى يعتبر علامة حاسمة بين فصلين فى كتاب الثقافة بمنطقة الخليج

الفئة من المثقفين نفسها لأنها تشكل أهم أسباب عزلتها .

٣) ثم تبقى أخيراً فئة الكتاب الصحفيين ، وهذه الفئة كما يرى د . الغذامى قد حملت لواء المسئولية الاجتماعية فى مجتمعها السعودي وسخرت نفسها لخدمة الجماعة : « وهؤلاء هم الكتاب الصحفيون شباباً وشيوخاً ونساء . وصحفنا وما ينشر فيها من نقد اجتماعى لسعوديين وسعوديات تؤكد صدق التزامهم بواجبهم الانساني نحو مجتمعهم ، وهؤلاء يقومون بوظيفة اصلاحية مؤقتة ، ولكنها مفيدة وضرورية »

ومن واقع المتابعة للصحافة السعودية فى تطورها الحاضر ، نرى ان هذا الدور هو بالفعل كما يصفه صاحب الكلمة وان الصحفيين السعوديين والصحفيات السعوديات قد حققوا مستويات مهنية وتوجيهية تلفت النظر وتبشر بعهد جديد للصحافة فى الجزيرة العربية والخليج والوطن العربى بعامة . خاصة اذا علمنا انها صحافة منغرسة ومتجذرة فى أرضها ، وان كتابها وكاتباتها من ابناء هذه الأرض ، وانهم حققوا مستواهم الحالى بالكثير من الجهد والمران والصبر والتعلم المتدرج الدؤوب . وما هذا التحقيق الثقافى الذى نعرضه من « اليمامة » إلا دليل ملموس من ثمار هذا التقدم ، بالاضافة الى قضايا وموضوعات أخرى كثيرة فى اليمامة وزميلاتها الاخريات .

• • •

... ولا يقف عند هذا الحد « ملف » الثقافة والمثقفين ! فتعود « اليمامة » فى العدد التالى لتقدم تعقيباً على تحقيقها وايضاحاً لبعض جوانبه بعنوان : « الممنوع والمسموح .. أزمة المثقفين والمناخ الملائم » (٢) .

ومن أهم ما قالته فى هذا التعقيب : « لقد سئمنا التنظير فى المجالس الخاصة ، ومللنا النقاش العقيم خلف الأسوار .. ونحن بطرحنا القضية كنا نعلن الاحتجاج على الكسالى والمفصولين عن واقعهم من هؤلاء المثقفين . نريد ان ينتقل هؤلاء من الظل الى الشمس .. ومن الصمت الى الكلام المفيد ، ومن التنظير المثالي فى الجلسات الخاصة الى المساهمة فى تلوين الواقع وترشيده والى التبصر فى المستقبل الذى يتشكل ضمن إطار العديد من التحولات والتحديات » .

وتقول : « وحين قدمنا عريضة الاتهام

ضد وضعية المثقفين وعلاقتهم بحركة البناء فى بلادهم كنا نريد أن «نستفزهم» بالتاكيد لكنا كنا نريد فوق ذلك ان نستحثهم الى « يقظة الوعي » فيفكروا ـ بشكل عملى مؤثر ـ فيما يدور حولهم من تحفز واصرار وتطلع » .

وحول مسالة المناخ الاجتماعي ومدى انفتاحه للحوار وتبادل الآراء ، ترى « اليمامة » : انه فيما عـــدا قيمتين اساسيتين وهما الدين الاسلامى الحنيف ومبادئه واخلاقياته ، ثم السياسة العليا للدولة التى تعنى الاستقرار والاستمرار ، فان بقية قضايا المجتمع والحياة مفتوحة للحوار وتبادل الراى ، وانها من واقـــع تجربتها فى طرح هذه القضايا على الصعيد الصحفى : « كانت خلاصة تجاربنا النجاح والمباركة من الجميع » .

وفيما يتعلق بالحاجة الى مزيد من وسائل الايصال والنشر الفكري والثقـافى (كالمسرح .. والاداء السينمائي .. ورابطة الصحفيين ، ورابطة الأدباء .. ودور النشر الفعالة النشطة وغير ذلك من الجمعيات والمؤسسات التى يخصب فى احضانها الحوار) ـ ترى « اليمامة » ضرورة الاستفادة من الوسائل المتاحة ، وهى ليست بالقليلة ، حتى تاتى مراحل التطور بالوسائل المتقدمة الأخرى ، كل وسيلة فى وقتها (٣) .

أما المطبوعات والمراجع الخارجية غير المتوفرة ، فان أهل البحث الثقافى يمكنهم الحصول عليها بتسهيلات خاصة بالابحاث اذا كانت تلك المطبوعات تقع بمضامينها خارج دائرة الايصال العام للجمهور ، ويتطلب الأمر وقاية العقل العام ، فى هذه المرحلة من تطوره ، مما قد تحمله تلك المضامين من مؤثرات غير ملائمة لطبيعة المرحلة .

وتنهى « اليمامة » معالجتها بالتنبيه الى ان حصر : « دور المثقف فى الصفة الاجتماعية .. خطا نود ان نبدأ بتصحيحه فمن الذى قال ان دور المثقف يقوم دائما على الصراخ والعويل والاحتجاج .. نحن لا ننكر على المثقف ـ ولا ينكر عليه أحد ـ ان يقول فى الخطأ : « هذا خطأ » أو فى المعوج : « هذا معوج » .. لكنا ننكر ان يحصر رسالته فى هذا الخط السلبي .. واذا كان لابد من الاحتجاج ، فليات بحجم مسئولية المثقف نفسه وبحجم مساهمته فى التشييد ، أما مادام المثقف يكتفى حتى الآن بـ « الفرجة » والتنظير المجالسي فاننا لسنا فى حاجة الى احتجاجه .. » .

وكان من الممكن ان يقف التحقيق عند هذا الحد . وهو حد متقدم كما نرى من نوعية الأفكار المطروحة .. قياساً بالعمر الحضاري لبلدان هذه المنطقة ..

غير ان « رسالة » تاتى لليمامة بعـــد اسبوعين ترفع الحوار الى مستوى جديد من الحيوية والسخونة والتشويق المثير للاهتمام ..

كاتب هذه الرسالة هو الاستاذ محمد سعيد طيب أحد المسئولين عن حركة النشر فى المملكة ومشرف مؤسسة تهامة للكتاب .. أما عنوانها فيقول : « نعم » المثقف السعودى شاهد ما شفش حاجة وأغلب المثقفين عبء على مجتمعهم » !

ونعتقد ان هذه الرسالة قد فجرت أزمة المثقفين المزمنة من جذورها .. وقذفت بالقفازات فى وجوههم .. ولم يبق امامهم غير الرد الجاد بالفكر والعمل .. أو السكوت الذى يتضمن الاعتراف الكامل بالعجز والتقصير .

وهذه الرسالة لا تحتمل أى اختصـــار أو حذف . فهى « وثيقة » كاملة تصلح ملحقاً أو مدخلا لأي « ملف » عن أزمة الثقافة والمثقفين فى أى مجتمع عربى سواء كان عمره الحضارى سبعة آلاف سنة .. أو سبع سنين ..

ونرى ان هذه الصورة التى نقدمها عن أزمة المثقفين ستبقى ناقصة دون الحاقها بنص هذه الرسالة كاملة (٤) .

ومن النادر ان نجد رسالة ، فى ادبنـا القديم أو الحديث ، تتحدث عن طبقة المثقفين بهذا الأسلوب الذى فيه من السخرية الرفيعة بقدر ما فيه من الحقيقة الصريحة ، على ما لها من غاية ايجابية بناءة من وراء ذلك . ولهذه الاعتبارات نرى انها تستحق إعادة النشر مع هذا الملف الحاشد .

ثم يبقى ان نقول للاخوة فى اليمامة ، ونحن نشد على ايديهم ، بان هذا الملف نعتبره علامة فاصلة بين فصلين فى كتاب الثقافة بمنطقتنا . فالوعى بأزمة الثقافة والمثقفين لن يبقى كما كان بعد هذه المعاناة فى تحقيق القضية التى هى توأم لقضية بناء الوطن وصيانته وحفظه .

وتحية من « الدوحة » ومن الخليج ، والى اللقاء فى محطة أخرى قريبة على درب معاناتنا الواحدة .

د . محمد جابر الأنصاري

---

١ ـ مجلة اليمامة ، العدد ٧٣٣ بتاريخ ٥ ـ ١١ يناير ١٩٨٣م ، تحت باب « قضـــية الاســـبوع » الصفحات : ٣ ـ ١١ .

٢ ـ مجلة اليمامة ، العدد ٧٣٤ ، بتاريخ ١٢ ـ ١٨ يناير ١٩٨٣م ، الصفحات ١٢ ـ ١٣ .

٣ ـ كملاحظة هامشية نود ان نراجع مع الاخوة فى اليمامة إشارتهم التالية التى وردت في الموضوع المذكور أعلاه من السياق : « وإذا كانت تساق فى هذا المضمار بعض الأمثلة في الدول المجاورة على ازدهار حركة التاليف والنشر ـ مثلا ـ فاننا بكل صراحـــة لا نريد ازدهارا مثل ذلك الازدهار ولا يكون لنا فيـه غير التمويل والتسويق ورصد الخسائر والأرباح ..»

هذه الاشـــارة تعنى الحركة الثقافية وانشطتها فى دول الخليج المجـــاورة ، ونحن نسلم مـــع الاخوة ان توفر العنصر البشري السعودي يعطيهم المبرر الموضوعي للمطالبة بمؤسسات ثقافية محورها الأساسي والرئيسي من الكوادر السعودية ، وهذه ظاهرة طبيعية وصحية طالما هي موضوعيا ممكنة . ولكن يجب الا يغيب عن البال ان مجتمعات الخليج الأخرى تعاني ندرة فى العنصر البشري على اصعدة كثيرة ، والصعيد الثقافي هو ابرز صعيد يمكن ان يساهم فيه الاشقاء العرب الوافدون معنا بحكم وحدة اللغة والثقافة والمعاناة . وإذا كانت مصانع ومعامل وخدمات كثيرة في كل مكان في الخليج والجزيرة تشارك في تشغيلها اعداد غير قليلة من العمالة الأجنبية ، فهل كثير إذا شاركنا الاخوة العرب في إدارة المؤسسات الثقافية مع تدريب ابناء الخليج ودفعهم لمزيد من المشاركة ؟

ثم ان النتاج الثقافي ـ كما وكيفا ـ فى بلدين كالكويت وقطر لا يمكن اختصاره بالعبارة أعلاه . ولو ان الأخوة فى اليمامة راجعوا هذا النتاج باسلوبهم الموضوعي فى التحقيقات لوجدوه يستاهل تحقيقا..!

٤ ـ عن اليمامة ، العدد ٧٣٧ ، بتاريخ ٢ ـ ٨ فبراير ١٩٨٣ ، ص ١٤ ـ ١٥ .

المثقفون .. وشهادة دامغة ضدهم !



بقلم : محمد سعيد طيب

عندما .. يتصدى كاتب .. أي كاتب .. من الذين يتعلمون « الحلاقة فى رؤوس اليتامى » .. أو من الذين عرفوا بتسويد الصفحات .. بأى كلام .. والتقيؤ فى وجه القارىء .. دون استحياء أو أدنى شعور بالمسؤولية .. أو استيعاب للقضية المطروحة .

عندما .. يكتب أحد من هؤلاء وأمثالهم .. مقالا طويلا أو قصيراً مؤداه : أن الشهادة العليا .. مثلا .. هى مجرد جواز سفر .. أو بطاقة مرور .. وأن اصحابها فارغون .. تافهون .. تدرك ـ على الفور ـ ان القضية برمتها .. مجرد انفعال عابر .. أو انعكاس لموقف معين .. مر به ذلك الكاتب .. قبل أيام .. نتيجة تجاهل من أحد أصحاب الشهادات فى مناسبة اجتماعية .. أو مجلس ما .. أو نتيجة لمناقشة غير موضوعية .. احتدمت بينه وبين أحد المثقفين . !

وحينئذ نكتفي بالكلام المباح .. ويكون الرد على امثال هؤلاء الكتاب .. من قبيل : يا جماعة عيب هذا لا يليق .. هؤلاء أصحاب الشهادات العليا هم رموز جيدة .. وهم واجهة حضارية مشرقة .. وان لهم دوراً يؤدونه .. ولا يجوز ان نصدمهم .. وان التجريح لا يليق .. وان فى هذا إحباطاً للمجتمع .. وتشكيكاً فى أبنائه : الى آخر المعزوفة اياها .

اما عندما تطرح « اليمامة » القضية .. على هذا النحو الجيد والجاد .. وبهذه الدرجة من الموضوعية والصدق .. وتحشد لها هذه النخبة الممتازة من المتعلمين والمثقفين فان الايقاع ـ هنا ـ يختلف .. بلا شك ودرجات الاستجابة والتجاوب .. ينبغى .. أن تعلو وترتقى لتواكب خطورة القضية وجديتها .. وموضوعيتها .. وابعادها المختلفة .. وآثارها الايجابية والسلبية .

نحن يا صديقى .. أمام قضية كبيرة وخطيرة .. بطرفيها : أزمة المثقفين السعوديين أو الشاهد اللي ما شفش حاجة والشعب الذى لا يقرأ .

فى قضية المثقفين السعوديين .. ثمة مظاهر سلبية .. ينبغى أن نواجهها بمنتهى الصدق والموضوعية والصراحة .. وأن نتقبلها بكل شجاعة وواقعية وتجرد .. وأن يستمر الحوار .. هادئاً .. بلا صخب .. أو لجاج .. أو ادعاء .. أو اصرار على الباطل .

من المظاهر السلبية .. لمثقفنا السعودى « اللي ماشفش حاجة » أنه يؤمن مثلا .. بقضية الحرية .. ولا يمارسها .. ويتشدق بالتقدمية .. ولا يطبقها .. ويردد مبادىء كثيرة فى « مجالس الليل » .. واذا اصبحنا .. نجد أنفسنا .. ازاء انسان آخر .. يمارس سلوكاً عجيباً .. ليس له ادنى صلة بحديث « الليل » من قريب أو بعيد . !

● خذ مثلا :

قضية الشورى ..

كم من ذلك الطابور الطويل العريض .. من المثقفين .. وأصحاب الشهادات العليا .. فى السياسة والادارة والقانون والاقتصاد والاجتماع .. الخ .. من تصدى لها .. وأعان ولي الأمر .. بالرأى .. فيها .. وطرح وجهة نظره ـ أيا كانت وجهة النظر هذه . !

هل ثمة أمر أو توجيه من ولي الأمر بأن لا تعالج هذه القضية فى صحافتنا .. وأن المثقف السعودى .. ممنوع أو محظور عليه ابداء الرأي فيها ؟ !

طبعاً .. لا

والا .. فلماذا أبدى عزيز ضياء .. وأحمد جمجوم ومحمد سعيد العامري .. وأحمد

جمال .. وغيرهم .. اراءهم .. ونشروها .. في صحيفة المدينة .

هل ثمة ترخيص خاص .. لهذه الفئة ؟! ـ دون غيرها ـ بمناقشة هذه القضية الكبرى ؟ .

● ومثلها قضية مجالس المقاطعات .

من فيهم أبدى رأيا .. أو قال كلمة ؟!

● ومثلها أيضاً قضية المجالس البلدية

● ومثلها أيضاً قضية المرأة .. وتعليم البنات والمناهج .. والخطة الدراسية .. والعمالة الأجنبية .. والبلديات .. والخدمات .. والأراضي .. والبترول .. ومشكلات الشباب .. الخ .

واذ سلمنا ـ جدلا ـ بالشماعة أياها بأن « المناخ » بشكل عام غير ملائم للحوار وغير مشجع على النقاش . !

فمن من هذا الطابور العريض .. من رجال الادارة والاقتصاد والقانون والاجتماع والتربية والتعليم .. كلف نفسه بالكتابة ـ مباشرة ـ الى ولي الأمر ؟!

من منهم كتب مثلا الى رئيس اللجنة العليا . المكلفة بدراسة نظام الحكم ونظام الشورى ومجالس المقاطعات .. وأبدى آراء موضوعية وواقعية . قد تساعد اللجنة على أداء مهمتها .. والاضطلاع بمسؤوليتها .. وهي مسؤولية قومية كبرى .. ومشتركة .. في ذات الوقت ؟!

ان مثقفنا السعودي ـ يا صديقي ـ لا ينقصه العلم .. ولا المعرفة .. ولا الثقافة العامة .. ولا الأفق الواسع .. ولا الاحاطة الشاملة بمجريات الامور في الدنيا كلها .. واذا وضعته مع غيره (خارج الوطن) فانه يبيض الوجه .. بل ويتفوق عليه .

ولكن مثقفنا السعودي ـ ياصديقي ـ أسير لجبنه .. وسلبيته .. وانانيته .

يتوهم أنه إذا كتب كلاماً لوزير الداخلية في قضية الشورى .. فسيكون الجواب الفوري .. أن يبعث له بضابط أمن .. ليأخذه الى السجن .

وإذا كتب لرئيس اللجنة العليا لسياسة التعليم .. موضحاً .. الأخطاء الجسيمة في سياسة تعليم البنات مثلا .. وفي المناهج الدراسية .. فسيكون الجواب الفوري هو فصله من وظيفته .. وطرده من جهاز الدولة .. وتشريده في الشارع .. أو على الأقل يقومون بطرد بناته من مدارسهن .

ليت بعضهم ـ ياصديقي ـ يكتفي بأن يكون أسيراً لجبنه وسلبيته وأنانيته .. وإنما يتجاوز ذلك إلى التخبط بين النفاق .. والرياء .. ومحاولة خداع ولي الأمر .. والتفريط في أبسط الواجبات تجاه مجتمعه .. والاستخفاف بالمصالح العليا للوطن .!

فنرى نماذج عجيبة من هذه الطبقة .. تضع «المشالح» الأنيقة على أكتافها .. وتسعى لدى ولاة الأمر بالتملق المقيت .. إياه .

ـ والله يا سمو الأمير .. كل شيء على مايرام .. ماشاء الله ! .

ـ والله يا معالي الوزير .. لقد عشت في أمريكا وأوربا أعواماً طويلة .. ولم أر منجزات بهذا المستوى .. ماشاء الله .

ـ والله يا سعادة الرئيس .. أنا لا أكاد أتصور الادارة بدونك .. ماشاء الله .. تبارك الله .!

ها أسرد .. عليك ـ ياصديقي .. على سبيل المثال .. ما يعانيه .. رؤساء البلديات .. من كثير من الذين ينتمون ـ حقيقة ـ إلى نخبة المثقفين .. ماذا .. وعن ماذا يتحدثون مع رؤساء البلديات ؟! .

هل .. نفتح يا صديقي .. ملفات الاستعراض .. والبذخ .. والادعاء ومظاهر الاستهلاك الترفي وانخفاض معدلات الاداء (إذا كانت الوظيفة حكومية طبعاً !) .. وظاهرة الهروب .. بالسفر إلى خارج الوطن .. واختلاق المناسبات .. وافتعال الانتدابات .. والانسياق ـ بقدر ما تسمح لهم امكاناتهم «في الوقت الحاضر» .. على الأقل لأنماط السلوك البذيء .. لبعض رجال الأعمال .. الذين حرموا ـ في الواقع ـ مما وهب الله هذه النخبة المثقفة من تعليم راق وثقافة جيدة .. واطلاع واسع .. وفكر نير .. ورؤيا .. واستشراف .. ووعي وقدرة على النمو .. ومقدرة على التطوير .

لا .. ياصديقي .

لا .. ياصديقي .

هذا يكفي .. هذا يكفي .. ولو لهذه المرة فقط ! .

ولكني أخشى .. وقلبي على يدي ! ـ ياصديقي ـ أن يصحو المجتمع .. على الحقيقة القبيحة المؤلمة .. وهي : أن عدداً لا يستهان به من أبنائه .. قد خذلوا آماله .. واغتالوا أحلامه .. وخيبوا ظنه .. وفجعوه .. وما كانوا رموزاً مضيئة .. ولا مشاعل هادية .. ولا يفرحون .!

وإنما أصبحوا .. عبئاً عليه .. وليسوا اضافة جيدة .. ومطلوب منه ـ ليس أن يتقبلهم فقط ـ وإنما أن يمنحهم ثقته واحترامه .. وأن يهيىء لهم المراكز والوظائف والامتيازات .. وأن يصرف عليهم .. ويغدق لهم .. ويدللهم .. وأن يستمر في الاعجاب بهم .. والتصفيق لهم .. وتسليط الأضواء عليهم .. بدون مبرر .. ومن غير مقابل .

وهنا سنواجه «كارثة» مزدوجة .. لا قدر الله ! .

مجتمع يدير ظهره .. ولاعبون ـ إن قدر لهم أن يلعبوا ـ ولكن في الوقت الضائع .. وبلا جمهور .!

● ● ●

وبقيت ياصديقي .. كلمة أخيرة .. أقولها بكل صدق وتجرد .. وليست «تغطية» ولا غباراً .. ولا ذراً لرماد .. ولا درءاً لهجوم .. مرتقب !! .

إن هذا الشاهد «اللي ماشفش حاجة» نحبه .. ونحرص عليه .. ولم نفقد الثقة فيه .. ويظل ـ هو ـ وجماعته .. أغلى ما في هذا الوطن .. وأعز ما فيه .!!

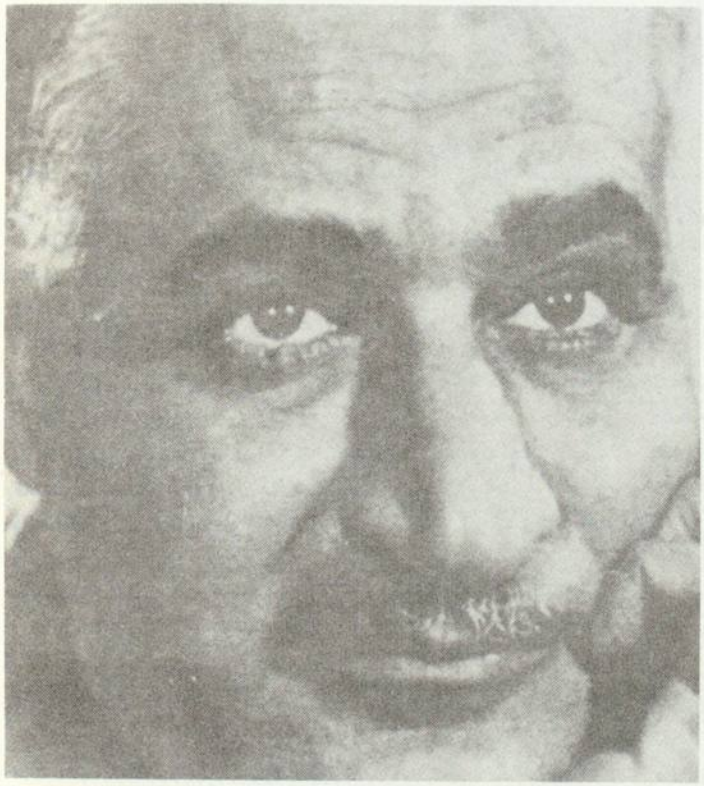
انهم دعامته الحقيقية .. مناط أمله ، ومقعد رجائه ومصدر عزته .

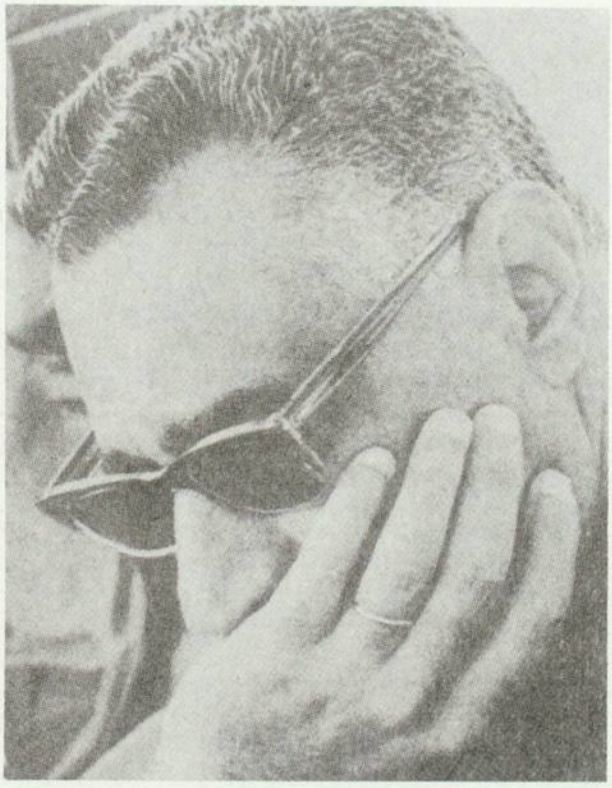
وليس البترول .. أو الذهب .. أو كتل الأسمنت التي تنتصب في مدننا ، أو حتى كل مليارات أوراق البنكنوت التي تملأ خزائن مؤسسة النقد .. انهم الثروة الحقيقية .. بلا ريب .!

ودونها كل كنوز الدنيا بأسرها ! ولا نريد أن نراهم إلا أعلياء .. متميزون .. ومميزون ـ ولكن بالجدارة والاستحقاق .. وبأحجامهم الحقيقية .. بالعلم ، والثقافة ، والمعرفة ، والفهم والحماس ، والمبادرة ، والسلوك «القدوة» ، والاسهام الحقيقي والايجابي لبناء الوطن واستشراف المستقبل .. و «انتزاع الغد من رحم اليوم .. وطرح الحلم بين يدي الناس ليتحول الى حقيقة » ، والتعبير لليمامة ـ مع الاعجاب .

محمد سعيد طيب
السعودية

عن اليمامة ، عدد ٧٣٧





عبد الناصر والألمان

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

يكشف هذا المقال الهام بعض المعلومات المثيرة والجديدة حول فترة دقيقة فى التاريخ العربى المعاصر ، و « الدوحة » تدعو إلى مناقشة الموضوع والتعليق ـ بالموافقة أو بالتصحيح ـ على ماجاء فى هذا المقال من آراء ومعلومات ، وخاصة من جانب الذين عاشوا بالقرب من الدائرة التى وقعت فيها هذه الأحداث ، وهم كثيرون ، ومازال عدد كبير منهم مشتركاً فى الحياة العامة ، من بين الذين كانوا فى مواقع المسئولية فى عصر الزعيم العربى الراحل جمال عبد الناصر :

إذا كان لبريطانيا العظمى أو لفرنسا وجود استعمارى فى الشرق الأوسط فان الدول الأوروبية الاخرى كان لها باستمرار محاولات للوجود فى الشرق الأوسط ، ومحاولات لمنافسة بريطانيا وفرنسا فى هذا المجال .

وبالنسبة لألمانيا على التحديد ، فان لألمانيا كان لها مستعمرات افريقية فى وسط القارة قبل الحرب العالمية الأولى ، وكان لها دائماً محاولات فى حركة الكشف عن منابع النيل ، وفى الاتصال بالساسة الوطنيين ، والحكام والثوار ، من كل الاتجاهات. فقد اتصل الألمان بفاروق وبحزب الوفد المصرى واتصلوا برشيد عالى الكيلانى « فى العراق » واتصلوا بالحاج أمين الحسينى « فى فلسطين » ، وهناك إشارات تدل على انهم اتصلوا بثورة ١٩١٩ فى مصر عن طريق قنصل ألمانيا فى الاسكندرية . وكانت سكرتيرة سعد زغلول باشا « زعيم ثورة ١٩١٩ فى مصر » .. كانت هذه السكرتيرة ألمانية واسمها « فريدا » .

وكان للألمان وجود فى مصر منذ القرن الماضى وأوائل هذا القرن أيضاً . فقد كان منصب مدير دار الكتب فى القاهرة متروكاً



عزيز المصري



الحاج امين الحسيني



السلطان عبد الحميد



فرانكـــو

للألمان ، وكان هناك اتفاق حول هذا الأمر ، فكان الألمان يشغلون هذا المنصب باستمرار، وفى تلك الفترة ، فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن ، كان هناك ضباط ألمان فى مصر ، وعندما حوصرت مديرية خط الاستواء وتم قطع اتصالها بالعاصمة المصرية ، كان الذى يحكم هذه المديرية هو الضابط الألمانى « شفيتزر » الذى أسلم وسمى نفسه باسم « أمين بك » ، وكان طبيباً بالجيش المصرى ، وقد تزوج من إحدى بنات مديرية خط الاستواء ، واسمها « فريدة » ، وانجب منها ، وعاش فى الحصار ١٣ عاماً متواصلة .

وكان من الطبيعى أن يعمل الألمان على الاتصال بجمال عبد الناصر ، بعد أن ظهر ، كشخصية سياسية مؤثرة فى المنطقة العربية وفى الشرق الأوسط وفى العالم الثالث كله .

ولقد ظهرت كتابات كثيرة فى الغرب ، وفى أمريكا بالذات عن الاتصالات بين الألمان وعبد الناصر . ولا يمكن أن ننزه أصحاب هذه الكتابات عن الغرض ، فبعض هؤلاء الكتاب متعاطف مع اسرائيل وبعضهم خاضع لها خضوعاً كاملا ، وليس من المبالغة أن نطلق على هذا النوع الأخير من الكتاب اسم « عميل اسرائيلى » ، وهذا كله يؤثر فى نظرتهم إلى عبد الناصر وإلى الألمان وإلى العلاقة بين عبد الناصر والألمان . فوجهة النظر السائدة عند هؤلاء هى وجهة النظر الاسرائيلية المعادية لعبد الناصر والألمان معاً . ومن هنا كان من الواجب أن نميط اللثام عما يكتبه هؤلاء الكتاب لعلنا بذلك ندفع من بقى من رجال ثورة يوليو إلى بذل الجهد فى الرد على هذه الكتابات ، وتصحيح ما قد تتضمنه من أخطاء أو افتراءات ، فالهدف من الكتابة هو تقجير الموضوع وإخراجه إلى الضوء والوصول إلى وجه الحقيقة فيه .

عدو عدوك

كان العرب دائماً ينظرون إلى ألمانيا تحت شعار « عدو عدوك هو صديقك » ، وذلك فى فترة الاحتلال البريطانى الفرنسى للبلاد العربية ، فمنذ مطلع القرن العشرين كان القيصر « غليوم » امبراطور ألمانيا صديقاً للخليفة العثمانى « عبد الحميد » ، ولم يختلفا أبداً إلا حول موضوع واحد هو : موضوع اليهود فى فلسطين ، حيث طلب « غليوم » أن يكون وسيطاً بين الخليفة العثمانى وبين اليهود ، وقوبلت وساطة « غليوم » بالرفض المطلق من العثمانيين ، وقد قام غليوم بزيارة للقدس وتصور أن هذه الزيارة سوف تتيح له النجاح فى وساطته ، ولكنه فشل فى الأمر فشلا نهائياً . ثم دخلت ألمانيا القيصرية الحرب العالمية الأولى ، وقد وجدت بريطانيا فى ذلك فرصة لدفع تركيا إلى الدخول فى الحرب فى صف الألمان ، وبذلك تورطت تركيا فى هذه الحرب ، وكانت بريطانيا تخطط لاقتسام أملاك الدولة العثمانية بعد أن تنتهى الحرب بهزيمة ألمانيا وحلفائها وعلى رأسهم تركيا . وقد قرر جمال باشا « المسمى بالسفاح » ، وهو أحد كبار القادة العثمانيين ، هذه الحقيقة فى مذكراته ، فقد كانت تركيا فى الأصل أميل إلى بريطانيا ، ولكن طمع بريطانيا الواضح فى أملاك الدولة العثمانية ، دفع تركيا إلى الوقوف مع ألمانيا ضد بريطانيا .

وموقف « عدو عدوك هو صديقك » كان من المحركات الرئيسية للعلاقة بين عبد الناصر والألمان ، والعلاقات الناصرية ـ الألمانية هى « مرادف سياسى » لعلاقة عبد الناصر بروسيا ، وقد لجأت بريطانيا مع عبد الناصر لكى « تفك » العلاقة بينه وبين الألمان والروس معاً ، إلى نفس الأسلوب الذى لجأت إليه من قبل مع الأتراك والعرب .

ففى سنة ١٩١٤ ، دفعت بريطانيا بتركيا إلى دخول الحرب العالمية الأولى لانهاء علاقة تركيا بألمانيا .

ودفعت بريطانيا بالحاج أمين الحسينى إلى الوقوف فى صف ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ، لكى تستطيع بعد ذلك ضرب العلاقات الألمانية العربية .

أما عبد الناصر فقد دفعته أمريكا « خليفة بريطانيا الأولى فى العالم » إلى حرب ١٩٦٧ ، لضرب العلاقات الألمانية الناصرية ، والعلاقات الناصرية الروسية معاً .

ومن الحقائق الثابتة أنه حتى فى فترة ازدهار العلاقات الناصرية ـ الروسية ، كان للألمان الشرقيين نصيب وافر من هذه العلاقة . فالألمان الشرقيون هم الذين أقاموا مصانع التكرير للبترول المصرى ومصانع الأسمنت وميناء الأسكندرية الجديد ومعظم مصانع حلوان .

وفى ٢٩ أغسطس ١٩٥٨ عقدت مصر معاهدة تجارية مع ألمانيا الشرقية واستهلكت ألمانيا ثلث قطن مصر فى عمليات التبادل التجارى .

وفى ٤ يناير ١٩٥٩ زار رئيس وزراء ألمانيا الشرقية مصر رغم عدم وجود اعتراف مصرى بألمانيا الشرقية . وقد أفهم عبد الناصر رئيس وزراء ألمانيا الشرقية أنه يرفض إعلان الاعتراف بألمانيا الشرقية حتى لا « يكرس » و « يثبت » تقسيم ألمانيا .

وفى نفس هذا الوقت كانت الوحدة

عبدالناصر والألمان

السورية المصرية قـــد قـامت ، وكان عبد الناصر قد دخل معركة عنيفة ضد الشيوعيين . لأسباب عديدة على رأسها معارضـــتهم للوحدة ، ووقف خرشـــوف ليصف عبد الناصر بأنه صغير السن واهوج . ورد عليه عبد الناصر بعنف شديد واكد ناصر أن هناك فاصلا يراه واضحاً بين روسيا كدولة وبين الشيوعية ، وانه يقبل الأولى ويرفض الثانية .. ووقفت روسيا موقفين مختلفين : فهى تســـاعد عبد الناصر اقتصادياً وعسكرياً بينما تقود ضده حرباً إذاعية بواسطة بعض الشيوعيين العرب من خلال راديو صوفيا فى بلغاريا .

لم تؤثر هذا المعارك السياسية على موقف الألمان ، فحرصوا على علاقاتهم مع عبد الناصر ، وكانوا يشعرون فى مصر وكانهم بين أهليهم فى أوروبا ، وكانت مصر مفتوحة الذراعين لهم ، تحاول أن تستفيد منهم ومن خبرتهم بدون « عقد سابقة » ، وكان الألمان ـ غربيين وشرقيين ـ يعلنون إعجابهم بعبد الناصر ، ويتمنون أن يكون لهم « زعيم » من نوعه ، وهنا لابد أن نذكر أن الألمـــان بعـد أن أفاقـوا من « صدمة الهزيمة » فى الحرب العالمية الثانية فقد عاودتهم من جديد تلك الرغبة الجارفة فى التصنيع وتصدير الصناعات الألمانية وإقامة مشروعات منافسة تتميز على المشروعات الغربية الأخرى فى اتقانها وأسعارها معاً .والألمانى وهو يندفع نحو التصنيع والتصدير لا يخدم نفسه أو شركته ، بل يشعر أنه إنما يخدم دولته وجنسيته ، وقد كان يغذى هذه الشهية فيه تطور الدول العربية وظهور البترول والثروة فيها ، كما كان يغريه ويسهل له الأمر أن هناك « عقداً » قديمة بين العرب وسائر دول الغرب الكبرى « بريطانيا ـ فرنسا ـ ايطاليا » ولكن هذه العقد غير موجودة مع الألمان .

كان عبد الناصر فى تلك المرحلة يؤمن شيئاً فشيئاً بجعل الاقتصاد تحت اشراف الدولة . وقد جاء الى مصر بعض رجال مال أمريكان لاستثمار أموالهم فاذا بعبد الناصر يقول لهم فى مقابلة تمت بينه وبينهم فى ٢٦ يناير ١٩٦٠ : إنه يفضل «القروض الحكومية» لتنمية بلده عن السماح للأفراد أو الشركات الخاصة باستثمار أموالها فى البلاد . وبعد أيام ، وبالتحديد فى شهر فبراير ١٩٦٠ قام عبد الناصر بتأميم بنك مصر ، ثم أنشأ «المؤسسة الاقتصادية» للسيطرة على رأس المال والتصنيع والتجارة . وظهر «لودفيج أرهارد» «قيصر» الاقتصاد الألمانى فى القاهرة ليخطب بفخر فى جمعية الاقتصاد المصرية بالقاهرة قائلا إن مصر يحق لها بعد كل ما عانته من الاستعمار السياسى والاقتصادى أن تحصل على قروض ومعونات دولية .

فى الفترة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٠ كانت ألمانيا الغربية قد قدمت الى مصر ٥٥٠ مليون مارك وأنشأت المدينة الصناعية فى حلوان ، وأقامت الأساس لصناعة الصلب «ديماج ـ ديسبورج» ، وأنشأت ١١٥ مصنعاً مختلفاً .

أما شركة «كروب» الشهيرة فقد استخرجت الحديد الخام من «أسوان» واستخرجت شركة «هوكتيف» وهى ألمانية أيضاً : الكهرباء من خزان أسوان ، وأقامت شركة ألمانية ثالثة وهى شركة «باديش» مستعمرة سكنية بمستشفى وحمام سباحة فى أسوان .. وكان التخطيط المقرر هو أن تتحول مصر بمساعدة الألمان الى «رور» جديد ، مثل منطقة «الرور» الصناعية الألمانية الضخمة فى أوروبا .

كان هناك تخطيط لتوسع أكثر عن طريق الاستعانة بالخبرة الألمانية ، فكانت شركة «سيمنس» تنوى كهربة الدلتا كلها . وكانت شركة «هتشل» تنوى تصنيع كل قاطرات السكة الحديدية . وفى يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٥٨ تأسست شركة ألمانية مصرية لتصنيع أول سيارة ألمانية فى مصر .

وكان «هينكل» صانع الطائرات الشهير قد اتفق على إنشاء صناعة طيران متطورة جداً فى مصر ، وكان «هينكل» قد أرسل بالفعل مهندسين ألمـانا ليحلوا محل الانجليز فى مصنع «دى هافيلاند» بالقاهرة لتجميع الطائرات الانجليزية .

ووقع الدكتـــور عزيز صـدقى وزيـــر الصناعة فى ذلك الوقت مع وزير الصناعة الألمانى «فون شوينبرج» فى عام ١٩٦٠ اتفاقاً لانشاء معهد ، أو مركز ألمانى مصرى للبحث عن البترول . وكان هناك تخطيط لبنـــاء بحرية ألمانيـــة عربية مشـــتركة واشترطت مصر أن ترفع السفن الألمانية علم مصر «الجمهورية العربية المتحدة آنذاك» ، وكانت الشركة الألمانية «دوتش ورفت» قد سلمت مصر فعلا باخرتين ، وتنوى تسليم مصر أربع بواخر أخرى ، وكان مخططاً لهذا المشروع أن تشترك فيه الدول العربية الأخرى ، وأن يكون المشروع أسطولا عالمياً ضخماً .

التعليم والتدريب

كانت مصر خلال ١٩٥٦ قد دربت ١٩٥ شخصاً فى «بون» ، زادوا الى ٤٠٠ شخص فى العام التالى ١٩٥٧ ، وبدأت خطة واسعة للتدريب المهنى بالاستعانة بالخبرة الألمانية ، وعلق الملحق الثقافى الألمانى بالقاهرة «كرايمر» قائلا فى وضوح :«إن كل «فننج» «أصغر عملة ألمانية» تصرفه ألمانيا على التدريب سوف يعود بفائدة ١٠٠ فننج على ألمانيا ، وسوف يساعد على توسيع النشاط الاقتصادى الألمانى الى سائر أنحاء المنطقة العربية» .

وبفضل نشاط «كرايمر» هذا زاد عدد المدارس التى تعلم اللغة الألمانية فى مصر من سبع مدارس سنة ١٩٥٦ الى ٥٩ مدرسة سنة ١٩٥٨ ثم تقررت الألمانية كلغة أجنبية ثانية ، وقد قام أستاذ ألمانى هو «كلوبفر» بوضع كتاب لتدريس الألمانية لأبناء العرب فانتشر انتشاراً رهيباً . وأرسلت وفود المدرسين المصريين لتعلم الألمانية بنفقة ٨٥٠ الف مارك سنوياً . كما بنى الألمان مدارس نموذجية لتعليم اللغة بالوسائل البصرية والسمعية الحديثة مع تعليم الطالب صناعات عصرية «ومازالت المدرسة الألمانية فى الجيزة من أكبر وأهم المدارس فى مصر» .

فى سنة ١٩٥٩ كان لمصر ٥٥٣٨ مبعوثاً فى الخارج منهم ٩ ٪ فقط فى جامعات روسيا ، بينما ٦٣ ٪ منهم فى جامعات ألمانية . وكان فى الجامعات الألمانية طلبة مصريون يدرسون عن غير طريق الحكومة عددهم ١٧٠٤ ، وكان عدد الطلبة الدارسين بالألمانية فى النمسا ١٣٣٠ طالباً . وعددهم فى سويسرا الألمانية ٣٥١ طالباً .

كل هذا النشاط التجارى والثقافى الذى كان الغرب يرى فيه نوعاً من الغزو الألمانى الباهر لم يقلق المراقبين الغربيين مثلما أقلقهم وجود بعض الخبراء الحربيين الألمان ، وكان حلم ألمانيا القديم دائماً هو الوصول الى قناة السويس ، واعتبر المراقبون الغربيون أن الحلم الألمانى بدأ يتحقق ، دون أن يحسبوا حساباً للوطنية العربية فى مصر ، والتى كانت ترفض دائماً قيام استعمار جديد بدلا من الاستعمار القديم ،

والتى وكانت تستعين بالخبرات الاجنبية دون أن تفقد حساسيتها الشديدة لوطنيتها العربية الحريصة على الاستقلال . ولكن الغرب عنده عقدة قديمة ضد ألمانيا ، إذ يعتبرها سريعة الاختراق لجيوشه وأراضيه ، وأنها فى لحظة ، تستطيع تعويض سنوات طويلة ، ولقد كانت صيحة غليوم فى الحرب العالمية الأولى هى «الاتجاه نحو الشرق» وكانت هذه الصيحة هى نفسها صيحة روميل فى الحرب العالمية الثانية .. وها هم الألمان فعلا فى الشرق . فهل كسب الألمان ـ أخيراً ـ الحرب العالمية الثانية وخسرها الانجليز والأمريكان ؟ ... ذلك كان هو الاطار الذى يدور فيه التفكير الغربى من خلال التعاون الألمانى ـ العربى دون أن يحسب الغرب حساباً للحقيقة التى تؤكد أن العرب بدورهم حساسون بشدة إزاء النفوذ الأجنبى ، ولا يمكن للعرب الذين ثاروا على النفوذ الغربى القديم أن يقبلوا بنفوذ جديد . ولكن التحليل الغربى للأسف كان كثيراً ما يلغى دور المشاعر الوطنية العميقة .

على أن ما كان يزيد من خوف الغرب هو أن جمال عبد الناصر كان يقول : «إننى أحب ألمانيا . فهى لم تشترك أبداً فى استعمار مصر «ولا أى جزء من البلاد العربية» .

ضد العرب وألمانيا

وكانت هناك دائماً مقارنات تدور حول الوحدة العربية والوحدة الألمانية «فى كتابات ساطع الحصرى وغيره» ، وقد قيل أيضاً إن الغرب يواجه الصحوة العربية بنفس العنف الذى واجه به الصحوة الألمانية ، وأن العنصر الذى يغذى عداء الغرب لألمانيا والعرب معاً هو اليهود .

وقد استغلت الصهيونية الموقف فى الغرب فاقامت دعايتها ضد العرب على أنهم يحاولون تقليد ألمانيا النازية فى تفكيرهم وعدائهم لليهود ، بل أخذ الاعلام الصهيونى يثير مخاوف الغرب من صحوة العرب ، وأن هذه الصحوة سوف تنتهى بافتراس الغرب نفسه إن لم تتحرك أوروبا وأمريكا ضد هذه الصحوة .

ومما زاد فى هواجس الغرب ضد العلاقات الألمانية العربية ، ما جرى فى الحرب العالمية الثانية ، ففى أثناء الحرب كانت هناك مظاهرات تهتف «الى الأمام يا روميل» ، كما كان فاروق يتصل بالألمان ، وكان علي ماهر ، السياسى المصرى البارز ، وأحد المقربين الى فاروق ينقل الخطط الحربية الى الطليان حلفاء ألمانيا ، وكان رشيد عالي الكيلانى فى العراق ثائراً ضد الانجليز وكان يقف فى صف ألمانيا ، وكان الضباط الأحرار قد بدأوا الاتصال بالألمان فعلا وطار منهم طياران الى المعسكرات الألمانية ، وحاول الضباط الأحرار تهريب عزيز المصرى الى الألمان وسقطت الطائرة أثناء المحاولة .

منذ هذه المحاولات أثناء الحرب العالمية الثانية والألمان لهم مكانتهم الطيبة فى نفوس العرب . وقد بقى كثير من الأسرى الألمان فى مصر ، واستوطنوا فى الريف وتزوجوا فى منفاهم الاختياري بمصريات .

خلف أبي الهول

ولم يكن عبد الناصر غريباً عن العرب فى هذا الصدد :

يقول كتاب « خلف أبي الهول المصري » : إن عبد الناصر كان يستعين بخبير ألماني كبير فى «الجيبو ليتيكا» وهو الكولونيل «أوتو سكورزني» الضابط الألماني السابق ، وزوج ابنة «شاخت» ، وكان شاخت هو الذي أرسله إلى مصر سنة ١٩٥٣ ، وكان «شاخت» أيضاً فى ذلك الحين مديراً لبنك «دسلدورف» وقد جعل من أهم أهدافه تنشيط التجارة مع العرب .

وسكورزنى هذا هو الضابط الألمانى الذي أشرف على عملية انقاذ موسوليني من الأسر أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت هذه العملية إحدى المغامرات الكبرى التى تتضاءل أمامها مغامرات جيمس بوند .

في ١٨ مايو سنة ١٩٥٩ كما يقول كتاب «خلف أبي الهول المصري» كان «سكورزني» هذا ذاهباً إلى ايرلندا ، فتم منعه من الدخول إلى لندن أو النزول فى مطارها ، ولكنه واصل الرحلة حتى استطاع أن يصل إلى «دبلن» حيث اشترى مزرعة كبيرة خارج العاصمة الأيرلندية وجعلها ـ كما يقول الكتاب السابق أيضاً ـ مقراً للاتصال بين القاهرة وبون .

في القاهرة كان «سكورزني» يتستر خلف شركة تصدير واستيراد ، وكانت أول صفقة حقيقية قام بها «سكورزني» هي استيراد أسلحة من أسبانيا فى عهد «فرانكو» ، وكانت هذه الأسلحة تناسب العمليات الفدائية السريعة ، كما جلب إلى مصر عدداً من المستشارين البحريين فى مجال الغواصات .

وكان هدف «سكورزني» ، كما يقول كتاب «ابى الهول» هو المساعدة فى إنشاء جيش تحرير ينطلق من مصر ضد اسرائيل . وقد مد «سكورزني» ـ من خلال مصر ـ نشاطه لمساعدة ثوار الجزائر ، وتخصص أربعة من مساعديه فى هذا الميدان واتخذ كل منهم اسماً عربياً . من بينهم «بومان» الذي تسمى باسم «علي بن خاضر» و «ويلي برز» الذي تسمى باسم «بن كاشر» و «كارل لودر» المسمى «عبد القادر» .

ولهذا الكتاب : «خلف أبي الهول المصري » مؤلفان هما : «سيدار» و «جرينبرج» ، وقد امتلأ هذا الكتاب بكثير من المزاعم حول المساعدات والخبرات التى قدمها الألمان إلى مصر فى عصر عبد الناصر وأهم الأسماء الأخرى التى يذكرها فى مجال المساعدات الألمانية هو « الدكتور ولهلم فوس » المدير السابق لمصانع «سكودا» الألمانية ، وقد تولى فوس ، فيما يقول الكاتبان ، الاشراف على كثير من المصانع المصرية منها مصنع الصلب «ديماج» فى «حلوان» وكانت خطته هي إنشاء تسليح لمصر ، بالاشتراك بينها وبين مصانع «الرور» الألمانية ، وقد استعان «فوس» بشخص آخر هو « ورنر نومان » الذي انشأ شركة «لوخت» للتصدير والاستيراد ، وذلك لتنشيط التجارة الخارجية المصرية ، وكانت معظم المعاملات المالية لهذه الشركة ممولة من « بنك دسلدورف » الذى كان يديره « الدكتور شاخت » . وقد اعتقل «نورمان» هذا فى أوائل الخمسينات فى «بون» بتهمة تدبير انقلاب ضد حكومة ألمانيا الغربية .

ويزعم هذا الكتاب « وهو زعم ينبغي أن يؤخذ بحذر شديد » أن « فوس » الألماني هو الذي وضع الخطط المفصلة لصفقة الأسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ ، وذكرت مجلة «دير شبيجل» أن «فوس» هو الذي تفاوض مع المندوبين التشيك الثلاثة « برانتل ـ كوستردم ـ نوهيز » ، وكان «فوس» وكذلك «سكورزني» السابق ذكره وثيقي الصلة بالبروفسور ، «هالستين» المستشار الخاص «لاديناور»

عبدالناصر والألمان

الذي كان أول حاكم لألمانيا الغربية بعد الحرب الثانية . وقد أصبح «هالستين» بعد ذلك رئيساً للسوق الأوروبية المشتركة .

وكان من بين آمال هؤلاء الألمان ، وعلى رأسهم «سكورزني» أن ينشئوا مع عبد الناصر ومفتي فلسطين والجامعة العربية «في أوائل الخمسينات» سوقاً اقتصادياً مستقلة للعالم الثالث تمتد من برلين إلى مدينة الكاب إلى نيودلهي مروراً بالشرق الأوسط كله ، وعلى رأسه البلاد العربية .

ومن بين الألمان الذين حاولوا أن يلعبوا دوراً في مصر في عهد عبد الناصر «الدكتور جروبا» ، وهو شخصية لها تاريخ سابق على ظهور عبد الناصر . وكان الدكتور «جروبا» سفيراً لألمانيا في بغداد أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهو في الأصل مستشرق ألماني لامع جداً وقد اعتنق الاسلام فعلا . وكان يعتقد أن أمين الحسيني وعبد الناصر وسكورزني هم أمثلة للشخصيات التي تفنى حياتها ومطامحها الشخصية في سبيل هدف هو الوطن والمصلحة الوطنية . وعندما كان سفيراً في بغداد ساعد مساعدة كبرى في إطلاق ثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانجليز ، وعندما فشلت ثورة رشيد عالي ، خرج مع رشيد ومفتي فلسطين وعاش الثلاثة في برلين ، وكان جروبا دائم الاتصال بالسفراء الألمان في كل أنحاء البلاد الاسلامية . وبعد هزيمة ألمانيا في نهاية الحرب الثانية ، اشتغل «جروبا» رئيساً لقسم الشئون العربية في وزارة الخارجية الروسية ، وكان له دور كبير في التقريب بين عبد الناصر والروس كما ساهم في محاربة الأحلاف الغربية .. ونذر حياته لاستئصال النفوذ الغربي من الشرق الأوسط .

ومن الشخصيات الألمانية الأخرى التي حاولت أن يكون لها دور في مصر شخصية «الدكتور البرت ديجنر» ، وكان يعمل بعد الحرب رئيساً للغرفة التجارية الألمانية الأمريكية في نيويورك ، وقد طرد من أمريكا، فاتجه إلى مصر وأقام فيها ، وأنشأ غرفة تجارة وصداقة بين مصر وألمانيا . وقد أحضر معه إلى مصر مهندساً ألمانياً عبقرياً هو «جورج بورج» الذي سبق أن صنع قنبلة ٧ الرهيبة التي كادت تبيد لندن في الحرب العالمية الثانية . وكان عند «بورج» مشروع يريد تنفيذه في مصر هو ري الصحراء الغربية وتحويلها إلى خزان مياه. وقد طور مشروعه بعد ذلك واختصره إلى مشروع «منخفض القطارة» وقدمه كمشروع مشترك بين ألمانيا ومصر . ولكن المشروع الأصلي له كان مؤسساً على مياه النيل ، وكان هدفه الأخير هو تخصيب وزراعة الصحراء الغربية . وقد كان هذا الألماني «بورج» مفتوناً بالصحراء ، ومحاولة استغلال كنوزها ، وقد جذب معه في مجال إصلاح الصحراء الغربية واستغلال خزان أسوان العبقري الألماني الشهير «مسر شميت» الذي صنع الطائرة الألمانية الشهيرة المعروفة باسمه ، وكانت اسرع طائرة في عصرها ، وقد استفادت معظم الطائرات الحربية التي ظهرت بعد ذلك من فكرة الطائرة « سرسميت » .

ومن هؤلاء الألمان الذين حاولوا أن يلعبوا دوراً في مصر في عهد عبد الناصر «فون ليرز» الذي أسلم وأسمى نفسه باسم «عمر أمين فون ليرز» ، وقد كتب في ٢٩ مايو سنة ١٩٥٣ مقالا في مجلة «دتشلنا دريف» يمجد فيه تسامح العرب والمسلمين وبعدهم عن التعصب واحترامهم لألمانيا والألمان . وتنبأ في هذا المقال بأن الألمان يوماً ما سوف يعتنقون الاسلام اعتناقاً جماعياً ، ويذكر في مقاله أن الوفاً من الألمان الهاربين من ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية قد قوبلوا بالترحاب والاكرام والمعاملة الكريمة بين المسلمين والعرب ، وقام في مقاله بتعديد فضائل الاسلام ، وبساطته واعتماده على كلمة أساسية ومبدأ رئيسي هو « التوحيد » ، وأكد أن هذه الصيغة التوحيدية البسيطة المركزة الواضحة لابد أن تعكس ظلها على العالم كله في يوم قريب .

نعود إلى «فون ليرز» لنقول إنه قد عمل في مصر في مجال الاعلام ، وتوسط في عقد اتفاق بين مصر وشركة «مانهايم» الألمانية لانشاء أقوى محطة إذاعية في الشرق الأوسط . وكان مأمولا أن تغطي هذه الاذاعة أفريقيا وآسيا جميعاً .

وكان «فون ليرز» يعيش في مصر في سرية كاملة ، حتى أنه في عام ١٩٥٦ ، عندما اكتشف وجوده صحفيان غربيان هما «وليام ستيفنسون و «آن شارلي» ، قام عبد الناصر بطردهما بحجة أنهما حاولا مقابلة محمد نجيب «المحددة إقامته في بيته دون إذن » .

من الناحية الفكرية يتجه كثيرون من الباحثين الغربيين إلى تأكيد الأثر الألماني في فكر عبد الناصر ، وعلى سبيل المثال فقد أدخل عبد الناصر على السياسة العربية والعالمية بعض تعبيرات لم يقبلها العالم من الألمان ، ولكنه قبلها من عبد الناصر ، ومن هذه التعبيرات قول عبد الناصر : «إن الحرب هي امتداد للسياسة » ، وهو القول نفسه الذي اعتمدت عليه نظرية الجنرال الألماني «كلوزوتز» . كذلك فان مبدأ العالم الثالث ومبدأ الحياد الايجابي كانا ممادعا إليه البروفسور الألماني «هوسهوفر» ، ويسمون نظريات « هوسهوفر » في ألمانيا باسم المدرسة الشرقية في الفكر السياسي . والتطبيق العملي لهذه المدرسة يعتمد على عدة خطوات حاول عبد الناصر أن يمضي على هداها ، باقتناع لا يستطيع أحد أن ينفيه ، وهذه الخطوات هي :

١ ـ أن تصادق الغرب وتخطب وده ، لتحصل على معونات وتبني قوتك ، ولكن خلال هذا حاذر من إغلاق الباب في وجه القوى العالمية الأخرى .

٢ ـ ثم بعد ذلك ينبغي التحول إلى مركز وسط بين القوى العالمية الكبرى .

٣ ـ لابد من استغلال الوقت حتى يمكن التخلص من أية محاولة لسيطرة التحالفات العالمية العظمى . ولا يمكن مواجهة هذه التحالفات إلا وأنت عملاق .

كل هذا درسه عبد الناصر واستفاد منه ، ولا شك أن أفكار عبد الناصر هنا لم تكن مجرد صدى للأفكار الألمانية ، فلقد كانت له استقلاليته الفكرية ، ولكن الأفكار الألمانية لعبت دوراً في تشكيل هذا الفكر المستقل .

وليس هناك سرعة نضوج مثل سرعة نضوج أفكار عبد الناصر في ذهنه . ورغم هذه السرعة فانه كثيراً ما كان يضطر إلى تقديم برنامجه عن موعده : فقد قدم موعد تأميم القناة عام ١٩٥٦ عندما اصطدم مع دلاس فحقق نصراً وطنياً خيالياً بتأميم القناة . ولكنه عندما قدم موعد اصطدامه باسرائيل أو سمح لهم بتقديم موعد الاصطدام تعرض لنكسة كبيرة . وأغلب الظن أنه لو لم يتعجل هذا الصدام أو بالأحرى ، لو لم يضطر إلى التعجيل ، لحقق نصراً وطنياً خيالياً آخر .

من خلال هذا كله يبدو من الغريب أن يسارع عبد الناصر إلى قطع علاقاته بالألمان ، في وقت كان يستطيع أن يواصل فيه طريقه في الاستفادة القصوى من خبرتهم وكراهيتهم الكامنة للدول الغربية الأخرى « بريطانيا وفرنسا وأمريكا » وما لهذه الدول من سياسات مختلفة .

ولا شك أن عبد الناصر قد اضطر إلى هذا الموقف تحت ضغط ظروف صعبة ، وهو ما يحتاج إلى دراسة أخرى .

د. السيد فهمي الشناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز التراث الشعبي
لدول الخليج العربية

THE ARAB GULF STATES FOLKLORE CENTRE
CENTRE DE PATRIMOINE POPULAIRE DES PAYS ARABES DU GOLFE

دعوة الى كافة الفنانين العرب
للمشاركة فى مسابقة تصميم شعار للمركز

يسر مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية أن يتوجه بالدعوة الى كافة المبدعين العرب فى مجال الفن التشكيلي والمشتغلين بكافة أنواع الرسم والخط ، للمشاركة فى مسابقة فنية لتصميم شعار خاص بالمركز حسب المواصفات والشروط التالية :

اولا ـ مواصفات التصميم المطلوب :

١ ـ أن يعبر عن المركز ، كمؤسسة خليجية مشتركة ، تعنى بالتراث الشعبى للمنطقة المتمثل فى فنون الأدب الشعبى ، العادات والتقاليد ، الموسيقى وفنون الغناء والرقص الشعبى ، الحرف والصناعات الشعبية .
٢ ـ أن يكون دالا على هذا التراث ، ومستوحى من أحد جوانبه الغنية . خصوصاً ما أعطته الثقافة المادية الشعبية المتمثلة فى كل ما أنتجه الفنان الشعبى بمجالات الرسم والنحت والتصوير ، وما ابتدعه من فنون معمارية ووحدات زخرفية ، وما انتج من أدوات ومعدات استلزمتها طبيعة الحياة البسيطة على مر العصور .
٣ ـ أن تكون فكرته جديدة ، وتنفيذها مبتكر ولم يسبق طرحه أو تداوله بأى وسيلة من وسائل النشر على اختلاف أنواعها .
٤ ـ أن يكون بسيطاً ، وقابلا للتنفيذ الفني بواسطة الطبع والحفر والنحت والتجسيم الهندسي .
٥ ـ يفضل أن يكون الشعار بلونين فقط .
٦ ـ أن يستوفى جميع الأصول الفنية الحديثة المتبعة فى تصميم الشعار .

ثانياً ـ شروط الاشتراك :

١ ـ يحق لأى مشارك تقديم أكثر من تصميم واحد .
٢ ـ ينفذ التصميم على الورق المقوى الخاص بالرسم قياس ٥٠ × ٤٠ سم أو ما يقارب ذلك . على ألا يذكر على التصميم اسم المتسابق أو ما يدل عليه ، ويكتب الاسم والعنوان البريدى ورقم التليفون على قصاصة منفصلة ترفق بالتصميم .
٣ ـ يمنح التصميم الفائز جائزة مالية قدرها ستة آلاف ريال قطرى أو ما يعادلها ، تدفع بعد اعلان نتيجة المسابقة .
٤ ـ التصميم الفائز يعتبر ملكاً دائماً للمركز يستخدمه فى كافة أغراض عمله وبالشكل الذى يراه مناسباً ، وتسقط تبعاً لذلك جميع حقوق الملكية الفنية ، العائدة للمصمم .
٥ ـ جميع الأعمال الفنية التى لم تفز لا ترد الى أصحابها ، ويحتفظ المركز خلال شهر واحد من تاريخ اعلان النتائج بحقه فى أولوية الاستفادة من أى منها فى أغراض فنية أخرى خاصة بمجال عمله ، وذلك مقابل مكافاة مالية يتفق بشأنها مع المصمم .
٦ ـ ستشكل لجنة تحكيم خاصة بمستوى فني رفيع ، لتقييم الأعمال المشاركة .
٧ ـ تعلن نتائج المسابقة فى أواخر شهر مايو ١٩٨٣ م بواسطة النشر فى الجرائد والمجلات والاذاعة والتليفزيون .
٨ ـ آخر موعد لقبول الاشتراك هو مساء يوم السبت ٣٠ ابريل ١٩٨٣ م .
٩ ـ ترسل التصاميم المشاركة الى العنوان التالي :

مسابقة تصميم الشعار
مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية
الدوحة ـ ص . ب ٧٩٩٦
دولـة قطـــر

المُرَقّش في رحلته الأخيرة

شعر : عبدالرحيم عمر

« ولما أيقن المرقّش الأكبر ان المرض قاتله ، وان مولاه الهُذَلِيّ قد صمم على التخلي عنه ، كتب بالسر أبياتاً على رحل ذلول الهذلي ، تروي قصته ، وتطالب بالاقتصاص منه ، ومضى في رحلته باحثاً عن سلمى » .

ساهمٌ وجه المساءْ
وعواءُ الذئب يدنو ثم يناَى
ما الذى تبغيه يا أطلس ؟ ما هذا العواءْ ؟
مبهمٌ أنت ، كما وجه الهذيليّ ، توارى العذر فيه والاخاءْ .
فهو يبكيني ويبْغى أجَلِي
وأنا أرثى له من قسوة المستقْبَلِ
وكلانا مكثرٌ من ذكر حب .. وحبيبٍ .. ووفاء

• •

يا لأحزان المرقّش !
ها هو اليوم الذي ما عاد فيه قِرْن طعنٍ أو نزالٍ أو دهاءْ
وعلى المفترق الدّامِي :
عواء الذّئب ، والغدر ، ووجه الفارس الكابي الذّليل
حائرٌ بين التباكى والبكاءْ

• •

ساهمٌ وجه المساءْ
يتوازى فيه خطّان نقيضان : بقائِي والفناءْ
غير انّى لن أكونَ البادئَ الغادرَ
مهما شطّ هذا العالمُ الحافلُ ،
فا ضُيّقَ أو احتلّ
واضحى ساعةً يعدم فيها الشّرفاء .

• •

شرف الموقف عبءٌ
دونه قد يظهر العمرُ عناءً عاقراً ،
أو سطوراً مبهماتٍ من رمالٍ ودماءْ
أو كتاباتٍ على صفحة ماءْ
فاذا مال بنا الدرب وأبعدنا عن المسرى النّبيلْ
جاز أن نصرخ فى وجه المساء
فمن الأجدر بالدرب النبيلْ .
ومن الأجدر أن ينقل للباقين بالدمّ ، ونبضُ
الموت ، منا ذلك العبء الثقيلْ ؟

• •

يا لأحلام الصبايا ، ومراثى الشعراء !
كيف تبكينا ووجه الفرح الكاذب يكسو الصّفّ
والسّعف وأحلام النّخيل ؟
أى ركب نصفُهُ مؤتمرٌ بالبعضِ
والحادي أحاديه من البُغْضِ
وحظ الرحلة المنكود مرهونٌ بأحقادِ
ذليلٍ طامعاتٍ بذليلْ ؟
أىّ شاراتٍ وثاراتٍ إذا ما هبّت الرّيح
ولا نقشٌ على صخْرٍ
ولا خطٌّ على قبرٍ
ولا من يرسل الصوت ينادي : يا لثارات القتيلْ !

• •

ما الذى نملك أن نبقي
سوى وشم دماءٍ باهتات اللّون
من سيفٍ سوى سيف المروءات تسيل

• •

فليكن يا هذليُّ !
إمض فى أمرك ، هذا زمن الأنذالِ
يستلّون عين الشمس مِنْ جَفْن الأصيلْ
غامت الدنيا فلا مؤلَى يوالي أو وليّ
كلنا السارق عين الشمس ، كل شُرَطِيّ
يسرق الفرحةَ ، والبسمةَ ، والفاتنةَ الحلوةَ ،
والقانونَ ، والدستورَ .. كلٌّ هُذَلِيّ
قاتلٌ ، دون قتالٍ ، وقتيلْ !

• •

منعم بالوجد والشوق وهذي الجَسْرَةُ الوجناءُ
ما أوْهَنَها وَخْدٌ ، ولا أنهكها طولُ الرّحيلْ
والمدى يُغْري
وسلمى خلف ساجي الأفُقِ تُعْطينا الاشارَهْ
هو « يعقوبُ » سعيدٌ بالبشاره
يرفع الراية ، يجرى ، مثلما يجرى من الركب الدليلْ
فانْفَقي قبل انفجار اللحظة السوداء فى صُمِّ الصّحارى
وَضَح الأمر ، ودقّت ساعة الصفر ، وباحت بالقرارْ
والسويعاتُ الأخيرات اختصارٌ لمسَارِ التجرِبَهْ
آه ما أعجبها من تجرِبَهْ !
تارة يركلُها المرء لتناى
ومرارا يشتهى ضارعا أن تجذِبَهْ
ولقد يُتْرَكُ ملهوفا ، مريضا ، للضوارى

• •

حلوة حتى متاهات البراري
حينما نستطيع أن نُبْصِرَ مَنْجًى لعليلْ
غير أنّا .. آه يا ذلّ المرقّش
لِمِنَ الهجرةِ في الحبّ
ومن إشراقةِ العشقِ على دنياكَ
تغدو العودةُ العزلاءُ
لو دمُّ الهُذَيْلِيِّ بديلْ ؟

••

يا رياحَ الغَدْوَةِ البكرِ ، إذا خُلّيتُ
مُسْتَنْبِحَ رِتيهٍ ، وتبرأتُ من السيفِ
تَهُبِّينَ من المجهولِ ، تاتيني بغوثِ المستحيلْ ؟
وإذا ما صَمَتَ العالمُ ، او عز « خويٌّ » يستثيرُ
الدمَّ والنخوةَ في الأهلِ ، تكونين الخليل ؟

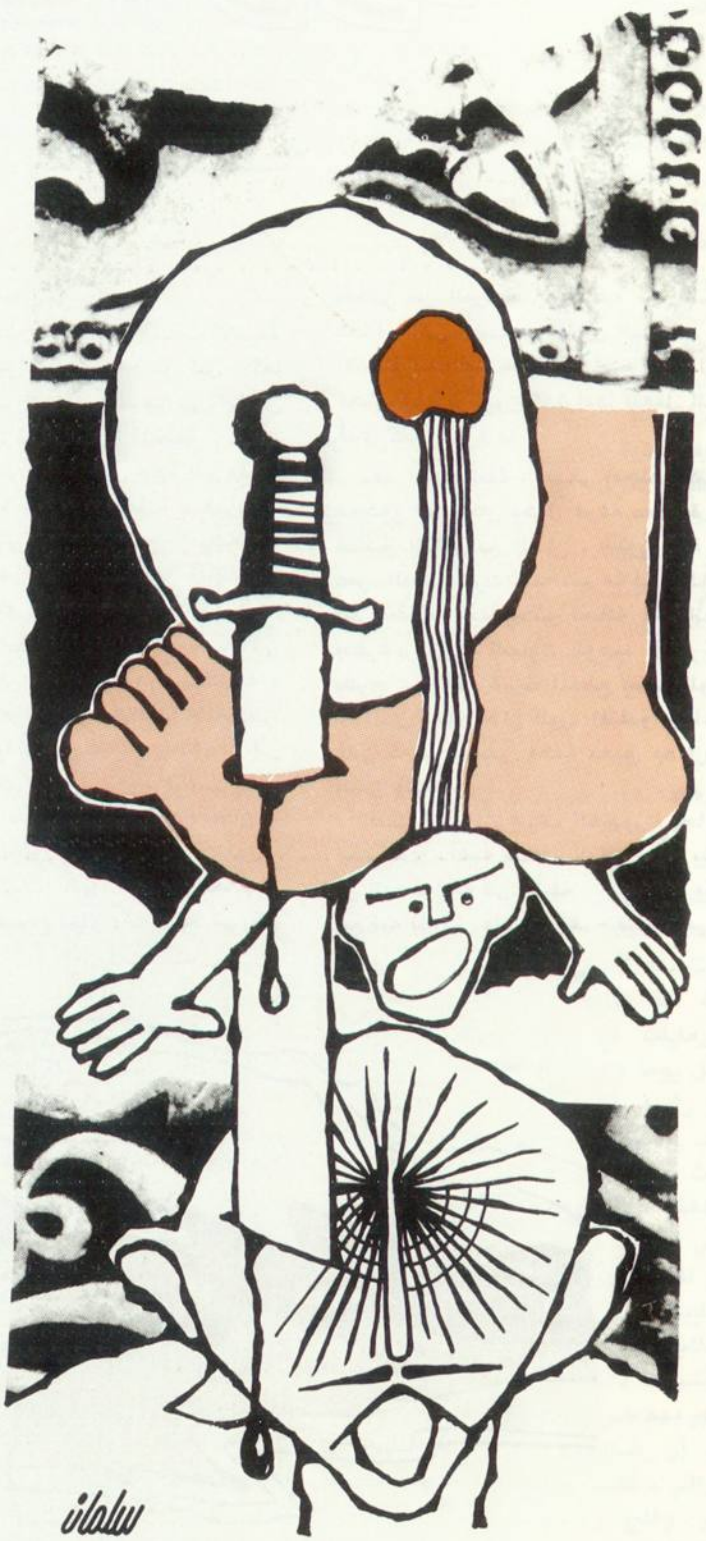
••

قفرت يا ويلتا
خيّم غول الصمتِ
صمتِ الموتِ
لا خيلٌ ، ولا نارٌ ، ولا في البيدِ رجعٌ من صهيل !
فاذِ يقوُه الرّدى
وارفعوا الراية فوقَهْ (١)
إنه الخائن للعيش وللمِلْح وللجارِ وللدارِ المُهانَهْ
والغٌ في الدم والعهدِ واقداسِ الأمانهْ
فاقطعوا الراسَ التي دبرت الأمْرَ واغرت بالخيانهْ
واطعنوا القلبَ الذي أطلق للغدر عنانَهْ
وانثروا أشلاءَه عَبْرَ المدى
فسُدًى نبلغُ من امرٍ سُدَى
إن رضينا أبدا
نلك الشرَّ الوبيلْ
وعلى صحرائنا منه المثيلْ !

••

كيفَ يجتازُ جموح العاصِفَهْ
واهنُ المنكب . مشبوبَ الهوى
بين جنبيه تنِثُّ العاطفهْ
حارقاتٌ من حنين وجَوَى
طاوياً من عمره صفحة إصرارٍ أصيلْ
راضياً من زاد دُنْيَاهُ القليلْ
مؤمناً ، مهما دنت أيّامُهُ
أنّ صدق العزم مفتاحُ السبيل !
فارحميه وذريه مؤمنا
ولو انّ المنتهى صبرٌ جميلْ !

عبد الرحيم عمر ـ عمان



هامش :

(١) كان العرب يقتلون الغادر ويرفعون علما فوق جثته للتشهير بـــه .

خان الورد

قصة بقلم : وليد إخلاصي

— ١ —

تلقى الرقيب الاحدب الذى يدير قسم الشرطة القائم فى قلب الأسواق القديمة ، اشارة جديدة عن مصرع واحد من المقيمين فى خان الورد . فحك الرجل رأسه الذى يشبه (كلة معروف) كما يحلو لرجاله أن يحكوا عنه دوماً فى غيابه ، ثم قال ببرود للشرطى الذى نقل اليه الخبر بحماسة :

« لابد انه بلاغ كاذب » .

ثم أعقب وهو ينتف شعر منخاره الضخم :

« ومن هو الذي سقط فى البئر هذه المرة ؟ » .

وعندما قام رجال الاطفاء بانتشال الجثة من البئر التى تبين للتحقيق أنها تتصل بسرداب لا نهاية له ، باتت لدى الشرطة القناعة الكافية بأن فى الموضوع جريمة ، بعد أن تكررت مثل هذه الحادثة للمرة الثالثة خلال أقل من عام .

لم يسبق لشرطة أسواق المدينة القديمة أن واجهت جرائم مثل هذه من قبل ، كما أنها لم تعرف العنف الشديد فى أى من المشاكل التى تحدث فى المنطقة . كانت معظم الأحداث التى تؤدى عادة الى مقسم الشرطة ، لها علاقة بسرقات صغيرة أو بنزاعات تنتهى عادة بالصلح أو بخلافات على بيع وشراء يخرج منها المتنازعان راضيين بحكم الرقيب رئيس القسم .

وعندما سقطت امرأة نصف عمياء فى البئر ، قيل ان الحادثة مجرد مصادفة ، وبخاصة أنها امرأة هوى سابقة الجاها العجز والهرم فى أواخر حياتها الى الخدمة فى ورشة لتنظيف المصارين ، فكانت تقوم على كشطها بالسكين وتنظيف المكان ، وكان رب العمل الذى تخصص بتوريد أمعاء الحيوانات الى أسواق العالم ، يشفق عليها فسمح لها بالاقامة ليلا فى ركن داخلي من الورشة . وبالرغم من مشاعر العداء التى حامت حولها فى البداية ، فان الاشفاق مع الأيام تحول إلى احترام من أهل الخان وهم يراقبون احترامها للعمل القذر الذى كانت تقوم به .

بعد أشهر قليلة ، اختفى (مجلد الكتب) العجوز الذى كان يحتل غرفة صغيرة فى الطابق الثانى من الخان . ستون عاماً من عمره البطيء مرت عليه بسرعة فى الخان ، منذ دخوله اليه وحتى لحظة اختفائه . وبالرغم من ان الصوت الوحيد الذى كان يخرج عنه كان ضربة المقطع يقص الورق به ، فان سكان خان الورد افتقدوا وداعته التى كانت هسيس محبة تعبق به أروقة المكان وفسحته .

افتقد الجيران غياب العجوز ، كما ان ابنه الذى داهمه ضعف النظر مبكراً يئس من البحث عنه فى القرية ، أول وآخر مكان لهم فيه أقارب ، ولم تكتشف حقيقة الأمر الا



بعد انتشار رائحة كريهة من البئر الذى تدور حوله أحجار الحوش المرصوفة فى خطوط تعرجت وتكسرت مع مرور الزمن ، لتبدو كموج متحجر يحيط بالتفافة خرزة البئر الرشيقة . وقد جاء رجال الاطفائية مترجلين لاستحالة دخول سيارتهم الحمراء أسواق المدينة الضيقة ، وانتشلوا جثة الرجل من قاع البئر الذى تتجمع فيه مياه الأمطار ، تلعب فتحة السرداب دوراً فى تهويتها . ودار فى رأس المحقق سؤال :

« هل سقط المجلد نائماً فلم تخرج عنه صرخة أو آهة سمعها من ينام فى الخان ؟ »

ثم تساءل فى الضبط المكتوب :

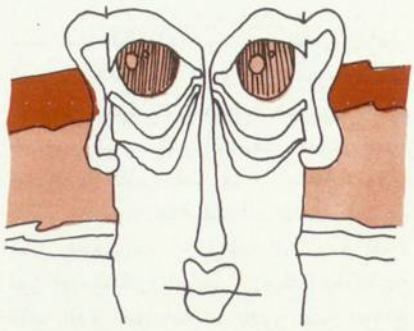
« الايمكن للحادثة ان تكون انتحاراً ؟ »

وفى المرة الأخيرة ، بلغ (الأسود) وهو الشقيق التوأم للرضي ، عن غياب أخيه المفاجىء . الا أن حرارة الجو وسكون الهواء ساعد على انتشار الرائحة من البئر ، فانتشلت الجثة مهشمة الرأس ، وكأنما سقوط الرضي كان طواعياً فهوت الجثة على رأسها مباشرة .

ـ ٢ ـ

وهكذا عاد الحديث من جديد عن لعنة خان الورد . فى المكان نفسه ، دار الحديث همساً ، وفى الأسواق القديمة المجاورة ، وكذلك فى الأحياء المنتشرة فى غرب القلعة لتسعت دائرة الاستماع الى أحاديث اللعنة تلك . وأغلق تاجر مانيفاتورة دكانه ثلاثة أيام هلعاً ، كما أن شيخ صناع الصرمايات فى سوق الجلد توقف عن العمل يوماً كاملا وهو ينصت الى الأقاويل فيهز رأسه عجباً لا يخلو من الخوف .. وعقب الضحية الثالثة ، لم يكن هناك من حديث يدور فى تلك المنطقة من المدينة الا عن لعنة خان الورد . كما أن عدداً كبيراً من أهالي المدينة وجد فى حوادث الموت تلك مادة للكلام اليومي ، غطى فى كثير من الأحايين على الأحداث السياسية والعالمية .

ونشطت ذاكرة عدد من المعمرين الذين يشتهر بهم حي السفاحية القريب من الخان فقيل إن ضحايا خان الورد فى الأيام الخوالي ، كانت واحدة فى العام على أقل تقدير . وألمح أمام جامع اللاوندية ، الى أن تاريخ الخان الداعر ، منذ أن أنشىء فى القرن العاشر الهجرى ملتقى للعشاق والفاسقين من الغرباء والوافدين أو من أهل المدينة الميسورين ممن ينشدون المتعة



الحرام ، هو سبب ما جرى ويجرى وما سيكون عليه الحال باذن الله . فاللعنة لا تحل على أماكن الفضيلة ، بل تختار من الأماكن مالوثها الفساد . ولن يمحو اللعنة الا هدم الخان على ماضيه .

ولم تخرج جنازة الرضى ، آخر الضحايا من خان الورد كما أراد شقيقه . لذا فقد تجمع الناس عند مدخل الزقاق الذى تتصدره الطبابة الشرعية ، والتى خرج منها النعش ملفوفاً بشرشف أبيض مقلم ، غطت حزمة الورد الوحيدة جانباً من تمزقه وكان المشيعون قلة جمعت سكان الخان مع عدد ضئيل من الذين يعملون نهاراً فيه ، الى جانب أولئك الفضوليين الذين يلحقون عادة بالجنازات تكسباً أو قتلا للوقت .

ـ ٣ ـ

وكان خان الورد ، الذى تصدعت جدرانه الخارجية منذ عشرات السنين فلم ينذر بخطر ، يحتل مكان القلب فى منطقة الأسواق القديمة ، وكأنما هو المركز الذى تتفرع عنه تلك الممرات الضيقة المغطاة بصفائح التوتياء ، فتسمح الثقوب التى فيها بدخول الضوء كنجوم هاوية . وكان خان الورد أجمل الخانات الكثيرة وأوسعها وقيل انه أحدثها فى المدينة القديمة .

وقد أغلق الباب الشرقى للخان منذ نصف قرن ، فما عاد يستعمل وهو الذى كان يؤدى مباشرة إلى سوق الصاغة . بينما ظل الباب القبلي هو المدخل الرئيسي والوحيد لخان الورد ، الذى مازال يغلق مع غروب الشمس من كل يوم ، إذ تتوقف الحركة فى الخان الذى تنوعت النشاطات التجارية والصناعية فيه ، فاختلطت المهن بعضها ببعض ، فتجاورت صناعة المصارين مع تجارة العملات الأجنبية ، واختلطت تجارة (البالات) مع لفائف الأقمشة الحديثة .

وظل إغلاق الباب اليومى وظيفة أقدم المقيمين فى الخان . وبعد وفاة مجلد الكتب الذى كان يطمئن بنفسه ، وبالرغم من شيخوخته المنهكة على إقفال الباب عشية كل يوم ، تناوب التوأمان الأسود والرضي على القيام بذلك العمل . والآن باتت تلك مهمة الأسود ، الذى أغلق الباب في تلك الليلة المشؤومة والحزن يختلط بالظلمة التى خيمت على الحوش والغرف المنتشرة على طول الأضلاع الأربعة ، كما أن النور الضئيل الذى ينبعث من بعض غرف الطابق الثانى ، لم تكشف عن طبيعة وجه الأسود فى ذلك اليوم .

وفى اليوم التالى ، عادت الحياة طبيعية إلى الخان ، فازدحم الحوش بالزبائن واكتظت الأروقة بالباحثين عن ملابس قديمة ، وكأنما نشاط التجارة والصناعة لا يتأثر بمقتل إنسان ، مصادفة أو جريمة .

إلا ان تلك العودة إلى الحياة ، مالبثت ان اضطربت فجأة مع تقدم الرقيب الأحدب يرافقه مدنى يرتسم الشك على وجهه ، جعلا يطوفان فى أنحاء الخان ومن خلفهما شرطيان أحدهما يبدو عليه الهرم المبكر وهو يقوم بتسجيل كل ما يمليه عليه رئيسه .

فى البداية ، استبعدت الشبهات عن أهل الخان من الذين يغادرونه مع غروب الشمس ، كالصيارفة وأصحاب مكاتب الاستيراد والتصدير وتجار الأقمشة وبائعي الملابس المستعملة وعمال الأنوار اليدوية . وسجلت قائمة باسماء المقيمين فى الخان ليل نهار . فبالاضافة إلى الأسود الذى يدير ورشة لاعداد خيوط الاغباني ، كانت هناك أسماء الأطرش مرقع الأحذية ، وابن مجلد الكتب الراحل ، وبائع الفستق السوداني وزوجته العجوزان ، وثلاثة من المتسكعين كانوا قد تسللوا فى الأشهر الأخيرة الى الخان يستخدمون أروقته للنوم المجانى .

واختار المحقق الذى يرافق الرقيب الأحدب ، فى أن يجد سبباً معقولا واحداً يدعوه للاعتقاد بأن جريمة ما قد حصلت . كما أن الرقيب نفسه ، الذى قام بمعاينة خرزة الجب الواسعة ، لم يستطع أن يتصور أن أحداً يسقط فيها دون مساعدة ، ما لم يكن يطل بجذعه داخل تلك الفتحة فاختل توازنه بسبب ما وسقط فى البئر .

« سقوط من غير صوت » .

هكذا كرر المحقق تساؤله . وهكذا دار التحقيق فى سياق الشك والتساؤل

خان الورد

والافتراضات التى لم تؤد إلى نتيجة ذات فائدة .

وإذا كانت إمراة الهوى التى لا ترى جيداً ، أو مجلد الكتب الذى قال إبنه إنه طالما شكا من آلام البروستات ، قد فكرا بالانتحار لتفاهة الحياة أو منغصاتها على سبيل الافتراض ، فان الرضي الذى كان ما يزال فى عز الرجولة ولم يتجاوز الثلاثين من عمره الا بقليل ، وكان قوياً صبوح الوجه ، لا يمكن ان يدفع بسهولة الى الموت كما انه لا يمكن له أن يرضى بالانتحار باى حال من الأحوال .

ـ ٤ ـ

كان الرضي معروفاً فى كل أسواق المدينة يمر فى كل يوم وعلى ظهره طابات خيوط الاغباني يحملها إلى أصحابها يوزعها عليهم . ولم يؤثر عليه ثقل تلك الخيوط ، فظلت قامته مستوية تثير انتباه النسوة المترددات على السوق ، حتى بات معروفاً عندهن ، وكثيراً ما سمعت ملاحظات إعجاب تصدر عن الصبايا والعجائز لها علاقة بشباب الرضي .

هو يسلم على الجميع من أصحاب الدكاكين ، ويتبادل معهم الاحاديث العابرة وفى وجهه ابتسامة لا تقل حلاوة عن طلعة امراة جميلة خرجت لتوها من الحمام . كانوا يقولون عنه « ابن الورد » ، ويوم يرتفع سعر الذهب أو الفضة يقول صائغ :

« صباح الرضي كله خير » .

واذ يبلغهم نبأ موته ، يزداد تشاؤمهم من الخان الذى تتكاثر حوله الاقاويل يوماً بعد يوم .

وعندما حل الأسود العابس محل الرضي الراحل ، كان يمر منكساً رأسه لا يعرف التحية ، كانوا فى السوق يقولون :

« هل يمكن لبطن امراة ان تحمل مثل هذا النحس جنباً إلى جنب مع الرضى؟»

وتتاكد لدى الجميع قناعة ، ان لعنة حقيقية قد حلت بخان الورد . وهكذا قيل إن زماناً كهذا يأخذ الطيب ويترك الردىء .

ـ ٥ ـ

ترعرع التوأمان فى حوش الورد وأروقته ومنذ أيام الطفولة الاولى ، عرفا ان دارهما فسيحة كالجامع الأموى الكبير وضيقه كالجحر . وكانت ابتسامة الرضي بحجم الحوش الذى تغمره الشمس طوال اليوم وتظلله الشمس على مدار السنة . وكان تأفف الأسود كالغرفة الداخلية الضيقة التى جمعت بين جدرانها المسدودة أسرة دون أم ، فتبادل الصغيران حناناً بعيداً عن الأب الذى قيل إنه لم يجرؤ على الزواج لفقره .

ويرحل الأب ، فيرث الأبناء صنعة اعداد الخيوط المذهبة . ومنذ تلك الأيام ، كان الأسود يردد :

« لو تحول خيط واحد الى ذهب حقيقى لهجرت الخان » .

بينما كان الرضي يعلق ضاحكاً :

« حمداً لله أننا ورثنا صنعة باليد وغرفة بايجار رمزى » .

وكان جابى الأوقاف ، يمر عند مطلع كل سنة ميلادية يجمع الايجارات من شاغلى غرف الخان . وعندما يحصي أمواله ، يقف ساخراً عند الباب الكبير الذى تاكلت اخشابه ويتمتم بصوت مسموع .

« أليس حراماً ان تكون أجرة هذا الخان الذي يعادل بناؤه حياً معموراً باسره ، هذه الليرات القليلة ، ونصيبي منها لن يكون الا من اليسير المضحك ! » .

وعندما سجل خان الورد ، اثراً من آثار المدينة الهامة لا يجوز لأحد أن يمسه ، ابتسم الرضي مطمئناً الى أن احداً لن يجرؤ على التلويح بهدمه ، بعد أن عشق كل حجرة من أحجاره وامتد الخراب إلى معظم مناطق المدينة القديمة ، بينما تأفف الأسود بقوله :

« كتب علينا أن نعيش ونموت فى هذا الخان » .

وفى ليالى الصيف ، كان المتسكعون من الفقراء الذين يلجأون إلى الخان ليلاً طلباً للراحة فى (فندق الورد المجاني) كما يحلو لهم أن يسموه ، ينضمون الى أهل الخان وهم يلتفون حول الرضي ، يشاركونه نارجيلته الطهمازية ، يستمعون الى احاديثه عن تاريخ الخان الجميل .

هنا كان الفرسان والمسافرون يربطون خيولهم ، وفى تلك القاعة التى باتت مقراً للتجارة ، كان المغنى يجمع حوله نزلاء الخان يسمرون حتى الصباح . وفى تلك العلية ، فى الصومعة الوحيدة التى تعلو الطابق الثانى ، كان شيخ مبارك يبتهل الى الله فيها ، فتسمع لتسابيحه نغمة فى آخر الليل ، تجتذب أهل الخان فيقومون الى الصلاة بعد سهر وشرب وغناء ، ويطلبون غفران الذنوب وهكذا خان الورد كالحياة نفسها .

ومن كان لا يدرك شيئاً ما فى حديث الرضي ، يستزيده فهماً فلا يبخل عليه الرجل . وفى كل صيف ، كانت حكاية الخان تكبر ، وكأنما الرضي يكتشف فى أيام الشتاء جديداً عن الخان يدخره لسهرات الصيف ، حتى بات الذين يستمعون الى حكاياه يظنون أنه عاش كل حياة الخان ، منذ أول حجرة وضعت فيه الى هذه الأيام التى تهدد فيها وجود الخان نفسه .

ـ ٦ ـ

سئل الأسود عن موت أخيه الرضي ، فاطرق حزيناً يعطى لسكوته طعم الاستسلام للمصيبة .. وسئل إن كان يشك فى جريمة محتملة ، فرفع حاجبيه عجباً . وقال له الرقيب الاحدب ان كان يحمل أحداً ما مسؤولية موت الرضي ، فنفى صامتاً ، وهكذا طوى الموضوع ، وعادت الحياة إلى الخان بعد أن انطفأت ببطء جميع الأقاويل والشائعات والمخاوف حول الجرائم المتخيلة ، الا ان لعنة خان الورد التى قيض لها أن تبرد نارها . ما لبثت أن توهجت مع ظهور رجل غريب دخل الخان ذات يوم ، وقد بدا للجميع وكانه سائح اجنبى يريد أن يلتقط الصور بالته الكبيرة التى أطلت بعدستها اللامعة على كل زوايا خان الورد ، فسمع لطقتها أثر يشبه النقر على الحجر المعتق .

ـ ٧ ـ

قدم الرجل نفسه للأسود على انه مهندس عاش معظم حياته فى أوربا . ثم هز الأسود من كتفيه بمودة وصاح :

« لابد أنك نسيتني » .

وكما قال ، فان صداقته للرضي قديمة ابتدأت مع أيام الطفولة ، حين كان المهندس صبياً يلعب فى حوش الخان ويتردد مع الأولاد على دروس الشيخ المغربي الذى علمهم القرآن تحت الدالية فى صدر الخان .

وقد أنكره الأسود ، وقال له انه لا يعرفه من قبل ، ثم استوضحه بمرارة أنه كان لا يعرف ما قد جرى للرضي ، فشهق المهندس بغضب اذ يبلغه نبأ سقوط

صديقه فى البئر ، وينظر الى الأسود باستغراب لأن الموت قد طوى عنده كقدر ، فلم يتساءل عن سببه .

كان الرضى ، يراسل صديقه ويساره . ولم يكن للمهندس صديق بقي له فى هذه المدينة سوى الرضي ، وها هو يفقده فجاة دون مقدمات . هتف الرجل بحرقة :

« أحسب فى الموضوع جريمة » .

كانت آخر رسالتين وصلتاه من الصديق الراحل ، تتحدثان عن شكوك الرضي التى تدور حول مصرع المراة العجوز ومجلد الكتب فى الجب . كما أن الرسالة الاخيرة ، التى كانت قبل سقوطه فى البئر ، اشارت الى أن (احدهم) قد اتصل به من واحد من مكاتب الهندسة او التعهدات ، ليقول له إنه وارث لملكية خان الورد ، وانه قرر ان يحول ملكيته الى فندق عالمى يستقبل فيه النزلاء من محبى التاريخ ، وأن على الرضي ان يساعده فى إقناع سكان الخان بترك غرفهم ومكاتبهم ، وهو مستعد لدفع مبالغ معقولة تعويضاً لهم . ويقول الرضي كاتباً فى رسالته :

« إننى شخصياً ارفض أن اغادر المكان الذى ولدت فيه . ولا اتصور ان واحداً من العاقلين يهجر المكان الذى ولد فيه وترعرع واحب » .

قال المهندس هاتفاً من ألم :

« أريد أن أعرف من هو احدهم هذا الذى اشار اليه العزيز الرضي » .

وقال الأسود ببرود يثير الغيظ :

« لم يحدثني المرحـــوم عن شيء من هذا » .

ثم أعقب :

« لو كان الرضي قبل بتعويض مناسب لكانت الامور أفضل » .

ثم تساءل متوجساً :

« ولكنى لا اذكر أن لاخى صديقاً مثلك منذ أيام الطفولة ، وانه يراسله . الا تعلم انه كان اخى التوام ؟ » .

فقال الرجل :

« ما كنت احسب هذا الامر حقيقة » .

ـ ٨ ـ

كان المهندس ، الذى جاء فى مهمـــة لدراسة الآثار فى المدينة لصالح معهد اوربى معروف ، قد قرر ان يتصل بالشرطة لابلاغها عن شكوكه التى باتت يقيناً عنده ، ولكن الرقيب الأحدب نظر إليه باستخفاف وهو يقول :

« طويت الحادثة . ثم انك لست بقريب للمرحوم حتى تشغلنا بشكوكك واوهامك » .

وبعد أيام وصلت البعثة التليفزيونية إلى الخان ، كى تلتقي بالمهندس لاتمام المهمة ، فلم تجده . وسالت عنه اهـــل الخان ، فلم يفد أحد بكلمة . واما الأسود فانكر انه رآه سوى مرة واحدة اختفى من بعدها .

ولم تتح للبعثة ، التى كان المهندس قد اتفق معها على تصوير الخان وما يجاوره من أسواق قديمة ، فرصة الاستقصاء عن أخبار المهندس الذى أفاد الفندق ، الذى ينزل فيه منذ قدومه ، انه خرج منذ ثلاثة أيام ولم يعد . وقد شغلت البعثة باغتنام الفرصة لتصوير حريق مفاجىء شب فى سوق الجلود فاتى عليه كوباء صاعق وبالرغم من رائحة الشواء التى تشابه رائحة حريق اجساد بشرية ، فان المصور



خرج بوثيقة هامة عن تدمير واحد من أجمل الأسواق القديمة .

ولولا الصدفة المحضة ، ما عرف رجال البعثة شيئاً عن جثة رجل مجهول دهمته سيارة مسرعة ، والتى لم تكن الا للمهندس المغترب ، الذى قيدت جريمة مصرعه ضد سائق هارب مجهول ، تبين انه لا يمت بصلة إلى السيارة التى تسببت فى مقتل المهندس الذى لم يعثر عنده على أوراق تدل على هويته .

وأصر المصور على استكمال تصوير خفايا الخان ، لدهشة اصابته من جمال احجاره واخشابه وزواياه وهندسته البديعة ، وقد اختلطت بتلك لقطات من رحيل عدد من سكان خان الورد بعد ان تاكد لهم عبث البقاء فيه لما حل فيه من لعنات ، وبخاصة ما تواتر فى الأسواق القديمة من أن يدا عابثة هى التى تسببت فى حريق سوق الجلود ، وهى لابد لها علاقة بسقوط الناس فى البئر . وبالرغم من جهود المصور ومساعديه فى لفت نظر الجهات المسؤولة الى احتمال قيام جريمة متعمدة ضد المهندس ، الا أن أحداً لم يستمع الى تلك الملاحظات .

كما أن الأسود الذى هجر الخان وصنعة الاغباني فجاة ، ليعمل موظفاً فى مكتب كبير للتعهدات ، عرف عنه التخصص فى هدم الأبنية القديمة لتقام على انقاضها المشاريع الكبيرة والأبنية البيتونية الهائلة لم يفعل شيئاً للبحث عن احتمال جريمة متعمدة ضد اخيه ، وكان الدم بات ماء فى هذه الايام ، كما قيل .

ـ ٩ ـ

وعندما احيل الرقيب الأحدب على التقاعد قبل الستين ، هتف صارخاً :

« ولكنى لم افعل شيئاً يسيء إلى احد ، ولم ترتكب جريمة فى منطقة عملي طوال خدمتى ، فلم يقطعون رزقى قبل الاوان ؟ » .

إلا أنه بالرغم من الظلم الذى وقع عليه فجاة ، لم يجرؤ لحظة فى أن يقول الحقيقة التى استخلصت منه بعد ذلك دون ان يدري ما يقول ودون أن يعلم ، وهو فى إقامته الجديدة تحت شجرة اللوز فى الضيعة ، أن خان الورد يتاكل يوماً بعد يوم وكانه مصاب بالجذام ...

وليد إخلاصى ـ حلب

إضاءة ٧٧
وشعراء السبعينات

بقلم: ماجد يوسف

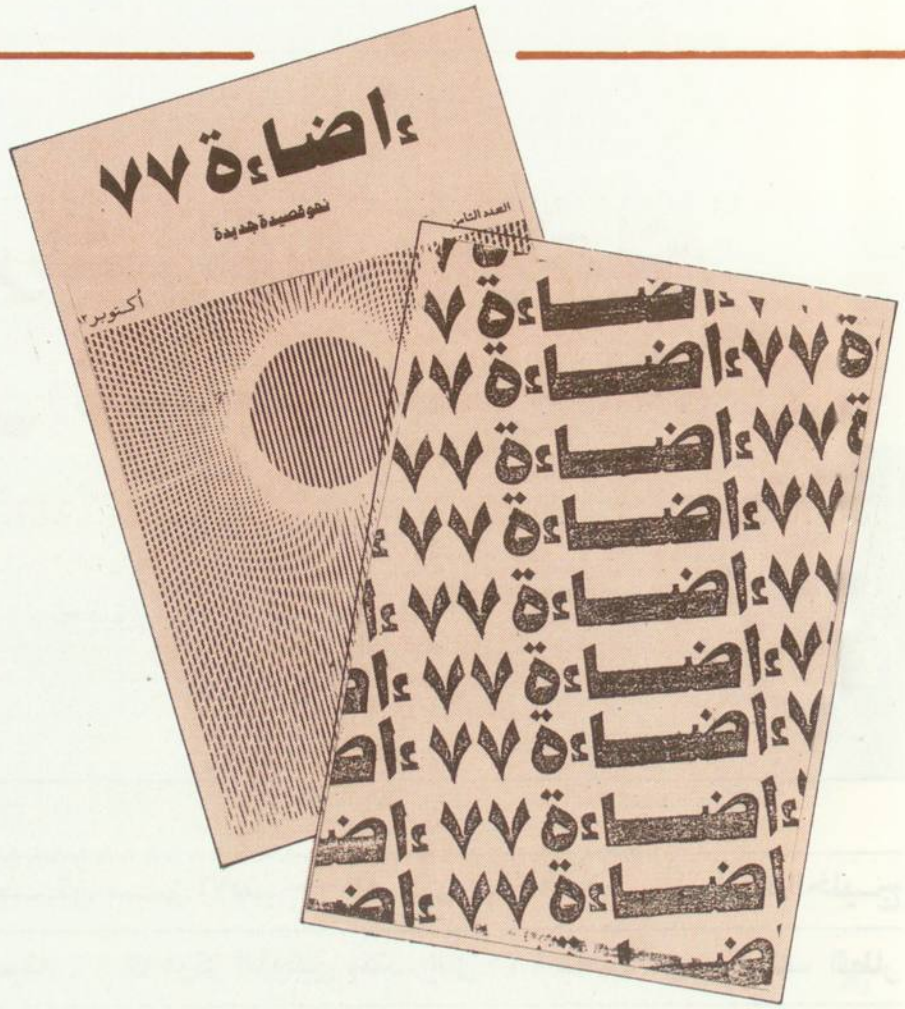


منذ صدر العدد الأول من (إضاءة ٧٧) مجلة الشعراء الشبان بالقاهرة (حلمي سالم ـ رفعت سلام ـ حسن طلب ـ جمال القصاص ـ ماجد يوسف ـ امجد ريان ـ محمد خلاف ـ محمود نسيم) .. فى ذات يوم من شهر يوليو سنة ١٩٧٧ .. وحتى صدور عددها الثامن فى اكتوبر ١٩٨٢ الماضي ، وهي عرضة لكثير من الأخذ والرد، والقبـــول والرفـــض ، والاستحسان والاستهجان من الجبهة العريضة للحياة الثقافية المصرية .. حتى بدت ـ فى نهاية الأمر ـ وكانها مراة صادقة تنعكس عليها مواقف واتجاهات وقناعات هذه الحياة الثقافية برمتها فى تراوحها من النقيض إلى النقيض ، خلال الحقبة الفائتة خصوصاً ، وفى مجال الشعر بوجه أخص .

وإن بدا من الواضح بعد ذلك ـ مع توالي صدور الاضاءة ـ انها تقترب ، مع كل عدد جديد ، اكثر فاكثر ، من التحديد التقريبي لانصارها ومؤيديها ـ وهم غالباً بين الشباب المثقف ـ ومعارضيها ومناوئيها ، وهم ليسوا دائماً بين الشيوخ والكبار .. وبغض النظر عن هذا التقسيم السني الذي قد يفتقر إلى الدليل .. فان جبهة المناوئين تحددت بدون شك ـ وفى أعرض قطاعاتها ـ في معسكر التقليديين والمحافظين فى الثقافة المصرية بشكل عام .. كما تحددت ساحة المؤيدين ـ فى أوسع دوائرها ـ لدى أصحاب التجديد فى الفكر والفن ، وبشكل عام أيضاً .. لأن الصورة لا تخلو من ظلال بينية هنا وهناك .

ولا يخفى أن المسالة ـ ونتيجة لكل ذلك ـ أصبح لها بعدها السياسي أيضاً ـ برغم المنطلق الشعري ـ حتى ولو لم يرد أصحابها من شباب الشعراء ذلك بشكل مباشر .. ولم يكن هناك مندوحة عن ذلك على أية حال .. فالموقف التجديدي فى فهم الفن وإبداعه ، هو بالضرورة موقف متقدم في فهم الواقع ، وفى حل اشكالياته وفى التعامل مع الحياة .. يقف على النقيض ـ بالحتم ـ من الموقف المحافظ فى فهم العملية الفنية والابداعية ، الذي يعبر بدوره عن فهم كلاسيكي للواقع ، وتقليدي من ثم في حل اشكاليات هذا الواقع ، ونمطي ـ اخيراً ـ فى وعي الحياة بالضرورة . فبينما ينحو الموقف الأول ـ موقف المجددين الشبان على مستوى الشعر ـ إلى الصدام مع المالوف ، ونفي الوصفي لحساب التركيبي ، وإعلاء الدرامى فى مقابل دحض الغنائي فى فهمهم للقصيدة .. يقاتل الموقف الثاني (موقف المحافظين في الشعر) إلى تثبيت وترسيخ وتكريس المالوف والوصفي والغنائي فى فهمهم المقابل للقصيدة .

ولأن المعركة ـ على الأقل على المستوى الرسمي ـ حسمت فى الحقبة الفائته لصالح أصحاب التقليد ـ ودعاة (أن ليس فى الامكان أبدع ولا أبعد مما كان) .. بدا أن الصورة مختلفة تماماً على الجانب الآخر من النهر .. فثمة تيارات شعرية وفنية شابه تمور بافكار جديدة ، ورؤى طموحه ، وتصورات مناوئة تماماً .. واخذ هؤلاء الشباب يتعرفون ـ بعضهم البعض ـ على أصواتهم المتناثرة هنا وهناك بطول الوادي وعرضه .. ويلتقون ويتراتبون كما تتراتب وتتراصف برادة الحديد في مجال مغناطيسي معين ـ هو هنـــا واقع تاريخي وظرف اجتماعي معين ـ حتى بدا من المحتم لهذا التراصف وذاك التلاقي من شكل يعبر عنه بعيداً عن اجهزة الثقافة الرسمية .. ومن ثم ولدت (الاضاءة) معبرة عن هذا التجمع للشعراء الشبان الجدد فى مصر ، محققة لتمايزها عن الاتجاهات الرسمية السائدة فى الشعر ، ومبلورة لاستقلالها عن مؤسسات ومنظمات وهيئات وإدارات الثقافة فى مصر .. صانعة بذلك حلقة جديدة فى سلسلة المحاولات السابقة المماثلة .. (جاليري ٦٨) ، (سنابل) و(كتاب الغد) .. واعلن الشعراء الشبان فى أعدادهم الأولى من (إضاءة) : إنهم برغم تقارب ملامحهم الفنية ، ووعيهم الفكري



والجمالي ، إلا انهم لا يدعون اكتمال النضج الفني والفكري والجمالي بعد ، وإنما هذه مسالة منوطة بالتراكم ، وتنامي الخبرة ، وجدل الحركة المفترض لها الاندفاع إلى الامام باستمرار .. وبرغم ما اعلنوه من تقاربهم ، إلا انهم اكدوا بنفس القدر على التمايز فيما بينهم ، وانفتاحهم على كل جهد شاب جاد وحقيقي .. وحددوا مهمتهم في تاكيد وترسيخ تجربة شعرية جديدة تنبثق فى جسد الابداع المصري ، مبرزين لملامحها ، ومنضجين لفؤادها الفتي ومبلورين ودافعين لصفوفها الشعرية الطالعة صعوداً إلى الشعر وباتجاه الوطن .. واختاروا اسلوباً لهم يتمثل فى الاعتداد بكافة الاجتهادات الفنية من موقع التمايز لا الامتياز ، تكريساً لسمات وخصائص التجربة الشعرية الشابة إبداعاً ونقداً ، متواصلين فى ذلك لا مع الساحة الشعرية الشابة فى مصر وحدها ، وإنما مع الساحة الشعرية الشابة باتساع الوطن العربي كله .. ولم يفتهم أن يؤكدوا انهم حلقة أصيلة فى تطور الشعر الجديد تدين بالفضل ـ بل وبالوجود ـ إلى ما سبقها من حلقات فى السياق التاريخي للشعر المصري الجديد ، بل وللشعر الجديد على مستوى العالم العربي .. طامحين إلى أن يبتعثوا مواكباتهم النقدية لقصيدتهم الجديدة ، من واقع إدراكهم لقصور الحركة النقدية ـ خصوصاً في مصر ـ عن متابعة تطور القصيدة الجديدة ، حتى اصبحت الغربة كاملة وتامة بين شعرهم والنقد السائد ، آملين بذلك إلى تهيئة الظروف لتخلق مناخ نقدي ـ شعري يتفاعل مع حركة قصيدتهم الجديدة ، معلنين اعتدادهم بالقصيدة العربية كموروث ثقافي ، وايضاً امتداد ساحتهم الممدودة بحجم الانسان .. (فانه بما نحن بشر ، فلا ارض تحد إرثنا ولا سماء) ..

كما أعلنوا أن لهم تعاملهم الخاص مع اللغة .. تعامل تخرج به الكلمة عن ان تكون معادلة ومساوية لمعنى متداول ومبتذل وميت .. فاللغة اداة فنية خاصة (وعملنا أن نعمد إلى تفجير الامكانات اللانهائية لها) .. في توق لا يني للخروج بها من تخومها المنطقية المالوفة السائدة التى حصرتها طويلا فى حدود (المحاكاة) الكلاسيكية ، أو (التعبير) الرومانسى .. والسعي بها الى ما وراء تخومها المنطقية .. ذلك (الماوراء) الواعد بكنوز من الجدة والاكتناز والبكارة ، حيث تصبح الكلمة ـ فى اى لحظة من لحظات عمارة القصيدة ـ موسيقى ، ودلالة اجتماعية ، وتشكيل ، وتركيب فى آن معاً .. وتصير القصيدة ـ فى هذا المنظور ـ نسيجاً من العلاقات الجمالية الراقية بين ابعاضها وابعادها المختلفة لا يقتطع منها شكلا من مضمون ، ولا يتمايز فيها مضمون عن شكل .. وبذلك لا يكون المضمون الا مستوى واحداً داخلا فى نسيج من العلاقات الجمالية حيث لا وجود لمضمون مستقل عن علاقاته الجمالية وقيمه التشكيلية . واكدت (الاضاءة) على سعيها اللاعج ـ من خلال تجاربها الشعرية ـ الى تخطى مفهوم الشعر ـ إبداعاً ونقداً ـ لدى الاجيال السابقة من شعراء الحداثة .. استشرافاً للقصيدة المتحررة من كمال الاجوبة المنتهية .. فهذا هو (فعلنا الحى كشعراء) وهم يتوجهون للجماهير محاولين اقلاق وقلقلة منطق رؤيتها الاستاتيكى للشعر ، واستجابتها الساكنة للقصيدة ، نافين ثبوتية هذا المنطق على الاطلاق ومهما كانت مساحات الاختلاف والاتفاق مع (اضاءة ٧٧) فهذه قضية الحكم النهائى فيها غير وارد ـ على الاقل الآن ـ فلا زالت التجربة مستمرة .. ولا زالت تكتسب فى كل يوم أرضاً جديدة .. وها هم الشعراء الشبان من كافة انحاء الوطن العربى يدفعون بقصائدهم الجديدة إلى اضاءة متواصلين معها ومترين لها .

ولكن المسالة التى لا جدال فيها ان (اضاءة ٧٧) فتحت الطريق فى مصر على مصراعيه لطوفان من الاصدارات الشبابية الخاصة البعيدة عن المؤسسات الثقافية الرسمية ، فتوالت على اثرها الجماعات والمجلات التى صنعت فى نهاية الامر ـ وحتى الآن ـ ظاهرة فريدة وجديرة بالبحث والدرس والتامل لمن أراد ان يقف بازائها وقفة موضوعية امينة .. فهاهم فتية لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين بلا إمكانيات مادية تذكر ، يصدرون مجلة شعرية مناوئة لكل المجلات .. بل ويضمنون الاعداد الثمانية التى صدرت من مجلتهم حتى الآن ما يربو على الخمسين قصيدة لاربعين شاعراً غير عدد لا باس به من الدراسات النقدية والمتابعات النظرية لما يجرى فى ساحة الشعر بالاضافة إلى الترجمات الشعرية .. بل ويصلون بنسخهم المحدودة الفقيرة الى كل مكان من وطنهم العربى الكبير صانعين هذا التاثير الملموس والذى قد يتبلور فى السنوات القليلة القادمة عن تيار جديد يضاف إلى نهر الشعر العربى الحديث .

أول مركز لتوثيق الإعلام لدول الخليج العربية

تحقيق: مريم آل سعد

أهم أهداف مركز التوثيق :

● جمع وتنظيم أكبر قدر ممكن من الانتاج الفكري والاعلامي لمنطقة الخليج العربي في مختلف أشكاله وأوعيته ● مركز التوثيق يكتب إلى ١٨٠ باحثا من مختلف أقطار الخليج العربي للمساهمة بما له صلة بقضايا الخليج وأقطاره . ● البدء بعمل كشاف تجميعي لعدة مجلات تقرأ بحوثها على مدى سنين طويلة مثل مجلة « الدوحة » القطرية ومجلة عالم الفكر (الكويتية)

أهم نشاطات مركز التوثيق الاعلامي :

● إصدار المجلة الفصلية «التوثيق الاعلامي» . ● إصدار « دليل الدوريات الخليجية » .

● الإستعداد لإخراج مطبوع « شخصيات عربية خليجية » .

استكمالا لمشاريع الاعلام والاتصال بين دول الخليج العربى ، وفى سبيل المزيد من الترابط والسعى نحو تكوين نواة الوحدة المؤملة بين الأقطار العربية ، واضافة الى حلقة المؤسسات الخليجية المشتركة مثل « وكالة أنباء الخليج » فى البحرين ، و « مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك » فى الكويت ، و« جهاز تليفزيون الخليج » فى السعودية ، و « مركز التراث الشعبى » فى قطر . قام « مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى » فى بغداد ، بمباشرة أعماله التى ترتكز على حاجة مؤسسات الاعلام الماسة الى المعلومات المقننة والمنظمة للارتقاء بالانتاج الاعلامى بما يواكب تقدم المنطقة ونشاط الباحثين والدارسين فيها .

وقد عبر السادة وزراء اعلام دول الخليج العربى عن أهمية دور المعلومات وتوثيقها منذ مؤتمرهم الأول الذى عقد فى « أبو ظبي » عام (١٩٧٦ م / ١٣٩٦ هـ) بالتأكيد على ضرورة انشاء مركز للتوثيق الاعلامى كمؤسسة علمية تعنى بشؤون التعامل مع المعلومات بالوسائل المقننة والحديثة . وليكون اداة فعالة لدعم وانجاح المشاريع والدراسات الاعلامية الخليجية الأخرى .



عامر ابراهيم قنديلجي المدير عام لمركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي

وقد كان لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) دور إيجابي في الاهتمام بانشاء « مركز التوثيق الاعلامي » إذ ساهم خبراؤها في وضع الدراسة التي شهدت بجدوى إقامته واهمية دوره العلمي والاعلامي للمنطقة .

وقد وقعت اتفاقية مركز التوثيق عام ١٩٨٠ ، ولكنه باشر أعماله في عام ١٩٨١ .

وقد خصص له مبنى مناسب يتسع للمعدات والاجهزة وللكادر الوظيفي المطلوب لمتابعة وانجاز وتحقيق أهدافه .

ويعتمد المركز على نوعين من الكادر الوظيفي .

المجموعة الأولى : هم الموظفون الدائمون الذين يتولون الأقسام الفنية والادارية وقد انضم إليهم أوائل قسمي التوثيق والاعلام ـ جامعة بغداد . بالاضافة إلى مجموعة المتخصصين بالتوثيق والاعلام .

المجموعة الثانية : هم الخبراء واساتذة الجامعة ومن يستعان بهم في مشاريع ضمن خطة معينة . لأن قضية الاستفادة من الخبرات الأكاديمية أو الاستعانة بالخبراء حسب نوعية ومرحلة كل مشروع توجه ـ كما يراه القائمون على مركز التوثيق ـ مفيد وفعال يقوي من العمل ويدعم جهود المركز الذاتية في شخوص اقسامه .

كما يوجد هناك كادر آخر مكون من تخصصات مختلفة لسد احتياجات المركز في المراحل القادمة . وقد واجهت عملية استقطاب العناصر الخليجية للعمل في مركز التوثيق الاعلامي عقبتين . أولاهما : حاجة هذه الدول الخليجية ـ نفسها ـ إلى جهود العناصر الفعالة من ابنائها للمشاركة في خطة التنمية الواسعة التي تشهدها اقطارها .

وثانيهما : عدم وجود الاغراءات الكافية التي يمكن ان تجذب هذه الكوادر .

وقد وجد مركز التوثيق في قدرات الاخوة العرب القاطنين في هذه الأقطار الخليجية لا تقل عن خمس سنوات مدخلا جيداً للاستعانة بخبراتهم وجهودهم .

وقد اكد مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي ـ الذي يعتبر أول مركز لتوثيق الاعلام في الوطن العربي ـ على التعاون مع الباحثين والدارسين سواء اكان ذلك بفتح المجال امامهم للاطلاع والاستفادة ، أو بمساهمته في نشر أو طبع ما يراه يساير توجهات المركز من نتاجهم أو دراساتهم . كما ينوي الآن طبع أطروحة أستاذة في جامعة الامارات العربية بعنوان « الصحافة في منطقة الخليج » .

بغداد .. لماذا ؟

واللقاء مع مدير مركز التوثيق الاعلامي عامر ابراهيم قنديلجي . يوضح حقيقة الدور الهام الذي يرتاده مركز التوثيق وخصوصاً في هذه الحقبة ـ المتحفزة للتطور والتنمية ـ من عمر منطقتنا العربية الخليجية .

● لماذا بغداد المقر الرئيسي ؟

قال عامر قنديلجي :

ـ الذي اعرفه هو تميز بغداد باحتوائها على كادر متخصص في مجال التوثيق والاعلام . ولوجود مراكز توثيقية لا باس بتقدمها ، فضلا عن وصول كلياتها إلى مستوى تخصص الدراسات العليا والدكتوراه في التوثيق .

ولقد صمم المشروع في بدايته على اساس أن يقام في مدينة «ابو ظبي» ، ولكن بعد انتهاء الدراسات التي اكملها خبراء اليونسكو مع بداية ١٩٧٧ ظهرت مشكلة قلة إعداد الكادر المتخصص مما دعا العراق إلى اقتراح استضافة المشروع . وقد رحب الاخوة في دولة الامارات ، وكذلك الاخوة بالاقطار الخليجية الشقيقة بهذه الفكرة .

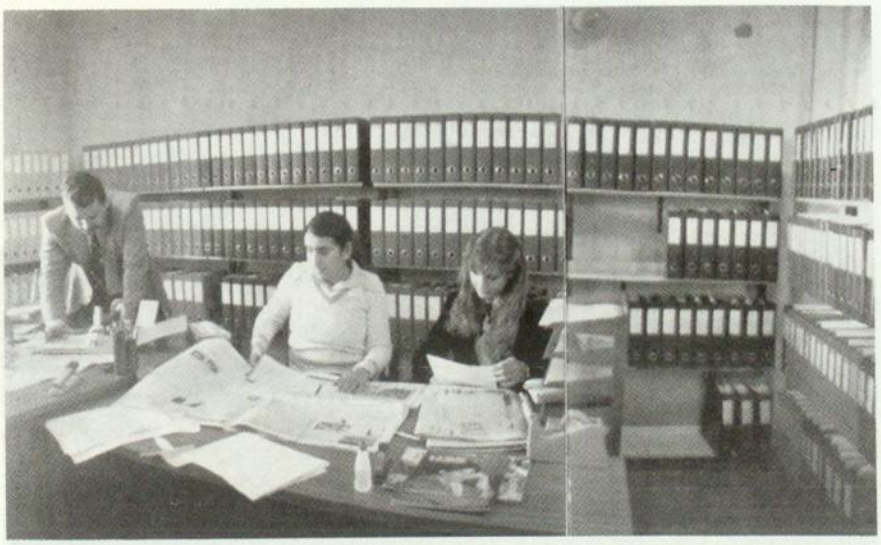
أهداف المركز

● ما هي أهداف المركز كما يراها المدير العام ؟

ـ جمع وتنظيم اكبر قدر ممكن من الانتاج الفكري والاعلامي لمنطقة الخليج العربي في مختلف اشكاله واوعيته . أي كل ما يصدر من المنطقة او يصدر عنها كالمطبوعات والمواد السمعية والبصرية والوثائق الحكومية والبحوث والدراسات وغيرها .

تزويد المخططين والباحثين والعاملين في مجال الاعلام والمؤسسات الاعلامية (الاذاعة ـ التليفزيون ـ الصحافة) بالبيانات الصحيحة في القضايا والمشروعات والأنشطة الخليجية المختلفة . وتمكينهم من متابعة احدث التطورات والاتجاهات في مختلف فروع العلم والمعرفة .

أول مركز لتوثيق الإعلام لدول الخليج العربية



أرشيف المعلومات الذي يتكون من مجموعة من الملفات المصنفة جغرافيا حسب أقطار الخليج العربي والدول والمناطق الأخرى

تدريب وتاهيل كادر فني متخصص في مجال التوثيق الاعلامي .

استخدام كافة أنواع التقنيات الحديثة مثل (الميكروفيلم ـ الكمبيوتر) في التعامل مع المعلومات وخزنها واسترجاعها حتى تتكون شبكة قوية من المعلومات ، تزود المنطقة بالبيانات التى تحتاجها .

تكوين جسر يربط المنطقة وحركتها الاجتماعية والاقتصادية بالعالم ، أي توثيق العلاقة بين الخليج والعالم .. والعالم والخليج .

.. وبين المؤسسات الأخرى

● هل هذا يعني .. بان هناك علاقة تعاون بين مركز التوثيق والمؤسسات والمنظمات العالمية أو الأجنبية ؟ .

ـ لنا علاقات مع المؤسسات المنتمية للوطن العربي ..مثلا .. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجامعاتها .. ومؤسسات أخرى .

وبعض خطوات التعاون مع اليونسكو ، ومنظمات دولية ، بهدف اكتساب معلومات اكثر ولخبرتهم الطويلة فى هذا الحقل .

التخصص مطلوب

● مركز التوثيق الاعلامي .. هل نشاطاته مقصورة على احتياج جهات محددة فقط ؟

ـ التخصص في عصرنا مهم جداً ، وهو توجيه الجهود وتركيزها لانتاج مشروع خاص متطور جداً لاننا لو نشرنا اي شيء يرد إلينا دون وضع اطار لتحديد خصوصية عملنا فسيكون هناك ضياع وتشتت .

التخصص هنا ضروري واستعمالنا لبعض التعابير والموضوعات الصعبة أو المتعمقة فى تخصص ما ، يكون بغية النجاح فيه وخدمته بالصور التى تضيف له ابعاده الواضحة .

● هناك ما يقرب من ٧٥ مؤسسة إعلامية في منطقة الخليج يمكن أن تستفيد من نشاطات المركز .. كيف تكون هذه الفائدة .. وكيف توصل لها المعلومات المطلوبة ؟ .

اجاب المدير العام لمركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي :

ـ هناك طرق متعددة الحالية منها فى الوقت الراهن تواكب أول مراحل المركز (التليفون ـ البريد ـ التلكس ـ وفى بدايات الاعتماد على الكمبيوتر) .

فى المستقبل يمكن ان يكون الاتصال مباشراً عن طريق جهاز كشاشات التليفزيون يزود ـ بالمعلومات والبيانات المطلوبة ـ كل الأقطار والمؤسسات الاعلامية الخليجية .

● ما هى نشاطاتكم .. ؟؟

ـ النشاطات التى تحققت فى فترة السنة ونصف السنة الأخيرة يمكن تلخيصها فيما يأتي :

إصدار « دليل الدوريات الخليجية » ويشتمل على تعريف بكافة الصحف والمجلات التى تصدر فى أقطار الخليج السبعة ، ومعلومات وافية عنها . وكنا قد أحسسنا بحاجة المؤسسات الاعلامية الماسة إلى مثل هذا التعريف الشامل لكل المطبوعات التى صدرت بالعربية أو الأجنبية .

أصدرنا ثلاثة أعداد من المجلة الفصلية « التوثيق الاعلامى » وهى مجلة متخصصة فى موضوعات إعلامية وخليجية وقضايا متنوعة وبما له صلة بقضايا الخليج واقطاره .

بدأنا مرحلة عمل كشافات فهارس موضوعية لبعض الصحف والمجلات .

ويقوم المركز باعداد كشافات تحليلية تكون بمثابة فهارس موضوعية لعدد من الصحف والمجلات الصادرة فى أقطار الخليج العربى .

وقد ابتدأنا بعمل كشاف تجميعى لخمس أو ست سنوات من عمر مجلة تصدر فى العراق ككشاف تجريبي .

والآن سوف نبدأ بعمل كشاف تجميعى أيضاً لعدة مجلات تقرأ بحوثها ومقالاتها والدراسات التى تنشرها على مدى سنين طويلة ، ويحتاجها الباحثون مثل مجلة « الدوحة » القطرية ، ومجلة « عالم الفكر » الكويتية .

وهذه الكشافات عبارة عن رؤوس أقلام للمواضيع المنشورة فى كل عدد .. توضح للقارىء ان الموضوع الفلاني الذى يحتاج للرجوع اليه موجود فى عدد معين وبأرقام محددة .

تصوير جميع المطبوعات الصادرة فى المنطقة « بالميكرو فيلم » . وتعتبر هذه الخطوة هى المرحلة الأولى من استخدام الكمبيوتر وتوظيف الحاسب الالكترونى لخزن واسترجاع المعلومات .

ومن الموضوعات التى ابتدأنا فى خزن معلوماتها لاخراجها فى مطبوع وتنظيمها وتحديثها بشكل مستمر . موضوع « شخصيات عربية خليجية » وهو مبدأ

حيوي يهدف الى التعريف بشرائح المجتمع المؤثر الموجود فى الأقطار الخليجية السبعة ويكون مرجعاً أساسياً لضبط كتابة اسماء الشخصيات فى اقطارها الخليجية ، ومعرفة تاريخ حياتها وترجمة سيرها .

ومن مشاريعنا أيضاً اقامة دورة تدريبية لتأهيل الكوادر الوظيفية المتخصصة والمطلوبة فى التوثيق الاعلامى بنسبة ثلاثة عناصر من كل دولة خليجية ، تعطى فيها الدروس النظرية والتطبيقات العملية ويستعان بالخبراء المحليين والعرب والأجانب للتدريس فيها .

وهناك مشاريع قادمة للسنة المقبلة والتى تليها .

قضايا خليجية

● هل يوجد تعاون بينكم كمؤسسة مشتركة وبين المؤسسات الخليجية المشتركة الأخرى .

ـ نعم هناك تعاون بدأنا نضع خطوطه الأولى مع مؤسسة الانتاج البرامجى فى الكويت ، كما نسقنا مع جهاز تليفزيون الخليج فى الرياض ، وكانت لنا مداولات مع مركز التراث الشعبي ـ هنا ـ فى قطر للقيام بمشاريع مشتركة تفيد الطرفين .

● من خلال ـ انشطة مركز التوثيق الاعلامي ـ هل تطرقتم الى بعض القضايا الخليجية وحاولتم طرح الحلول لها ؟

ـ محور دراسات مجلة « التوثيق الاعلامى » هى التركيز على تشجيع الباحثين فى مختلف الأنشطة الخليجية . مثلا نشرنا بحثاً عن « النشاطات الآثارية فى المنطقة » . ومهمتنا هى الحصول على البحث فاذا كان يعالج قضية هامة بروح ايجابية ومفيدة فاننا ننشره وخصوصاً اذا كان يمس الموضوعات التى نهتم بها مثل تطوير المؤسسات الاعلامية وكل ماله صلة بالاعلام .

وقد كتبنا فعلا الى ١٨٠ باحثاً من مختلف أقطار الخليج ليشاركونا الكتابة فى المجلة بما يطرحونه من دراسات وبحوث ومقالات ذات مستوى علمي له صلة بقضايا الخليج واقطاره .

● الحركة الاعلامية والثقافية فى الدول الخليجية .. هل ترونها ثرية بالقدر الذى تستحق معه توثيقها ؟

يقول المدير العـــام لمركز التـــوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى : المنطقة كلها بدون استثناء تعيش فى تحرك وتطور سريعين ، هذا التغير يواكبه تقدم اعلامى وثقافى .

والحركة الثقافية والاعلامية فى المنطقة لا باس بها ولقد حققت قفزات كبيرة ونستطيع القول بانها تسير فى الطريق الجيد رغم اننا لازلنا نعتبر من الدول النامية .

على سبيل المثال وجود الجامعات ـ المؤسسات الاعلامية ـ المجلات العلمية لمختلف التخصصات ـ اهتمام وزارات الاعلام ـ نفسها ـ باصدار مجلات علمية تعالج موضوعات معينة .. الخ ..

صعوبات فى البداية

● هل واجهتكم صعوبات ؟

ـ لأننا دول نامية فان قضية توثيق المعلومات تعتبر دعوة جديدة لم يتعود جمهورنا عليها بعد .

فمثلا عندما تجرى عملية استبيان ليس من السهولة أن يفهم كل المواطنين معناها وظروفها لذلك فنحن نعالج هذا الوضع بارسال أحد الأخوة لاجراء هذه العملية أو نتدارك الموضوع بالحاق رسالة توضيحية أخرى بالبيانات المرسلة لكشف ما قد يغمض على البعض .

وعلى العموم .. فان الصعوبات عامل طبيعى لابد من مواجهته . والانسان الذى يعمل بشكل جاد لابد ان تواجهه المعوقات . لكن هذه المشاكل التى نحسها طبيعية .. والتغلب عليها ليس بالشيء الذى نعجز عنه .

● ما مدى تعاون مراسليكم أو « مدراء المكاتب » فى اقطار الخليج العربي ؟

ـ مدراء هذه المكاتب يعتبرون هم الوسيلة الناجحة والاساسية فى انجاح عمل المركز فى الدول الخليجية التى ينتمون اليها ويمارسون عملهم منها . ومن خلال نشاطهم ومتابعتهم يستطيعون نقل الصورة الحقيقية لنهضة هذه الدول ، ويصبحون الجسر الذى يربط بيننا .

وفى الحقيقة نحن نعاني ـ هذه الأشهر ـ من وجود ـ بعض التباعد ـ الذى يحد دون ارتباط العلاقة وتوضيحها أكثر ، والى الآن لم توضع أسس شبكة الاتصال التى تصل بين أجزاء العمل فى هذه المناطق . وكذلك لم تتحدد بعد وسيلة الاتصال المناسبة .

لكننا .. نتوقع ـ خلال الأشهر القادمة ـ أن تكتمل هذه الصورة ويتم التحكم فى هذه العلاقة . ونحن نفكر جدياً فى دعوة مدراء المكاتب إلى بغداد للاطلاع على المقر والتعرف على أسلوب العمل المتبع .

التوثيق عملية حضارية

● وعن ماهية التوثيق ودوره يقول : عامر ابراهيم قنديلجي :

ـ نحن فى المؤسسات الاعلامية أو أغلب المؤسسات الانتاجية الاخرى فى حاجة ماسة الى شيء اسمه توثيق . إنها عملية حضارية تعكس درجات التطور العلمي للأمم والشعوب المختلفة ، وتدفع إلى تكوين كمية من المعلومات الوافية عن المشروع المراد تنفيذه قبل المباشرة فيه .

وخصوصاً بعد زيادة حجم المعلومات وظهور موضوعات جديدة ووسائل وتقنيات حديثة تتطلب معرفتها والوصول الى قدرة محاكاتها .

إن الاعلامي والصحفى يجب ان تكون لديهما معلومات متجددة على الدوام ، ويجب أن يستندا على كمية وافية من المعلومات والبيانات لضمان النجاح فى عملها .

ويضيف / عامر قنديلجي :

ومن هذه الأهمية التفت السادة الوزراء فى وزارات الاعلام الى أهمية ايجاد مركز للتوثيق الاعلامى . ويعتبر المركز الأول فى المنطقة . وحتى على المستوى العربى يفكرون فى إنشاء مركز توثيق عربى ، وفعلا بدأوا بعدة مؤسسات ـ ولا ادرى ـ الى اى مرحلة وصل المشروع الآن .

ونحن مستعدون للتعارف مع هذه المؤسسة فى هذا المجال .

وقد اكتشفنا خلال فترة عملنا القليلة ـ العام والنصف العام ـ بان هناك قسماً للاعلام فى أحد الاقطار العربية لديه الكثير من الأطروحات والبحوث الهائلة جداً .. لكن دون الاستفادة منها بالقدر الذى يحتاج اليها فعلا .. !! مهمتنا فى هذا المجال التعريف بهم .. والاعلان عن وجود هذه الدراسات والبحوث حتى تحقق الفائدة المرجوه منها .

مريم آل سعد

بمناسبة مرور ٤٧ عاماً على غروبه .. توفي في ٢٣ فبراير "شباط" سنة ١٩٣٦م

جميل صدقي الزهاوي

بين همومه وهموم الوطن

بقلم: حارث طه الراوي

الحديث عن الزهاوى كالحديث عن البحر : سهل وملذ وممتع اذا وصفت زرقته واتساعه وأمواجه المتلاطمة بقلم الشاعر ويراع الأديب . وصعب ومتعب اذا توغلت الى أعماقه لتصف ما فيه من أحياء ودرر وأصداف وعجائب وغرائب باستقراء الباحث ويراع العالم . فقد كان الزهاوى ـ رحمه الله ـ شاعراً وكان فيلسوفاً وكان عالماً متضلعاً باكثر من علم . وكانت له ريادات واهتمامات فى مجالات لا تخطر على بال من يعرفه شاعراً وفيلسوفاً وعالماً وحسب ..

وكما يتطير من ركوب البحر الجبناء أو الذين كانوا يعومون عليه بالسفن الشراعية فى الأزمنة الغابرة فى أول عهدهم بركوبه ، أولئك الذين سئل أحدهم بعد ركوبه البحر لأول مرة : ما أعجب ما رأيت ؟ قال : سلامتى .. فكذلك يتطير من الزهاوى الكثيرون ويحكمون عليه بظواهره لأنهم يتهيبون الغوص الى أعماقه على اعتبار أن هذه الأعماق لا تضم إلا الأصداف الجوفاء والحيوانات الميتة ! وما هو إلا العجز والخوف من المتاعب ...

وحقيقة الزهاوى تكاد ان تكون ضائعة بين معجبين بالظواهر ومناوئين وساخرين ليسوا بعاجزين عن ايراد مؤشرات هبوط الرجل فى هذا الموقف او ذاك او فى هذه القصيدة او تلك او فى هذا الراى او ذاك ، ولكنهم ليسوا بقادرين على التجرد من اهوائهم وانصاف هذا الشاعر الوجدانى المبدع والمفكر الثائر على الجمود والتحجر وعلى كل ما يضعف العقل ويخذل العلم . هذا الانسان النظيف الذى عاش نقيا وزاهداً ومات نقياً وزاهداً ورفع ، بما انتج فى الشعر والنثر اسم العراق والأمة العربية ، ذلك لان الانصاف يفتقر الى احاطة وفهم ، والفهم يقود الى المحبة والحاقد لا يريد ان يفهم لان الفهم يشعره بالمحبة وهو عدوها اللدود . ورحم الله شاعرنا الزهاوى الذى قال عن هؤلاء فى قصيدته الخالدة «حقد ام نقد»(١) :

ملأوا صدور الصحف حقداً
والحقد قد سموه نقداً
أنّى التفتُ ارى أمَا
مِي من رجال السوء ضدا
لفيت قوما يحقدو
نَ على الذى للفضلِ ابدى
ورأيت ناسا يحسدو
نَ النَّجْمَ ان يزداد وَقْدا
ووجدت حداً للولاءِ
ولم اجدْ للبغض حدَّا
قالوا دخيل فى القريض
فما اجادَ ولا اجَدَّا
قالوا صغيرٌ لا يُعَدُّ
من الفحولِ ولن يُعَدَّا
قالوا الى الاحسان منه
غيره فى الشعر اهدى
كذَبوا فانى شاعرٌ
واديْنُ بالإسلامِ جدا
يلغو اللسان بباطلٍ
والوجه صلب ليس يَنْدَى
كلم عنتنى غير انى
لا احاولُ ان اردَّا
لم اشْكُ وخْزَتَهَا وإن
كانت سِهاما او اشَدَّا
لو ساعَدَتْنى صحتى
لاخترت عن بغدادَ بُعدا
من ذا يصدِّق اننى



صورة نادرة للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي في اخـــر ايامـــه .

في جنب دجلة صرت اصْدَى
مالي اقيم ببقعة
كانت بها الاعداء لدَّا

وكان من المؤمل ان يقدر الزهاوى فى العهد الفيصلى فى العراق ، فهو الزميل القديم للملك فيصل الاول فى مجلس المبعوثان العثمانى ، ولم يكن الملك فيصل ليجهل المواهب المتسعة للزهاوى ، ولم يكن بين رجال العشرينات فى وادى الرافدين من هو اكفأ من الزهاوى لاشغال منصب وزير المعارف . ولكن الفيصل بدلا من ان يقدم على هذه الخطوة المحمودة فانه اراد من الزهاوى ان يكون شاعراً لبلاطه ! فكان من الطبيعى ان يرفض الزهاوى بادب جم هذا الطلب الذى يتنافى مع مكانته وشيخوخته . ولم يكن فيصل بالمرتاح لاعتذار الزهاوى ، ولهذا لم يصدر عنه ما يحول بين القوى الرجعية وبين اضطهادها للزهاوى بمختلف الاساليب . ولما تصاعد هذا الاضطهاد واحكم الحصار على الزهاوى وجد شاعرنا الاعزل نفسه مرغما على الرحيل عن بيئة هذا شانها معه ، ولكن الى اين يرحل ؟

كانت «مصر» ملاذ الاحرار ، ولهذا صمم على الرحيل اليها سنة ١٩٢٤ وقد دعاها فى قصيدته الوجدانية الرائعة «عند الفراق» (٢) بـ «اخت العراق» وقال قبل يومين من هجرته :

ليس لي من بعد العراق مقرٌ
غير مِصرٍ ومصرٌ اختُ العراقِ

ورغم حبه لمصر والمصريين الكرام فلم يكن من السهل عليه ان يفارق وطنه العراق رغم ما لقى فيه من جور وتشهير وانتقاص. فقد كان يحمل فى صدره قلباً كقلب «الشريف الرضي» يتلفت بعد ان تخفى الديار عن العين ويتلهف .. ، ولشدة تعلقه بالعراق فقد كان يرمز اليه بـ «ليلى» ويترنم بشوقه اليه كما كان مجنون بنى عامر يتغنى باشواقه الى ليلاه ، والزهاوى يستشهد بموقفه المؤثر هذا بالدموع وهى اصدق شاهد :

لي على حبى للعراق شهودُ
من دموعى وقلبىَ الخفَّاقِ
ربطتنى اواصرٌ محكماتٌ
ببلادى ولن احلَّ وَثاقِى
ليس بي ما يريبُ عند بكائى
غير انى مفارقٌ لرفاقِى
إن حبّى لمن افارق منها
يتجلّى فى دمعىَ المهراقِ

إلى ان يقول عن مناوئيه الذين ازهقوا روح الحق :

ساُوَلىّ ربوعَ بغداد ظهْرى
تاركاً خيرَهَا لاهل النفاقِ
ازهقوا روح الحق فيما اتوْه
اى نفعٍ لهمْ من الإزهَاقِ
ومن الصعب ان ادارى اناسًا
قد تنافي اخلاقهم اخلاقِى

ولم يكن الزهاوى بالخاسر فى هجرته عن وطنه ، لانه لم يكن متكسباً بشعره او متاجراً بنثره ، وان اديباً زاهداً مثله يستطيع ان يعيش فى كل مكان عيشاً بسيطاً لا يلجئه الى ما يعكر صفو قناعته وزهده وشموخه الروحى :

لست بالشعر ابتغى ليَ كسبا
او اداوى يوما به إملاقى
ايها الشعرُ انت لستَ متاعاً
يُشترى او يُبَاع فى الاسواق

رحل الزهاوى الى الشام اولا فى طريقه الى مصر فاقام له «المجمع العلمى العربى» بدمشق ـ وكان يومئذ رئيسه العلامة الكبير المرحوم محمد كرد علي ـ حفلة كبرى انشد فيها شاعرنا قصيدة بعنوان «ما اغنى» (٣) حيث قال :

يريدون منى ان اغنى باسمهم
واى هضيم باسم اعدائه غنى

ولم ينس انصاره من الشباب المتجدد الناهض فى بغداد الذين وقفوا الى جانبه ايام محنته حيث قال :

على ان فى بغدادَ لي من شبَابها
إذا ضقت انصاراً ومن حولهم حِصْنَا
وان بها صحباً عن الحق ذادة
ابوا ان يهدّ الحيف من شرَفِى ركنا

ورغم ما لقيه فى بغداد من حيف ونكران جميل فان حنينه الى بغداد الحبيبة بدا يتصاعد بالشكل الذى يتجلى فى هذين البيتين الوجدانيين الصادقين الرائعين :

وهل انا إلا ابن لبغدادَ نازحٌ
إذا ذكروا بغدادَ يوما له حنّا
كما ليس يصبو الطفلُ إلاّ لأُمّه
وليس بمختار على حِضْنِها حِضْنَا

ويغادر شاعرنا الشام الى بيروت فى طريقه الى مصر فتفتح له بيروت ذراعيها وتعانقه وتقبله فى اكثر من حفلة تكريم فيبادلها وداً بود ومحبة بمحبة والحنين يعصف بضلوعه الى ليلاه : «العراق» والى «بغداد» التى ارضعته الآداب :

كلفتُ بليلى وحدها دون غيرها
وليلى شهابٌ غاب من بعد ما بدا
وإنى اذا اهدى لي الليلُ طيفَهَا
جعلتُ ظلامَ الليل للعين اَثْمَدا
وإنى امرؤ بغداد اول بقعةٍ
رضعت بها الآدابَ اصْفَى من النَّدى «٤»

وفى طريقه الى مصر يعصف به الشوق الى ارض الكنانة الحبيبة فينظم قصيدة دالية رائعة مؤثرة عنوانها «الى مصر» يستهلها بالابيات التالية التى تفصح عن محبته لمصر والمصريين :

جميل صدقي الزهاوي
بين همومه وهموم الوطن

لقد سرت من بغداد يدفعني الوجْدُ
الى حيث وكر الشعر طائره سعدُ
الى مصر ، اما مصر فهي كانها
كعاب ووادي النيل في جيدها عِقْدُ
الى حيث يلقى الحر للحق ذادة
كراما فلا ضيمٌ هناك ولا حقدُ
الى بلد للعلم في ارضه هدى
وللشعر مثل النجم في جوه وقْدُ

وتتدفق شاعرية الزهاوي في وادي النيل ويفيض قلبه الكبير باعذب الشعر ، ويصل شعره في وصف مصر والمصريين الكرام الى مستوى الوله والهيام ، وليس ادل على ذلك من قصيدته «يا مصر» (٦) التي استهلها بالبيت الجميل التالي :

احييك يا مصر الجميلة يا مصرُ
بشعر يزكيه شعوريَ والفكرُ

ووصف في هذه القصيدة الطويلة عراق سنة ١٩٢٤ وما لقي فيه من حيف بقوله :

وإن العراق اليوم كالبحر مائجٌ
به تعبث الانواءُ والمدُّ والجزرُ
طغى ثم غاضَ البحرُ من بعد ما طغى
وليس بما في نفسِهِ يعلَمُ البحرُ
وكابدت في تلك الربوع تعاسةً
وليلا تثير الشجو انجمُهُ الزُّهْرُ
فيا لك من ليل كان نجومَهُ
عيون الى وجهي لها نظر شزرُ
لقد طال حتى خلته غير منقضٍ
وحتى كان الليل ليس له فجرُ
ولله ما كابدتُه من تعصُّبٍ
يقبحه من راض اخلاقه العصرُ
يلومون من يابى سوى العقل هاديا
ويرمون بالكفر امرأً ما به كفرُ

والظاهر ان الملك فيصل قد شعر بخطئه نحو الزهاوي بعد ان عاد الزهاوي من مصر الى العراق فاصدر ارادة ملكية بتاريخ ٧ تموز (يوليو) ١٩٢٥ بتعيين الزهاوي عضواً في مجلس الاعيان فشعر الزهاوي براحة نفسية خلال السنوات الاربع التي قضاها في عضوية هذا المجلس . ولكن فيصلا لم يجدد عضوية الزهاوي في مجلس الاعيان سنة ١٩٢٩ فعادت جراح الزهاوي النفسية الى النزف ونظم قصيدة وجدانية ملتهبة مؤثرة كانت بعنوان «دمعتي» (٧) يصح ان تتخذ مثالا للرقة في نظم الشعر :

انت ما إن تخففين عني مصابي
دمعتي فارجعي الى الاعقابِ
انت لا تدرئين عنّيَ دائي
انت لا تصلحين منه خرابي
انت لا تنجدينني في شقائي
انت لا تنقذينني من عذابي
انت لا تدفعين وطأة شيبي
انت لا ترجعين عهد شبابي
انت لا تقدرين ان تهبيني
راحةً او تسكني اعصابي

والقصيدة طويلة ، ولعل بيت القصيد فيها الذي ارتفع به الزهاوي الى قمة شاهقة من الابداع هو البيت التالي :

يا ابنةَ الهمِّ إن غرفَتَك القلبُ
فلا تخرجي إلى الابوابِ

ومنذ بداية الثلاثينات وحتى وفاة الزهاوي في ٢٣ شباط ١٩٣٦ يشعرنا شعر الزهاوي بالامه النفسية المريرة وبما كان يحسه من كرامة مجروحة ، ويعود الى التفكير بالهجرة كما هو واضح في قصيدته المؤلمة «تمثال ليلى» (٨) التي جاء فيها :

اريد رحيلا عن بلاد تهينُني
ولكن أَفَدّني اين انزل احمالي
يريدون بالإذلال جرح كرامتي
ويابى جراحات المذلّةِ امثالي

ومنذ بداية الثلاثينات تتصاعد شكوى الزهاوي لا من اوضاعه الخاصة وحسب بل من اوضاع عراق الثلاثينات . ففي قصيدة «انة جريح» (٩) التي نظمها في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣١ يقول :

إن الذين تسيطروا بخداعهم
ثبتوا بصدر الحكم كالاوتادِ
اما حقوق الابرياء فانما
عصفت بهن زوابع الاحقادِ

وبعد عشرة ايام من نظم هذه القصيدة تتصاعد ثورة الزهاوي وتتاجج في قصيدة «لاجل الحق» (١٠) التي يدعو فيها الى الثورة على الاوضاع الشاذة في عراق الثلاثينات ، وهو في هذه القصيدة الثائرة يعبر بصدق وصراحة عن هموم الوطن الذي جرح الاحتلال كرامته واشاع فيه المسيطرون من اذناب المحتلين الاستغلال والارهاب :

صُبّوا على الاسماع نارًا
واحْشُوا فم الغضبى حجارًا
بُثّوا باوجه من يريدون
الشرورَ لكم شرارًا
سنّوا بمعتركِ الحياةِ
لساعةِ الذّودِ الشّفارًا
كونوا كما يبْغي الإباءُ
على كرامتكم غَيَارَى
هُبّوا كزوبعةٍ تثيرُ
بكل ناحيةٍ غُبارًا
احكوا البراكين التي
تاتي من الضغط انفجارًا

الى ان يقول محرضا على الثورة ضد الاستعمار :

يا قوم فكّوا عنكُمُ
الاصفادَ إنكمُ اسَارَى

وعندما يودع اساتذة جامعة مصر الكرام قبيل مغادرتهم بغداد الى القاهرة يبدأ قصيدته «ويل الى ويل» (١١) التي نظمها في ١٥ شباط (فبراير) ١٩٣١ بالاشارة الى الاوضاع الشاذة في عراق الثلاثينات حيث يقول :

ويل لمملكةٍ قضَى إهمالُها
من اهلها انْ يفشلَ استقلالُها
ولبلدةٍ منكوسةٍ قد انكدَتْ
علماؤها وتنعمت جهالُها
ولأمةٍ بعد الوفاقِ تخالفت
فتقطعت لخلافِهَا اوصالُها

وبعد فما اكثر هموم الوطن في شعر الزهاوي في الثلاثينات وما قبلها ، وفي هذا القرن واواخر القرن الذي قبله ، مما يدل على ان الزهاوي لا يقل وطنية وحرصا على تقدم البلد وتقدمه في مضمار الحضارة عن زميله «الرصافي» بل لا يقل عنه حتى في قوة الشاعرية وان كان لكل منهما اسلوبه الخاص في الشعر . فالرصافي ، في اقصى ضميره ، يؤثر الشعر المجاد لفظا على الشعر المجد معنى ، في حين ان الزهاوي يؤثر الشعر المجاد معنى على الشعر المجاد لفظا من غير خلل باللفظ يهبط به الى الركة .

وقد آن لنا بعد ٤٧ عاما من رحيل الزهاوي ان نفهم الزهاوي من خلال شعره ونثره لا من خلال آراء واقاويل النقاد والمشهرين والمتندرين ، فقد زهدتني آراؤهم قبل اكثر من ثلاثين سنة بشعره حتى اذا عدت اليه عودة الدارس المتاني المتجرد بهرتني روعته واسرني سحره وهزتني عفويته وصدقه ، ووجدت الحشو فيه كالمغاور الصغيرة في الجبل الاشم ليست بذات تاثير على جماله وارتفاعه وشموخه .

حارث طه الراوي ـ بغداد

هوامش

(١) ديوان جميل صدقي الزهاوي ، دار العودة ، بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٢١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٤٦٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٤٩ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ٥٢٤ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٥٢٦ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٣ .

الرصـــــاصة

شعر: الدكتور أنـــس داود

« إلى روح الشاعر خليل حاوى الذى أطلق على نفسه الرصاص ، احتجاجاً على الصمت العربى المشين فى محنـــة بيروت » .



أبداية الزمنِ الردىءْ
هذى الرصاصةُ أمْ نِهايهْ ؟
هل صفقةُ التابوتِ ،
آخرُ طرْقَةٍ فى النعْشِ ،
أم صوتُ النذيرْ ؟
بيروت
كل مدينةٍ تتكلَّمُ الفُصْحَى
ستشتعلُ الحرائقُ فى البيوتْ
ويشرد الأطفالُ ،
تنكفىءُ العجائزُ فى الطريق ،
تموتُ من ظمإٍ ، وتنزعُ من غلائِلِهَا الحَرَائِر ،
يذبح الصدْرُ الطهورْ
ويموت فى كفِّ الحصارِ ،
وتحت هوْلِ القَصْفِ ،
بين مخالِبِ التِّنِّين ،
عاصفة الحقود
يموت مَنْ يرنو إلى الضوءِ الطليقِ
يموت من يحنو على جُرْحِ الشقيقِ
يموت من يهفو إلى غَرْسِ الحياةِ ،
ومَنْ يفيقْ
من يرفُضُ الطغيَانَ ،
يرفع صوتَه ضِدَّ التتارِ ،
وضدَّ آلاتِ الدَّمارِ
وضدَّ تخطيطِ الإبادهْ
بيروت
قد كتبوا اسمَهَا فى دفترِ الموْتَى
وأصبح إسمُهَا بيروت ،
بيروت المبـــادهْ

• • •

هذا الدَّوِىُّ الخاطفُ المكبوتُ ،
يا بيروتْ
صوتُ الرصَاصَةِ حين مَزَّقَت الشِّغَاف
وأسكتت نبْضَ الجَسَارَهْ
أبداية الزمنِ الردىءْ
زمن التشردِ واللجوءْ
أم أنه صوت البشارهْ
وقيامةُ الشعب الذى شهد القيامَهْ
ورآك يا بيروتُ
فى الزمن التتارىِّ المقيتِ
من السَّعير إلى السَّعيرْ
ورأى مذابِحَه أمَامَهْ

رؤية المخابرات الأمريكية لمشكلة فلسطين

فبراير ١٩٤٨
صفحة مجهولة من الصراع الدولي حول فلسطين

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

عندما أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بدأت وزارة الخارجية الأمريكية فى دراسة إمكانات تنفيذ هذه التوصية بالوسائل السلمية عن طريق التراضي بين العرب واليهود ، ودراسة احتمال استخدام القوة ، وتأثير ذلك على المجتمع الدولي من حيث إيجاد الفرصة التى تسمح بمشاركة الاتحاد السوفييتي ، وكيفية استبعاده من المشاركة فى تنفيذ التقسيم فى هذه الحالة .

وكانت التوصية ـ كما هو معروف ـ تقضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود بإقامة دولتين إحداهما عربية ، والأخرى يهودية ترتبطان معاً بوحدة اقتصادية مع وضع مدينة القدس تحت الوصاية الدولية .

وكان من الواضح لدى الولايات المتحدة ، ولدى أطراف دولية أخرى ، صعوبة تحويل هذه التوصية إلى أمر واقع بسبب ردود الفعل السريعة من الجانب العربي الذي أعلن رفض التوصية قلباً وقالباً ، ومن جانب بريطانيا التى أعلنت أنها لن تؤيد قراراً لا يحظى بتأييد كل من العرب واليهود ، ووسط ترحيب الوكالة اليهودية بفكرة التقسيم مع الأمل فى توسيع حدود الدولة اليهودية المقترحة بكل الجهود الممكنة ، ووسط رفض العناصر المتطرفة الصهيونية التى كانت تمثلها آنذاك عصابات الأرجون وشترن ، لأنها كانت تطالب بكل فلسطين بما فى ذلك شرق الأردن .

ولما كانت الحكومة الأمريكية تعتبر نفسها مسئولة عن توصية التقسيم نظراً لما قامت به من نشاط مكثف وملحوظ في أروقة الأمم المتحدة خلال عرض مشروع التقسيم بالجمعية العامة حتى حصلت على الأغلبية المطلوبة بالموافقة ، فقد عكفت أجهزة وزارة الخارجية (الأمريكية) المعنية (١) على دراسة الوضع من جوانبه المختلفة بما فى ذلك المحادثات التى يقوم بها مسئولون فى هذه الأجهزة مع أطراف عربية ويهودية ودولية . وكانت هذه الأجهزة ترفع ما تنتهى اليه من دراسة فى تقارير خاصة تصل الى المستويات المختلفة لتوضع خلاصتها فى النهاية أمام رئيس الجمهورية . ولقد بدأت هذه التقارير تصب فى مكتب وزير الخارجية منذ مطلع يناير ١٩٤٨ بشكل يكاد يكون يومياً نظراً لتعدد الأجهزة والجهات المكلفة بدراسة الوضع الى أن وقعت الحرب فى مايو ١٩٤٨ بعد إعلان بريطانيا انسحابها من فلسطين وانهاء انتدابها على المنطقة فى ١٥ مايو . واستمرت وزارة الخارجية فى دراسة الأوضاع المترتبة على انفجار الموقف وقيام دولة اسرائيل . وهذه التقارير موضع دراسة مستقلة أقوم بها حالياً عن سياسات الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط في أدق مرحلة من مراحل المشكلة الفلسطينية منذ التقسيم (نوفمبر ١٩٤٧) وحتى الحرب (مايو ١٩٤٨) تعتمد بشكل أساسى على وثائق الخارجية الأمريكية .

التطورات المحتملة

ولقد اخترت من بين هذه التقارير تقريراً لوكالة المخابرات الأمريكية (CIA) كانت قد رفعته فى نهاية فبراير ١٩٤٨ بعنوان «التطورات المحتملة فى فلسطين» (٢) . وتنحصر أهميته فى شموليته ورصده لتحركات الأطراف المعنية بالمشكلة ، ووضع الاحتمالات المختلفة فى ضوء الرفض العربى للتقسيم والترحيب اليهودى به . كما يوضح الى حد كبير

أوجه الاستمرار فى السياسة الأمريكية تجاه المشكلة الفلسطينية ، ومحاولة الانفراد بوضع حلول لها تتمشى مع استراتيجيتها فى الشرق الأوسط والعمل على عزل الاتحاد السوفييتي عن المشاركة فى اى من هذه الحلول .

يتناول التقرير ثلاث نقاط رئيسية . وتتعرض النقطة الاولى الى الأهداف التى كانت فى تصور كل الاطراف الأربعة المعنية بفلسطين عند صدور توصية التقسيم . وهذه الاطراف كانت انذاك : الأمم المتحدة ، وبريطانيا ، والعرب ، واليهود . وتتناول النقطة الثانية تطور الاحداث والمواقف الفعلية التى حدثت فى نطاق تلك الاطراف بعد صدور التوصية انسجاما أو اختلافا مع تصورات كل منها . أما النقطة الثالثة فتختص بالتطورات المحتمل حدوثها للتوصية فى إطار الأمم المتحدة فقط حيث يشير التقرير الى ثلاثة احتمالات أمام هذه المنظمة الدولية بشأن توصية التقسيم : الأول وهو محاولة إقامة دولة يهودية والطريق الى ذلك ، والاحتمال الثانى أن لا تقوم الأمم المتحدة بأى اجراء والثالث أن تعيد الأمم المتحدة النظر فى الموضوع برمته وكيفية ذلك .

● كان المفروض أن تقوم حكومة عربية فوق جزء من فلسطين في أبريل ١٩٤٨ ولكن العرب رفضوا الفكرة من الأساس

● المخابرات الأمريكية تدعو إلى عزل الاتحاد السوفيتي عن أي مشاركة في حل القضية الفلسطينية

● بريطانيا تعمل على شل "الأمم المتحدة" في فلسطين وتعلن الحياد بين العرب واليهود

الاعتراف بالوضع المتردي

ولنتابع الآن سيناريو تصورات ومواقف الأطراف الأربعة المعنية بتوصية التقسيم كما أشار اليها التقرير فى نقطتيه الأوليين ، ثم ننتقل إلى الاحتمالات التى تصورتها المخابرات الأمريكية المتوقع أن تقدم عليها الأمم المتحدة بشأن التوصية .

عندما صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بالموافقة على توصية التقسيم كان واضحا لديها الاجراء الذي سوف يتلو ذلك ، حيث فكرت في تشكيل لجنة خماسية تضم مندوبين من الدانمارك وتشيكوسلوفاكيا وبوليفيا وبنما والفليبين يكون مقرها نيويورك وتزود بسكرتارية تضم مسئولين اداريين وخبراء فنيين . وبعد مشاورات مع حكومة الانتداب (بريطانيا) تذهب اللجنة وسكرتاريتها إلى فلسطين فى أواخر ديسمبر ١٩٤٧ . وفى فلسطين تتولى اللجنة مسئولية الادارة من بريطانيا فى المناطق التى سوف تنسحب منها القوات البريطانية . على أن يتم الانسحاب فى موعد لا يتعدى الأول من اغسطس ١٩٤٨ . وخلال فترة انتقال السلطة من حكومة الانتداب الى اللجنة الخماسية تتعاون اللجنة مع الوكالة اليهودية واللجنة العربية العليا فى تشكيل مجالس حكومية مؤقتة لكل من الدولتين المقترحتين (العربية واليهودية) ،وتشكيل هيئة اقتصادية مشتركة . على أن ينتهى تشكيل المجلسين المؤقتين عند أول أبريل ١٩٤٨ . وبعد ذلك تقوم اللجنة الخماسية بنقل السلطات الادارية بشكل سريع الى المجلسين اللذين سيصبحان بمثابة حكومتين مؤقتتين للدولتين الجديدتين الى أن يعلن استقلال الحكومتين في موعد لا يقل عن أول أكتوبر ١٩٤٨ . ويكون من مهام اللجنة الخماسية تعيين حدود الدولتين المقترحتين ، وتنفيذ كل التوصيات التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بارشاد واشراف مجلس الأمن .

لكن الأمم المتحدة كانت تواجه منذ البداية صعوبات أمام تنفيذ الطريق الذى اختطته وتصورته . وفى مقدمة هذه الصعوبات أن الدول الخمس المقرر تشكيل اللجنة الخماسية من مندوبيها لم ترشح الأعضاء المطلوبين إلا فى أواخر ديسمبر (١٩٤٧) ، رغم مناشدة السكرتير العام للأمم المتحدة تريجفى لي Trygve Lie لهذه الدول أكثر من مرة بأن تعجل بالترشيح . ثم تأخر وصول هؤلاء الأعضاء الى نيويورك لكى يجتمعوا معاً للمرة الأولى حتى ٩ يناير ١٩٤٨ . ومن ناحية أخرى أعلنت بريطانيا أنها ستنهى انتدابها على فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وكان معنى هذا اصابة كل الترتيبات التى تصورتها الأمم المتحدة بالشلل ، وكذا التواريخ التى وضعتها لذهاب اللجنة الى فلسطين فى أواخر ديسمبر ١٩٤٧ ، وتشكيل المجلسين المؤقتين فى أول ابريل ١٩٤٨ ، وانسحاب بريطانيا فى أول أغسطس ١٩٤٨ ، واعلان استقلال الدولتين فى أول أكتوبر ١٩٤٨ .

وأكثر من هذا فان اللجنة الخماسية لم تحرز إلا تقدماً ضئيلا فى المهمة الموكولة إليها لأن نجاحها كان مبنياً على فرضية أن يتعاون معها اليهود والعرب وبريطانيا . غير ان الذى حدث أن اليهود وحدهم هم الذين تعاونوا معها تعاوناً كاملا ، وهذا شىء طبيعى إذ التوصية فى صالحهم . أما العرب فقد رفضوا بشدة تقديم اى معاونة ، على حين حددت بريطانيا تعاونها فى ضوء تفسيرها لمسئولياتها كسلطة انتداب ، ورفضت السماح بدخول اللجنة الخماسية فلسطين إلا قبل أسبوعين فقط من التاريخ الذى حددته لانتهاء الانتداب (١٥ مايو ١٩٤٨) . وكان هذا يعنى استحالة قيام اللجنة باقامة الحكومتين المؤقتتين (العربية واليهودية) فى الموعد المحدد (أول ابريل ١٩٤٨) . كما رفضت بريطانيا التخلى عن سلطاتها الادارية فى فلسطين حتى يحين أجل انتهاء الانتداب ، مما حال دون إحراز تقدم فى نقل هذه السلطات الى اللجنة الخماسية . وبالتالى لم يكن امام اللجنة سوى الاعتراف بالوضع المتردى لحالة الأمن فى فلسطين ، وعجزها عن تنفيذ توصيات الجمعية العامة دون استخدام قوة شرطة دولية مناسبة

كل الجهود الممكنة !!

أما خطط بريطانيا المتصورة عند توصية التقسيم فقد كانت نفس خططها خلال انعقاد جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة للنظر فى التوصية . ولقد أكدت بريطانيا أكثر من مرة أنها سترفض المساعدة فى تنفيذ قرار للأمم المتحدة لا يحظى بقبول كل من اليهود والعرب ، وأن وضعها فى فلسطين يرتبط بشروط وقواعد الانتداب الى ان يحين انتهاؤه ، وانسحابها من المنطقة . وعلى هذا فحكومة الانتداب

رؤية المخابرات الأمريكية لمشكلة فلسطين

● كان اليهود منذ البداية يريدون إقامة دولتهم على كل أرض فلسطين

سوف تبقى على وحدة الادارة والأمن الداخلى فى يدها دون تقسيم حتى انتهاء الانتداب . وهذا يعنى ان مسئولية بريطانيا سوف تستمر فى كل المناطق التى تحتلها عسكرياً حتى تنسحب هذه القوات واخيراً اكدت بريطانيا بكل حزم انها تنقل سلطات الادارة الى اللجنة الخماسية ، وكل ما سوف تفعله هو أن تعلن عن تخليها فقط عن هذه السلطات ، وهى السلطات التى من المفترض ان تتولاها الامم المتحدة بواسطة اللجنة الخماسية . وباختصار – كما يقول التقرير – فان بريطانيا لن تعرقل جهود اللجنة الخماسية ، ولن تشارك فى اعمالها أو تقدم لها المساعدات فى نفس الوقت .

ومنذ صدور التوصية عملت حكومة الانتداب على المحافظة على الأمن الداخلي فى فلسطين مستخدمة فى ذلك قوات الشرطة التابعة لها والقوات العسكرية ايضاً . وكان يعوق استمرار بريطانيا فى هذا الموقف خطة الجلاء التى وضعتها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وما تفرضه من تخفيف قواتها شيئاً فشيئاً ، مما اثر بشكل ملحوظ على الاجراءات الأمنية . ومن ناحية اخرى ، فان رغبة بريطانيا فى عدم إثارة سخط الدول العربية حال دون تطبيق إجراءات أمنية على نطاق واسع لكبح العدوان المتبادل بين العرب واليهود . ويشهد تقرير المخابرات الأمريكية أن القوات البريطانية كانت غير منحازة فى محاولة كبح جماح ذلك العدوان . كما يشير إلى أن هدف بريطانيا الأساسي انذاك كان الحيلولة دون حدوث فوضى عامة أو قيام حرب على نطاق واسع إلى أن يتم انسحاب قواتها العسكرية على الاقل .

وفي الأمم المتحدة بذل الوفد البريطاني كل الجهود الممكنة لكي يطلع اللجنة الخماسية على صعوبات الموقف فى فلسطين . وقدم لها النصح والارشاد فيما يتعلق بالأمور الادارية وبمسالة مشروع وضع مدينة القدس تحت نظام الوصاية ، وأيضاً فيما يتعلق بتشكيل الحكومتين المؤقتتين . ولكن الوفد رفض القيام باية مسئوليات مشتركة مع اللجنة الخماسية لاقامة الدولتين الجديدتين المقترحتين فى فلسطين ، أو تقديم أية تسهيلات قد تفسر على انها تاييد بريطاني لجانب ضد جانب آخر .

وعلى هذا الأساس رفضت بريطانيا – كما يذهب التقرير – إعداد ميناء بحري فى أول فبراير ١٩٤٨ ليستقبل اعداداً غير محدودة من اليهود المهاجرين طبقاً لما جاء فى توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ثمانية آلاف متطوع

أما بالنسبة للعرب ، فقد وضعتهم التوصية – كما يقول التقرير – في موقف الدفاع ، وفاجات كل خططهم ، فتوقفت الى حد كبير . وتعددت ردود الفعل في كل البلاد العربية سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى المجموعات السياسية المختلفة .

وانفجر رد الفعل هذا في مشروعات مختلفة باختلاف الحكومات والمجموعات السياسية .

ورغم وجود مثل هذه الخلافات ، فان العرب اتفقوا على انهم لن يسمحوا بوجود دولة صهيونية فى العالم العربي . وتحقيقاً لذلك ، فمن المتصور أن تتبع الخطوات التالية :

الاستعداد العسكري في فلسطين وفي الدول العربية لمنع اجراءات إقامة دولة يهودية تعتمد في وجودها على القوة العسكرية ، ورفض التعاون مع اللجنة الخماسية بأي شكل من الاشكال ، وإقامة دولة واحدة مستقلة تضم كل فلسطين ، ومنع الهجرة اليهودية حتى تقوم هذه الدولة الواحدة بوضع سياسة للهجرة

وبالاضافة إلى هذه الاجراءات المتصورة وضعت مجموعات عربية اخرى تصوراً لاجراءين إضافيين . ويتمثل الاجراء الأول فى القيام بالعمل داخل أجهزة الأمم المتحدة . واصحاب هذا الاجراء هم العناصر الأكثر مسئولية والأكثر اعتدالا كما يقول التقرير ، وإن لم يحدد أشخاصها ومواقعها من المسئولية السياسية داخل البلاد العربية . أما الاجراء الآخر ، فيهدف أصحابه إلى قطع كل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع الدول التى أيدت توصية التقسيم . واصحاب هذا الاجراء هم المجموعات القومية الأكثر تطرفاً كما يقول التقرير . ولكن لم تحدث موافقة عامة من العرب على أي من تلك التصورات السالفة ،

والذي حدث أن الدول العربية أرسلت مذكرات احتجاج شديدة للبعثات الدبلوماسية الأمريكية الموجودة فى البلاد العربية على أساس مسئولية الولايات المتحدة عن توصية التقسيم .

على كل حال ، كان رد الفعل عند العرب لتوصية التقسيم فورياً وعنيفاً . فقد اندلعت الاضطرابات والمظاهرات فى أنحاء فلسطين ، وانتهت بعمليات شغب هنا وهناك . ولم يات منتصف يناير (١٩٤٨) حتى كانت أعمال العنف المتقطعة والمتفرقة فى فلسطين قد تطورت إلى أعمال عدائية على جانب كبير من التنظيم . وفي مطلع فبراير بدأت مجموعات عربية منتظمة فى العمل فى مناطق مختلفة من البلاد . وقيل إن اللجنة العليا توجه نشاط هذه المجموعات .

وعند هذه النقطة يشير التقرير إلى أن طبيعة نشاط عرب فلسطين توحي بأن أهدافهم (الآن) وإلى أن يحين الانسحاب البريطاني تتلخص فى ستة أهداف هي :

تجنب إثارة العداء مع القوات البريطانية كلما أمكن ذلك ، وشراء المواد التموينية الأساسية مثل الأطعمة والأسلحة والمعدات والملابس ، وتعطيل التجارة اليهودية ، وكذا وسائل النقل والمواصلات دون شن هجوم على نطاق واسع ، وتجنيد قوات متطوعة داخل وخارج فلسطين وتدريبها على العمل الفدائي ، وتكوين قيادة

عسكرية موحدة ، وإقامة اتصالات مع قنوات الجامعة العربية للحصول على المساعدات اللازمة . ثم يعلق التقرير على هذه الأهداف بأن الغرض المحدد منها ـ كما يبدو ـ ضبط اندفاع العناصر المتحمسة للتحرك ضد اليهود .

وخلال سلسلة من الاجتماعات فى صوفر وعاليه ، والقاهرة بين مندوبي الجامعة العربية ، تم التوصل الى برنامج للعمل رغم خلافاتهم فى الرأي . ولم يكن هذا البرنامج سوى اعتراف بكل النشاطات التى يمارسها عرب فلسطين آنذاك ، ويرمي كما يقول التقرير إلى مساعدة الحركة غير النظامية فى فلسطين بالمال والسلاح والرجال ، ومرابطة قوات الدول العربية على حدود فلسطين للمراقبة بحيث تدخل فلسطين بعد انسحاب بريطانيا .

وعلى الفور قامت حملة في كل البلاد العربية لجمع التبرعات المالية . كما تجمع المتطوعون من العراق ، وسوريا ، ولبنان ، وشرق الأردن فى معسكر قطنة بسوريا للتدريب . وفي منتصف فبراير (١٩٤٨) كان أكثر من ثمانية آلاف متطوع قد تسللوا إلى داخل فلسطين في زي عسكري وحاملين أسلحتهم . كما تحركت قوات سورية ومصرية وشرق أردنية إلى حدود فلسطين ، ووردت تقارير بتحرك فرق عراقية إلى شرق الأردن . وبذلت الجهود للحصول على السلاح والعتاد حيث وقعت سوريا اتفاقاً مع سكودا Skoda حصلت بموجبه على الدفعة الأولى من السلاح .

وعلى الرغم من عدم إعلان اسم قيادة القوات العربية ، فمن المعروف أن ضباطاً سابقين بالجيش السوري والعراقي سوف يتولون مهام القيادة بالاضافة إلى قيادات أخرى خبيرة بحرب العصابات .

في مواجهة المعارضة العربية

أما خطة اليهود التى تصوروها عند توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة بالتقسيم ، فكانت واضحة المعالم تماماً . فقد قررت الوكالة اليهودية ـ الممثل الرسمي للجالية اليهودية فى فلسطين ـ التعاون مع اللجنة الخماسية فى إقامة الدولة اليهودية المقترحة ، رغم أن الوكالة كانت تأمل فى الحصول على أكبر جزء من فلسطين فى الدولة المقترحة . وتقوم الوكالة (حالياً) بالتخطيط لتشكيل قوات للأمن الداخلي وتكوين هيئات إدارية مدربة وتقوم بالدعاية فى كل أنحاء العالم للحصول على مساعدات مالية وعسكرية ضد أية محاولات للعرب لمنع تنفيذ توصية الجمعية العامة . أما أهداف العناصر الأكثر تطرفا من اليهود المعروفين اصطلاحاً بالتصحيحيين Revisionists بما فيهم عصابات الأرجون زفاي ليومي وشترن فتتلخص في محاربة كل من الانجليز والعرب ، وإقامة دولة يهودية في كل فلسطين بما فيها شرق الأردن .

أما من حيث النشاط الفعلي لليهود بعد التوصية ، فقد تركز ـ مع استثناء المتطرفين ـ فى الاستعداد للدولة الجديدة حيث كان قبولهم للتوصية يعد انتصاراً أولياً استطاعوا تحقيقه . وفي مواجهة المعارضة العربية العنيفة ، استهدفت الوكالة اليهودية فوراً القيام باجراءات ثلاثة تتلخص في : تقوية قوات الدفاع الداخلي للدولة اليهودية المقترحة ، وتنظيم وتدريب هيئات للادارة ، والتعاون مع الأمم المتحدة فى تنفيذ توصية الجمعية العامة بشأن التقسيم . ثم زادت عملية تجنيد وتدريب عناصر للهاجاناه (المليشيا الرسمية للوكالة اليهودية) ، حيث عملت على حماية الجالية اليهودية من هجمات العرب ، كما تصرفت كقوة شرطة محلية رغم عدم اعتراف حكومة الانتداب بشرعية الهاجاناه . في ذلك الوقت تبنت الهاجاناه سياسة دفاعية نشطة بالاضافة الى قيامها بغارات إرهابية ضد العرب تشبه في تكتيكها الغارات التي تقوم بها عصابات الأرجون وشترن ضد القوات البريطانية ، حيث تواصل هاتان المجموعتان المتطرفتان الحرب ضد البريطانيين . وعلى الرغم من انهما يرفضان توصية التقسيم ، ويطالبان بفلسطين كلها للدولة اليهودية المقترحة بما في ذلك شرق الأردن ، إلا أنهما قد وافقتا ـ كما يقول التقرير ـ على محاربة العرب جنباً إلى جنب الهاجاناه .

موقف الأطراف المعنية

ولننتقل الآن الى التعرف على رؤية المخابرات الأمريكية فى التطورات التى يمكن ان تنتهى اليها الأوضاع فى فلسطين آنذاك فى ضوء تلخيص موقف الأطراف المعنية ، وفي ضوء تبني السياسة الأمريكية بشكل رسمي لتوصية التقسيم الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة

فى بداية هذه النقطة يشير التقرير إلى أن خطة تقسيم فلسطين لا يمكن تنفيذها بدون تعاون العرب . وليس من المتصور فى نفس الوقت أن يتخلى العرب عن معارضتهم العنيفة (الحالية) للتقسيم ، حيث أصبحت الحرب بالنسبة للجماهير العربية عقيدة دينية ، وبالنسبة للطبقات الحاكمة مبدأ سياسياً لا يتجاسرون على إهماله ، فضلا عن ان العرب لا يقبلون الاذعان بالقوة لحركة يرعاها الغرب ويعتقدون انها تهدد نهضة القرن العشرين التى نمت فيها مدنيتهم المحلية .

ولما كان تنفيذ خطة التقسيم بالكامل أصبح ضرباً من المحال ـ كما يقول التقرير ـ فقد رأت وكالة المخابرات الأمريكية أن التطورات المحتملة لا تخرج عن ثلاثة ، تدور كلها فى إطار الأمم المتحدة وبعيداً عن الأطراف الأخرى (بريطانيا والعرب واليهود) بعد أن وضحت مواقفها وخاصة بريطانيا والعرب . وتتلخص هذه الاحتمالات فى : ان تحاول الأمم المتحدة إقامة دولة يهودية بالقوة ، أو أن لا تقوم بأى شيء ، أو أن تعيد النظر فى القضية برمتها .

فيما يتعلق بالاحتمال الأول وهو اقامة الدولة اليهودية بالقوة طَرَقَ التقرير مختلف الامكانات الموصلة لذلك بادئا بالقيام بمحاولة لاقناع بريطانيا بتغيير سياستها القائمة (حالياً) فى فلسطين بحيث تسمح بانشاء ميليشيا يهودية ، وتوافق على نقل السلطة نقلا سريعاً ، وان تسمح بحضور اللجنة الخماسية قبل أول

مايو (١٩٤٨) ، وان تخصص فوراً ميناء بحرياً للهجرة اليهودية ، وان تقوم بقمع نشاط العصابات العربية . وهنا يشير التقرير إلى وجود صعوبات اقتصادية حقيقية من وجهة نظر بريطانيا تكتنف تحقيق هذه المسالة ، وعدم ميلها لاثارة سخط العالم العربى ، وإصرارها على ان تنتهج سياسة « محايدة » فى المنطقة منذ عرضت المشكلة برمتها على الأمم المتحدة فى العام الماضى (١٩٤٧) . وكل هذا يجعل من غير المتوقع ان تغير بريطانيا موقفها من (الآن) وحتى انسحابها . وعلى هذا فان إمكانية إقامة دولة يهودية يكون فى حالة تزويد اللجنة الخماسية للأمم المتحدة بقوة شرطة قوية لمقاومة عدوان العرب ، أو فى حالة امداد اليهود فى فلسطين بمساعدة عسكرية كافية من الخارج للتغلب على المعارضة العربية .

وبعد أن يخلص التقرير الى أن اقامة الدولة اليهودية لا يكون الا باستخدام القوة ، يبدأ فى استعراض الكيفية التى يتم بها تحقيق ذلك واضعاً نصب الأعين الاعتراض على اية فكرة تؤدى من قريب أو من بعيد الى مشاركة الاتحاد السوفييتي منعاً لتسلله الى المنطقة .

وفى البداية يطرح فكرة أن يقوم مجلس الأمن بتشكيل قوات شرطة من الدول الكبرى وخاصة من الدول الدائمة بالمجلس وهى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي والصين . وفى هذه الحالة سوف يرحب الاتحاد السوفييتي بمثل هذه الفرصة التى تمكنه من إرسال قواته إلى فلسطين . أما فرنسا فمن المحتمل أن تسعد بهذه الخطوة التى تمكنها من وضع قدمها فى الشرق الأوسط مرة أخرى (وهذه اشارة الى جلاء فرنسا عن سوريا ولبنان) . وأما الصين فهى ترحب بان يكون لها حضور فى قوة شرطة دولية لأسباب تتعلق بمكانتها بين الدول ، ولو انه لن يكون فى مقدورها تقديم قوات ملحوظة نظراً لانشغالها فى الحرب الأهلية الدائرة هناك . وأما انجلترا فسوف ترفض فى الغالب الأعم المشاركة فى هذه القوات انسجاماً مع موقفها المعلن . ولم يبق الا القوات الأمريكية التى لن ترسل بدورها الى فلسطين طبقاً لتصريح الرئيس ترومان فى هذا الشان .

وعلى هذا فان إرسال قوات تتالف فقط من فرق سوفيتية وفرنسية وصينية قد لا يجعل أمام بريطانيا والولايات المتحدة من بديل سوى استخدام الفيتو ، وإما الموافقة الضمنية على فتح فلسطين للتسلل السوفييتي ، إذا ما تشكلت هذه القوة دون مشاركة بريطانيا والولايات المتحدة .

وإذا كان الامر كذلك ، فان المخابرات الأمريكية تطرح فكرة أن تتكون قوات الشرطة الدولية من الدول غير الكبرى . أما مكامن الخطر في هذه الفكرة عند المخابرات فتتضح فى احتمال مشاركة قوات الدول التابعة للاتحاد السوفييتي ، وبالتالي تسهيل دخولها فلسطين . فاذا ما تمت محاولة فى مجلس الأمن لاستبعاد تلك الدول من المشاركة ، فمن المحتمل أن يستخدم الاتحاد السوفييتي الفيتو ضد تشكيل اية قوة دولية لا تضم فرقا من الدول التابعة له . وحتى إذا وافقت الدول الكبرى على تشكيل القوة من الدول غير الكبرى ، فليس من المحتمل أن يسهم عدد كاف من تلك الدول بقوات مناسبة .

وفي النهاية ـ كما يذكر التقرير ـ فان تشكيل قوة شرطة دولية لن يتوقف على قرار من مجلس الأمن فقط ، بل سوف يتوقف على مدى رغبة الدول فى الاسهام فى هذه القوة . وليس من المتوقع أيضاً أن تنفرد دولة من الدول بتشكيل مثل هذه القوة حفاظاً من جانبها على مكانة الأمم المتحدة كمنظمة دولية . ومن المحتمل في ضوء حالة الأمن الدولي (حالياً) أن لا ترسل اية دولة قواتها لمحاربة العرب في فلسطين بهدف إقامة دولة يهودية مالم تشعر أن فشل التقسيم يعني تهديدا لمصالحها القومية ، أو ما إذا كانت ترى فى ذلك فرصة لتوسيع نطاق نفوذها الدولي .

وإذا ما أخذ مجلس الأمن الدولي بهذه الفكرة ، فان الاتحاد السوفييتي هو الدولة الوحيدة التى سوف تحقق مكاسب من ارسال قوات إلى فلسطين كما يذكر التقرير وهذا شيء مرفوض حيث أن لدى كل من بريطانيا والولايات المتحدة مبررات استراتيجية قوية تجعلهما يرفضان السماح للاتحاد السوفييتي أو القوى الخاضعة له من دخول فلسطين . وباختصار ينتهي التقرير عند هذه النقطة إلى أن تشكيل قوة شرطة دولية ، ليس من المحتمل على الاطلاق .

وحيث أن استخدام قوة شرطة دولية لاقامة الدولة اليهودية سواء أكانت من الدول الكبرى أو من الدول غير الكبرى ، لابد وان يعطي فرصة للاتحاد السوفييتي من دخول فلسطين ، الأمر الذي ترفضه المخابرات الأمريكية لاعتبارات استراتيجية انجلو ـ أمريكية ، فقد ناقشت المخابرات فكرة أن يكون البديل الوحيد لقوة الشرطة الدولية ، ارسال المساعدة العسكرية لليهود بكمية تجعلهم قادرين على قمع المعارضة العربية كلها داخل فلسطين وخارجها ، وإقامة الدولة اليهودية مع المحافظة عليها ، وقد تاخذ هذه المساعدة شكل قوات «دولية» متطوعة ، أو تاتي من خلال توصية يصدرها مجلس الأمن للدول الأعضاء فى الأمم المتحدة بمقاطعة الدول العربية لمقاومتها عمداً قراراً صادراً من مجلس الأمن ، مما يفرض مساعدة الدولة اليهودية بالمال والسلاح والعتاد . ويترتب على ذلك أن تبقى اللجنة الخماسية كجهاز يشكل همزة وصل بين مجلس الأمن والدولة الجديدة دون أن يتولى تخطيط الحدود التى سبق أن أوصت بها الجمعية العامة ، كما لا يكون من مهام اللجنة الاتصال بالعرب ، أو انشاء ادارة خاصة في القدس .

ولا يفوت المخابرات الأمريكية أن تشير إلى أن الأخذ بذلك البديل يعني انحراف توصية التقسيم عن غرضها الكلي ، ألا وهو إنشاء دولتين مستقلتين فى فلسطين ، والاكتفاء بدلا من ذلك بتنظيم اقامة دولة واحدة والدفاع عنها ، ألا وهي الدولة اليهودية .

ثم تنتهي المخابرات الى احتمال أخر يتمثل في قيام مجلس الأمن بتشجيع فكرة تشكيل قوات دولية متطوعة ، أو موافقته على ان تقوم الدول الأعضاء منفردة بعيدة عنه بالتصرف الذي تراه . وتنتقد المخابرات هذا الاحتمال لانه فى رايها ، يضع منهجاً يمثل خطورة فائقة على السلام العالمي . لكننا لا نلبث أن نعرف بواعث هذا النقد حين يذكر التقرير فى الجملة التالية : أن الاتحاد السوفييتي سيسارع بانتهاز فرصة فتح الطريق أمام التصرف الفردي بمساعدة اليهود . ومن ثم يمتد النفوذ الاستراتيجي السوفييتي الى

فلسطين والشرق الأوسط . وحيث أن الأمر كذلك ، فالمخابرات تقدم الحجة القوية لبريطانيا والولايات المتحدة لعدم التصديق على مثل هذا الاجراء إذا ما اتجهت النية الى طرحه فى مجلس الأمن .

الاحتمال يعطي فرصة

ينتقل التقرير بعد ذلك الى دراسة احتمال أن لا تقوم الأمم المتحدة بأي اجراء تجاه التوصية . ولكن النتائج التى تترتب على ذلك ـ في رأي المخابرات ـ سوف تكون مدمرة ، وسوف تنتقص من مكانة الامم المتحدة ووضعها كمنظمة دولية . وفي هذه الحالة ، سيكون كل من اليهود والعرب فى فلسطين أحرارا فى التماس المساعدة من الدول المختلفة ، بل والتحالف مع أية قوة من القوى . وسوف يصعب ـ إن لم يكن من المستحيل ـ حصر الصراع داخل فلسطين وجعله محلياً ، بل لا يمكن تجنب تورط أية دولة لها مصالح حيوية فى العالم العربي في هذا الصراع .

ولا تنسى المخابرات الأمريكية أن تنبه إلى أن هذا الاحتمال يعطي أيضاً فرصة للاتحاد السوفييتي لكي يرسل قواته إلى فلسطين ، حيث أن كلا من الطرفين المتصارعين (اليهود والعرب) سوف يقبلان المساعدة من أي طرف يقدمها ، وبالتالي فمن الصعب تصور إمكان منع الاتحاد السوفييتى من ارسال قواته .

إعادة النظر فى الموضوع

لم يبق إلا احتمال أن تعيد الأمم المتحدة النظر فى الموضوع برمته ، نظراً لان عدم تنفيذ التقسيم أصبح أمراً واضحاً ، ونظراً للمخاطر التى تصحب اقامة الدولة اليهودية بالقوة على نحو ما سبقت الاشارة فى الاحتمالين السابقين .

واعادة النظر فى الموضوع تكون من خلال مجلس الأمن أو من الجمعية العامة . فمن الممكن أن يطلب مجلس الأمن من محكمة العدل الدولية إبداء الرأى فى قانونية توصية الجمعية العامة . كما يمكن أن يناقش فكرة عقد هدنة بين العرب واليهود . وهى هدنة ترى المخابرات أن العرب سيوافقون عليها ، كما يوافق عليها اليهود أيضاً لأنهم يعتمدون فى تحقيق وجودهم على الأمم المتحدة رغم ان قيامهم بالعنف قد يستمر . ثم هناك اقتراح بتكوين هيئة توفيق تساعد على إعادة النظر فى المسألة دون تدمير مكانة الأمم المتحدة .

فاذا ما أخفق مجلس الأمن فى التوصل الى شيء فمن المحتمل أن يدعو السكرتير العام الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة لاعادة النظر فى الموضوع . وهذا الاجراء فى حد ذاته ـ كما يقول التقرير ـ يعنى اعتبار مشروع التقسيم أمراً لاغياً ومن المستحيل التنبؤ بالتطورات التى سوف تحدث فى هذه الحالة .

ويشير التقرير فى النهاية الى نقطتين على جانب كبير من الاهمية ، الاولى أن المعارضة العربية بشكلها الحالى تبطل آلياً توصية الأمم المتحدة بالتقسيم التى تقوم أساساً على افتراض التعاون العربى اليهودى وهو غير متوقع . والثانية انه فى حالة اقامة دولة يهودية تحميها القوة المسلحة ، فسوف يتعين على هذه الدولة أن تحمى نفسها باستمرار ليس فقط ضد جيرانها المعادين ، بل ضد مقاومة أربعمائة وخمسين الف عربى داخل حدودها .

أمر غير مطلوب

إذن .. لقد رفض العرب فكرة التقسيم من أساسها .. ورفضتها العناصر المتطرفة الصهيونية (الأرجون وشتيرن) لأن هذه العناصر كانت تطالب بكل فلسطين بما فى ذلك شرق الأردن .. وقبلتها الوكالة اليهودية (الهيئة الرسمية لليهود فى فلسطين تحت الانتداب) على أمل الحصول على أكبر مساحة ممكنة للدولة اليهودية المقترحة فى التقسيم .

وكان رفض العرب للفكرة دافعاً للمخابرات الأمريكية لأن تدرس فى تقريرها احتمال قيام الأمم المتحدة باقامة دولة يهودية فقط . ثم اعترف التقرير بان توصية التقسيم لايمكن تنفيذها الا باستخدام القوة تحت علم الأمم المتحدة . وكان استخدام القوة فضلا عن المخاطر التى ينطوى عليها من حيث وضع سابقة تاريخية فى المجتمع الدولى ، لابد وأن يفتح الباب لمشاركة الاتحاد السوفييتى ، وهذا أمر غير مطلوب من وجهة نظر المخابرات الأمريكية لما فيه من تهديد للمصالح الاستراتيجية الأمريكية .

وبعد .. أليست محاولات ابعاد الاتحاد السوفييتى عن المشاركة فى حل أزمات الشرق الأوسط محاولات مبكرة ! .. وأليست هذه المحاولات ما تزال قائمة خاصة فى أدق مراحل هذه الأزمات قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما بعدها ، لكى تنفرد الولايات المتحدة بتقديم الحلول التى تخدم استراتيجيتها ؟! .

وأليست سياسة الحكومة الاسرائيلية حاليا هى استمرار لسياسة عصابتى الارجون وشتيرن والذى كان مناحيم بيجن أحد أبرز قياداتها ، والتى كانت تطالب بكل فلسطين (وكانت تشمل آنذاك الضفة الغربية وقطاع غزة) ، وأيضاً شرق الأردن

وأخيراً .. هل يمكن القول إن هذا التقرير يلقى بالمسئولية على عاتق الولايات المتحدة ، وينصف بريطانيا التى وقفت موقف الحياد بين العرب واليهود منذ عرضت المشكلة على الأمم المتحدة ريثما تتوصل المنظمة الدولية الى حل يقبله الطرفان طواعيه واختيارا هذا بصرف النظر عن النقد الموجه والمعروف سلفاً للسياسة البريطانية فى فلسطين خلال الانتداب ، وحقيقة الأسباب التى دفعت بريطانيا الى أن تقدم موعد انسحابها الى ١٥ مايو ١٩٤٨ بدلا من أول أغسطس ١٩٤٨.!!

د. عاصم الدسوقى

هوامش

(١) من هذه الأجهزة على سبيل المثال : قسم بحوث شئون الشرق الأدنى وافريقية ، ومكتب الشئون الأوربية ، وقسم شئون الشرق الأدنى ، ومكتب شئون الشرق الأدنى وافريقية وهيئة التخطيط السياسي ، ومكتب الشئون السياسية الخارجية ، وقسم شئون المناطق التابعة ، ومكتب شئون الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن القومي ، والمستشار الخاص للرئيس الأمريكي ، بالاضافة إلى البعثات الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط .

(٢) ملفات وكالة المخابرات المركزية ، تقرير بعنوان «تطورات محتملة فى فلسطين» بتاريخ ٢٨ فبراير ١٩٤٨ ، واشنطون/سري ، رقم ORE 7-48

استنكار البدعة وكراهة الجديد موقف إسلامي أم جاهلي؟

بقلم: حسين أحمد أمين

كان جل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام قومه مخالفاً للمألوف عندهم ، وللقيم والتقاليد السائدة بينهم ، مناقضاً لمثلهم ونظرتهم الأساسية إلى الحياة مما توارثوه جيلا عن جيل . فلا غرو أن لم تجد دعوته صدى واستجابة سريعين لدى أهل مكة . وما كانت المعارضة القوية التى لقيها منهم ناشئة عن امتعاضهم من تسفيهه لعبادة الأوثان ، بقدر ما كانت نتيجة دعوته إياهم الى تبنى موقف من الحياة لا هو مألوف ولا مقبول . فتعلقهم بأصنامهم كان سطحياً وفى طريقه الى الزوال . غير أنه جاء يدعوهم الى استهجان قيم ورثوها عن آبائهم وأجدادهم كانوا يرون فيها أرقى مثل تحتذى . وسمعوه يسفه آباءهم وكانوا لا يفخرون بشىء فخرهم بالآباء . ورأوه يتحدث عما يعتبرونه من الفضائل الكبرى وكأنما هى مما يشين المرء أن يتخلق به .

وما كان ثمة عربي أصيل يسعده أو يسهل عليه ان يتخلى عما ورثه من مفهوم عن الفضيلة . كان العربي إذا فخر بفضائله أكد أنه بتبنيه إياها إنما يسعى إلى التشبه بآبائه . بل إنه حتى فى قراه للضيف كان يحرص على أن يقدم الطعام لاضيافه في الأواني التى ورثها عن أجداده . وها نحن نرى أبا امريء القيس لا يورث ابنه سلاحه وخيوله فحسب ، وإنما يترك له أيضاً « قدوره » التى هي رمز الكرم وحسن الضيافة حتى يواصل بها الممارسة المتوارثة لهاتين الفضيلتين .

لم يكن بوسع مثل هؤلاء قبول فكر جديد أو قيم مستحدثة ليس لها أساس مما تتناقله الأجيال وتحفظه التقاليد . قد كان مجد الفرد منهم من مجد قبيلته ، ومجد قبيلته من مجد أجدادها (وهو ما عرفوه باسم الحسب) فالحسب وعظمة الأجداد هما أبرز دواعي الفخر لدى الفرد ولدى القبيلة على السواء . وما كان المجد الشخصي ليهمهم قدر ما يهمهم الحسب والمجد المورث ، فان ساءتهم دناءة مسلك امريء فسروها بدناءة أصله وخمول ذكر أجداده .

ثم هاهم يرون رجلا منهم يظهر بينهم بدعوة جديدة كل الجدة . ويرونه علاوة على ذلك لا يملك من مؤهلات الزعامة والرئاسة ما الفوه ووقروه وأعجبوا به من مؤهلات في شيوخهم وساداتهم . أتى يكلمهم فيما لا يفهمون ولا يعرفون له أصلا: ككبح الشهوات ، والتضحية بالمال ، والزهد فى الحياة الدنيا . والقرآن الذي جاء به من عند ربه يحرم الخمر والزنا ، وهما ما كان الجاهليون يسمونهما بالأطيبين . وهو يدعو إلى أخوة ومساواة . وينهي عن الفخر بالحسب وعن التنافس بين القبائل ، مؤكدا أنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لحر على عبد إلا بالتقوى . وهو يمتدح المسالمين وقومه يرون في المسالمة ضعفاً :

* ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم *

ويثني على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقومه يهزأون ممن ترك الثأر واغتفر إساءة أو رد السيئة بالحسنة ، ويعتبرون من أقذع أبيات الهجاء بيت قريظ بن أنيف الذي يعير فيه قومه فيصفهم بانهم :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحسانا !

موقف القرآن من التقاليد

غير أن ابن سعد يذكر أن أهل مكة ما اشتدوا وغلظوا فى معارضة النبي حتى هاجم آباءهم ونعتهم بالكفر وسفه أحلامهم. وقد كانت شكواهم إلى عمه أبي طالب هي من أنه « ضلل آباءنا ... وإنا والله لا نصبر على شتم آبائنا » . وقد شن القرآن الكريم هجوماً عنيفاً في آيات كثيرة على تعلق الناس بالقيم والآراء والعقائد الموروثة عن الآباء رغم مخالفتهاللعقل ومناقضتها لكل منطق : فقوم النبي (مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل) هود ١٠٩ . غير أن عقائد الآباء ليست صائبة بالضرورة : (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) البقرة ١٧٠ . فان كانت معتقداتهم فاسدة فلا ينبغي قبولها : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولَّهُم منكم فأولئك هم الظالمون) التوبة ٢٣ . كذلك فانه بمضي الأيام والعصور ، وبنمو المعارف وتراكمها قد يدرك الأبناء من الحقائق ما لم يكن للآباء والأجداد به علم : (يا أبت إني قد

جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني) مريم ٤٣ . وإذ المرء بطبيعته عدو لما يجهل ، فالغالب أن يتشبث الآباء بمعتقداتهم البالية (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يونس ٣٩ . ومن حق الأبناء أن يجادلوا آباءهم فيما يذهبون إليه ، (إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) مريم ٤٢ . (إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم وآباؤكم في ضلال مبين) الأنبياء ٥٢ـ٥٤ . كما أن من حق الأبناء حينئذ ، بل وواجبهم ، أن يتركوا نهج الآباء ، (وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه (إنني براء مما تعبدون) الزخرف ٢٦ .ذلك أن الله أحق أن نخشاه من الآباء ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) البقرة ٢٠٠ . فان ثبت لنا بالتروي والتفكير أن آباءنا قد جانبوا الصواب والحق ، فعلينا أن نختار الصواب والحق (أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) الزخرف ٢٤ . غير أن هناك مِنَ الناس مَنْ للتقاليد على عقله وقلبه سلطان مبين ، ويأبى قبول أية بدعة مستحدثة لمجرد أنها لا تتفق مع هذه التقاليد ، (ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) القصص ٣٦ . وقد كان هذا هو موقف قوم النبي عليه الصلاة والسلام منه ؛ (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) المائدة ١٠٤ . كلما دعاهم الى رأى جديد (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا ؟) يونس ٧٨ وقالوا عنه : (ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) سبأ ٤٣ ؛ وقالوا له : (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟) هود ٦٢ ؛ (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) الزخرف ٢٣ . وهذا موقف منهم لا يستسيغه عقل ؛ (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ؟) الأعراف ٧١ . فهم قوم يأبون تحكيم المنطق والفكر ؛ (لهم قلوب لا يفقهون بها) الأعراف ١٧٩ ؛ (قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أفلا تتفكرون ؟) الأنعام ٥٠ . والتفكير هو واجبنا الأول ؛ (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل ٤٤ ؛ (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) الأنفال ٢٢ . وليكن شعارنا دائماً : (وقل رب زدنى علماً) طه ١١٤ . فان طلع علينا قوم برأى جديد ناقشناه معهم بالمنطق ؛ (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟) الأنعام ١٤٨ أما الجدال عن غير علم ومنطق فمرفوض ، (وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم) الأنعام ١١٩ ؛ (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق) الرعد ٣٧ .

«الباذنجان شفاء من كل داء»

وقد أمرنا الرسول الكريم أن نعرض ما ينسب اليه من أحاديث على القرآن ، فما اتفق منها معه قبلناه وما خالفه منها أبينا الأخذ به . فهل يعقل بعد ما أوردناه من آيات (وقد أوردناها على سبيل المثال لا الحصر) أن يسلم أحد بصحة أحاديث نسبت الى النبى مثل : «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» ، أو «ألا وإياكم ومحدثات الأمور ، فان شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار» ؟ لقد أوردت كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والمغازى والطبقات من الأحاديث المنسوبة الى الرسول ما يذم البدع ويدعو الى رفض كل جديد محدث ، ما لا يمكن أن يتفق مع مفهوم الآيات التى أشرنا اليها ، وما ليس بالوسع قبوله مع علمنا بأن كل ما جاء به الاسلام رأه الجاهلون من «محدثات الأمور» وعلمنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أعظم رافض لاتباع سنة من كان قبله . فهل يمكن لمن أنزل عليه (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الأنعام ٩١ ، و (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) البقرة ١٧٠ ، أن يقول : «سيكون فى آخر أمتى أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فاياكم وإياهم» (صحيح مسلم) ؟

فان احتج البعض بان هذه الأحاديث رواها البخارى ومسلم وغيرهما من الثقات قلنا إنه قد ورد أيضاً فى البخارى : «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر» ، وأنه قد ورد فى صحيح مسلم «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» ، وفى غير البخارى ومسلم «الباذنجان شفاء من كل داء» .

ويقينى أن مثل نبى الاسلام عليه السلام لم يكن كمثل أولئك الثوريين المجددين الذين يروى التاريخ أنهم صارعوا قومهم وجاهدوا فى سبيل نصرة آرائهم ، حتى اذا ما نجحوا وقبلت أفكارهم واستقرت واضحت جزءاً من كيان مجتمعهم ، واعتبرهم الناس أبطالا مصلحين ، جزعوا وتنكروا لكل تجديد لاحق حتى لو أن هذا التجديد كان فى نفس اتجاه فكرهم ، وهاجموا كل بدعة مستحدثة حتى لو أن هذه البدعة لم يكن لها من غرض غير مواءمة فكر البطل المصلح مع ما يستجد من ظروف ، واتهموا دعاة التجديد بالمروق والخيانة ، وأكدوا ضرورة الولاء لمبادىء الآباء والزعماء الأول ، وهو ما فعله كل من لوثر وكالفن وستالين وعشرات غيرهم .

«أنتم أعلم بأمر دنياكم»

روى مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر بقوم يابرون النخل ، فسأل : ما يصنع هؤلاء ؟ فقيل له إنهم يلقحون النخل. فقال : لو لم يفعلوا لصلح . فأخبروا بقوله فتركوا التلقيح ، ولكن لم ينضج الثمر . فلما علم الرسول بذلك قال : «إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فانما أنا بشر» . وكان عليه السلام يكرر للناس قوله : «أنتم أعلم بأمر دنياكم» .

ومفهوم هذا أن تعاليم النبى الملزمة للمسلمين هى تلك التى تتعلق بالدين والأخلاق لا المتعلقة بمعايش الدنيا الفرعية التى ذكرها على سبيل الرأى . ومع ذلك فاننا نرى بيننا من يذهب الى انتهاج نهج السلف الصالح فى كل شأن من شؤون الحياة ، كالملبس والمأكل ، بل وحتى فيما يقال لمن عطس ، ولا يرون مسلماً حقاً من تبع شيئاً من عنده . وها هو القسطلانى يرى بدعة مرفوضة كلَّ ما يتَّبع دون مَثَلٍ من العصر القديم ، وكل ما لم يكن معروفاً فى زمان النبى . وعلى هذا تصبح القهوة والطباعة والاذاعة والجرائد والمصباح الكهربائي واستخراج النفط واستخدام الشوكة والسكين فى الأكل بدعاً بغيضة ، وهو ما من شأنه أن يجعل الحياة فى ظل ظروف مخالفة للظروف السائدة فى زمن النبى والصحابة والتابعين أمراً محالا . (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) الكهف ١٠٣ و ١٠٤ .

غير أن هؤلاء الذين يدعون الى انتهاج سنة السلف الصالح لا يذكرون كيف ألغى الخليفة عمر بن الخطاب حصة المؤلفة قلوبهم من الصدقات والآية القرآنية تقول (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ...) التوبة ٦٠ . وقد استند عمر فى إلغائه لحصتهم الى زوال العلة التى بنى عليها النص ، وهى نصرة الدعوة فى بدء الاسلام بعد أن قويت شوكته ورأى أن الأحكام الشرعية إنما بنيت على علل ومقاصد ، وكلها راجعة الى مصالح العباد فى دنياهم وأخراهم . ولا يطبق الحكم ـ حتى إن استند الى نص شرعى متى زالت العلة التى بنى عليها ، والتى هى شرط تطبيقه . وقد ذكر ابن تيمية «أن صحيح المنقول فى الشرع الاسلامى

موافق دائماً لصحيح المعقول» . واستناداً الى هذا المعنى ذهبت القاعدة الاصولية الى «أن الحكم الشرعى المبنى على علة يدور مع علته وجوداً وعدماً» ، وخرج بعض الفقهاء بقاعدة عامة مؤداها «أنه لا ينكر تغيير الاحكام بتغير الأزمنة والاحوال» . كذلك كتب السيوطى (الاتقان فى علوم القران) فى معرض حديثه عن النسخ فى القران يقول : «من أقسام النسخ ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ، بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما لعلة تقتضى ذلك الحكم ، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة الى حكم آخر» . وقال «إن هناك آيات نُسِخَ حكمها دون تلاوتها . وإذ أن النسخ غالباً ما يكون للتخفيف (التيسير) فقد أبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة» .

البدعة ومعارضوها

إن البعض يرى أنه لا سبيل الى انصلاح أمور المسلمين إلا بالعودة الى الماضى والالتزام بسنة السلف الصالح . وهو قول سليم إن كان يعنى التنقيب عن الجوهر الأصلى للدين ، وإزاحة ما تراكم على هذا الجوهر خلال عصور طويلة من الخرافات والأوهام مما حجب عن المسلمين معنى الاسلام الصحيح . غير أن هؤلاء يمضون فيقولون إنه على المؤمن أن يأخذ بالاتباع لا الابتداع ، ويعرِّفون الابتداع بانه النظر الشخصى ، والاستقلال فى الرأى ، ومخالفة الاجماع والرأى العام ، وانتهاج أساليب حياة تخالف أسلوب حياة الرسول والصحابة والتابعين .

غير أني أنظر فأرى من بين الأحاديث النبوية الشريفة ما يذهب الى أن «العلماء هم ورثة الأنبياء» . وأفهم من هذا الحديث أنه كما أن على وارث التركة واجباً خلقياً يحتم عليه رعاية التركة وإنماءها ، فعلى ورثة الأنبياء أن يرعوا التراث الروحى الذى خلفوه وأن ينموه . وكما أن من حق وارث حانوت أبيه ـ بل ومن واجبه ـ أن يسعى الى أن يوسعه ويضيف اليه ويزيد من أنواع السلع المعروضة فيه ويستبدل سلعاً رائجة بسلع قد كسدتوفتر الطلب عليها ، مراعاة منهم لأحوال السوق ، فكذلك على العلماء ما يشبه ذلك فيما يتصل بما ورثوه.

بيد أن معظم علماء المسلمين لا يرون توسعاً أو إضافة ، ولا يأخذون إلا بالتقليد الأعمى والجمود الباطل ، مستندين فى تبريرهم قفل باب الاجتهاد الى عظمة شأن الاسلام فى عصره الأول ، وملقين تبعة تدهور حال المسلمين بعد ذلك على أسباب وظروف خارجة عنهم . وهم فى هذا الموقف أشبه بمن أبقى الحال فى الحانوت الذى ورثه على ما كان عليه فى زمن أبيه وجده ، غير آخذ بعين الاعتبار ما طرأ على أساليب التجارة وأذواق الناس من تغيير ، مبرراً مسلكه برواج الحانوت وبضاعته وقت أبائه ومعللا كساد تجارته المحتوم بفساد الزمن ، أو فساد الذمم ، أو فساد كل شيء عدا أسلوب تفكيره .

قد دعانا من رأى قفل باب الاجتهاد الى الوقوف عند آراء مجتهدين فى عصر معين . وقد كان هؤلاء المجتهدون يفكرون لأنفسهم ، ويراعون فى وضعهم الاحكام موافقتها للظروف المتغيرة فى مجتمعهم . غير أنهم سلكوا مسلكاً خاطئاً إذ صاغوا آراءهم المبتدعة فى قالب أحاديث نسبوها الى النبى واختلقوا الأسانيد لها حتى تلقى أراؤهم قبولا من الأمة . أو على حد تعبير بعضهم واعترافه : «كنا إذا رأينا رأياً صيرناه حديثاً !» . فاذا بالأجيال التالية لقفل باب الاجتهاد وقد صدقت نسبة هذه الاحكام والآراء الى النبى ، وحرمت على نفسها أن ترى لنفسها رأياً جديداً ، حتى إن كانت هذه الأجيال قد أحاطت بما لم يحط به المجتهدون الأول علماً ، ونشأت لديها مصالح واحتياجات لم يعرفوها ، وعاشت فى ظروف لم يخبروها .

وكان أن قضي على الفكر الاسلامى بالتوقف ، وتفشى التقليد والجمود فى الشريعة وغيرها ، واتهم كل صاحب رأى جديد باتباع الهوى ، ووصفت كل دعوة الى الاصلاح والتطوير بانها بدعة ، واخترعت أحاديث نسبت الى النبى تستنكر البدعة وتبشر صاحبها بالنار .

وقد جاهد بعض أعاظم الفقهاء كابن تيمية وابن قيم الجوزية والشوكانى ثم الأفغانى ومحمد عبده من أجل أن يثبتوا بالأدلة الشرعية الواضحة أن باب الاجتهاد ليس مفتوحاً فحسب ، بل هو واجب على كل من اتصف بصفات المجتهد ذلك أنه مادام الوجود البشرى سلسلة من الأحداث والظروف المتعاقبة ، فان الاجتهاد والابتداع سيظلان دائماً الجوهر الحي للتاريخ . وقد فهمت الحضارات الراقية هذه الحقيقة حتى اضحت البدعة مقصودة فى حد ذاتها وطلبها متعمداً ، واسمتها بالمنهج العلمى ، وحتى أصبحت ـ خاصة فى وقت الأزمات كالحرب أو الضائقة الاقتصادية ـ تبدى تهافتاً على الابتداع ، وتناشد المبتدعين وتحثهم على اجراء التجارب والاختبار والاستنباط ، بحيث بات التغيير وتوفير المرونة شعار السياسة العامة عندها

ورغم ما تذكره كتب علم الاجتماع من أن الأزمات والاحساس بالخطر من شانها أن تدفع المجتمعات المتحجرة الجامدة الى إبداء الاستعداد لتقبل الجديد من الأفكار والمستحدث من الاساليب . فلا يزال مجتمعنا الاسلامى المليء بالأزمات والمحفوف بالأخطار يرى البدعة كفراً ، والمستحدث عصياناً وتمرداً ، والأساليب الجديدة تشويشاً غير مستحب للروتين والتقاليد ، ومخالفة مستهجنة لعادات الآباء والأنماط المألوفة من العيش . غير أن الوقت قد حان لأن ندرك أن التقدم متعذر دون تغيير وابتداع ، وأن أولئك الذين يكفرون البدع لا يفعلون ذلك عن محض غباء ، وإنما عن خوف على مصالح خاصة تتهددها تلك البدع . ذلك أن كل بدعة تقريباً تستدعى إعادة فى تنظيم القوى الاجتماعية ، فلا غرو أن نلمس عند كل من سينحيه التغيير عن مكانته ، ويحد من نطاق نفوذه ، استنكاراً وكراهية للبدعة . وهم من أجل النجاح فى مقاومتهم لها لابد أن يحظوا بتأييد الجماهير لهم ، ولا سبيل الى حصولهم على هذا التأييد إلا بالادعاء أن البدعة منافية للدين ، وأن الدين قد أوصى بالالتزام بسنة الأولين ، وعدم الخروج عما كان شائعاً لدى ابائنا وأجدادنا الأقدمين . والله أعلم أن دينه الحي بريء مما يزعمون ، وأنهم وأشياعهم الناس قد يجاهدون فى نصرة الدين ، ويكتبون فى نصرة الدين ، بل وقد يموتون فى نصرة الدين ، غير أنهم على غير استعداد البتة لأن يحيوا من أجل الدين .

حسين أحمد أمين



بقلم : الدكتور محمد البهي

"الشُّـــــح"

يقول الله تعالى فى سورة التغابن : « انما اموالُكم واولادُكم فِتنة (أى امتحان واختبار لكم) . والله عنده اجرٌ عظيم . فاتقوا الله ما استطَعْتُم ، واسمعوا واطِيعُوا وانفِقُوا : خيراً لانفسِكُم ، ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فاولئك هم المفلحون . ان تقرضوا الله قرْضاً حسناً يضاعفْه لكم ويغفرْ لكم والله شكورٌ حليم » .. فطلبت هذه الآيات من المؤمنين أن يسمعوا نصح الله لهم بالانفاق من المال فى سبيل الخير .. ويطيعوه فيما نصحهم به وأن يحموا انفسهم بالطاعة فيما نصحهم به من إنفاق المال فى سبل الخير : من شح النفوس . وهو طبع فى النفوس المريضة بالانانية يحمل على المنح والقبض على ما للانسان بحيث لا يصيب غيره ، وان كان ذا حاجة اليه .

فالشح ليس عادة تتكون فى الانسان . وانما هو جبلة فيه . ولا يذهب بالشح لدى انسان ما ، إلا إيمانه بالله .. وبأن الله جل جلاله يضاعف للمنفق ما انفقه فى سبل الخير : « ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم » . وعندئذ تتكون لديه عادة الانفاق ، وتحل محل ما كان له من طبع الشح فيه .

وما جاء فى حديث القرآن عن الأنصار فى يثرب ، فى علاقتهم بالوافدين المهاجرين اليهم من مكة ، بشأن ما كانوا يؤثرونهم به من أموالهم الخاصة مع حاجتهم القائمة اليه يدل على أثر الايمان بالله فى تحويل النفوس التى لها طباع الشح بحكم اتجاهها المادى الى نفوس خيرة ، نحا عنها طبع اللؤم والانانية ، الذى يتمثل فى القبض والشح .

فيقول الله تعالى فى سورة الحشر : « الذين تبوأُوا الدار والايمان من قبلهم (ويقصد الأنصار ، لأنهم سبقوا المهاجرين الى سكنى الدار وهى يثرب ، وآمنوا بالرسول عليه السلام قبل هجرته اليهم ، بعد أن كانوا أصحاب وثنية مادية تلتصق بطباعهم الانانية والشح) . يحبون من هاجَرَ اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجةً مما أوتوا (أى مما أعطى لهم من الفـيْء الذى أخذ من يهود بنى النضير حول المدينة . فنفوس أولئك الأنصار لم تطمح الى شىء مما سلم للمهاجرين من ذلك الفـيْء ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (أى ومع كون الأنصار لم يتأثروا بما أعطى للمهاجرين دونهم .. فانهم كانوا كذلك يؤثرون بما لديهم من مال ، رغم حاجتهم هم اليه فى تفريج شدائدهم) ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فاولئك هم المفلحـــون (فهؤلاء الأنصار بموقفهم من المهاجرين : فى عدم الحقد عليهم عندما أخذوا من الفـيْء دونهم ، وفى ايثارهم إياهم بأموالهم مع حاجتهم هم اليها .. يضربون المثل فى وقاية النفس من شحها كطبع فيها . ولذلك هم ناجحون لانهم استطاعوا التغلب بالفعل على شهواتهم) ..

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار الا ثلاثة نفر محتاجين . وقال للأنصار : ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم وديياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة . وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ، ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الأنصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها . فنزلت الآية السابقة .

وجاءت قسمة الرسول عليه السلام على المهاجرين من الفـيْء فى قوله تعـــالى : « ما أفاءَ الله على رسولِه من أهْلِ القـــرى (يقصد الأموال الى أخذها المؤمنون من يهود بنى النضير حول المدينة) : فلله .. وللرسول .. ولذى القُرْبَى .. واليتامَى .. (أولاد الشهداء فى الحرب) .. والمساكين .. وابن السبيل .. كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (أى يعطى مال الفـيْء لهذه الفئات وحدها وهى صاحبة حاجة ، حتى لا يقع هذا المال ان لم يوزع هذا التوزيع : بأيدى الأغنياء فيزدادون به غنى ، بينما يزداد أصحاب الحاجة حاجة) وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديدُ العقاب . للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديـــارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورســـــوله ، أولئك هم الصادقون » ..

فالشح يسبق البخل فى طبع الانسان وملازم للانانية فيه . ولذا أضيف الشح الى الذات والنفس فى الآيتين الســـابقتين : « ومن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المفلحون» اما البخل فهو نتيجة من نتائجه .

الوداع الأخير

شعر: العوضي الوكيل

هذه القصيدة لأحد كبار شعراء الفلبين . وكانت سفارة الفلبين بالقاهرة فى عهد رئاسة الأستاذ العقاد للجنة الشعر قد طلبت من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى القاهرة ترجمة هذه القصيدة شعراً. فكلفت اللجنة الشاعر العوضى الوكيل بذلك وهذه القصيدة منقوشة الآن بجميع اللغات ـ وبينها العربية على نصب رخامى ضخم بجوار قبر صاحبها فى منتزه لونيتا بارك بمدينة مانيلا .

ـ ١ ـ

وداعاً وداعاً يا بلاداً يحبها ... فؤادى وتهواها بعليائها الشمسُ
لأنت ببحر الشرق أكرم دُرَّةٍ ... وأنت لنا فى ذلك الكون فردوسُ
حياتى مضناة فاما وهبتها ... فداءك لم تأسف على ذلك النفسُ
ولو أنها كانت صبا لوهبتُه ... ألا كل بذل فى سبيل الحمى بخسُ

ـ ٢ ـ

لأجلك كم خاضت رجالٌ معاركًا ... وجاد رجال بالنفوس فداءَ
بلا أسف جادوا ودون تردد ... لقد هان حب لا يروم فناءَ
وسيان دوح الغار والسرو فى الردى ... نرى الوهدَ فيه والنجادَ سواءَ
اذا ما دعا داعى الجهاد فإننا ... نرى الحربَ فرضاً والمماتَ قضاءَ

ـ ٣ ـ

ألاقى الرَّدى والطرف للأفق ناظرٌ ... وقد صبغته كله خمرةُ الشفقْ
يؤذن بالفجرِ الجديد مبشراً ... هنا غلب النورُ الظلام على الأفقْ
فيا وطنى إنْ أعوز اللون فليكن ... دمى صبغةً للفجر إن لاح فائتلقْ
يزيد دمى المسفوك بهجة لونه ... وقرمزه حتى يروقَ لدى الحدقْ



ـ ٤ ـ

ألا إن أحلام الصبا هى عينها ... ـ على كرِّ أيامى ـ أمانى رجولتى
تبقَّت بنفسى كي ترى خيرَ منية ... لدرة بحر الشرق ـ يا خيرَ درةِ
ترى يوم لا عيناك تسرح فيهما ... دموع "حيارَى من تباريح لوعةِ
ولا وجهك النضر الجميل جبينه ... يعفِّره الخزىُ المذلُّ لأمَّتى

ـ ٥ ـ

فديتك يا حلم الحياة جميعها ... وأمنية تحيا بروحى وأحلامى
ويا خيرَ ذخر فى الدنا ووديعة ... حماك إلاهى أن يجندلك الرامي
أموت لتَحْيَىْ إن موتى محبب ... بتلك الذرا الشماءِ ما بين أقوامى
فيغمض جفنى الموتُ فى خير تربةٍ ... وأرقد مرتاحاً وتخفق أعلامى

ـ ٦ ـ

إذا نَجَمَتْ فى ترب قبرىَ زهرة ... بدت وحدها فى الفَدْفَدِ الموحش القَفرِ
فلا تبخلي أنْ تؤنسيها بزَوْرَةٍ ... ألا إنها روحى ترفرف كالزهْرِ
ولا تبخلي يوماً عليها بلَثْمَةٍ ... بثغرك حيث الدفءُ فى ذلك الثغرِ
أحس هواء القبر حولىَ بارداً ... ألا فابعثى الدفءَ المحببَ فى قبرِى

- ٧ -

وفى مضجعى الساجى البعيد دعى السنا ... من القمر السارى يشع لمضجعى
دعِى الريحَ تزجى همسَها فوق تُرْبَتِى ... دعِى الفجر يحبونى بانواره ، دَعِى
وإن مر يوماً فوق قبرىَ طائرٌ ... يُرَجِّعُ لحناً مبدعاً أىَّ مبدِعِ
دعيه على هامِ الضريح مغرِّداً ... وقولى له : بالسلم غَنِّ ورَجِّعِ

- ٨ -

إذا أصلت الشمسُ الثَّرى بضِرَامِهَا ... فحالت به الأمطار فى الجو أبْخِرَهْ
تصاعد فيها للسماءِ وبينها ... دعائى وانفاسى حراراً مسعَّرهْ
ألا فدعي من أهل وُدِّيَ قائماً ... على القبر يبكى أعْظُمِى المتبعثرهْ
ويا بلدى صلِّي لربي فإنني ... لأرجو قبولا فى حماهُ ومغفِرَهْ

- ٩ -

لمن مات لم يؤخذ أثيمٌ بثأرِهِ ... لمن عاش فى أنكى الأذى والاساءاتِ
لأمٍّ غدت تذرى الدموع وما شَفَتْ ... باضلاعها ناراً من الشَّجَنِ العَاتِى
لأجل اليتامَى والأيامَى ومَنْ غَدَا ... أسيراً شديدَ الكرْبِ رهْنَ المِلمَّاتِ
ألا يا بلادى فانهضِى وتضرَّعِى ... ليومِ خلاصٍ فى غدٍ صبْحُه آتِ

- ١٠ -

اذا ما ظلام الليل غشَّى المقابرَا ... فما بَرِحَ الموتى هناك سواهِرَا
على السِّلْم ، والأسرار تسهرُ روحهم ... دعُوهم وما صانوا وغُضُّوا النواظِرَا
فان تسمعوا صوتاً هنالك شادياً ... فذلك صوتى يرسل اللحْنَ زافِراً
أجل ذَاكَ لحنى يا بلادى رفعته ... اليك فحيُّوا فى المقابرِ شاعِراً

- ١١ -

فان طالت الأيام بى وتحولَتْ ... معالم قبرى كالطلول بَوَاليَا
وأقوى ، فلا رمز هنالك شاهد ... علىَّ وأمسى ذاكر القوم ناسِيَا
إذن فدعِى المحراثَ يفرى أديمَهُ ... فيحيا موات الأرضِ أخضرَ زاهِيَا
وهذا رفاتى يا بلادى فرشته ... مواطىءَ من عشب فما عاد ذاوِيَا

١٢

إذا أصبح النسيانُ للميْتِ هيِّناً ... سألقاك في موتي هنالك أو هُنَا
سألقاك لوناً أو شذًى متضوعاً ... وطوراً غناءً مبدعاً مُتفنِّنَا
فمازال حبى يا بلادىَ هائماً ... بحبك فياض المشاعر مؤْمِنَا
فأَصْغِى لحبِّى فى النشيدِ مردِّداً ... تردِّدُه روحي إلى آخرِ الدُّنَا

- ١٣ -

بلادىَ يا حبِّى ويا ألمى معاً ... أياحُبِّيَ الأَغْلى وأعمق آلامي
ألا فاسمعى هذا النشيدَ نظمتُه ... وداعاً أخيراً فهو آخرُ انغامي
ساترك ما أهواه فيكِ وديعة ... لديْكِ فلا تنسىْ وَدَائِعَ أحْلامي
وأمضى إلى لا ظلم ثمة نازلٌ ... بعبد ولا طغيان من بطش ظُلَّام
الى حيث لا رأى يصاب صحابه ... بسوء وحيث الله فى حكمه السامي

- ١٤ -

وداعاً أعزائى ، اليكم خواطرى ... فأنتم بنو أمِّي وصحب طفولَتِي
بهذا الحِمى المغصوبِ عشنا فان أمُتْ ... فحيُّوا رحيلي بعد طولِ المشِقةِ
مضى يومىَ المضنَى جهاداً وشِقْوَةً ... فان تطلبوني فاطلبوني بجنَّتي
ويا من لقيناه غريباً عن الحِمَى ... فأصبح أنسى فى الحياة وفرْحَتِي
الى الملتقى يا عَدْلَ نفسى ومهجتى ... وداعاً وداعاً فالمنية مُنْيَتِي



مسافة طويلة إلى المطار

قصة بقلم:
سعد مكاوي

عناقها مفعم بالعتاب .

انطلق الى حلمى النائى واتركها مريضة عاجزة ، يائسة من عودتى التى الوح لها بها ، وحيدة فى ذلك البيت الكبير القديم المطل بمشربيته العتيقة على الشارع.

من حسن الحظ ان سمعها ضعف مع الزمن فلم يعد وجودها الهش يمتص كل ذلك الضجيج الفظيع المتصاعد من شارع لم يعد يعرف الرحمة .

من فوق كتفها تاملت المربعات الزجاجية العريضة التى يصل بها الى قرابة السقف العالى ذلك الباب الخشبى الضخم الذى يفصل غرفة الجلوس عن الصالة والمدخل كانه شاهد على تاريخ الاسرة القديم ، ثم هبطت نظرتى الى مربعات البلاط الكبيرة التى نصلت الوانها مع مرور الزمن وقلة العناية ، لا يكسر امتدادها الى المدخل غير حقيبة السفر التى تنتظر نهاية العناق بينى وبين الشيخة الباكية بلا دموع .

من الشارع استطعت ان اميز بين الأصوات المتداخلة الصخابة صوت زوج اختى يناديني ، فقبلت خد امى ونهضت الى المشربية المتهالكة ولوحت بيدى وعدت مسرعا فقبلت مرة اخرى ذلك الراس الأشيب العزيز .

ـ أن أن انصرف ، فلابد فى هذا الزحام من مراعاة المسافة الطويلة الى المطار .

ـ لا تنس وعدك يا خالد ، طالت المدة ام قصرت ... لن تنسى امك التى لم يعد لها فى الدنيا غيرك .

خلصت نفسى برفق من يدها المتشبثة بذراعى واختطفت الحقيبة وهبطت مسرعا فى السلم الخشبى المتاكل ، ووجدت اختى الوحيدة مع زوجها ، انتزعت نفسها من مشاغلها وجاءت من مسكنها البعيد لتكون فى وداعى .

دست كوم القمامة المعتق قبل ان استقر معهما فى السيارة الصغيرة التى اخترقت بنا عباب الزحام والضجة والفوضى ، وخلال الحركة البطيئة الشاقة من كوبري ابو العلا الى المطار لم اجد كلمة واحدة اوصى بها اختى المنشغلة بوظيفتها واولادها وزوجها وبيتها . وعندما نزلنا من السيارة لتحية اخيرة عند المطار كان كل ما استطعت ان اقوله لها :

ـ خذى بالك منها .

فى الجو وبعد ان تركت الطائرة الحدود تذكرت اننى نسيت ان اضع المايوه الجديد فى الحقيبة .

فى حياتى لعب المايوه الدور الرئيسى ، وكان بطل القصة ، إذ كانت البداية فى حوض السباحة .

يومذاك كانت الفتوة هى الحقيقة الوحيدة فى شبابى ، ولم تكن قد اكتسحت حياتى ليالى الشراب والغيبوبة والاحباط .

كنت فى طريقى الى بطولة رياضية يتحدث عنها الناس ويرضى عنها طموحى ، والسباح المرموق فى ذلك اليوم الجميل من اول الشتاء لم يكن يعرف ان قدره يتربص له بزلزال عاطفى ، إذ رايتها فجاة مع سرب من زميلاتها تحوم حول الماء بشقرتها المضيئة وقوامها الفاره ، وفى الماء كان تعارفنا .

اول امراة اراها من نساء الشمال ، وإنها لبيئة مختلفة تماما عن بيئتى تلك التى تنتج مثل هذه العملاقة الحسناء ...

وضعت المضيفة امامى بعض الطعام ، وتاملت وهى منصرفة عنى حركتها اللطيفة فى المشى ، دقيقة الحجم رغم انها سويدية كصاحبتى العملاقة التى كان ظهورها معى فى اى مكان فى القاهرة يثير التفات الناس بقامتها المهيبة وبساطتها الساحرة .

لم تكن تطيل ، ـيث عن ماضيها فى وطنها ، وكان كل همها ان تعتصر هناءتها بايامها ولياليها فى مصر اعتصاراً كامل الصراحة ، هى التى تمثل فيها حبى الأول الكبير ، والتى صاغ عشقى لها حيـــاتى ولونها وحكمها ، الى ان جاء اليوم الذى قالت لي فيه : «يجب ان نتزوج»

من قبل ان يصدر عنها هذا الاعلان كانت فكرة الزواج مطروحة وموضع دراسة ، وكان واضحا منذ اللحظات الأولى لنشوء الفكرة على المقهى العتيق بحى الحسين انها لا تفكر فى الاستقرار فى وطن حبيبها ، وانى انا الآخر لا احبذ هذا الاتجاه ، إذ كانت فسحة الاحلام بالنسبة لي تترامى الى الشمال البعيد ، بكل احتمالاته اللامتناهية وسحره الجذاب الغامض .

وفى يوم توثيق عقد الزواج انفقت امى ليلتها فى بكاء صامت وراء باب حجرتها المغلق ، وطاب لنا السهر فى حفل زفاف بدوى فى نزلة السمان .

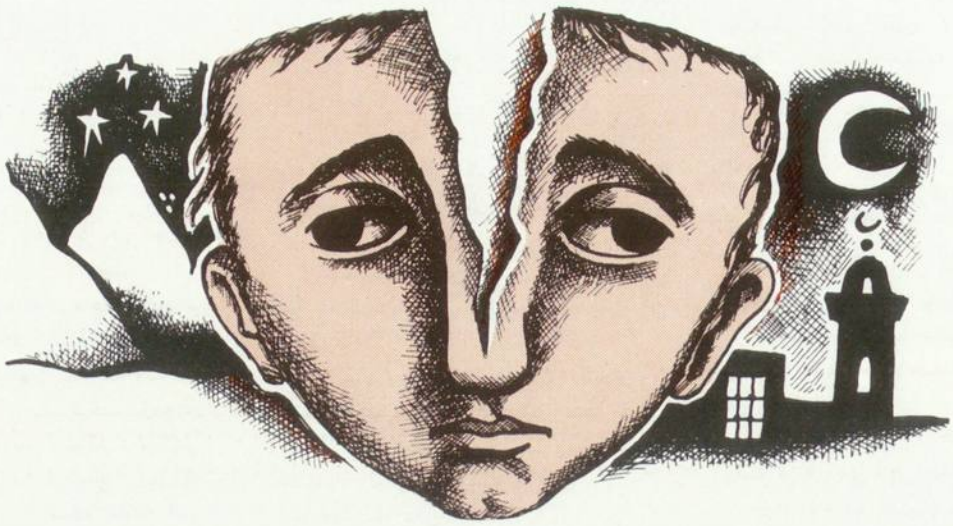
ولم نلبث ان وصلتنا من والدها رسالة تستحثنا على السفر الى السويد وتبشر بمجالات العمل المفتوحة امام مؤهلى الجامعى وقدراتى الرياضية ، وظلت المشكلة الكبرى ماثلة فى حالة امى النفسية التى بلغت بها حد الصمت الكامل ، فاستعنت عليها باختى وزوجها الصديق قاطعاً على نفسى عهداً بان اعود الى القاهرة مرتين فى السنة على الاقل ...

جاءتنى ابتسامة المضيفة بشىء من اليقظة :

ـ فنجان من القهوة ام عصير الليمون ؟

ـ ليمون من فضلك .

طفلتنا الحسناء «فاتيما» ولدت فى السويد فى مستشفى بديع يحتل قمة احدى الهضاب المحيطة بالقرية الجميلة التى



تعيش فيها أسرة زوجتى على مسافة ساعة او اكثر قليلا من العاصمة ستكهلم ، كانها فى إطلالها على بحيرة فائقة الجمال قطعة من الجنة ...

وانا استطعم مذاق الليمون تمثل لي شخص امى الواهن بين ذراعى اختى المواسية ، وتصلبت إرادتى امام الضعف الذى تنفثه الصورة .

لن تتكرر المأساة .. فى المرة الأولى كانت نداءات امى احد أسباب عودتى بعد ان توازنت حياتى الجديدة فى تلك القرية الشمالية الباهرة التى تشبه لوحة فنية من تلال وغابات وبحيرة والوان وظلال .. صحيح ان حالة البطالة المتفشية وظروف العمل بالنسبة لأجنبى لم تكن مواتية دائما كما صورتها دعوة والد زوجتى ، وان علاقتى بزوجتى نفسها على غير ما توقعت بدا يزحف عليها ضباب غامض من الافتراق النفسى ، لكن السبب الرئيسى فى تلك العودة تمثل فيما يبلغنى من اصداء احزان الأمومة المستوحدة فى القاهرة ، ويومها قلت لنفسى ان اجازة غير طويلة اقضيها فى الوطن تكون مفيدة لكل الأطراف ، الأم والزوجة وذاتى الحميمة المضطربة بين عالمين ...

ماذا يكون هذا الفتور المبهم الذى اخذ يتسلل الى ما تصورناه الحب الاكبر ، والذى عجزت ابتسامات «فاتيما» الصغيرة ان تبدده ؟

ـ فنجان من القهوة أم عصير الليمون ؟

ـ قهوة من فضلك .

منقبض النفس بغير خفاء فى عودتى الى الأم المريضة ، لكنى ابتسمت عندما اكتشفت فى الطائرة انى بدات اهفو الى شىء من العزاء مع شلة الأصدقاء .. الحمل ثقيل .. امامى شكاوى امى التى ستعتصر البقية الباقية من قدرتى على مجابهة مرارة الواقع الغليظ ، ووراثى لغز عاطفى لا اكاد افهمه ولا تضيئه غير ابتسامات طفلة حسناء لاهية ..

ما الذى تغير بينى وبين زوجتى ؟

حاولت هى بصراحتها ان تجيب عن السؤال فعجزت ، وعندما اعلنت انا الآخر عجزى عن التفسير بدات تتكلم عن انفصال هادىء وتتطلع الى افق سويدى يحفه الغموض .

شىء اليم مبهم قام بيننا كجدار اصم ، كان قوتى جذب عنيفتين تتنازعان فى تناقض ، وكان طريقا واحدا انشق على مهل فصار طريقين .

وعندما احتوتنى عاصمتى وهبطت من التاكسى دست على كتلة القمامة المعتقة غير بعيد من مبنى التليفزيون الشاهق ، ثم تلقفنى عطن السلم وانا فى دوار ونكوص داخلى ... ستفتح ذراعيها وتبكى وتنثال كالشلال هادرة بمخزون شهور طويلة ... ولن يكون هناك غير الأسى والليل الكابى .. وسوف أتحول الى دودة من الدود تزحف مع غيرها فى الطين ، ولن تكون هناك رحمة ...

• • •

بصعوبة رذلة قبلونى فى عملى القديم ، وبسهولة خطرة حصلت على العزاء من بعض أصدقائى القدامى فى سهرات مملة .. لا طعم لشىء ، ولا دواء لكآبة الاملاق الروحى ...

ووجه «فاتيما» الحسن يخايلنى فى نبضات موجعة من اللهفة والحنين ، وزوجتى تضغط بالبريد طالبة الطلاق ... لابد أن هناك رجلا آخر من طينتها الشمالية ولا مـــال معى للعـــودة السريعة واستطلاع الأمور وحسم قضية «فاتيما» ... ستتزوج أمها من سويدى فى هذه المرة وتنشأ «فاتيما» بنتا من بنات الشمال لا تكاد تذكر «بابا خالد» القديم بعد ان تطمس الأعوام صورته وتطويها ...

• • •

كانت اكبر فرحة فى حياة امى يوم عرفت انه قد تم الطلاق . لم تشعر ان الخواء يحتوينى ، وكانه يهمس فى اذنى بجبروته المتشفى : الست ترى اننى اقوى منك ومن كل احلامك الطموحة ؟

وطوال الأعوام التى مرت منذ عودتى لم تهتز نفسى لشىء كما اهتزت لصور ابنتى وكلماتها .. تخرج من المظروف صور بالألوان لغداء على العشب فى غابة اعرفها وكم نفضت فيها فائض شبابى ورتلت اشعار عشقى .. وعلى ظهر الصور سطور سريعة من الثلاثة تتضمن كلها دعوتى الى الالتقاء بابنتى التى وقعت على صورها باسمها بالسويدية وبالعربية مسبوقا بكلمة «الى بابا خالد» ...

ما اجمل عينيها وما ابدع قوامها وما الطف خطها ...

فى عمقى المكبوت انتعش حلم قديم مطمور ...

ومن جديد صحت فكرة الخلاص والمغامرة والتجدد ...

دعاء «فاتيما» شق سمائى الراكدة المعتمة كبارق من الضوء ...

آخر خيوط الرجاء فى نسيج مهلهل ...

الغفران للأعوام الميتة ...

الوداع للغيبوبة واللامبالاة ...

قلقت أمى من هذه الاشراقة الجديدة فى نظرتى وكلمتى وحركتى ... ساءلت ابنتها

مسافة طويلة إلى المطار

في السر ... أصبحت وفى حضنى صور ابنتى أكثر غفراناً لسيطرة السيئات على الحسنات ، وأكثر تساهلا مع سخافات زملاء العمل وانحطاط أخلاقياتهم وعقم العمل نفسه وعجز الجهاز الضخم كله عن الانتاج ... أصبحت أرحم ضغط الأمومة المتزايد مع اشتداد المرض وتفاقم عجز أمى عن السمع وضرورة ارتفاع صوتها وأصوات من حولها ، كاضافة قاتلة الى الضوضاء العامة المستفحلة ...

هناك مع «فاتيما» سأصعد التلال وأهبط فى الوديان وأفترش عشب الغابات وأنعم بالسكون وأعدو فى المروج ...

• • •

بعد ثمانية عشر شهراً كنت قد ادخرت ألفاً وخمسمائة جنيه وجدتها كافية لوثبتى الجديدة ... فطلبت للمرة الثانية فى حياتى الوظيفية اجازة بدون مرتب قذفوا بها فى وجهى بارتياح ، ولم أطلع أمى فى هذه المرة على نوايای إلا فى يوم السفر نفسه ....

وبشىء من الجفوة فى هذه المرة قمعت صرخاتها العصبية غير المنضبطة ، وانغرزت قدماى فى كوم القمامة الأثرى دون أن أتأفف ، واحتوتنى الحركة البطيئة المثيرة للأعصاب دون أن أفقد هدوئى .

وعندما حلقت بى الطائرة تبسمت للمضيفة دون أن أخفى عنها أننى تأملت وجهها باستيعاب :

ـ أين عصير الليمون يا حلوة ؟

• • •

فى مطار ستكهلم استقبلنى جد «فاتيما» بحفاوة .

صديق قديم من أيام الزواج الأولى اليانعة ، رجل يبدو فى أوج الشباب ويبحث عن عمل جديد يستغرق حيويته بعد أن بلغ الستين ، ظل يحدثنى عن مشروعاته للمستقبل حتى قاطعته متململا .

ـ وفاتيما ؟

ـ نابغة فى مدرستها ، مع بدايات موهبة موسيقية .

ـ وعلاقتها بزوج أمها ؟

ـ طيبة .

ـ تذكرنى ؟

ـ تشترك فى الكلام عندما تجيء سيرتك طبعاً .

ـ هل أجد فى هذه المرة فرصة حقيقية للعمل هنا ؟

ـ على غير ما قد يبدو للزائر ، هنا بطالة ومشاكل جمة حتى فى بطاقات الاعاشة التى تعرفها من زيارتك السابقة .

ـ معنى هذا أن الفرصة أمامى ضيقة ؟

ـ أعتقد هذا ، لكن مادمت تفكر فى إنفاق بقية عمرك غير بعيد من ابنتك فلاباس من أن تجرب ...

بعد صمت محرج عدت الى التساؤل :

ـ وإذا فكرت فى حالة فشل التجربة فى أن آخذ ابنتى لتعيش معى فى وطنى ، فهل تجد هذه الفكرة معارضة ؟

ـ معارضة ممن ؟

ـ من الأسرة .

ـ وما دخل الأسرة فى هذا ؟ ... إن الرأى فى هذه المسألة هو لفاتيما وحدها ... عندما نصل اسألها .

ـ أليست أصغر من أن تتخذ مثل هذا القرار وحدها ؟

ـ أليست هى حياتها .. اسألها واعرف رأيها .

وسط المروج والصخور والأشجار شقت سيارة الجد طريقها السهل نحو السؤال الكبير الذى ينتظر الأنسة الصغيرة ، نحو بيت هنالك على الطريق تحتضنه النباتات المتسلقة أعرفه وأذكر لياليه وأيامه يتسيده الآن رجل آخر ...

صوت السيارة أخرج لنا من البيت زوجتى السابقة ومعها رجل هادىء المظهر سامق الطول بسام الوجه ، كان البادىء بالتقدم فى ترحاب صادق :

ـ نحن سعداء بزيارتك التى طال انتظارنا لها .

وصافحتنى زوجتى السابقة ببساطة :

ـ مرحباً بك يا خالد ، تفضل بالدخول .

غرفة المعيشة لم تتغير .. لم يتغير أى شىء ، حتى السكينة التى طالما احتوت المسرات .. نفس الستائر الخفيفة والمقاعد المريحة .. وركن النار المضياف .. نفس الأصوات الهادئة والأعصاب المسترخية والكلمات القليلة ...

• • •

صوت توقف سيارة فى الخارج جعل الأم تقول فى هدوء «هذه فاتيما وصلت» دون أن تتحرك من مكانها .

نهضت الى المدخل وقلبى ينبض فى سخونة ، فوجدت ميكروباس المدرسة قد بدأ فى التحرك ، وفى ذلك الممر الصغير الذى يخترق مساحة العشب الخضراء بين الطريق العام وباب البيت رأيت ابنة الثامنة تدنو منى بمريلتها الوردية وهى تتأملنى على مهل ، وعندما حاذتنى منحتنى ابتسامة مهذبة صغيرة وهى تدلف الى الداخل ، فظللت واقفاً فى مكانى كتمثال ، حتى سمعت صوت أمها فى الداخل :

ـ فاتيما .. ألم تعرفيه .. صوره عندك .. هذا بابا خالد !

وقفت «فاتيما» بين ساقى جدها تتأملنى وأنا جالس فى مواجهتها ، لم تدن منى بعد أن عرفت أننى «بابا خالد» ولم تمس شفتاى وجنتها اللطيفة ولا ضمتها ذراعى ولا اهتز من نفسها وتر ...

ـ شىء طبيعى .. لقد كانت آخر مرة رأتك فيها وهى دون الثالثة ...

زوج الأم هو الذى قدم التفسير فى نبرة مشفقة ، وأضافت الأم :

ـ فى الأيام التالية يتحسن الموقف .. أنا واثقة من هذا ...

وقال لى الجد بعد لحظات فشل خلالها كل حوار بينى وبين ابنتى وسط الحرج الذى ملأ جو غرفة المعيشة :

ـ تعال معى الى جولة فى الغابة قبل أن يحل المساء .

تسقط الأوراق الجافة بصفرتها الى أرض يكسوها الجفاف ، فى غابة تترامى هابطة من التل .

أراد الجد أن يضع لى منهجاً لمحاولة الاقتراب من نفس طفلتى قوامه الحكمة والصبر ، لكن قلبى كان قد عرف الحقيقة ..

ـ لن يتحسن الموقف يا صديقى .. أنا واثق من هذا ..

ويصرخ طائر فى الفضاء صرخة واحدة فوق قمم الأشجار السامقة لا يكررها ، وتنهض فى داخلى من غور الأعماق ذكريات مصرية يعلوها صوت الأم الشاكية المتبرمة «جيل لا يفكر فى غير نفسه» ... والأرض الجافة مكسوة على مدى البصر بصفرة شاحبة ... هذه الموهبة الموسيقية لا تعرفنى ولا تعبأ بوجودى ، وهذه العيون الزرق ستتحول مع الشباب الى إعصار شمالى يشق طريقه على صخور التلال الوعرة دون أن يذكرنى ...

ـ قهوة أم عصير الليمون ؟

لا هذا ولا ذاك يا جارة السحب ، إنما الحياة منذ الساعة زحام وفوضى ، وكلمات بلا معنى ، وأصوات صخابة ، وأعصاب مشدودة ، وغيبوبة ولامبالاة ، وبلاطات كبيرة ناصلة اللون كئيبة المحضر ، ومربعات زجاجية معتمة فى باب خشبى متآكل ، وعناق مفعم بالضجر والكآبة .

«سعد مكاوى»

جزء خاص

٢٢ فبراير

و١١ عاما في حياة قطر الحديثة



إن
أمّتنا
تنتمي إلى حضارة
عريقة أصيلة عربية
إسلاميّة. والتاريخ
خير شاهد على أن
هذه الحضارة كان لها
أكبر الأثر في تقدّم
البشريّة. وإذا كنا قد تخلفنا
عن الركب الحضاريّ
المعاصر، فإن لدينا من
الإمكانات البشريّة والماديّة
والقدرات المعنويّة
والروحيّة ما
يكفل لنا
المضيّ قدمًا للحاق
بمن سبقونا على طريق
الرقيّ والقوة والمنعة.
وكم يجدر بنا أن
نذكر دائمًا أن ليس
لدينا هدف أعظم من
الكرامة، ولا سلاح أمضى
من التضامن، ولا سبيل أقوم
من النضال المستند إلى عنصري
النصر: الحق والقوة.

خليفة بن حمد آل ثاني

من خطاب افتتاح الدور العادي العاشر لمجلس الشورى
(١) صفر ١٤٠٣ هـ - ٦ ديسمبر ١٩٨٢م



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سـُـموّ الشيخ حَمد بن خـليفـة آل ثانى ولىّ العهـْد ووزيـر الـدفـاع والقـائد الـعام للقوات المسَـلحة



جزء خاص

٢٢ فبراير

والأعوام في حياة قطر الحديثة

بناء الإنسان .. الهدف الأول للتعليم



بقلم

الشيخ محمد بن حمد آل ثاني

وزير التربية والتعليم

بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لتولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم في البلاد ، يسعدني ان ألبي دعوة مجلة الدوحة الغراء بان اتوجه بحديثي هذا فالقي من خلاله الضوء على بعض الجوانب المشرقة والانجازات الكبيرة التي حققتها وزارة التربية والتعليم خلال الأعوام الماضية وحتى هذا التاريخ في ظل قيادة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وسمو ولي عهده الأمين .

فأبدأ حديثي عن التربية بصفتها المحور الأساسي في العملية التعليمية ولاهتمامها بالانسان ، فالانسان هو أرقى الكائنات على وجه البسيطة ، وبعبارة أخرى هو أرقى كائن حي ، وهو يتميز عن بقية المخلوقات بالعقل ، وبالقدرة الفائقة على تكييف نفسه أكثر من أي مخلوق آخر . بل ان الانسان ليكيف البيئة نفسها لتتفق مع حاجاته ورغباته ، ولذلك استطاع أن يخضع كثيراً من القوى في عالمي الجماد والحيوان ويسخرها بأمر الله سبحانه وتعالى وإذنه لنفعه .

وقد أخذت التربية صوراً وأشكالا مختلفة منذ ظهور الانسان على وجه الأرض ، من حيث أغراضها وعواملها ووسائلها او المقصود منها وغير المقصود ، ومن حيث استجابة الانسان في اطواره المختلفة للعوامل المؤثرة فيه ، أو من حيث مقدار ما وجه من عناية واهتمام لناحية في الانسان أكثر من غيرها . ومن هنا كان اهتمام دولة قطر بالتربية متجهاً لبناء الانسان نفسه ، وتزويده بكل الامكانات والمهارات والقدرات المختلفة ليصبح قادراً على التفاعل مع معطيات الحياة المعاصرة التي ترفد المجتمع كل يوم بجديد ، ولأن الانسان أيضاً لا يستطيع أن يحيا حياته منفصلا عن المجتمع البشري ، لذلك كانت تربيته خاضعة لأحوال المجتمع من حيث تقدمه من الناحية الثقافية والفكرية والمادية ، أو من حيث اشرافه على النشء أو انصرافه عنه ، فالتربية الحقة هي التي تعنى بالانسان نفسه ، لهذا كان من الواجب احترام شخصية التلميذ في المدرسة ، لا لما هو عليه ، ولكن لما سيكون عليه فيما بعد ، ولأن لكل فرد قيمة سواء لما هو عليه من صفات عقلية أو اخلاقية أو لنفاذ بصيرته أو لما سيتصف به في المستقبل ، فالطفل وان كان على حظ ضئيل من المعرفة الا انه قد يصير ذا شأن كبير في المستقبل .

وطالما اننا وضعنا الاطار العام للتربية ، وأن الأساس في العملية التربوية هو التركيز على النشء ، فان التربية في دولة قطر لا تختلف كثيراً عنها في دولة أخرى ولكن علينا أيضاً أن نأخذ بعين الاعتبار أمراً مهماً جداً هو حرصنا على اصالة مجتمعنا وعاداته وتقاليده ، وضرورة التمسك بديننا الحنيف ، فمدرسة الاسلام وتربيته يجب ان تكون أول لبنة في بناء العملية التربوية لهذا المجتمع العربي المسلم فنحن أمة لها عقيدتها التي تستمد عظمتها وقوتها من الاسلام ، ونستقي مفاهيمنا من سنة وسيرة نبينا الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه العقيدة تتمتع بكامل الحيوية ، وتستوعب نظماً وتعاليم ومفاهيم لا تبلى على مر الأيام والسنين ولا ننسى أيضاً ان حضارة الاسلام العريقة قدمت للانسانية السعادة والرفاهية الحقيقية التي لم يشهدها التاريخ من قبل . ومن هنا كنا حريصين على التمسك بتراثنا النبيل بكل ما فيه من قيم ومثل وعمق واصالة نعتز بها ونفخر بها على مر الأيام والسنين .

وبعد هذه المقدمة يسعدني ان استعرض بايجاز بعض الانجازات التي حققتها وزارة التربية والتعليم خلال الأعوام السابقة في المجالات التالية :

إيماناً من الوزارة بأن المناهج الدراسية شبيهة بالكائن الحي من حيث التطور والتجدد ، وتمشياً مع سياستنا الواضحة والمرسومة في قابلية التجدد من اجل مصلحة أبنائنا الطلاب ، والنهوض بهم إلى أعلى المستويات فقد قمنا بالاعداد اللازم لتطوير المناهج الدراسية تطوراً حديثاً يعتمد على أحدث النظريات التي توصل إليها العاملون في حقل التربية والتعليم والذين كرسوا أنفسهم لخدمة هذا المجتمع البشري ، وليس جديداً إذا قلت إن التطوير شمل جميع المناهج الدراسية بدون استثناء وقد روعي في هذا التطور انسجام

المنهج مع طبيعة البيئة المحلية وطبيعة أن يكون المنهج محققا لمتطلبات المجتمع القطرى من الناحية الاسلامية والاخلاقية والقومية والفكرية . وبالتالى فنحن لا نالو جهدا فى البحث والاطلاع على كل جديد ، وبعقد الدورات التدريبية والاطلاعية للمعلمين والمعلمات وذلك بهدف تعميم الفائدة المرجوة على أبناء الوطن جميعا .

وقد اصبح عدد الطلاب والطالبات بمدارسنا النهارية النظامية حتى هـذا العـام (٤٥٧٣٠) طالبا وطالبة ، وقد بلغ عدد الطالبات من هذا المجموع (٢٢١٥٢) طالبة .

وهؤلاء موزعون على المراحل التعليمية على النحو التالى :

- المرحلة الابتدائية ٢٨٢٨٨ طالبا وطالبة .
- المرحلة الاعدادية العامة ١٠٦٦٠ طالبا وطالبة .
- المرحلة الثانوية ٦٢٨٠ طالبا وطالبة

اما المراحل التخصصية (الصـناعة والتجارة ، المعهد الدينى فمجموع الطلاب (٥٠٢) طالبا .

وقد بدات وزارة التربية والتعليم بتنفيذ الخطة العشرية للابنية المدرسية ، وقـد استلمت الوزارة حتى الآن (٣٠) مدرسة وهناك (٣٠) مدرسة تحت الانشاء وخلال العامين القادمين ستضعف مشكلة المبانى المدرسية اذا سارت الخطة حسب المقرر لها ان شاء الله .

وفى بداية العام الدراسى الحالى تم افتتاح (١٧) مدرسة جديدة وجميعها مجهزة باحدث الاجهزة ، منها تسع مدارس للبنين وثمان مدارس للبنات ، ويأتى هذا فى مقابلة الازدياد المستمر فى عدد الطلاب والطالبات ، ولتامين المناخ الدراسى المناسب لابنائنا وقد روعى فى انشاء هذه المدارس أيضا التكييف المركزى وقربها من الاماكن السكنية ، واتساع قاعات الدراسة والمختبرات العلمية والمكتبات المدرسية ، وتم انشاء القاعات الرياضية والفنيـة والثقافية حتى يتمكن الطلاب والطالبات من الاستفادة باوقات فراغهم واستغلال مواهبهم وتصريف طاقاتهم كل حسب موهبته وقدرته .

وستداوم الوزارة على تطوير جهاز الصحة المدرسية ، وذلك ايمانا منها باهمية التكامل التربوى والصحى ، وسوف يشمل ذلك عدة امور من ابرزها :

- يجرى حاليا تنفيذ مجمع الصحة المدرسـية التى سـوف يضـم كافة الاختصاصـات ذات الارتبـاط الوثيق بالعملية التربوية .
- تم وضع خطة تستهدف توثيق الصلة بين المدرسة وأولياء الامور وذلك بهدف تعريف الاسرة باحتياجات الابناء من الناحية الصحية وكيفية تحقيق افضل النتائج الصحية حرصا على سلامة ابنائنا .

ولمـا كان نجـاح الخدمة الصحية المدرسية يعتمد على انبثاقها من داخل المدرسة ، فقد بدات وزارة التربية والتعليم فى اعداد عيادة صحية فى كل مدرسة من مدارس الدوحة وفى بعض المدارس الكبيرة فى المناطق بهدف تعميق المفهوم الصحى لدى الطلاب واشعارهم بان الصحة حاجة اساسية للسليم والمريض على حد سواء . فقد اولت الوزارة الصحة المدرسية جانبا كبيرا ومكانا مرموقا فى خطتها التى تشمل دعم وتطوير مركز التربية الصحية ، ومداومة تدريب المدرسين والمدرسات فى هذا المجال والاستفادة من المناهج المختلفة المفيدة لخدمة هذا الهدف .

وإلى جانب اهتمام الوزارة بالتعليم النظامى النهـارى ، تبذل الوزارة جهـودا كبيرة فى مجال تعليم الكبار ومحو الامية للذين فاتتهم فرصة التعلم فى المدارس النظامية ، وذلك بافتتاح المدارس المسائية ليتسنى لهؤلاء استكمال دراستهم فى المراحل التعليمية الثلاث ، وقد بلغ عدد الدارسين والدارسات فى المرحلة الابتدائية هذا العام ٥٧٥٠ دارسا ودارسة . وفى المرحلة الاعدادية ٢٤٦٥ دارسا ودارسة ـ وفى المرحلة الثانوية ١٣٩١ دارسا ودارسة ـ كما ازداد عدد المدارس والمراكز حتى وصل الى ٦٤ مركزا ومدرسة .

بالاضافة الى اهتمام الوزارة بمشاركة وسائل الاعلام المختلفة : (الاذاعـة ، التليفزيون ، الصحف ، المجلات المحلية) وذلك للمشاركة فى الحملة الاعلامية الشاملة لمحو الامية والعمل على اقناع المواطنين بضرورة الالتحاق فى المراكز الدراسية المسائية .

كما أن الوزارة اسهمت بدور كبير فى الندوة العربية الاعلامية لمحو الامية التى عقدت فى الدوحة من ٢٨ نوفمبر الى ٢ ديسمبر سنة ١٩٨١ م بهدف وضع خطة اعلامية شاملة لمحو الامية .

ونامل من الله أن ياتى اليوم الذى نحتفل به بمحو امية اخر امي فى دولتنـا الفتية .

ولقد عنى التعليم الجامعى فى دولتنا باهتمام كبير من المسئولين . لعل من ابرز نتائج السنوات العشر الماضية انشاء جامعة قطر ، وتوسعها الدائم ، وذلك لاستيعاب الاعداد الكبيرة من ابنائنا ، فالطلاب والطالبات المتوقع تخرجهم فى يونيو القادم سنة ١٩٨٣ ومن طلاب البعثات ايضا سيكون فى حدود ٤٨٣ خريجا وخريجة ، منهم ٥٦ طالبا و٢٧٦ طالبة من جامعة قطر ، و ١٣٢ خريجا و ١٩ خريجة من المبتعثين للخارج ومن كافة الاختصاصات التى تؤدى غرضها فى سد حاجة الوطن ومواجهة خطط التنمية فى البلاد .

وفى نهاية حديثي يسرني أن اتوجه بالشكر والتقدير لحضرة صاحب السـمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني امير البلاد المفدى ، والى ولي عهده الامين سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني على ما نلقاه منهما من دعم مخلص وتوجيهات سديدة لخدمة الاهداف التربوية التى نسعى جميعا الى تحقيقها لبناء دولة عصرية لها مكانتها المشرقة الطيبة بين دول العالم .

سائلين الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطانا جميعا الى ما فيه الخير والسعادة لوطننا الحبيب ولامتنا العربية ..

محمد بن حمد آل ثاني



جزء خاص

٢٢ فبراير

والاعوام في حياة قطر الحديثة

معالم السياسة المالية والبترولية في قطر

يشهد العالم في الوقت الحاضر تدهورا في أوضاع سوق النفط العالمية ، الأمر الذي يؤثر على شعوب الدول المنتجة التي تنتمي إلى العالم الثالث والتي تبذل جهودا حثيثة لتنمية اقتصادياتها ، وعلى الدول المستهلكة بشكل عام بما فيها الدول الصناعية التي تسعى للخروج من ازمة الركود الاقتصادي التي تمر بهـــا .

وفي ظل هذه الظروف الاقتصادية السائدة في العالم ، أردنا أن نستوضح تأثير ذلك على دولة قطر حيث أفادت مصادر وزارة المالية والبترول أن تدني انتاج الزيت الخام ، وتدني أسعاره العالمية لابد أن تنعكس آثارهما على مستويات الانفاق في موازنة السنة المالية القادمة ... وهذا لا يعني بالطبع أن دولة قطـر تواجه ظرفا صعبا ، بل ان كل مافي الأمر يستدعي أن يتم التصرف في حدود الدخل المتوقع أكثر من أي وقت مضى ، وأن يراعى رسم السياسة المالية وترجمة ذلك في الميزانية العامة على أساس اختيار دقيق للمشروعات ضمن أولويات واضحة .

وأفادت مصادر وزارة المالية والبترول بأن المؤشرات الأولية للميزانية القادمة ستعكس الأوضاع المالية الواقعية للدولة وقدرة مؤسساتها على الانفاق الفعلي بهدف تحقيق أقرب توازن ممكن بين الواردات والنفقات ، وأن وزارة المالية والبترول لم تنته بعد من وضع موازنة الدولة للسنة المالية القادمة ، حيث يجري الآن إعدادها ، وسوف تناقش المشروعات في مجلس الوزراء الموقر ومجلس الشورى .

وقد أوضح سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني ، وزير المالية والبترول عدة حقائق هامة ، حول ما يحدث في السوق النفطية وآثارها على دول منظمة الأوبك والدول النامية والتجارة والاقتصاد العالميين ... وذلك قبيل انعقاد الاجتماع الاستشاري الأخير لمنظمة أوبك في جنيف حيث قال :

« إن أمورا عدة تنتج عن تخفيض الأسعار منها أنه في المدى القصير سينقص مدخول دول الأوبك مما قد يتسبب في خفض مشروعات الانفاق بما في ذلك مصروفات التنمية فيها ، الأمر الذي سيؤدي إلى تخفيض الاستيراد من الدول الأخرى وخاصة الصناعية منها ، وفي هذا الوقت بالذات ، فان تلك سيزيد من حدة الأزمة والركود الاقتصادي فيها رغم الجهود التي تبذلها لمعالجة مشكلة البطالة التي وصلت إلى نسب عالية » .

« إن انخفاض العائدات النفطية سينعكس بصورة مباشرة على قدرة الدول النفطية في تقديم المساعدات الاقتصادية للدول النامية والتي بلغت نسبتها في المعدل بالنسبة لدخلها القومي عشرة أضعاف النسبة للدول الصناعية . »

«إن ذلك من شانه أيضا أن يؤثر في السيولة الدولية الى حد كبير إذا تذكرنا أن دول الفائض كانت تستثمر جل توفيراتها من خلال المؤسسات الاستثمارية الدولية منها والنقدية والتي كانت مسئولة عن تمويل عمليات التجارة الدولية ومشاريع التنمية الاقتصادية » .

وحول دور البترول بشكل عام في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدولة والسياسة البترولية عامة في قطر ، ومن خلال منظمتي أوابيك وأوبك ، أضافت المصادر نفسها ان البترول يقوم بدور بارز في عملية التنمية الاقتصادية للدولة كما هو معروف باعتباره المصدر الأساسي للدخل القومي والركيزة الأساسية في تمويل عمليات التنمية بالاضافة الى كونه مصدرا رئيسيا في تغطية الاحتياجات المحلية للطاقة ، ومصدرا للتغذية في عديد مـــن الصـــناعات البتروكيماوية ..

ولذلك فان سياسة قطر البترولية ـ في المجال المحلي ـ تهدف إلى تكريس كل الجهود في سبيل الاستفادة القصوى من العائدات البترولية وفي دفع عجلة التقدم في البلاد ، والعمل على تحقيق التكامل في صناعة البترول ودمجها في الاقتصاد القومي ونشـــاطاته المختلفـــة ، والتحـــول بالاقتصاد القطري من الاعتماد على مصدر ناضب للدخل القومي الى قاعدة انتاجية متنوعة وموسعة تضمن استمرار ونمو الدخل بهدف تحقيق أكبر قسط من الرخاء للجيل الحاضر والأجيال القادمة .

وتحقيقا لهذه السياسة ، أصدر حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى ، الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، قراره التاريخي في عام ١٩٧٤م ، بالسيطرة الكاملة على ثروات البلاد البترولية لتكون ادارتها الكاملة خاضعة للأيدي الوطنية ، وقد استتبع ذلك إنشاء المؤسسة العامة القطرية للبترول والشركات التابعة لها ، وبدأت بذلك مرحلة جديدة في تطوير وتوسيع الصناعات القائمة على البترول والغاز ، وتأمين الاحتياجات المحلية من المنتجات البترولية والاستفادة الكاملة من الغاز الطبيعي . فاستطاعت الدولة ، خلال سنوات قليلة من استكمال تشييد صرح صناعي ضخم في منطقة أم سعيد ، يضم العديد من الصناعات الثقيلة أهمها : البتروكيماويات والأسمدة الكيماوية والحديد والصلب والأسمنت .

ومن أجل تلبية الاحتياجات المحلية من المنتجات البترولية ، أنشأت الدولة شركة البترول الوطنية للتوزيع لتتولى جميع العمليات المتعلقة بالتوزيع المحلي ، وتكرير المنتجات البترولية ، وتم إقامة مصفاة تبلغ طاقتها الحالية حوالي ١٣ الف برميل يوميا . ونظرا للزيادة الحادة في الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية والتي صاحبت عملية التطور الصناعي والاجتماعي في الدولة ، فان الدولة تقوم حاليا بانشاء مصفاة جديدة ينتظر بدء تشغيلها في أواخر العام الحالي بطاقة انتاجية قدرها (٥٠) الف برميل يوميا ،

حيث من المتوقع ان يغطي انتاجها بعد تلك الزيادة المتوقعة فى الاستهلاك المحلي من المنتجات البترولية حتى أوائل التسعينات وتصدير الفائض من الانتاج خلال السنوات الأولى من التشغيل .

وقد عمدت الدولة كذلك إلى الاستفادة الكاملة من الغاز المصاحب ، فاقامت وحدتين متكاملتين لسوائل الغاز الطبيعي ، تعمل الأولى على استخلاص الغازات الكثيفة من الغازات المصاحبة المنتجة من حقول النفط البرية ، وتقوم الثانية باستخلاص الغازات الكثيفة من حقول النفط البحرية . ويبلغ اجمالي الطاقة التصميمية للوحدتين يومياً ـ/ ٢٣٠٠ طن بروبان ، ١٦٥٠ طن بيوتان و ١٣٥٠ طن من الجازولين الطبيعي .

وباقامة هاتين الوحدتين يتم الاستخدام الكامل للغازات المصاحبة التى كان يهدر جزء كبير منها .

وفى اطار سياسة الدولة نحو استثمار جميع مواردها الهيدروكربونية على الوجه الامثل ، فقد قررت الدولة وضع خطة لاستغلال الاحتياطات الضخمة من الغاز الطبيعى غير المصاحب التى تم اكتشافها فى حقل الشمال . ونظراً لأن السنوات الأخيرة قد شهدت اعتماداً متزايداً على الغاز لتوليد الكهرباء وتحلية المياه . فقد قررت الدولة فى أولوياتها وضع خطة لاستغلال هذه الغازات لتلبية الاحتياجات المحلية منها ، وكذلك انشاء مشروع للغازات البترولية المسيلة بهدف التصدير والتى قطعت الدراسات الخاصة بها مرحلة متقدمة .

وبالنسبة للمستويين العربى والدولى ، فقد هدفت سياسة قطر البترولية الى توثيق التعاون البترولى تدعيماً للمصالح المشتركة فى مختلف المجالات ، ويعتبر انشاء مجلس التعاون الخليجى تتويجاً للجهود المستمرة فى التشاور والتنسيق بين دول الخليج العربية والذى يهدف الى تحقيق أكبر قدر من التنسيق والتكامل فى جميع الميادين ، ومن بينها المجال البترولى . وقد اتخذ وزراء النفط بدول مجلس التعاول الخليجى قرارات عديدة تعمل على تعميق التنسيق بين السياسات البترولية لدول المجلس واقليميا



سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة ال ثانى
وزير المالية والبترول

بما يحقق وحدة المواقف واقامة المشروعات البترولية المشتركة .

وتحقيقاً لأهمية التعاون العربى الشامل ، انضمت دولة قطر الى منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول « أوابيك » وساهمت مساهمة فعالة فى انشطتها وشاركت فى المشروعات التى أنشأتها المنظمة . ايماناً منها بأهمية التعاون والتنسيق بين الدول العربية الاعضاء فى مجال المشروعات المشتركة .

ومن أجل ارساء أساس من أقوى أسس التعاون بين الدول العربية ، وهو توظيف الطاقة فى خدمة التنمية العربية ، استضافت دولة قطر فى العام الماضى مؤتمر الطاقة العربى الثانى الذى افتتحه صاحب السمو أمير البلاد المفدى وشارك فى اعماله وزراء البترول والطاقة والكهرباء ، الى جانب اكثر من ٤٠٠ من الخبراء والمتخصصين من المنظمات والهيئات العربية والاجنبية ، الذين ناقشوا الابحاث والدراسات التى تناولت قضايا الطاقة .

ولم يقتصر نشاط دولة قطر فى الصناعة البترولية على النطاقين المحلي والعربى فحسب ، بل هدفت سياستها الى توسيع هذا النطاق ليشمل المجال العالمي بالانضمام الى منظمة البلدان المصدرة للبترول « أوبيك » . وكما جاء فى خطاب حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى بمناسبة افتتاح الاجتماع الثامن والأربعين للمنظمة والذى تم عقده فى الدوحة فى ديسمبر عام ١٩٧٦ ، فان دولة قطر ادراكاً منها بأهمية الأهداف التى انشئت من اجلها المنظمة ، وأبعاد الانجازات التى يمكن ان تحققها لخير شعوب اعضائها ، فقد بادرت بالانضمام الى المنظمة بدافع هذا الادراك ، واسهاماً بدورها فى المعاونة على تحقيق تلك الغايات والانجازات ، وكانت أول عضو انضم اليها بعد تاسيسها مباشرة .

وقد ساهمت دولة قطر مساهمة ايجابية فى أنشطة المنظمة وفى اللجان الفرعية المنبثقة عنها ، كما شاركت فى اصدار الكثير من القرارات الهامة التى اتخذتها وحرصت على الالتزام الكامل بهذه القرارات تدعيما منها لوحدة المنظمة فى ظل ظروف السوق البترولية المتغيرة . فقد واجهت المنظمة مصاعب عديدة ـ وخاصة منذ أوائل العام الماضى ـ نتيجة عوامل عديدة مما دعا المنظمة الى اصدار قراراتها فى مارس ١٩٨٢ بالاستمرار فى تثبيت أسعار الخام القياسي العربى الخفيف عند ٣٤ دولاراً للبرميل ، وتحديد سقف انتاج كلي للأوبيك قدره ١٧٫٥ مليون برميل يومياً اعتباراً من أول ابريل عام ١٩٨٢ ، وتحديد حصة انتاج كل دولة عضو وذلك بهدف توفير الاجراءات الضرورية لاستقرار السوق البترولية ، وحرصت دولة قطر على الالتزام الكامل بهذه القرارات ، ايماناً منها بأن الحفاظ والتماسك والتضامن بين الدول الأعضاء فى الوقت الحالى كفيل باحتواء الأزمة وتجاوزها لصالح دول المنظمة

وقد أوضحت مصادر وزارة المالية والبترول بأن الأوضاع المترتبة عن مشاكل انتاج وتسويق الطاقة سيكون لها أثرها الكبير على الأوضاع الاقتصادية فى العالم أجمع ، وفى قطر بالطبع ، إلا أنه بفضل السياسة الحكيمة والمتزنة التى تنتهجها الدولة فان دولة قطر تظل قادرة على التكيف مع الظروف المتغيرة ، وعلى القدرة على التنظيم الداخلى من خلال السياسات المالية والاقتصادية لمواجهة هذه المتغيرات دون أن يتعرض الاقتصاد القطرى والطاقات التنفيذية لاختناقات تضر بمسار التنمية وتحقيق النمو والازدهار ..

ومن كل ذلك وغيره ، تتضح لنا معالم السياسة البترولية لدولة قطر والتى تركز على المحافظة على الثروات الهيدروكوبونية لأطول وقت ممكن وعلى خطط التنمية فى البلاد وتكريس جزء من الدخل القومى للبحوث التقنية النظرية منها والتطبيقية بهدف تطوير المجتمع وترشيد استهلاكه للطاقة والحفاظ عليها ، ورفع كفاءة استخداماتها مع تنميتها وتطويرها وتعميق أواصر التنسيق والتعاون على المستويين العربى والعالمى ، لتحقيق ما تصبو إليه البلاد من تقدم لخيرها وخير العالم أجمع .



جزء خاص

٢٢ فبراير
والاعاما في حياة قطر الحديثة



شبابنا في ظل القيادة الواعية

يحرص سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني ولي العهد رئيس المجلس الاعلى لرعاية الشباب على متابعة ورعاية انشطة الشباب الرياضية والثقافية والاجتماعية

يعتبر اليوم الثانى من يناير ١٩٧٩ نقطة تحول حاسم وتطور حيوى فى تاريخ الرياضة والشباب بدولة قطر ، ففى هذا اليوم صدر المرسوم الاميرى رقم (١) بانشاء المجلس الاعلى لرعاية الشباب برئاسة سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى ولي العهد ووزير الدفاع ، وبذلك بدات مرحلة جديدة مشرقة فى تاريخ الحركة الرياضية والشبابية ، اتسعت الآمال فيها الى غير حدود ، وامتلأت قلوب الرياضيين بالتفاؤل بقيادتهم الشابة الواعية .

فمنذ شبابه المبكر تابع سمو ولي العهد الحركة الرياضية والشبابية باهتمام وعن كثب ، فكان يوجه الشباب ويرعاهم ، وينصح القيادات الرياضية والشبابية الميدانية ويشجعها ، حتى التفت حوله قلوب الرياضيين والشباب قادة وممارسين يلتمسون من توجيهاته ورعايته وحماسه الدعم الادبى والمعنوى لمسيرة الشباب المباركة .

وإيمان سمو ولي العهد بالشباب لا يعادله إلا حرصه على أهمية رعاية الشباب وتوجيهه حتى يكون لبنات مؤمنة وصلبة فى بناء مستقبل وطنه وأمته .

ويعبر سمو ولي العهد عن ذلك بقوله «إن الشباب هو نصف الحاضر وكل المستقبل ، وعلى عاتقه يقوم البناء الشامخ وجدير به أن يجمع الى ايمانه الراسخ ، قوة ومرونة تؤهله لأعلى المراتب» .

ولقد تم تشكيل المجلس الأعلى لرعاية الشباب كالتالى :

● سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني رئيساً .

● سعادة الشيخ ثامر بن محمد ال ثانى نائباً للرئيس .

● عضو من كبار الموظفين من كل من إحدى عشرة وزارة وهيئة ..

كما عين سعادة الشيخ محمد بن عيد ال ثانى سكرتيراً عاماً للمجلس .

ثم توالى تشكيل الجهاز الفنى للمجلس من خمس لجان عامة ، يتم تشكيلها من بين أعضائه ، كما تم تشكيل السكرتارية العامة للمجلس حيث قسمت الى أربعة ادارات متخصصة .

ويهدف المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، الى تنظيم الأنشطة الخاصة برعاية الشباب التى تقوم بها الأجهزة الحكومية والأهلية ، ودعمها وتوجيهها ، والاشراف عليها والتنسيق بينها ، بهدف تكوين المواطن الصالح بدنياً وعقلياً واجتماعياً ، وإرشاده الى ما يرفع مستواه المادى والمعنوى ، وإنماء الروح الوطنية والعقيدة الدينية لديه ، وصيانته من أسباب الفساد وحمايته من الاستغلال .

وفى ١٤ مارس عام ١٩٧٩ تاسست اللجنة الأولمبية الأهلية القطرية وضمت مجموعة متميزة من الشباب القطرى الطموح تحت قيادة حكيمة وواعية ممثلة فى سعادة العقيد الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثانى ، لتحقيق الآمال فى تطوير وتعميم وتوسيع القاعدة الرياضية فى



سعادة الشيخ ثامر بن محمد ال ثاني نائب رئيس المجلس الاعلى وسعادة الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثانى رئيس اللجنة الاولمبية القطرية يتابعان بطولة العالم العسكرية لكرة القدم التى اقيمت بالدوحة



سمو امير البلاد المفدى وولى عهده الامين يستقبلان منتخب الشباب لكرة القدم بعد عودته الظافرة من بطولة العالم باستراليا .

قطر .

ولقد تشكلت اللجنة الأولمبية الأهلية القطرية على الوجه التالى :

- سعادة العقيد الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثاني رئيساً .
- الأستاذ راشد بن حصين النعيمى نائباً للرئيس .
- الشيخ عبد الله بن علي آل ثانى رئيس اتحاد الرماية والفروسية عضواً
- السيد سلطان خالد السويدى رئيس اتحاد كرة القدم عضواً
- السيد محمد ناصر النعيمى رئيس اتحاد كرة اليد عضواً
- السيد محمد همام رئيس اتحاد الكرة الطائرة وتنس الطاولة عضواً
- السيد يوسف الساعى رئيس اتحاد ألعاب القوى عضواً
- السيد ناصر العلي رئيس اتحاد كرة السلة عضواً
- السيد حمد السليطى رئيس اتحاد البولينج عضواً

كما تمت اعادة تشكيل الاتحادات الرياضية فاختير لعضويتها صفوة من القيادات الرياضية ذات الخبرة والعزم . وأتيح لمجالس ادارات الاتحادات الرياضية بدعم وتوجيه سعادة رئيس اللجنة الأولمبية وضع الأسس السليمة الراسخة للبناء الشامخ الذى كانت تطمح اليه قلوب الرياضيين .

ومع مطلع عام ١٩٨٣ أصبحت قطر معلماً رياضياً هاماً اكتسب سمعة عالمية من خلال الانجازات الرياضية الضخمة التى حققها الشباب القطرى تحت رعاية واعية وأمينة ومخلصة ، فقبل أن يختتم عام ١٩٨٢ الذى كان عام النهضة الرياضية والشبابية الشاملة ، كان الاتحاد القطرى لكرة القدم قد حقق انجازاً رياضياً تاريخياً بفضل دعم وتوجيه سعادة رئيس اللجنة الأولمبية القطرية . فبمناسبة اسضافة الدوحة عاصمة قطر لاجتماعات الجمعية العامة للاتحاد العربى لكرة القدم التى اشتركت فيها اتحادات عشرين دولة عربية نظم الاتحاد القطرى لكرة القدم مباراة تاريخية لمنتخب العرب لكرة القدم تقابل فيها مع منتخب لأندية هولندا . وتحقق بذلك أمل رياضي عربي عزيز وحبيب الى قلوب كل الرياضيين العرب ، وفى مهرجان رياضى رائع انتصر منتخب العرب على منتخب أندية هولندا ٤ / ١ تحيطهم وتحييهم قلوب أربعين الف متفرج تجمعوا بالاستاد ، كما تابعتهم الملايين فى الوطن العربى عبر شاشات التليفزيون .

ومع العرض القوى لمنتخب العرب عادت الذاكرة الى أيام خالدة فى تاريخ الرياضة العربية حين حقق فريق منتخب الشباب القطرى إنجازاً رياضياً لم يحدث فى تاريخ كرة القدم العربية عندما فاز بالمركز الثانى فى بطولة كاس العالم للشباب باستراليا بعد أن حقق انتصارات باهرة فى طريقه الى المباراة النهائية للبطولة ، فهزم منتخبات أعرق المدارس



سعادة الشيخ عبد الله بن خليفة ال ثاني يستقبل بالدوحة السيد / سمرانش رئيس اللجنة الأولمبية الدولية

العالمية فى كرة القدم ، حيث فاز على بولندا (١ / صفر) وعلى البرازيل (٣ / ٢) وعلى انجلترا (٢ / ١) وكانوا الأجدر والأقرب الى النصر فى المباراة النهائية ضد المانيا الاتحادية لولا هطول الأمطار الغزيرة ليومين متتاليين على الملعب التى أقيمت عليه المباراة ..

وفى مقر المجلس الأعلى لرعاية الشباب واللجنة الاولمبية القطرية كان يعج المبنى بالنشاط ليل نهار كخلية نحل ، الجميع فى عمل وحركة دؤوبة تعبر عن الآمال الطموحة التى تشتعل فى هذا المبنى الانيق ذى الثمانى طوابق والذى يقع بشارع السد فى احد الأحياء الحديثة لمدينة الدوحة عاصمة قطر . فمنذ ايام عاد الى الدوحة وفد قطرى رفيع المستوى برئاسة سعادة الشيخ ثامر بن محمد آل ثانى حيث شارك فى اجتماعات الدورة السادسة لمجلس وزراء الشباب والرياضة العرب والذى عقد فى مقديشو عاصمة الصومال . وتقديراً لدور قطر فى المجال الرياضى العربى فلقد اختيرت دولة قطر باجماع المشاركين لعضوية المكتب التنفيذى الجديد للمجلس ، والذى ضم نخبة من القيادات العربية الرياضية الممتازة .

وفى نفس الوقت عاد الى الدوحة وفد قطرى رفيع المستوى برئاسة سعادة الشيخ عبد الله بن خليفة آل ثانى رئيس اللجنة الاولمبية القطرية حيث شارك وفد اللجنة الاولمبية القطرية فى اجتماعات اللجنة الاولمبية الدولية واتحاد اللجان الوطنية التى عقدت فى لوس انجلوس بالولايات المتحدة الامريكية لمناقشة كافة الشئون التنظيمية للدورة الاولمبية القادمة ولزيارة المرافق ومشاهدة الاستعدادات التى قامت بها اللجنة المنظمة وإبداء الملاحظات عليها .

ولقد شارك وفد اللجنة الاولمبية القطرية فى اجتماعات الاتحاد العربى للألعاب الرياضية التى عقدت للتنسيق بين اللجان الاولمبية العربية وذلك قبل اجتماعات المؤتمر العام كما تم التنسيق مع المجموعات الآسيوية والافريقية . كما عقد الوفد اجتماعا خاصا برئاسة سعادة الشيخ عبد الله مع اللجنة المنظمة العليا للدورة حيث تمت دراسة الاحتياجات الضرورية التى تلزم الوفد القطرى للمشاركة فى دورة الألعاب الاولمبية التى ستقام فى لوس انجلوس عام ١٩٨٤ .



قام المجلس الأعلى بانشاء صالة مغلقة للألعاب كما يتم حاليا إنشاء سبعة اندية حديثة

فالواضح انه ما إن اكتملت الاجهزة المنظمة والمشرفة على انشطة الشباب الرياضية والثقافية والاجتماعية والفنية ، حتى انطلق الجميع فى تعاون ايجابى حميم وفى تكاتف وتاخ رائع تحت قيادة سمو ولي العهد فى انشاء الصرح الرياضى لقطر على اسس علمية ثابتة .

وقد استلزم الأمر التحرك فى ثلاثة محاور اساسية لتحقيق النهضة الشبابية المرجوة :

● أولا : اعداد المرافق الرياضية والثقافية والاجتماعية والفنية اللازمة لممارسة هذه الأنشطة بحيث تكون مستوفية للشروط الفنية لكل نشاط مجهزة بادواته الخاصة .

● ثانياً : اعداد القيادات التربوية المتخصصة من مدربين وحكام واداريين بالنسبة للأنشطة الرياضية او كموجهين للأنشطة الاخرى ، للاشراف على النشاط فى إطار قوانين فنية وقواعد خلقية وسلوكية معينة يحقق تطبيقها الفائدة التربوية المنشودة من هذا النشاط .

● ثالثا : تنظيم الأنشطة والمسابقات وتوسيع قاعدة النشاط الرياضى والثقافى والاجتماعى والفنى والاشتراك فى المنافسات الاقليمية والقارية والدولية كمجالات لاختبار المهارات والقدرات الفنية المختلفة والقيم السلوكية المكتسبة تمهيداً لتطويرها وتحسينها أولا بأول .



سعادة الشيخ محمد بن عبد آل ثانى سكرتير عام المجلس الأعلى لرعاية الشباب

وتنفيذاً لذلك قام المجلس الاعلى باعادة تجهيز المرافق الرياضية القائمة ، كما قام بانشاء صالة الألعاب المغلقة ذات الاستخدامات الرياضية المتعددة . وبدأ المجلس مشروعه الضخم بانشاء سبعة مقار حديثة للأندية الرياضية يتم تسليمها خلال عامين ، على أن يستكمل إنشاء مقار لباقي الأندية خلال خمسة أعوام .

ومنذ البداية قامت اللجنة الاولمبية القطرية بمعاونة الاتحادات الرياضية المختصة بوضع الخطط والبرامج اللازمة لتكوين القيادات القطرية الرياضية فى مجالى التدريب والتحكيم . ولقد قامت كافة الاتحادات الرياضية القائمة بتنظيم عدة دورات محلية للحكام والمدربين القطريين كما اشركت الممتازين منهم فى الدورات الدولية لاعداد القادة فى هذين المجالين ،

كما قامت الاتحادات الرياضية بتوفير اكبر خبراء التدريب فى الألعاب المختلفة لملاحقة التطور العالمى الفنى فى هذا المجال وفى نفس الوقت تم تعيين مدربين قطريين مؤهلين تاهيلا علمياً كمعاونين ومساعدين لهؤلاء المدربين العالميين لتمهيدهم لحمل امانة التدريب فور استكمالهم لعناصر

الخبرة العملية الى جانب دراستهم العلمية .

وبذلك تسير خطة اعداد القادة الرياضيين وموجهوا النشاط الثقافى والاجتماعى والفنى جنبا الى جنب مع خطة انشاء المرافق الرياضية ومرافق الانشطة الاخرى اللازمة .

أما بالنسبة للمسابقات والمنافسات المحلية والدولية ، فلقد لجأت الاتحادات الرياضية القائمة بتوجيه ومعاونة وتدعيم من اللجنة الأولمبية القطرية إلى السير فى اتجاهات متوازية لتحقيق الهدف المنشود ، فقامت اولا وبتكليف من اللجنة الأولمبية باعداد ثلاث منتخبات قومية لكل لعبة ، منتخب أول ومنتخب للشباب ومنتخب للناشئين ، وذلك حتى لا تتركز الرعاية الفنية فى اعلى قمة الهرم الرياضى وحتى يتسنى توفير عناصر شابة جديدة للمنتخب القومى الأول وتطعيمه اولا باول بالممتازين من اللاعبين فى المراحل السنية السابقة عليه . ولتحقيق ذلك كان لابد أن تتنافس الأندية الرياضية فى المسابقات المحلية طبقا لنفس القواعد حتى يتم تغذية المنتخبات القومية الثلاثة من الممتازين من لاعبى الأندية الرياضية لكل مرحلة سنية .

ومن ناحية اخرى شجعت اللجنة الاولمبية الاتحادات الرياضية على الاشتراك بمنتخباتها القومية المختلفة فى كافة المسابقات الاقليمية والقارية والدولية وذلك لاكساب الشباب القطرى المهارات التى تتولد عن المنافسة ، وكذلك الى مشاركة الشباب القطرى فى المحافل الرياضية الدولية مما يكسبه معارف متعددة وصداقات مع شباب العالم ، ومع ما يستتبع ذلك من رفع اسم قطر عاليا فى المحافل الرياضية الدولية .

ولقد استلفت هذا النشاط الطموح انظار اللجنة الأولمبية الدولية ورؤساء الاتحادات الدولية والقارية مما حدا برئيس اللجنة الأولمبية الدولية السيد / خوان انطونيو سمرانش الى زيارة اللجنة الأولمبية القطرية على الرغم من أن كثيراً من اللجان الأولمبية لدول أخرى والتى انضمت الى عضوية اللجنة الأولمبية الدولية قبل انضمام قطر بسنوات لم تحظ بهذا القدر من الاهتمام والتقدير الذى ابرزه السيد / سمرانش خلال زيارته لقطر . كما زار قطر اكثر من مرة الدكتور هافيلانج رئيس الاتحاد الدولى لكرة القدم وكذلك



منتخب العرب لكرة القدم .. امل تحقق على الملعب الرئيسى باستاد خليفة الاولمبي بالدوحة .

رؤساء الاتحادات الرياضية لقارة آسيا وقارة افريقيا .

وبناء على توجيهات سمو ولي العهد ورئيس المجلس الأعلى قام المجلس باقامة اندية صيفية بالأندية الرياضية والثقافية القائمة وذلك خلال فترة الصيف من كل عام اعتبارا من عام ١٩٨٠ وذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم ووزارة الاعلام .

ويقوم المجلس بتقديم معونة خاصة تبلغ ١٦٠ الف ريال لكل ناد لتوفير الأدوات اللازمة لهذه الأنشطة ، ولقد انشئت الأندية الصيفية فى ١٥ ناديا وتزاول فيها الأنشطة الدينية والثقافية والاجتماعية والنشاط العلمى والرياضى والفنى . ولقد نجحت الأندية الصيفية فى اجتذاب الآلاف من الشباب لممارسة هذه الأنشطة المختلفة.

واقتناعا باهمية النشاط الرياضى فى اكساب الانسان اللياقة البدنية والنفسية والذهنية اللازمة لمواجهة متطلبات الحياة العصرية ، ورفع قدرة وكفاءة الانسان الانتاجية مما يتيح له ان يعيش حياة سعيدة ونافعة ، فلقد استضافت اللجنة الأولمبية القطرية ندوة « الرياضة للجميع » والتى عقدت بمدينة الدوحة فى نوفمبر ١٩٨١ م . وتقدمت اللجنة الأولمبية القطرية خلال هذه الندوة ـ التى شاركت فيها وفود خمس عشرة دولة عربية ـ بعدة أبحاث ودراسات ميدانية لتدعيم وتطوير رسالة هذا المشروع الحضارى الحيوى الهام .

ولن يتسنى استعراض كافة انجازات المجلس الأعلى لرعاية الشباب واللجنة الأولمبية القطرية والاتحادات الرياضية والاندية الرياضية والثقافية فى هذه الصفحات القليلة ، ولكننا لا نملك إلا أن نحيى هؤلاء الرجال الذين يعملون ليل نهار باخلاص وتجرد وبجهد لا مثيل له لمواكبة النهضة الشاملة التي تشهدها دولة قطر فى كافة مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والصناعية والاجتماعية والتى يقودها بحزم واقتدار حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثانى امير البلاد المفدى وولي عهده الامين سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى ولي العهد وزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب .

وتتضح الرؤيا ويتحدد الطريق على ضوء كلمات حضرة صاحب السمو امير البلاد المفدى فى إحدى خطبه إذ يقول سموه حفظه الله «وإننى لحريص فى هذه المناسبة ، وفى كل مناسبة ، على أن أؤكد على أصل جوهرى من أصول سياستنا الداخلية ليظل ماثلا فى وجدان كل منا ، الا وهو أن الهدف النهائى الحقيقى لكل جهودنا فى سبيل تحقيق نهضتنا ، هو رفع نوعية الانسان القطرى ، حتى يكون أعظم حبا لوطنه وتعلقا به ، وأكثر إدراكا لحقوقه وواجباته ، وأعمق فهما لقدره وكرامته ، وأشد اقبالا على المشاركة فى بناء دولته ، وأكبر قدرة على الارتقاء بها الى المستوى اللائق بتراث أمته ، الكفيل بتحقيق المزيد من هناء بلده فى حاضره ، وأكثر ما يمكن من الازدهار فى مستقبله» .

عبد الرحيم أبو عوف



جزء خاص

٢٢ فبراير

والاعلام في حياة قطر الحديثة

الإعلام القطري: المنهج والمسار

بقلم: عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر.

كان للتطور المذهل الذى طرأ على حقل الاعلام فى عصرنا الحديث ، انعكاسات وتاثيرات بالغة الاهمية على مختلف نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للشعوب فمن قبل تناهى تطور المجتمعات لتتبلور فى صيغة الدولة . وبعد ذلك ، كان الاعلام يمثل الصلة بين الحاكم والمحكوم . فهو فى صعوده ينقل وجهة نظر الراى العام ازاء الاحداث ، كما كان فى نزوله يحمل تفسير الحاكم للمتغيرات التى تحدث فى المجتمع وتمس الظروف المعيشية والحياتية لافراده .

ولقد واصل الاعلام تطوره كاى كائن حي حتى وصل الى عقبات القرن العشرين ولم يزد تطوره على الصحيفة التى كانت تحمل القليل من الاخبار والكثير من المقالات وكان التغيير الذى حدث اوائل القرن ، هو ظهور الاعلان كعنصر من عناصر الصحيفة يغطى بعض نفقات طبعها ، لتزيد الاعداد المطبوعة منها ، وتصل الى عدد اكبر من القراء بعد أن صار ثمنها زهيداً بالقياس الى ما كان من قبل . ثم تتولى التطورات فتظهر وكالات الأنباء والاذاعة والتليفزيون وما ان يأتي النصف الثانى من هذا القرن حتى تتسارع الخطوات بصورة جعلت الانسان يلهث فى ملاحقتها . فلقد كان للثورة العلمية والتكنولوجية التى حدثت فى ذلك الزمن الوجيز ، اثرها الكبير على وسائل الاعلام من حيث البناء والتقنية . ولكن التطور الذى حدث بحق هو ما لحق الاعلام من حيث وظيفته ، فلم يعد الاعلام تسير ذلك المجال الذى كان يعمل فيه من قبل كصلة بين الحاكم والمحكوم ، بل تطور ليلعب دورا فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، وليحمل على كاهله اعباء وليرتاد مجالات لم تكن فى الحسبان .

واذا كان للدول الكبرى اهداف ومرام كامنة وراء اعلامها ، فان الدول الاخذة حديثا باسباب النمو ، والتى تسابق الزمن لتقطع المسافة بينها وبين الدول التى اخذت باسبابه من قبل ، توظف الاعلام بما له قوة التاثير فى النهوض بمواطنيها والارتفاع بمستواهم الاجتماعي والاقتصادى والثقافي ، مستفيدة فى ذلك بالامكانيات الهائلة التى تتيحها وسائل الاعلام الحديثة ، بما دخل عليها من تطور تكنولوجي .

وترتكز فلسفة الاعلام فى قطر ، على عدد من الأسس والمفاهيم ، ارسى قواعدها امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني يوم اصدر القانون رقم (١٤) لسنة ١٩٧٢ م بانشاء وزارة الاعلام ، ثم يوم اصل هذه القواعد بالقانون رقم (٦) لسنة ١٩٨١ م بتنظيم وزارة الاعلام ، الذى يعتبر منهاجا تسير عليه أجهزة الاعلام فى الدولة .

فليس من شك فى ان الهدف الذى تعمل من اجل تحقيقه جميع اجهزة الدولة فى قطر ، هو خدمة الانسان القطرى والارتقاء بمستواه الاجتماعى والاقتصادى والثقافى ويقوم الاعلام بدوره فى هذا المجال بتوعية المواطن ليقوم بدوره فى خطة التنمية ، بشرح اهدافها الرامية الى رعايته صحيا واجتماعيا وثقافيا . ولا تالوا أجهزة الاعلام جهدا في سبيل نشر الوعي السياسي لدى المواطن . وذلك بشرح القرارات التى تتخذها قيادته السياسية فى القضايا الداخلية والخارجية ، والاعلام بذلك يخلق لدى المواطن شعورا بالوحدة الوطنية ، ويحدوه ذلك الى المشاركة فى شئون بلده .

وتولى أجهزة الاعلام فى قطر المنطقة الخليجية عناية خاصة كمنطقة تربطها بها أوثق روابط التاريخ والموقف والمصير ، وتبرز بصفة دائمة الخطى الجادة والمسئولة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ازاء التحديات والمخاطر المحيطة بالمنطقة باعتبار انها اصبحت تمثل فى عالم اليوم شريان الطاقة وعصب الحضارة الحديثة .



عيسى غانم الكواري
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفي
وكيل وزارة الاعلام

كما ان قضايا الوطن العربى تحتل مكانتها البارزة واللائقة فى اعلامنا القطرى فالاحداث تثبت كل يوم أن قوة الامة العربية تكمن دائما فى وحدة مواقفها ، كما تثبت أيضا أنه إذا تباعدت المواقف أو اختلفت التوجهات فى بعض الأحيان فان تلك التباعد أو الاختلاف يكون أمرا عارضا لا يمثل قاعدة ، اذ سرعان ما يلتئم العقد وتتحد خطوات المسيرة .. ولقناعة الاعلام القطري التامة بذلك فان احداث العالم العربي تحظى بجليل اهتمامه مبرزا المناسبات الهامة لكل قطر عربي مساندا لشعوب الامة العربية فى قضاياها المصيرية والعادلة عضدا ومؤيدا ونصيرا .

كذلك يهتم اعلامنا القطرى باحداث امتنا الاسلامية التى يربطها بشعب قطر لوثق رباط هو ديننا الاسلامى الحنيف ، وتحتل تلك الأحداث مساحات واسعة فى جميع وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

ويؤكد الاعلام على سياستنا الانسانية ، التى تقوم على تهيئته الفرص العادلة لتمكين جميع الشعوب لتنعم بكامل استقلالها القومى ، وحرية ارادتها الوطنية ويخاطب اعلامنا العالم الخارجى بمنطق واضح صادق يشرح به القضايا الوطنية والعربية وهو اذ يهتم بالعالم الخارجى فانما يفعل ذلك لقناعته بانه قد ولى ذلك العهد الذى كان يمكن فيه لاية دولة ان تعيش بمعزل عن الأخرى حتى ليبدو عالم اليوم وكأنه وحدة متماسكة . فليس هناك من ينكر وجود رأى عام عالمى يتاثر بالأحداث ويؤثر فيها ، رغم التكتلات المتطاحنة ، والاحلاف المتنافسة .

تلك هى أهم الاسس التى يقوم عليها الاعلام القطرى ويعمل فى سبيلها وفى اطارها بجميع وسائله .

وقد اثبتت التجارب ان الاعلام القطرى كان دائما على مستوى مسئوليته الوطنية والقومية كما اثبتت صدق الحس الاعلامى لدى العاملين فى هذا المجال الهام من مجالات العمل الوطنى ازاء الاحداث المتلاحقة والمتغيرات المتسارعة التى المت وتلم بهذه المنطقة الهامة من العالم الا وهى منطقتنا العربية ، ولم تكن معالجة الاعلام القطرى لتلك الأحداث والمتغيرات قائمة على الحماس والنظرة العابرة للأمور ، بل كانت قائمة على التحليل الواعى والنقد المتفهم لأسبابها وابعادها ونتائجها .

وقدم بذلك للمواطن القطري والعربي والانسان فى كل مكان الرأى والفكر والمنطق لاستيعاب ابعاد تلك الاحداث وانعكاساتها على الساحة الوطنية والقومية والعالمية وكان فى ذلك نشطا ومتحدثا أمينا كسب الرأى العام محليا وعالميا الى جانب ما يؤمن بانه الحق والعدل .

تحية صادقة الى الجنود العاملين فى الاعلام القطرى الباذلين الجهد والوقت عن رضى فى سبيل رفعة شأن وطننا العزيز .

عبد الله محمد صادق



الاستوديوهات الجديدة فى الاذاعة .



اشهر الفرق العربية على خشبة مسرح قطر الوطنى .



جزء خاص

٢٢ فبراير

والاعوام في حياة قطر الحديثة



مجموعة متعددة من طوابع البريد التى صدرت عبر السنوات الماضية .

تاريخ قطر في طوابع البريد

حققت دولة قطر فى سنوات معدودة فقط نقلة حضارية يصعب حتى على الدول الكبرى تحقيق مثلها .. فقد استطاعت خلال احد عشر عاما التي اقترنت بتولي سمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم فى البلاد عام ١٩٧٢م ـ أن تقيم قواعد ثابتة للدولة التى تعي كيف تخطط ، وتدرك كيف تنفذ على جميع الأصعدة والميادين مستندة إلى توازن الأنشطة فيها . فانتقلت بذلك الى مصاف الدولة العصرية .. دولة العلم .. دولة تأمين سبل الحياة .. دولة توفر الأمان والاستقرار لكل من يعيش على أرضها .

وكان من الطبيعي أن تشهد الخدمات التي تؤديها الدولة لتأمين راحة المواطنين ولتسهيل سبل العيش ، تطوراً شاملا عم كل مرافق الخدمات العامة وعلى رأسها الخدمات البريدية بحيث أصبحت ادارة البريد وفروعها المنتشرة فى جميع أنحاء الدولة شاهدا على هذه النهضة ، وهذا التقدم للدولة الفتية .

انشيء البريد فى الزمن السالف لكي يمكن السلطات العامة من الاتصال بأقاليمها النائية او بجيوشها فى ميادين

حرصت طوابع البريد في قطر على متابعة الاحتفالات والمناسبات الهامة والتاريخية .



القتال .. ثم وضع بعد ذلك تحت تصرف الاهالي ، فاصبح صلة الوصل الوحيدة لفترة طويلة بين الناس والمؤسسات العامة ثم نظم البريد في كل مكان كخدمة قومية عامة ذات طابع إداري .

ومع التحولات السريعة والعميقة التي شهدها العالم فى العقود العشرة الأخيرة في مختلف قطاعات النشاط .. شهد عالم المواصلات بنوع خاص ثورة حقيقية . وبطبيعة الحال لم تهمل الأنشطة البريدية خلال هذا التحرك حيث أخذت الحاجة إلى المواصلات البريدية التي شملت تحويلات الأموال وارسال البضائع خفيفة الوزن تتسع وتتنوع بذات القدر .. وأصبح يتعين على الادارات التي تؤدي هذه الخدمة السعي الى تطوير الأساليب التى تمكنها من القيام بها .

ودولة قطر حرصا منها على مسايرة ركب الحضارة بدأت في تنظيم البريد بانشاء ادارة له عام ١٩٦٣ أخذت على عاتقها مسئولية تطوير وتحسين الخدمات البريدية بما فيه صالح الوطن والمواطنين . وفي مجال دعم الخدمة البريدية ارتفع عدد المكاتب الى ٢٢ مكتبا بعد أن كانت ثلاثة فقط في كل من مدينة الدوحة ودخان وام سعيد ، اضافة الى الوكالات البريدية المنتشرة فى اماكن عدة من الدولة ، ومكتب بريد المطار الذي يدوم العمل فيه على مدار اربع وعشرين ساعة يوميا في مجال التبادل الخارجي .

أما عن الارساليات المباشرة مع دول العالم ، فقد شهدت نموا مضطردا حيث ارتفع عددها من ثلاث ارساليات مباشرة عام ١٩٦٣ إلى حوالي مائة إرسالية عام ١٩٨٢م عدا إرساليات البريد السطحي التى تنتقل عن طريق الجو والتى كان لدولة قطر الريادة في دخول مجالها .. فهي من اوائل ادارات البريد في الخليج العربي التى اعتمدت أسلوب نقل البريد بكامله جوا سواء أودع بالبريد الجوي أم بالبريد العادي .. كما تعتبر ادارة بريد قطر ادارة سباقة في مجال خدمة البريد الممتاز «داتا بوست» مع عدة ادارات عربية وأجنبية .

تاريخ قطر في طوابع البريد



مجموعة اخرى من طوابع البريد ، تتضح فيها الدقة والبساطة والذوق الجميل .

فقد بدأت بالفعل مع دولة البحرين والكويت وتونس وبريطانيا وفرنسا وهولندا واليابان فى تقديم هذه الخدمة الممتازة التى تقدم لأول مرة فى منطقة الخليج وهي خاصة بتسهيل مهمة الشركات والمؤسسات والبنوك والمرافق الحكومية .

مراكز حديثة للبريد

وتقوم ادارة البريد بفرز عمليات جمع الرسائل عن طريق شبكة ممتازة من صناديق البريد تنتشر في الشوارع الرئيسية والأحياء السكنية والفنادق والمؤسسات الكبرى والقرى وفي المكاتب البريدية حيث تقوم بتفريغها السيارات البريدية حسب المواعيد المبينة عليها . ويتم توزيع البريد الوارد على صناديق البريد الخصوصية المؤجرة للمشتركين والتى ارتفع عددها من تسعمائة صندوق الى حوالى اثنى عشر الف صندوق موزعة على مكاتب البريد المختلفة ، كما ادخلت الات بيع الطوابع الأتوماتيكية والختم التلقائي وآلات التخليص البريدي للادارات الحكومية والمؤسسات وغيرها .

هذا ويجري العمل حاليا في بناء مركز حديث للبريد الآلي فى منطقة الخليج الغربي مزودا باحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا البريدية الحديثة . يضم المركز خمسة وعشرين الف صندوق بريدي ، كما يشتمل مبناه على جراجات متعددة الطوابق تسع أكثر من ستمائة سيارة في ان واحد . ومن المنتظر ان ينتهي العمل فى هذا المركز مع أواخر عام ١٩٨٤م .

وفى سبيل تقديم الخدمات البريدية على اكمل وجه للمواطنين ، فقد اهتمت ادارة البريد بدولة قطر بتدريب موظفيها وتاهيلهم لرفع كفايتهم الانتاجية ، فارسلت عددا كبيرا من موظفيها إلى عدة بلدان

عربية وأجنبية للتدريب هناك على أساليب ونظم العمل الحديثة والمتطورة والالمام بتجارب الدول الاخرى ، إضافة إلى الطلبة القطريين الذين يواصلون دراساتهم في كليـــة البريـــد العربيـــة بدمشق.

وفى عام ١٩٦٦م ، انضمت ادارة البريد للاتحاد البريدي العربي ، كما انضمت عام ١٩٦٩م للاتحاد البريدي العالمي . وكانت ادارة البريد القطرية هي التى وضعت اللبنة الأولى لانشاء هيئة بريد الخليج ، فتم أول اجتماع تاسيسي لها في مدينة الدوحـــة خلال شهر ابريل من عام ١٩٧٧م كما تحرص ادارة البريد في دولة قطر على المشاركة والحضور في المؤتمرات العربية والدولية .

طوابع للمناسبات الخاصة

وعن اصدارات ادارة البريد من الطوابع العادية والتذكارية على حد سواء يقول السيد محمد سيف المعضادى مدير عام ادارة البريد .. انه تم اصدار أول طابع بريد فى دولة قطر فى شهر سبتمبر عام ١٩٦١ . وتصدر ادارة البريد عادة حوالى ستة اصدارات تذكارية كل عام تمثل المناسبات الوطنية والخليجية والعربية والدولية مثل تلك الطوابع التى من شانها ابراز حقوق الانسان والصحة والمواصلات والتعليم والزراعة والأمم المتحدة والتغذية ومكافحة العنصرية والهلال الاحمر القطرى وجمعية المعوقين . وقد خصصت بعض هذه المبالغ للمساعدات الانسانية ، كما أصدرت الادارة طوابع تمثل جامعة الدول العربية والأمم المتحدة والاتحاد البريدى العربى . وسوف نقوم باصدار طوابع تذكارية بمناسبة انعقاد مؤتمر دول مجلس التعاون الخليجى الذى سيعقد بمدينة الدوحة خلال شهر نوفمبر القادم .

نحن لا ندعى أن اصداراتنا قد استوعبت جميع المناسبات ولكنى أعتقد اننا قمنا بواجبنا فى هذا المجال . وهناك



محمد سيف المعضادى
مدير ادارة البريد

المزيد من البرامج معدة وخاصة باصدار الطوابع التى تمثل عدة جوانب من تقدم وتطور البلاد فى مختلف المجالات .

وتحرص ادارة البريد على أن تعكس طوابعها الجوانب الحضارية والعمرانية والثقافية والانسانية . وللطوابع أحجام وألوان مختلفة .. فالطابع العادى مثلا يختلف عن الطابع التذكارى ، أما التصاميم فتضع ادارة البريد فكرتها وقد تعد بعضها أما البعض الآخر فترسل فكرته الكاملة الى المطابع لاعداد ما يلزم تنفيذه من تصميمات ويتم الطبع فى الوقت الحالى فى كل من سويسرا وهولندا وبريطانيا وذلك تحت اشراف ادارات البريد فى هذه الدول .

طوابع فسفورية جديدة

وعن الجديد فى الخدمات البريدية القطرية يشير السيد محمد سيف المعضادى الى المركز الجديد الآلى الحديث الذى يجرى العمل فيه فى الساحل الغربى من الدوحة ..

وأن جميـــع الطوابع التى تستعمل فى الوقت الحالي لن تقبلها آلات الفرز فى هذا المكتب حيث يستعمل بها طوابع فسفورية تحمل خطوطا معينة وفق التقسيم الجغرافي . بمعنى أن الرسالة التى تحمل طابعا ذا خط واحد مثلا حين يوضع في المعاون الرئيسي للآلة ، سوف يتجه من تلقاء نفسه إلى قسم البريد الداخلي .. والرسالة التى تحمل خطين فسفورين تتجه الى قسم البريد الخارجي .. الخ .

هذا يعني أن ادارة البريد يمكنها التحكم بالخطوط الفسفورية حسب ما تراه في خط التوزيع ، وهذا ينطبق على الطوابع العادية التى سوف تطرح للبيع فى الأسواق قبل الانتقال إلى المبنى الجديد

وفي النهاية يؤكد السيد محمـــد سيف المعضادي مدير ادارة البريـــد أن طابـــع البريد هو سفير متنقل لبلاده لأنه يسافر إلى جميع أنحاء العالم ملتصقا بالرسالة ، وحاملا معه حضارة ذلك البلد الذي صدر منه .

ووفقا لنظام الاتحاد البريدي العالمي ، والاتحاد البريدي العربي وهيئة بريد الخليج ، فان ادارة البريد فى دولة قطـر تتبادل الطوابع مع جميع أنحاء العالم عن طريق هذه المنظمات .

كمـا نقـوم بامداد بعـض المؤسسات والهيئـات والمنظمـات العالميـة بالطوابع القطرية ، وقـد اشـتركت ادارة البريـــد القطرية في عـدة معـارض دوليـة منهـا البرازيل والهند ومالطا وفرنسا واليابـان . وقد حـازت خلالهـا على العديـــد مـــن الميداليات وشهادات التقدير .

وبهـذه المناسبة يمـكن لزائـــر دولـة قطر الحصول على بعض الطوابع للاحتفاظ بها من مكتب هواة الطوابع الخاص بادارة البريد والذي يقع في شارع السفارات بمدينة الدوحة ، وهي زهيدة الثمن وفقا لسياسة الادارة ، وبما يتفق وأهداف اتحادي البريد العربي والعالمي .. إضافة إلى انه يمكنه فتح حساب جاري له لامداده بما يرغب من اصدارات طوابع جديدة .

يوسف الحرمي



٢٢ فبراير
ولاء عام في حياة قطر الحديثة

مجلس الشورى
خطوات على طريق الديمقراطية

عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل أشكالا وصيغاً للحكم اختلفت وتعددت ولكنها انتهت جميعاً إلى أن الديمقراطية هى أفضلها صيغة للتطبيق الانسانى . لأنها تحمل فى مضمونها حكم الجماعة لنفسها .. وعلى ذلك فقد أصبحت أساساً تقوم عليه كثير من نظم الحكم الحديثة بل ولا نكون مغالين ان أرجعنا اليها كل نهضة وتقدم حققتها وتحققها الدول التى تأخذ بهذا المبدأ لأنه يفتح الطريق لمناقشة مختلف الآراء وصولا إلى الأصوب منها .

وكانت الشريعة الاسلامية هى أسبق الشرائع إلى ترسيخ الديمقراطية الانسانية ، حيث أنها تقوم على أسس أربعة لا غنى عنها لقيام أى من الصيغ الديمقراطية الحديثة ، هى .. المسئولية الفردية . تساوى جميع الحقوق بين الناس . وجوب الشورى على ولاة الأمور ثم التضامن بين الرعية على اختلاف الطوائف والطبقات .

والحكم بالشورى قد ورد وجوبه فى القرآن الكريم بشكل صريح ، وليس بعد وجوبه على الرسول إعفاء منه لوال من الولاة . إذ قال تعالى .. « وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » .. « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .. صدق الله العظيم .

وذكر صفة الشورى فى هذه الآيات بين إقامة الصلاة وأداء الزكاة دليل على وجوبها ، فان كانت الصلاة فريضة عبادية ، والزكاة فريضة اجتماعية ، فان الشورى تعتبر فريضة سياسية . وقد اكتفى القرآن الكريم حين نص على مبدأ الشورى كقاعدة واجبه ملزمة بتقرير المبدأ وترك التفاصيل المتعلقة به للأمة تكيفها وفق ظروفها المختلفة ، وكان ذلك ترخيصاً بضرورة الاستفادة من تجارب الأمم المختلفة مادامت لا تخالف الأسس العامة التى قررها الاسلام .

على هذا الأساس ، عندما تولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر مقاليد الحكم فى البلاد فى الثانى والعشرين من فبراير عام ١٩٧٢م حرص سموه فى بداية مرحلة الانطلاق لبناء الدولة ـ على تنظيمها فى إطار الأسس الديمقراطية والنظم الدستورية تمهيداً لعملية الاصلاح الشامل .. فأصدر النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم متضمنا كافة الأحكام المنظمة لسلطات الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية والمحددة للمبادىء الجوهرية التى تقوم عليها سياسة الدولة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. وكان مجلس الشورى القطري الذى أنشىء بموجب هذا النظام هو أول تجربة ديمقراطية رائدة تشهدها الدولة منذ حصولها على الاستقلال فى الثالث من سبتمبر عام ١٩٧١ م .

ومجلس الشورى القطرى هو أحد أجهزة الحكم فى الدولة أنشىء على أساس تمثيلى مستوحى من مبدأ الشورى ويتناسب مع مرحلة التطور التدريجى فى تطبيق النظم الدستورية بالدولة . ومن هنا فقد كان الأخذ بمبدأ تعيين الأعضاء الذى طبق عند تشكيله هو الأكثر ملاءمة نظراً لحداثة عهد الدولة بالنظم الدستورية فى ذلك الوقت ، وأيضاً لأن الشعب محدود العدد مما يمكن ولي الأمر من معرفة الغالبية العظمى من رجالاته معرفة شخصيته وبالتالى يسهل اختيار من هم أكثر صلاحية وأكثر اقتداراً من بينهم لعضوية مجلس الشورى . وعلى الرغم من ذلك فان مبدأ التعيين قد جاء بصورة مؤقته فى الدستور القطرى إلى أن يتم انشاء مجلس شورى جديد يتم تشكيله بالانتخاب العام السرى المباشر وفقاً لقواعد يصدر بها تنظيم خاص ينظم ذلك الانتخاب .

تكوين مجلس الشورى

يتكون مجلس الشورى القطرى من ثلاثين عضواً دائماً يعينهم سمو أمير البلاد المفدى . وقد روعى فى اختيارهم كونهم من أهل الرأى والكفاية والحل والعقد فى البلاد كما روعى تمثيل المناطق الجغرافية وفئات الشعب القطرى بقدر الامكان . وهناك شروط وجب توافرها فى كل عضو على رأسها أن تكون جنسيته الأصلية جنسية دولة قطر ، وألا يقل سنه عند التعيين عن أربع وعشرين سنة ميلادية ، وألا يكون قد سبق الحكم عليه فى جريمة مخلة بالشرف مالم يكن قد رد إليه اعتباره طبقاً للقانون .

يشتمل مجلس الشورى على ثلاثة أجهزة رئيسية هى رئاسة المجلس ، ومكتب المجلس ، ثم اللجان .

وينتخب أعضاء المجلس لرئيسى



عبد العزيز بن خالد الغانم
رئيس مجلس الشورى



علي بن خليفة الهتمي
نائب رئيس مجلس الشورى



يوسف قاسم الدرويش
مراقب المجلس



عبد العزيز بن تركي
مراقب المجلس

ونائبه فى أول جلسة لدور انعقاده العادى السنوى عن طريق الاقتراع السرى وبالاغلبية النسبية . ويراس تلك الجلسة اكبر الأعضاء سناً وتستمر مدة الرئيس ونائبه حتى نهاية اليوم السابق لافتتاح دور الانعقاد العادى التالى . ويجوز إعادة انتخابهما ويحل النائب محل الرئيس فى حالة غيابه ، كما تكون الرئاسة لأحد المراقبين بالتناوب اسبوعياً .. فان غاب هؤلاء جميعاً عقدت الرئاسة لاكبر الأعضاء الحاضرين سناً .

أما مكتب المجلس فيشكل من الرئيس ونائبه ومراقبين اثنين دائمين أو أكثر حسب الحاجة ينتخبون بالاقتراع السرى وبالاغلبية النسبية فى أول جلسة لدور الانعقاد العادى السنوى . ولا يجوز إجراء أى مناقشة فى المجلس أو اختيار اللجان قبل تشكيل هذا المكتب الذى يجتمع بناء على دعوة من الرئيس ويتولى الاختصاصات التى يخولها له النظام الأساسى .

ويشكل مجلس الشورى من بين أعضائه خلال الأسبوع الأول من دور الانعقاد السنوى وبناء على ترشيح المكتب : اللجان الدائمة الخمس . لجنة الشئون القانونية والتشريعية ، لجنة الشئون المالية والاقتصادية ، لجنة الخدمات والمرافق العامة ، لجنة الشئون الداخلية والخارجية ولجنة الشئون الثقافية والاعلام .

وتتكون كل لجنة من خمسة أعضاء على الأقل ويجب أن يشترك كل عضو من أعضاء المجلس فى إحدى اللجان الدائمة .. كما يجوز للمجلس أن يشكل لجاناً أخرى دائمة أو مؤقتة حسب حاجة العمل ويجوز لكل لجنة دائمة أو مؤقتة أن تشكل من بين أعضائها لجنة فرعية أو أكثر على أن تضع اللجنة الأصلية النظام الخاص بهذه اللجنة ..

وبعد الانتهاء من مناقشاتها ودراساتها التى تتسم بطابع السرية ، ترفع لجان مجلس الشورى تقريراً وافياً عن رأيها والأسباب التى دعت اليه فى المسائل التى تحال اليها .. ويمكن أن تشمل هذه التقارير رأى الأقلية أيضاً اذا طلب ذلك . وهنا تجدر الاشارة إلى أن تقارير هذه اللجان منذ نشأتها كان لها دور كبير وأساسى فى تكوين الرأى النهائى لمجلس الشورى فى الموضوعات ومشروعات القوانين والمسائل التى عرضت عليه

حصانة لأعضاء المجلس

ويفتتح سمو أمير البلاد المفدى الدورة العادية السنوية لمجلس الشورى التى تمتد ثمانية اشهر بخطاب أميرى يبين فيه أحوال البلاد ، ويعرض من خلاله سياسات الدولة الحالية والمستقبلية فى المسائل الداخلية والخارجية ، ويعدد انجازات الحكومة فى السنة المنصرمة وما تنوى القيام به من مشروعات واصلاحات خلال العام الجديد . وقد يدعى المجلس للانعقاد فى دورة غير عادية فى حالة الضرورة بناء على طلب سمو أمير البلاد أو طلب موقع من أغلبية أعضاء المجلس . ولا ينظر خلال الدور غير العادى الا فى المسائل التى دعى أصلا للنظر فيها والا اعتبرت كل اعماله باطلة .

ويعقد مجلس الشورى القطرى جلسته العادية يوم الاثنين من كل أسبوع مالم يقرر المجلس غير ذلك أو تكن هناك أعمال تقتضى الاجتماع . ويدرج فى جدول الأعمال أولا المسائل العاجلة بترتيب اهميتها ثم الموضوعات الاخرى والمؤجلة من جلسة او جلسات سابقة . ويرفق بالجدول الدراسات والبيانات المتعلقة ببنوده . وترسل صور منها مع هذا الجدول إلى أعضاء المجلس قبل موعد عقد الجلسات بوقت كاف . وحرية التعبير عن الرأى مكفولة لجميع أعضاء المجلس داخل الجلسات العامة وفى اللجان وذلك فى الحدود المنصوص عليها فى النظام الأساسى المؤقت والمعدل . ولأعضاء المجلس حصانة خاصة ، فلا يجوز مؤاخذة عضو مجلس الشورى مدنياً أو جزائياً عما يبديه فى المجلس أو لجانه من آراء أو أقوال موضوعية تتعلق بالمسائل موضوع المناقشة . وتمتد هذه الحصانة إلى ما بعد انقضاء العضوية بالنسبة لما أبداه العضو أثناءها من آراء وأقوال . وتنتفى عن عضو المجلس اذا كانت أقواله أو آراؤه التى أبداها فى المجلس أو لجانه تشكل جريمة قذف أو سب فى أى شخص كان . كما تقتصر هذه الحصانة على أعضاء مجلس الشورى وحدهم دون غيرهم من كبار الموظفين والخبراء الذين يسهمون فى أعمال المجلس .

صلاحيات أوسع لترسيخ التجربة

واختصاصات مجلس الشورى قد وردت فى المادة ٤٠ من النظام الأساسى المعدل واللائحة الداخلية للمجلس . ويشرحها السيد يوسف قاسم الدرويش أحد المراقبين الدائمين بالمجلس ومقرر اللجنة القانونية والتشريعية به وعضو مكتب رئاسته فيقول .. ان الاختصاص العام لمجلس الشورى يقوم أساساً على معاونة سمو أمير البلاد ومجلس الوزراء فى أداء مهامهما وذلك بابداء الرأى والمشورة فى مختلف النواحى المتعلقة بشئون الدولة . ووفقاً للقواعد التفصيلية التى وردت فى النظام الأساسى المعدل ، فان الحكومة عليها أن تعرض جميع مشروعات القوانين التى تقترحها ، كذلك مشروع ميزانية المشروعات الرئيسية العامة على مجلس الشورى لأخذ رأيه فيها قبل رفعها لسمو الأمير للتصديق عليها واصدارها . كما تعرض الحكومة على مجلس الشورى المسائل المتعلقة بالسياسة العامة للدولة فى الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والادارية .. كما يجوز لمجلس الشورى أن يطلب من الحكومة موافاته بما لديها من بيانات يراها ضرورية لتكوين رأيه حول أى من الشئون المبينة السابقة على أن يقدم الطلب إلى مجلس الوزراء .. كما يجوز له ان يقدم طلباً مماثلا لأى من الوزراء فى المسائل التى تدخل فى اختصاص وزارته .

ونظراً للنجاح الذى حققته هذه التجربة الدستورية الرائدة فى دولة قطر فى إطار قيام مجلس الشورى بمسئولياته الكاملة فى حدود اختصاصاته الدستورية وحرصه على التعاون المستمر البناء مع سمو أمير الدولة ومجلس الوزراء ، وفى اطار المصلحة العامة للبلاد والحرص على مصالح المواطنين كافة .. فقد رأى سمو الأمير تطويراً لنظام الحكم وترسيخاً لهذه التجربة الدستورية ، وتأكيداً لمبدأ الشورى ـ توسيع اختصاصات المجلس ليزيد من مساهماته فى بناء وتطوير الدولة . والأخذ بمشورته على اوسع نطاق بما يتناسب وهذه المرحلة الحضارية التى تشهدها البلاد ، وباعتباره هيئة تمثيلية تضم نخبة من أهل الرأى والكفاية وبذلك صدر القرار الأميرى بتعديل بعض أحكام النظام الأساسى المؤقت المعدل واستبدلت بعض نصوصه بنصوص أخرى جديدة اسندت أحكامها لمجلس الشورى اختصاصات هامة أخرى إضافة إلى اختصاصاته الأولى .

من أهم هذه الاختصاصات ـ يكمل السيد يوسف الدرويش ـ مناقشة السياسة للدولة فى المسائل السياسية والاقتصادية والادارية التى تعرضها عليه الحكومة اختياراً كلما قدرت أن المصلحة العامة تقتضى ذلك ، كما خول للمجلس مناقشة شئون الدولة فى المجالات الاجتماعية والثقافية سواء عرضت عليه من قبل الحكومة أو تصدى لها المجلس من تلقاء نفسه عن طريق طلبات المناقشة العامة أو الاقتراحات بالرغبات التى يتقدم بها الأعضاء .

وشئون الدولة الاجتماعية والثقافية تشمل جميع المسائل التى خارج نطاق السياسة العامة للدولة والنواحى السياسية والاقتصادية والادارية التى سبق أن أوضحتها والتى لا يجوز لمجلس الشورى مناقشتها أو التصدى لها الا اذا عرضتها عليه الحكومة . وعليه فان كل ما عدا ذلك من مسائل يمكن اعتبارها ضمن نطاق شئون الدولة الاجتماعية والثقافية والتى يجوز للمجلس مناقشتها والتصدى لها من تلقاء نفسه . هذه المجالات من الاتساع بحيث تكاد تشمل معظم شئون الدولة منها على سبيل المثال الحياة المعيشية للمواطنين وما يتصل بها من توافر السلع الاستهلاكية والأسعار والغلاء وطرق مكافحته وإيجار المساكن والمحلات التجارية واثرها على دخل المواطنين ..حماية الأسرة وتوفير أسباب الاستقرار لها .. الضمان الاجتماعى لكافة المواطنين .. التنمية العمرانية ومرافق الخدمات العامة والمساكن .. المسائل المتعلقة بالعمل اجتماعياً وثقافياً .. المسائل الصحية وما يتفرع منها .. الأنشطة البلدية ذات العلاقة بالشئون الاجتماعية والثقافية .. التربية والتعليم والرياضة ورعاية الشباب والثقافة والسياحة والفنون والآداب والتراث .

ولا يجوز للمجلس التدخل فى أعمال السلطتين التنفيذية والقضائية ، بينما يجوز لعضو مجلس الشورى أن يوجه سؤالا أو استفهاماً عن أمر يجهله أو واقعه وصلت إلى علمه فى أى شأن من الشئون التى تدخل فى اختصاصات المجلس ، كما يجوز للوزراء حضور جلسات مجلس الشورى إذا كان الموضوع قيد المناقشة متعلقا بوزاراتهم ليتمكنوا من شرح وجهة نظرهم وليقدموا للمجلس ما يطلب من بيانات أو ايضاحات أو مستندات .

جلسات علنية

ويعبر مجلس الشورى عن رأيه ومشورته فى شكل توصيات يرفعها إلى سمو أمير الدولة أو الى مجلس الوزراء حسب مقتضيات الحال .. وبذلك يتضح أن رأى المجلس هو رأى استشارى له اعتباره الكبير لدى الحكومة ـ وان لم يكن ملزماً لها دستورياً ـ لانه رأى مجموعة تمثل فئات الشعب وتعبر عن مصالحه المختلفة ويصدر بعد دراسات ومناقشات موضوعية مستفيضة .

وجلسات مجلس الشورى علنية وهذا يجيز لرئيسه السماح لمن يرى من أفراد الشعب ورجال الاعلام والوفود البرلمانية وغيرها ، حضور الجلسات والاستماع إلى ما يدور بها من مناقشات .. غير أنه استثناء من الأصل يمكن عقد جلسة أو جلسات سرية اذا طلبت الحكومة ذلك أو رئيس المجلس أو خمسة من أعضائه على الأقل . ويحرر محضر لكل جلسة من جلسات المجلس العادية وغير العادية العلنية منها والسرية يثبت فيه المناقشات التى دارت أو ملخص واف لها قدر الامكان .

ولمجلس الشورى علاقات متعددة بالبرلمانات العربية والعالمية ـ هكذا يؤكد السيد/يوسف قاسم الدرويش ، فهناك اتصالات بينه وبين اتحاد البرلمان العربى مثلا رغم ان مجلس الشورى لم ينضم إلى عضويته بعد ، إلا أن اتحاد البرلمان العربى يحرص على موافاتنا بقراراته وتوصياته وبعض

محاضر جلساته لمتابعة ما يدور فيه من نقاش . كما يستقبل مجلس الشورى القطرى على المستوى الثنائى بين حين وآخر وفوداً برلمانية عربية وأجنبية فى زيارات ودية للتعرف عن قرب على التجربة الديمقراطية التى يمثلها مجلس الشورى القطرى الذى نأمل أن يتطور فى المستقبل من مجلس استشارى إلى نظام برلمان كامل بعد النجاح الكبير الذى حققه ويحققه . فنحن لا نتعجل المواقف فالطريق الأطول كثيراً ما يكون الأسلم .

الشـــــورى : موقف اسلامي

ويؤكد السيد عبد العزيز عبد الله تركى السبيعى وكيل وزارة التربية والتعليم وأحد المراقبين الدائمين بمجلس الشورى .. أن التجربة التى مرت بها الدولة عبر الســـنوات الماضـــية منذ تأسيس المجلس قد أخذت فى الاعتبار مجموعة من المرتكزات الاساسية التى يقوم عليها النظام النيابى فى دولة قطر ، وجميعها ترجع هذا النظام إلى أصله .. إلى الشريعة الاسلامية الغراء وما أنزل على الرسول من آيات كريمة تعكس هذا المعنى إضافة إلى ممارسته لهذا المبدأ فى جملة من المواقف . فقد كان عليه السلام حريصاً على استشارة أصحابه والا يمضى بالأمر منفرداً حتى فى أشد المواقف حرجاً للأمة . وليس أدل على ذلك مما حدث فى غزوة الخندق عندما استشار بالمفهوم العام فى ذلك الوقت – أقل أصحابه مكانة وهو سلمان الفارسى والذى أشار برأى نزل عليه واتبعه الرسول عليه الصلاة والسلام .

اذن .. الموقف التاريخى يسجل أن قائد الامـــة . عليـــه أن يستعين بآراء من هم أهل الحل والعقد ومن هم على مستوى الثقة فى الوطن ، فى مجموعة من المصالح التى تهم مجموعة من البشر متواجدة فى رقعة معينة يمضى عليها قرار أو سلطان هذا القائد

وفى مجال التطبيق فى دولة قطر لايجاد شكل يلائم الوضع أو المجتمع القطرى ، فان الموقف فى جوهره ومضمونه اسلامى بحت تتخلله بعض الاجتهادات .

والشورى كمبدأ اسلامى مجال واســع وكبير جداً اختلفت حوله الآراء .. هل هى حق ممارسة نظام انتخابى أصيل أم هى حق اختيار وتعيين . ؟ فان كانت الأولى فكيف يتم هذا الانتخاب وما هى شروطه ومواصفاته ؟ .. وان كانت الأخيرة فعلى أى الأسس والقواعد يقوم هذا الاختيار أو يتم التعيين .. هذه كلها مجالات قانونية وشرعية اسلامية واسعة : وتحتاج إلى تعمق فى بيان موقف الاسلام الدقيق منها .

ما يعنينى هنا عند تقييم التجربة هو التأكيد على أن مجرد تقدم البلاد إلى تطبيق مبدأ الشورى بعد أن كان غير موجود ، هو فى حد ذاته فكرة تقدمية ممتازة ، بل هى الطريق نحو تأصيل المبدأ الاساسى وتوسيع تطبيقه فى مجالات أكثر ومع ذلك فان الاختيار للعضوية وتكوين المجلس يرجـع إلى سمو امير البـــلاد المفـدى الذي هو من الفطنـة والحكمـة والدراية ما يجعله يختار من يرى أنه بالفعل أصلح لابداء الرأى أو أكثر تمثيلا لفئة أو جماعة أو أشد دراية ومعرفة لمجمع الأمور ، إضافة إلى توفر الارتباط الاخلاقى والقيمى فى كل عضو .

ومجلس الشورى القطري يتميز من وجهة نظر السيد عبد العزيز بن تركى – بأنه مجلس تسوده روح الأخوة بين الأعضاء ويسوده التجانس وعدم التناحر وهى ميزة كبيرة تحرم منها أكبر البرلمانات فى العالم التى غالباً ما يحدث بها تكتل على أساس عصبى أو عرقى .. كما وأن كثيراً من الأعضاء فى المجلس يتحلون بجملة غير قليلة من الصفات الحميدة التى تمكنهم من أن يكونوا على مستوى الثقة لهـــذه العضوية من قوة فى الشخصية ، واعتداد بالرأى وبذله فى الموقف الذى ينبغى فيه ، والدفاع والتحمس له بما يتفق والمصلحة.

ويفسر السيد عبد العزيز بن تركى غياب المرأة عن التمثيل فى مجلس الشورى بأن المجتمع القطرى مجتمع نام وبالتالى يجب أن تنحصر عضوية مجلس الشورى فيه على من لهم خبرات واسعة بمجالات الحياة فى البلاد .. ومن أقدر من الرجل فى هذه المرحلة على ذلك ؟ . واختيار العضوية من الرجال هى حكمة مبنية على عدة اعتبارات أولاها مراعاة الجانب الاسلامى ، والثانية مراعاة جانب المصلحة العامة .. ثم مراعاته جانب المقدرة .. وكمجتمع اسلامى نحن مسئولون أن ندبر للمرأة عملا يليق بها ويتفق وكرامتها والمحافظة على انسانيتها .. فالمرأة لا يمكنها القيام بالعمل على المطلق ، فلديها مسئوليات وواجبات أساسية تجاه بيتها واسرتها . وعلى كل حال مسألة دخول المرأة فى عضـــوية البرلمانات لم تحصل على المساواة المطلقة حتى الآن فى أوروبا ذاتها . وتفيـد أخر الأخبار الصحفية مثلا أن الجمعية الوطنية الفرنسية مازالت تناقش حتى الآن مشروع المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى مجال العمل فما بالك بمجال العمل النيابى .. !؟ علماً بأن فرنسا هى أعرق دولة يطبق فيها نظام نيـــابى . نحن لا نتعجل المواقف تقليداً لغيرنا ، وانما ينبغى أن نصنع ونتطور بما يتفق وقيمنا وعاداتنا.

وفى النهاية .. ان استقراء سريعاً لمحاضر جلسات مجلس الشورى المتضمنة مجموعة من أعماله ومناقشاته وأنشطته منذ نشأته عام ١٩٧٢ لتبين ما قام به المجلس من أعمال كبيرة وما بذله من جهد صادق مشاركاً برأيه فى صنع العديد من القرارات الهامة وفى النهضة التشريعية التى شملت جميع النواحى الاقتصادية والادارية والثقافيـــة والاجتماعيـــة والسياسية والمالية . وبذلك يعتبر مجلس الشورى القطرى بحق تجربة دستورية رائدة أثبتت نجاحها وحققت أغراضها فى حدود اختصاصاتها ..

ليلى الحريرى



٢٢ فبراير
والاعوام في حياة قطر الحديثة

أضـــــواء
على سياسة قطر العربية والإسلامية

إن أهم ما يميز سياسة قطر العربية والاسلامية هو وضوح مقاصدها وأهدافها ، اضافة إلى وضوح مبادئها ومنطلقاتها . ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة من خلال قراءة النظام الأساسي المؤقت للدولة الصادر في ٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٠ ، ثم من قراءة النظام الأساسي المعدل الصادر في ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، وكذلك من قراءة خطابات سمو أمير دولة قطر وأحاديثه وتصريحاته في مناسبات مختلفة .

وفي الامكان إعطاء لمحة عن سياسة قطر ، من خلال استعراض المواقف السياسية والمنطلقات المبدئية للدولة بالنسبة للمؤسسات والمنظمات الاقليمية والدولية .

سياسة قطـــر العربية

لقد قامت سياسة قطر الخارجية في المجال العربي ، على دعم أي اتجاه أو نزوع إلى الوحدة العربية يحقق تطلعات الأمة العربية ويخطو بها على طريق الوحدة الشاملة من المحيط إلى الخليج ، ولذلك فقد جاءت المادة الأولى من الباب الأول من «النظام الاساسي المؤقت والمعدل» واضحة النص على أن «قطر دولة عربية مستقلة ذات سيادة ، وعلى ان لغتها الرسمية هي اللغة العربية» ، وفي الباب الثاني نصت الفقرة (ج) على ايمان قطر بأخوة العرب جميعاً ، والعمل على توثيق عرى التضامن مع شقيقاتها الدول العربية ، والسعي الى تدعيم وحدة الأمة العربيـــة ، ومساندة الجهد المشترك لخدمة ونصرة القضايا والمصالح العربية ، وتأييد جامعة الدول العربية والأهداف العليا التي يرمي ميثاقها الى تحقيقها تأييداً تاماً .

وقد نالت قطر استقلالها عن بريطانيا في ٣ ــ ٩ ــ ١٩٧١ وجاء بيان الاستقلال الذي وجهه أمير الدولة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني إلى ابناء شعبه عشية ذلك اليوم ، ليجسد ايمان قطر بعروبتها وبميثاق جامعة الدول العربية والالتزام بأحكام ومبادىء ذلك الميثاق ، وكان أول عمل دبلوماسي قامت به قطر بعد نيلها الاستقلال هو تقـــديم طلب إلى جامعة الدول العربية لاكتساب حق العضوية فيها ، وقد قبلت قطر عضواً في الجامعة بتاريخ ١١ ــ ٩ ــ ١٩٧١ باجماع الأصـوات ، ولما يمض اكثر من ثمانية أيام على استقلالها .

ومنذ ذلك الحين شاركت قطر بفاعلية ومثابرة في جميع مؤتمرات القمة العربية ، والتزمت بقرارات تلك المؤتمرات سواء في مواقفهـــا السياسية ، وخاصة قرار حظر النفط العربي عن الولايات المتحدة وهولندا في عـــام ١٩٧٣ لمساندتها العدو الصهيوني ، أو في دعمهـــا المالي والسياسي والدبلوماسي لدول المواجهة

وقد جسد حضرة صاحب السمو الشـــيخ خليفة بن حمد آل ثاني واقع السياسة القطرية وتطلعاتها في المجال العربي بالتأكيد على أن « ترابط العرب ترابطاً كاملا هو وسيلتهم لدفع ما لحق بهم من أذى كبير ، وبانه اذا كان الاجماع العربي منعقداً على أن تحرير الأرض العربية المحتلة ، واسترجاع حق شعب فلسطين المغتصبة ، هما الهدف الرئيسي الراهن ، الذي ينبغي أن نسخر من أجله كل طاقاتنا وامكاناتنا ، فان تحقيق هذا الهدف ، مرهون بتعاوننا الصادق لتوحيد جهودنا وحشد طاقاتنا وامكانياتنا ، حيث لا وزن لوحدة الهدف اذا لم تقترن بوحدة الصف » .

وأما سياسة قطر بالنســـبة للقضـــية الفلسطينية بالتخصيص ، فقد وضع أمير الدولة اطارها العام بقوله : « .. واننا لنقف بكل ما تتيحه امكاناتنا من قدرة الى جانب الأشقاء العرب لحمل نصيبنا من مسؤولية استعادة اراضينا العربية المحتلة ، وفي مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وفي مقدمتها حقه في وطنه ، وفي تقرير مصيره فوق أرض هذا الوطن ، كما اننا نتابع تقديم كل ما نستطيع من دعم ومساندة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشـــعب الفلسطيني الشقيق » .

ومجمل القول ان سياسة قطر العربية نابعة من ايمان لا يتزعزع بوحدة الأمة العربيـــة من الخليج إلى المحيط ، وبقدرة هذه الأمة على مواجهة التحديات الخارجية ، وضرورة بذل كل دعم وكل جهد من أجل التغلب على تلك التحديات ، وفي مقدمتها التحدي الصهيوني ، وبأن التضامن العربي هو أمضى أسلحة النضال الكفيلة بقلب المعادلة الراهنة مـــع العدو ، إلى معادلة تحقق مصالح الأمة العربية وانتصارها على جميع اعدائهـــا . وانطلاقاً من هذا الفهم الواعي لأهميـــة التضامن العربي ، فان دولة قطر لعبت دائما

دورا بناء فى رأب الصدوع بين الدول العربية وتحريك الطاقات العربية نحو الهدف المشترك وفى مواجهة التحدى المصيري الذى تفرضه الصهيونية حاليا على الأمة العربية فى جميع اقطارها .

قطر ترحب بحراره

لقد رحبت قطر بقيام مجلس التعاون الخليجى بحرارة بالغة ، لما تنطوى عليها هذه الخطوة من معانى الوحدة وضم الصفوف ، والوقوف بحزم ضد المطامع الخارجية فى منطقة الخليج من أى جهة جاءت ، ومن اسهام دول مجلس التعاون الخليجى الست مجتمعة فى دعم القضايا العربية ، وفى طليعتها القضية الفلسطينية والصراع مع العدو الصهيوني .

وقد تجسد الموقف القطرى فى دعم قيام مجلس التعاون الخليجى ، فى مشاركتها بفاعلية وحماسة فى اجتماعات وزراء خارجية الدول الست ، تلك الاجتماعات التى مهدت لقيام المجلس ، ووضعت الهيكل التنظيمى والقانونى والسياسي له .

وقد حدد أمير دولة قطر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني موقف بلاده الداعم لقيام مجلس التعاون الخليجى فى كلمة خاطب بها مجلس الوزراء القطرى فى جلسة عقدها بقصر الدوحة بتاريخ ٢٧ ـ ٥ ١٩٨١ ،

● إن إقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية الست ، قد حقق أمنية غالية طالما تطلع إليها قادة وشعوب المنطقة ، واضاف صاحب السمو ان الاعلان عن قيام مجلس التعاون . انما انطلق من حقيقتين : أولاهما هى أن تحقيق ما ينشده ابناء المنطقة من ارتقاء وازدهار وامن واستقرار لا يتاتى إلا ببذل جهد جماعى محكم التنسيق متماسك العناصر ، والثانية هى أن بذل ذلك الجهد ضرورة مصيرية تحتمها المصالح العليا المشتركة لدول الخليج العربية ، وتقتضيها الروابط التى تجمع هذه الدول ، والتى لا تضاهيها روابط بين أى بلاد أخرى فى العالم ، شمولا وعمقا وشدة وإصالة . واشار الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني إلى ان هذه الخطوة المتمثلة فى اقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، انما جاءت على نحو يناسب المنطقة ، وفى نطاق التدرج المرحلى الضرورى الملائم لواقع ظروف الدول المعنية .

وبصفة عامة ، فقد كانت السياسة القطرية واضحة تمام الوضوح فى رؤيتها للمهمة الجسيمة التى انتدب مجلس التعاون الخليجى نفسه لها ، وتتمثل هذه المهمة فى جعل مجلس التعاون اداة لتعميق مشاعر الوحدة والتضامن بين شعوب الخليج العربية وتعزيز أواصر التراحم والتلاحم بينها وبين سائر الشعوب الشقيقة على امتداد الوطن العربى والعالم الاسلامى الكبير ، واكتساب المزيد من القدرة والقوة لنصرة القضايا العربية والاسلامية المشتركة والمصيرية ، وفى مقدمتها القضية الفلسطينية ، كما ان السياسة القطرية رأت فى قيام مجلس التعاون الخليجى وسيلة مهمة لوضع اعتماد دول المجلس الست نفسها فى المقام الأول من أجل بناء قوة ذاتية ، تتكفل بقطع الطريق على كل تدخل فى شؤون منطقة الخليج ، وتناى بالمنطقة عن صراع القوى الكبرى ، وتضمن دعم مقومات النهضة الشاملة لها ، والمسيرة الوحدوية لدولها وبصورة خاصة تكاملها الاقتصادي .

قطر ومؤتمرات القمة الاسلامية

كانت مؤتمرات القمة الاسلامية ، احدى المجالات الهامة التى مارست قطر من خلالها سياسة دعم شجاعة ومتواصلة للقضايا العربية والقضايا الاسلامية وقضايا العالم الثالث والسلام العالمى بشكل عام ، فبعد خمسة أشهر فقط على نيلها الاستقلال فى ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، شاركت قطر فى المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى جده بتاريخ ٢٩ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، والذى شاركت فى اعماله واجتماعاته ثلاثون دولة اسلامية ، وبعد ذلك لم تنقطع قطر عن المساهمة فى اى مؤتمر وزاري لمنظمة المؤتمر الاسلامى ، كما شارك امير قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى فى مؤتمر القمة الاسلامى الثانى الذى عقد فى لاهور بباكستان فى اواخر شباط (فبراير) ١٩٧٤ ، ثم فى مؤتمر القمة الاسلامى الثالث الذى عقد فى الطائف فى أواخر كانون الثانى (يناير) ١٩٨١ .

وبالامكان قراءة الخطوط العامة للسياسة القطرية على الصعيد الاسلامى ، من خلال البيان القيم والهام الذى ادلى به صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر غداة اختتام مؤتمر القمة الاسلامى الثالث أعماله فى الطائف . فمن قراءة ذلك البيان (الصحفى) يمكننا تسجيل أربع نقاط شدد عليها صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وهى :

١ ـ إن عهد الهوان قد انتهى الى غير رجعة .

٢ ـ ان مؤتمر قمة الطائف اتخذ قراراته انطلاقا من وحدة الكلمة وضم الصفوف وجمع الشمل .

٣ ـ إن القضايا والمصالح الاسلامية ليست اشتاتا متفرقة ، بل هي كل مترابط .

٤ ـ إن معالجة هذه القضايا والمحافظة على هذه المصالح غير ممكنة ، إلا بالعمل المشترك ، وعلى أساس متين من التعاون والتضامن الشامل ، وحشد القدرات والامكانيات لانتزاع الحقوق السليبة والمغتصبة .

وفي الواقع ، فان النقاط المتقدمة ، جاءت لتعبر عن رؤية سياسية رائدة في حقل العمل الاسلامي المشترك ، كما جاءت لتحدد إطارا منطقيا لعمل اسلامي وعربي جاد وهادف ، يعبر أصدق تعبير عن واقع النهوض والانطلاق ، وتجاوز جميع العقبات والصعوبات التي قد تعترض طريق البناء والعمل .

ولقد كان قول أمير البلاد المفدى واضحا بالنسبة لتحديد العمل السياسي القطري خاصة والعربي عامة في المرحلة المقبلة ، حيث جاء في البيان : ... وفي مطلع قرن هجري جديد ، قد عقدنا العزم على أن نضع من بدايته نهاية نهائية لعهد الهوان الذي قاسينا

أضـــــواء
على سياسة قطر العربية والإسلامية

منه أشد المقاساة في القرن الذي سبقه ، حيث بلغ فيه سوء أوضاعنا الاسلامية ـ بسبب تفرقنا وتنازعنا ، بل وحروبنا فيما بيننا ـ حداً شجع على ارتكاب أبشع صور العدوان على أوطاننا وكرامتنا وحقوقنا ، بل واتاح لاسرائيل الباغية أن تمعن إمعاناً بغير نظير في غيها وبطشها فتصدر قانوناً غاشماً بضم القدس الشريف اليها ، واعلانها عاصمة لها » .

فهذه العبارة ، جاءت في الواقع لتعلن انتهاء مرحلة قاسية وعصيبة ، ولتعلن ميلاد مرحلة جديدة ، هي مرحلة الكرامة الوطنيةوالعزة القومية ، ومرحلة البناء الاجتماعي والاقتصادي . كما جاءت هذه العبارة لتلقي نظرة تقييمية على الواقع الذي عاشه العرب والمسلمون في القرن الماضي ، في ظل الهيمنة والسيطرة الاستعمارية ، لكن هذه النظرة التقييمية جسدت الى جانب ذلك ، حقيقة أساسية يعيشها المسلمون اليوم ، وهي أن عهد الهوان والخضوع للمستعمرين والارادات الاجنبية ، قد ولى الى غير رجعة ،

وهناك ناحية أخرى في سياسة قطر الاسلامية ، لابد من التنويه اليها ، لئلا تختلط الألفاظ وتتشابك العبارات ، فتؤدي الى غير معانيها الحقيقية ، ومراميها الصائبة ، وهذه الناحية هي أن السياسة القطرية خاصة والعربية والاسلامية عامة ، لا تنطلق في تعاملها مع العالم في أية مرحلة من المراحل ، انطلاقاً من الماضي وأرزائه ومآسيه ، وهي بالتالي لا تجتر أحقاداً قديمة ضد المستعمرين السابقين ، برغم الكوارث التي سببها هؤلاء للعرب والمسلمين ، وخاصة في فلسطينهم ، وذلك لسبب بسيط ، هو أن العرب المسلمين أمة حضارية ، قدموا في الماضي الشيء الكثير للحضارة العالمية ، والعالم ينتظر منهم أن يعودوا الى ممارسة ذلك الدور البناء والرائد ، وخاصة في عالمنا اليوم الذي تتلاطم فيه تيارات العقائد المفلسة شرقاً وغرباً ، والتي تقود حضارة الانسان نحو كارثة محققة ، ولذلك فان المسلمين منسجمون مع طبيعتهم الحضارية هذه ـ وهذا ما يميز في الواقع السياسة القطرية بشكل عام ـ وهم انطلاقاً من هذه الطبيعة الخيرة والمعطاء يتطلعون الى عهد من التعاون البناء مع جميع الأجناس البشرية ودول العالم قاطبة ، بشرط أن يكون هذا التعاون لصالح الجميع ـ أي لصالح الحضارة الانسانية ـ وبشرط أن ينتهي هذا التعاون الى دعم الحق ، وتقويض صروح الباطل التي بنتها الحضارة الزائفة للغرب في عصر الاستعمار والجبروت ، والعرب والمسلمون ـ كما تعبر عن ذلك السياسة القطرية الرشيدة ـ لا تتحكم فيهم ـ في تطلعاتهم الحضارية البناءة ـ عقد الماضي ومخلفاته البشعة ، وانما آمال المستقبل المزهرة وأحلام الغد في بناء مجتمع انساني جديد تسوده العدالة والحرية للجميع.

وفي اطار هذا الفهم والادراك الواعي لموقع قطر في العالم الاسلامي ، وكونها جزءاً لا يتجزأ منه ، وقفت السياسة القطرية على الصعيد الاسلامي موقف المساندة لجميع القضايا الاسلامية ، ودعت الى حشد الجهود الاسلامية وتحقيق تضامن اسلامي ينطلق من ارضية صلبة ، ويتكفل بالانتصار للمسلمين في أي مكان ، ويضمن للدين الاسلامي الحنيف الانتشار في جميع أصقاع الأرض .

وفي اطار سياستها الاسلامية هذه ، ساندت قطر قضية مسلمي أفغانستان وطالبت سواء في الأمم المتحدة ، أو عبر منظمة المؤتمر الاسلامي أو غيرها بضرورة سحب القوات الغازية من أفغانستان ، ومنح الشعب الأفغاني المسلم والشقيق حق تقرير مصيره بنفسه ، واختيار نوع النظام الذي يرتضيه ويناسبه ، وذلك انطلاقاً من عقيدته وقيمه العليا الاسلامية ، وسيادته الوطنية على أرضه ، كما ساندت دولة قطر قضية مسلمي الفلبين ودعمت نضالهم في سبيل الحكم الذاتي وتحقيق شخصيتهم الوطنية الاسلامية المستقلة ، ووقفت الى جانب قضية الثوار المسلمين في أرتيريا .

ولم تدخر دولة قطر جهداً ولم تضن بمال في سبيل رفع شأن المسلمين في العالم ، ودعم مشاريعهم الاقتصادية ، وقضاياهم السياسية . وفي هذا النطاق ساهمت قطر في بنك التنمية الاسلامي ، كما استقدمت اليها البعثات الطلابية من مختلف الدول الاسلامية ، وقدمت منحاً دراسية لأبناء المسلمين من كافة الاقطار الاسلامية .

وتسهم قطر كذلك في المشروعات الخيرية الاسلامية بواسطة « رابطة العالم الاسلامي » التي تتخذ من مكة المكرمة مقراً لها ، وهي تشارك أيضاً في وكالة الأنباء الاسلامية ، وفي اتحاد الاذاعات الاسلامية .

وخلال العقد المنصرم ، استضافت دولة قطر العديد من قادة الدول الاسلامية والعلماء ورجال الدين المسلمين ، ووفود المنظمات الاسلامية ، كما انضمت الى اتفاقية التعاون الاقتصادي والفني والتجاري التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، واعتبرتها عنصراً هاماً لدعم التضامن الاسلامي وفتح آفاق واسعة للعمل بمشاركة الدول الأعضاء في المنظمة ومع حلول مطلع القرن الخامس عشر الهجري استضافت قطر «المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية » الذي أصدر مجموعة من التوصيات الهامة دعت الى تثبيت مكانة السنة في التشريع الاسلامي ، والى تضامن المسلمين وتعاونهم في كافة الحقول والمجالات .

لقد ادركت قطر مع شقيقاتها الدول العربية أهمية قيام حوار عربي ـ اوروبي ، وذلك ضمن اطار المصالح المتبادلة والتي تفرضها الظروف الدولية والمحلية المحيطة بطرفي الحوار ، وخاصة في ظل تزايد الاستقطاب الدولي للقوتين العظميين .

وانطلاقاً من هذا المفهوم جاء قول الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني « .. وتحقيقاً للمصلحة العربية المشتركة ، قامت قطر بنصيبها في الجهود الرامية الى تعبيد سبل التعاون مع الدول الاوروبية بغية ترسيخ أسس الصداقة وتبادل المنافع مع هذه الدول ، وليس من شك في أن العالم العربي ، يملك من الثروات والموارد المختلفة ، ما يشكل حقلا خصباً للتعاون المثمر مع أوروبا ، وان أوروبا تملك من القدرات التكنولوجية والامكانات العلمية ما يسمح لها بأن تقدم الكثير للعالم العربي لمصلحة الفريقين معاً » .

وانسجاماً مع هذا الفهم الواعي لأهمية الحوار العربي ـ الاوروبي شاركت دولة قطر في جميع اجتماعات لجنة الحوار العربي ـ الاوروبي ، واستضافت في الدوحة عاصمتها لجنة التعاون العلمي والتكنولوجي ـ وهي احدى اللجان المنبثقة عن مؤتمر الحوار ـ وذلك خلال الفترة من ١٦ ـ ١٧ أيار (مايو) ١٩٧٦ . وكان الموضوع الرئيسي على جدول الأعمال هو موضوع نقل التكنولوجيا ، وانتهى الاجتماع باتفاق الجانبين على عدد من الموضوعات ، كان في مقدمتها وضع خطة عملية لتدريب الكوادر العربية في المجالات التكنولوجية

عصام شريح



سفينة السندباد كما تصورها طبعة ١٩٣٢ من « الف ليلة وليلة »



السندباد البحري

في خطى السندباد

رحلة "السفينة صحار" من عُمان إلى الصّين

● بقلم : تيم سيفيرين ● تصوير : ريتشارد جرينهل ● ترجمة : محمد العزب موسى

داهمتنا العاصفة ساعة الغسق . كانت قوية مفاجئة كضربة عنيفة براحة اليد . اهتزت السفينة بعنف تحت وقع الضربة ، ومالت مع الريح ، واندفعت مياه البحر من فتحة الصرف فى جانب السفينة وتدفقت في دوامات إلى بطن المركب . سمعنا صوت تحطيم شديد ينبعث من أسفل ، كان كل ما هو غير ثابت هناك يقع ويتحطم . وتدحرج إلى الأرض رجال نائمون فى أسرتهم على الجانب المواجه للريح ، أما هؤلاء الموجودون على سطح السفينة ، فقد تعلقوا بالحبال يشدونها نحو زاوية الايقاف المركزية لحفظ توازن السفينة المتارجحة .

في خطى السندباد

رحلة "السفينة صحار" من عمان إلى الصين



ومن قلب العاصفة السوداء كانت تخرج ومضات من البرق ، تنفجر فوق رءوسنا كشظايا القنابل ، وبينما كنت اندفع فوق سطح السفينة ، كانت كل ومضة من البرق تجمد صور أفراد طاقمي فى حدقة عيني ، صور وجوه مقطبة ، وأذرع متوترة ، وأيد متثبتة بالحبال ، وأرجل متشنجة على الحوافي العليا للمركب .

وعبر الفتحات الصغيرة اندفعت أشكال معممة كالجن ، إنهم أفراد الطاقم وقد خرجوا يجرون فوق سطح المركب ، يصيحون ، ليس من ذعر ، وإنما فى ابتهاج ، لقد أبهجتهم مخاطر البحر ، وتقدمت الأيدي المجربة تتحكم فى الدفة ، ودار القوس ببطء عكس اتجاه الريح بينما راحت أيد أخرى ترخي الأشرعة ، ووسط اصطفاق الأمواج وانهمار المطر ، اعتدلت السفينة مرة أخرى ، وراحت تشق طريقها إلى الأمام ، كبهلوان ماهر عاد يتحكم فى خطواته بعد أن كاد يشرف على كارثة .

وبعد ساعة ، خرجت السفينة من خط العاصفة وتابعت خطوها الرشيق المعتاد تحت النجوم التى ترصع صفحة السماء فى الليل . وفوق رأسى كانت تنتفخ بالريح الأشرعة المثلثة الثلاثة ، وقد حمل كل منها هلالا قرمزياً ، وسيفين متعارضين ، وخنجراً محدباً .

وفى وسط السفينة كان ثمة مصباح معلق ، وقد جلس حوله البحارة يستريحون بعد العاصفة ، رحت أتامل ملامحهم ، كانت وجوههم تشبه وجوه القراصنة ، قليلون منهم يرتدون «الشورت» ، بينما فضل معظمهم ارتداء المئزر على الوسط ، ونصفهم تقريباً يضعون عمامات على رءوسهم ، أما لون جلودهم فيتراوح بين الأبنوسى الأسود الى درجات مختلفة من البنى حتى القرنفلى الذى لوحته الشمس ، بعضهم يتحدث الانجليزية وآخرون يتحدثون العربية . كان المنظر بأكمله يوحى بألف ليلة وليلة ، تلك المجموعة من الحكايات والمغامرات والغراميات التى أسعدت الملايين عبر القرون ، ومنها رحلات السندباد البحرى ، وهى ما تهمنا هنا بالتحديد ، فقد كانت تلك هى سفينة السندباد التى نبحر عليها .

ولدت فكرة رحلتنا قبل ثلاث سنوات أثناء القيام برحلة أسطورية أخرى ، ففى عام ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ أبحرت مع طاقم من أربعة أفراد على قارب طوله ٣٦ قدماً مصنوعة من الخشب والجلد ، من ايرلندا عبر شمال المحيط الأطلنطى كى أثبت إمكانية اسطورة سانت برندان . إذ تقول التواريخ القديمة انه حدث فى القرن السادس الميلادى أن قام راهب ايرلندى يدعى «برندان» بالابحار مع عدد من زملائه الرهبان على مثل هذا القارب ، ووصلوا فى النهاية الى «الأرض الموعودة للقديسين» ومن المعتقد انها شمال أمريكا كما نعرفها حالياً . وبالرغم من عدم وجود دليل مادى واحد على هذه الرحلة إلا أن نجاحى فى عبور الأطلنطى على مثل ذلك القارب الذى استخدمه الايرلنديون القدامى يثبت أن أسطورة سانت برندان قد تكون مؤسسة على الواقع .

وهذا هو نفس رأيى فى رحلات البحار السندباد ، أو السندباد البحرى كما يسميه العرب .. أن رحلاته السبع الموصوفة فى «ألف ليلة وليلة» مؤسسة على رحلات حقيقية قام بها بحارة حقيقيون .

إننا نعلم أن الملاحين العرب كانوا يستكشفون الطرق الملاحية الواقعة الى الشرق من أوطانهم فى زمن لاحق فوراً على قيام سانت برندان باجتياز الأطلنطى ، كما أن البلاد والشعوب المثيرة التى قابلها السندباد فى رحلاته لها ما يماثلها من البلاد الحقيقية التى وصفها الجغرافيون العرب القدامى .

وكنت كلما تعمقت فى أسطورة السندباد ازددت شكا فى أنه مجرد بطل خيالى لتسلية الأطفال ، انه فى الحقيقة شخصية مركبة ، انه مزيج من القباطنة والتجار العرب الذين غامروا الى حدود العالم المعروف فى العصر الذهبى للملاحة العربية بين القرن الثامن والقرن الحادى عشر بعد الميلاد .

وهكذا ، قررت كما فعلت مع سانت برندان ، أن أعيد تحقيق رحلات السندباد ، سوف أصنع فلكاً كالسفن التجارية العربية القديمة وأبحر به عبر الطريق البحرى الذى ذللته المهارة العربية قبل ألف عام ، فى رحلة طولها ٦٠٠٠ ميل الى موانىء الصين ، وكنت أرجو أن تفيدنا هذه التجربة فى فهم كيف كان العرب يبنون سفنهم ويبحرون بها ، وكيف نشأت أقاصيص مغامرات السندباد .

ولكن مثل هذا العمل كان أكثر صعوبة وتحدياً من بناء قارب صغير من الجلد والخشب كالذى استخدمه برندان ، وأقصد بالتحديد ما يلزم من بحث وتصميم وبناء لصنع سفينة عربية من العصور الوسطى المبكرة ، كما أقصد كيف يمكننى أن أجد وأدرب بحارة قادرين على تسيير مثل هذه السفينة ، وأن أجمع المؤن والمعدات الكافية لرحلة قد تستغرق معظم أيام السنة .

● ●

ما شكل سفينة عربية من القرون الوسطى؟

إن بناة السفن العرب لم يكونوا يستخدمون رسوماً أو خطوطاً لبناء سفنهم ، كانوا يعملون بالنظر فقط ، ويبدو أنهم فعلوا ذلك دائماً ، وهكذا فان كل الرسومات العربية القديمة للسفن هى مجرد رسوم رمزية لا تعطى فكرة دقيقة عن التصميم الفعلى ، ولكنى وجدت فى خريطة برتغالية للمحيط الهندى تعود الى عام ١٥٢١ صوراً لسفينة عربية مبكرة تسمى «البوم» ، وهى تشبه التفاصيل التى استطعت جمعها من النصوص العربية القديمة عن الحجم



احتفال برفع العلم العمانى على «صحار» وتدشينها بعد الإنتهاء من صنعها فى ١٦٥ يوما

والقدرة والسرعة والتصميم للسفن التجارية العربية فى القرون الوسطى .

والعرب القدامى لم يكونوا يستخدمون المسامير فى صنع «البوم» ، وإنما كانوا يخيطونها معاً ، وهذه نقطة هامة للغاية ، فاذا أردت أن تكون سفينتى حقيقية ينبغى أن تكون مربوطة بالحبال لا بالمسامير ، يا لها من فكرة شاذة ! .. ولكن لا سبيل الى تجاوزها ، فاننا نعرف من الرحالة القدماء ومنهم «ماركو بولو» أن السفن العربية كانت مربوطة الأجزاء بواسطة حبال مصنوعة من ألياف ثمرة جوز الهند . ويقال ان العرب لم يكونوا يستخدمون المسامير فى سفنهم لأنهم كانوا يتصورون أن هناك أحجاراً مغناطيسية قوية فى قاع البحر تجذب فوراً كل الحديد من السفن العابرة .

وللبحث عن مزيد من المعلومات عن السفن العربية القديمة قمت بزيارة سلطنة عمان ، وتقع عمان عند مدخل الخليج ولها تراث ملاحى كبير ، فكثيراً ما نجد عبارة «السفن العمانية» مذكورة فى النصوص البحرية القديمة . ومن المهم أيضاً أن نلاحظ أن عمان ظلت محتفظة بتراثها المتصل فى صنع السفن العربية حتى عام ١٩٧٠ .

كانت عمان بلاداً مغلقة من الناحية الفعلية يعيش سكانها كما كانوا يعيشون منذ قديم الزمان الى أن اعتلى عرشها سلطان شاب قادر ، قابوس بن سعيد ، فبدأت بلاده تخرج فجأة الى العالم الحديث .

أمدتنى شواطىء عمان وموانيها بمعلومات ثمينة عن السفن العربيّة التقليدية وكيفية بنائها ، ولكن الأهم من ذلك أن العمانيين أنفسهم أعطونى صداقتهم واستمعوا فى حدب وتعاطف الى مشروعى ، فقد رحب بى فى مسقط العاصمة صاحب السمو السيد فيصل بن علي آل سعيد وزير الثقافة والتراث القومى ، وقمت بدعوة من الوزير بعرض فيلم عن «رحلة برندان» وتحدثت عن مشروعى الجديد «رحلة السندباد» .

وبعد أسبوعين اتصل بى السيد فيصل ، وأبلغنى أن جلالة السلطان قد وافق على المشروع ، وأن وزارة الثقافة والتراث القومى سوف ترعاه .

أردت أن أتأكد ما المقصود بهذه «الرعاية» فوجدت نفسى فى مكتب الوزير مرة أخرى ، وأبلغنى بأسلوب غاية فى الرقة والكرم هذه الرسالة : ان عمان سوف تتكفل بكل

في خطى السندباد

رحلة السفينة صحار من عمان إلى الصين



السندباد يتمتع بثرواته خلال فترات الراحة بين رحلاته

نفقات المشروع من جيب السلطان الخاص ، نفقات السفينة وطاقم البحارة والرحلة وكل شيء ، وذلك نيابة عن الشعب العمانى ، والعالم العربى باكمله .

• •

انقضى العام التالى فى مزيد من السفر والبحث والمفاوضات والاتفاقات والتاخيرات والنكسات الصغيرة ولكن ايضا مع التقدم التدريجى الحثيث ..

من الطلبات القليلة التى طلبها منى السيد فيصل أن تبدأ الرحلة يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٨٠ ، اثناء الاحتفالات بالذكرى العاشرة لارتقاء السلطان قابوس الحكم ، ومعنى هذا انه كان امامى اقل من ١٥ شهراً انجز خلالها تصميم السفينة ، واجمع موادها ، وابنيها ، واجند البحارة ، واحصل على المؤن ، واحدد خط السير ، واحصل على اذن الحكومات التى سوف امر ببلادها فى الطريق بما فيها جمهورية الصين الشعبية .

وكخطوة اولى قمت باختيار مكان للبناء يعد بمثابة فال حسن للمشروع ، وهو مدينة صور الساحلية فى اقصى الطرف الشرقى لعمان ، فهنا وخلال قرون متعاقبة كان بناؤو السفن العرب يبنون السفن التجارية العمانية التى تمخر عباب البحار من زنجبار فى الجنوب الى الهند وسريلانكا (سيلان) فى الشرق لاحضار الاخشاب الثمينة والتوابل والعاج .

وقام «كولين موري» وهو مهندس بحرى بريطانى سبق ان وضع التصميمات الرئيسية لقارب برندان ، بعمل نفس الشيء لتصميم «بوم» عربى من القرون الوسطى مستفيداً من المعلومات التى استطعت تقديمها اليه وبموهبته الخاصة فى فهم الطرق القديمة لبناء السفن .

وكان الحصول على المواد اللازمة لبناء السفينة عملا شاقا ، فالعرب القدامى لم تكن لديهم اخشاب جيدة لبناء السفن لذلك كانوا يستوردون خشب الساج من ساحل مالابار بالهند ، ولكن فى عام ١٩٧٩ منعت الحكومة الهندية تصدير خشب الساج الخام ، ولحسن الحظ كان هناك نوع مشابه من الخشب يدعى «اينى» لا يشمله الحظر .

وقمت بسبع زيارات لغابات غرب الهند لتحديد موضع اشجار «اينى» التى احتاجها ، ووضع العلامات عليها ، وتدبير قطعها ، وبذلك حصلت على اكثر من ١٤٠ طناً من الكتل الخشبية قامت الافيال بجرها من الغابات الى ساحل المحيط حيث نقلت بالسفن الى صور .

واذا كانت هذه العملية قد استغرقت وقتاً ثميناً إلا انه كانت تنتظرنى عملية أخرى لا تقل عنها استهلاكاً للوقت وهى البحث عن الرجال الذين يمكنهم ربط أجزاء سفينة بحبال جوز الهند ، وقد علمت ان هذه الطريقة كانت تستخدم حتى وقت قريب فى صنع القوارب الصغيرة فى عمان ، ولكنها ضاعت تقريباً الآن ، وعلاوة على ذلك فان الرجال الذين احتاجهم يجب ان يكونوا فى إمكانهم ربط «فلنكات» من الخشب يصل سمكها احياناً الى ثلاث بوصات .

وعلمت أن مثل هؤلاء الرجال يعيشون فى جزيرة «اجاتى» فى منطقة «لاكشادويب» البعيدة التى تقع على مسافة ٢٤٥ ميلا الى الشاطىء الجنوبى الغربى للهند ، ومن الغريب ايضاً ان جزر «لاكشادويب» نفسها هى التى كان يقصدها بناة السفن العربية فى ايام السندباد للحصول على حبال جوز الهند وذهبت الى «اجاتى» حيث قمت باستئجار عشرة من رجال الحبال كما اشتريت ما طوله ٤٠٠ ميل من حبال جوز الهند اللازمة لصنع سفينتى .

وهذه الحبال تصنع بطريقة خاصة فهى اولا تنتزع من ثمار جوز الهند بعد ان تترك لتتعفن فى مياه البحر ، وليس فى الماء العذب ثم تدق بمطارق خشبية لأن المطارق الحديدية تجعل نسيجها ضعيفاً ، واخيراً تغزل باليد لأن الحبال التى تغزل بالآلات لا تكون قوية بما فيه الكفاية .

وفى يوم اول السنة الجديدة ١٩٨٠ كان فريق بناء السفينة قد تجمع فى صور ، والى

جانب عمال الحبال كان هناك حوالى اثنى عشر من صناع السفن العمانيين بالاضافة الى «كتيبة» من النجارين الهنود استجلبتهم من الابار بالهند .

كان العمانيون يشتغلون بقواديم ذات شفرات حادة كسن الموسى لتشذيب عروق السفينة ، بينما كان الهنود يفضلون استخدام الأزاميل المصنوعة من الحديد اللين ، إذ يستطيعون بها تشكيل التجويفات المتداخلة فى بدن السفينة وعمل التعشيقات المعدة فى صواريها ، وقد نحتوا الصارية الرئسية التى يبلغ طولها ٦٠ قدماً من جذع شجرة واحدة فبدت كانها قد صنعت على مخرط عملاق .

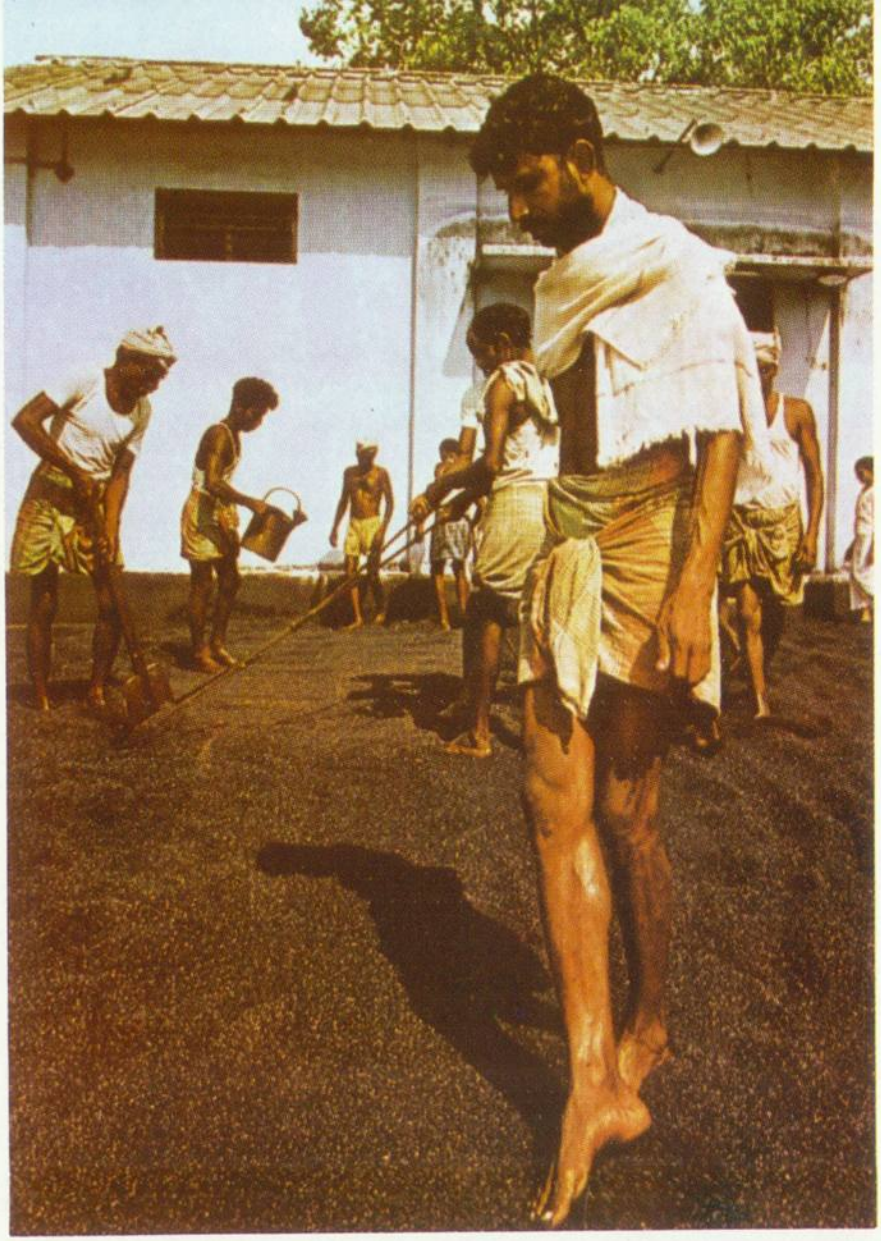
كان شاطىء صور يضج بطرقات المطارق والأزاميل ، وضربات القواديم والشواكيش بينما أخذ جسم السفينة يتشكل ويظهر للعيان ، هيكل ضخم طوله ٥٢ قدماً ، واذا كانت هذه السفينة لابد أن تكون جاهزة يوم ٢٣ نوفمبر فلا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة وقد علم فريقى أن لا يسالنى متى نصنع هذا أو ذاك ، فان اجابتى تكون دائماً «اليوم» . ونتيجة لذلك أطلق العمال علي فيما بينهم لقب «السيد اليوم» ـ (مستر توداى) !

بذل الرجال جهداً خارقاً ، حتى فى حرارة الصيف تحت درجة ١١٨ فهرنهايت ، وما أن حل شهر يوليو حتى أصبح العمل فى مرحلته الأخيرة . وهى سد الثقوب المصنوعة يدوياً والتى تمر فيها الحبال وعددها ٢٠ الف ثقب ، وقد سددناها من الداخل بقشور جوز الهند ، ومن الخارج بمزيج من الصمغ النباتى واللبون . واخيراً مسحنا داخل السفينة بالزيت النباتى كمادة حافظة ، وقد اخبرنى عمال الحبال انه إذا تم تزييت السفينة بصفة منتظمة فانها تعيش فترة تتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ سنة ، فى حين أن السفينة المصنوعة بالمسامير لا تبقى اكثر من عشر سنوات قبل أن يكون من الضرورى تغيير كل مسمار فيها .

وبعد أبهج حفل تدشين شهدته فى حياتى نزلت السفينة الى البحر ، لقد جاء رجال القبائل من داخل عمان ، والصيادون من القرى الساحلية ، وقباطنة البحر القدامى من صور ، وهم يرتدون ثياب الاحتفالات الزاهية ، وتجمعوا جميعاً يرقصون ، ويغنون ، ويحتفلون بمولد سفينة جديدة ، وبناء على طلب من السلطان تلقت السفينة اسمها ، لقد سميت باسم المدينة العمانية التى اشتهرت فى العالم العربى زمن الرحلات الصينية او هى نفس المدينة التى ينسب اليها مسقط رأس السندباد نفسه .. «صحار» !

● ●

خصصت الأسابيع الاخيرة لمقابلة وانتقاء أفراد الطاقم ، وكان من اوائل



في كلكتا .. رجال يفرشون الفلفل لتجفيفه فى الشمس

المتطوعين جاويش شاب من القسم البحرى بالشرطة الملكية العمانية يدعى «خميس» ، وقد صعد «خميس» الى ظهر «صحار» فى ميناء مسقط حيث كنا قد حركناها الى هناك ، وكان يرتدى زياً عسكرياً نظيفاً ، وحيانى تحية عسكرية قوية الى درجة أن جسمه اهتز من الرأس الى القدم بعد الانتهاء منها ، وصاح قائلا فى نبرة عسكرية سليمة «خميس يا سيدى !» ثم اضاف فى ابتسامة عريضة «أريد أن أبحر الى الصين» . ولم يكن فى استطاعتى بالطبع أن ارفض هذه الحماسة ، ووافقت على انضمام «خميس» على الفور . وأعقب «خميس» سبعة عمانيون آخرون معظمهم مدنيون لهم خبرة فى الملاحة البحرية ، ولكن أحدهم كان ضابطاً فى البحرية الملكية العمانية ، واسمه أيضاً «خميس» ، ولكى نفرق بينهما كنا نسميهما على التوالى «خميس بوليس» و «خميس بحرية» .

أما العشرة الآخرون من أفراد الطاقم فقد كانوا جميعاً غربيين ، ومنهم ثلاثة من البيولوجيين البحريين وكانت مهمتهم جمع العينات البحرية والقيام بتجارب الكشف عن التلوث ، واثنان من الغواصين المحترفين ، ورجل لاسلكى لتشغيل جهاز الراديو الصغير على سطح السفينة ، ومصور يدعى بورس فوستر لتشغيل الكاميرا واجهزة التسجيل الصوتى ، ثم صديقى القديم من رحلة «برندان» «ترونودور باترسون» . وفنان من جزر فارو ، واخيراً ـ لحظنا العاشر ـ كان هناك «شانبى» !

جاء «شانبى» فى آخر دقيقة ، وكنت فى حاجة الى طباخ ، وزعم انه كذلك ، كان شانبى من بلوخستان ذا سن غير محدد ، يمتلىء جلده بالتجاعيد ، وقد قدمت له عرضاً عن طريق مترجم على سطح السفينة : أن يطبخ وجبة غذاء لأفراد الطاقم ، فاذا اجتاز الامتحان ، اجزناه .

كانت الوجبة عبارة عن حساء خضار بالكارى ، ولاباس بها عموماً ، فحصل شانبى على وظيفة طاهى ، ولكن كما تبينا فيما بعد لم

في خطى السندباد

رحلة السفينة صحار من عمان إلى الصين

يكن «شانبى» يعرف أن يطهو غيرها ، وهكذا صار علينا أن ناكل نفس هذه الوجبة غير الشهية معظم أيام الشهر .

وفى يوم ٢٣ نوفمبر تجمع جمهور غفير من المودعين فى القاعدة البحرية بمسقط لمشاهدة الاقلاع ، وحضر السيد فيصل الحفل وقامت عدة زوارق حربية واليخت الملكى بمرافقة «صحار» حتى ابتعدت عن الشاطىء.

انسابت «صحار» فى اليم بسهولة ، وتوجهت الى ترودور الذى كان يقف بجوار الدفة الكبيرة التى يبلغ طولها ١٠ أقدام ، وقلت له : اتجه الى الجنوب الشرقى حتى نبتعد عن الأرض .. أبحروا ..» واندفع البحارة العمانيون الى الشراع الكبير الذى كان مطوياً ، وراحوا يفردونه وهم يرددون «يالله .. يالله .. والله المعين» وأخذ الشراع الكبير ينفرد ببطء على طول السارية الضخمة بواسطة حبل من القطن الخفيف حتى انبسط تماماً وامتلأ بالريح ، ودلفت السفينة الى البحر العريض .

● ●

من القواعد المعروفة بالنسبة للابحار فى المياه العميقة أن الأيام القليلة الأولى تكون مدعاة لخيبة الأمل ، ففى هذه الفترة قد تنقطع الحبال التى لم تختبر بما يكفى ، وتفك العقد التى لم تعقد كما يجب أو على العكس تلتصق بشدة فلا يسهل استخدامها ، وتنهار التجهيزات التى عقدنا عليها الآمال ، وتضيع الساعات فى البحث عن الأشياء التى دفنت دون أن نعرف مكانها أثناء الدقائق الأخيرة من تحميل السفينة .

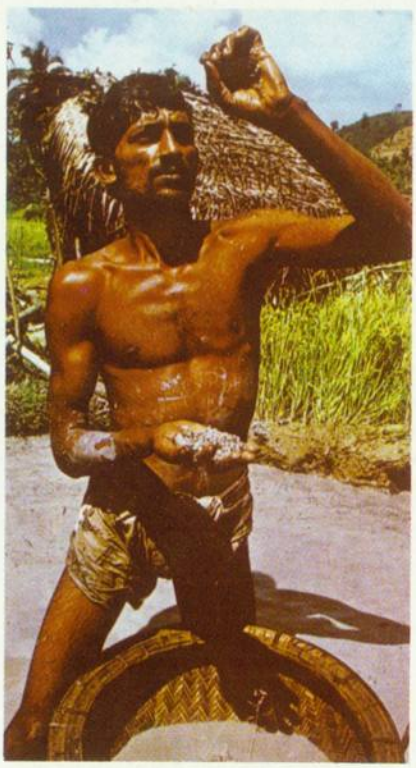
وهكذا كان الأمر مع «صحار» ، ولكن ما إن التقطنا الريح التجارية الشمالية الشرقية (مونسون) القادمة من الهند وتوغلنا فى البحر العربى بسرعة تتجاوز أربع عقد ، حتى بدأت الفوضى تهدأ تدريجياً ، وأخذت الحياة على ظهر السفينة وقعاً منتظماً .

كان يومنا يبدأ مع الفجر حيث يؤدى العمانيون الصلاة ، ويلي ذلك الافطار بالخبز والشطائر ، وهو شىء لم يستطع حتى شانبى أن يفسده ، ولكنه كان كسولا بطيئاً أمام مقلاته لدرجة أننا بدأنا نخلط بين الافطار والغذاء ، وكان أفراد الطاقم مقسمين الى ثلاث ورديات بحيث يعمل كل رجل أربع ساعات ويستريح ثمانى ساعات إلا فى حالات الطوارىء والمهمات الخاصة ، ومن أمثلة الأخيرة تغيير مجرى سير السفينة ، وهى مناورة سهلة بالنسبة للزوارق الحديثة ولكنها أصعب بكثير بالنسبة «لصحار» باشرعتها الضخمة المثلثة الشكل حيث أحد صواريها يزن أكثر من سيارة صغيرة .

● ●

بعد أن قطعنا ٣٠٠ ميل بعيداً عن مسقط بدأت أجوب الطرق التى كان يستخدمها العرب الأوائل فى تحديد موقعهم فى البحر ، لقد كانوا يستخدمون النجوم بدلا من الشمس فى تحديد العروض التى يوجدون بها ، ولايزال العمانيون من أفراد طاقمى يشيرون الى الاتجاهات باسماء النجوم لا مؤشرات البوصلة .

كانت أداة الملاحة الرئيسية لدى العرب الأوائل بسيطة بدرجة مدهشة ، تسمى «الكمال» ، وهى عبارة عن قطعة مستطيلة من الخشب يخترقها خيط به عقد ، وكان قبطان السفينة يضع طرف الخيط بين أسنانه ويجعل الحد الجنوبى للقطعة الخشبية ملتصقاً بخط الأفق ، وعن طريق رصد مكان النجم القطبى بالنسبة للجهاز يمكنه تحديد زاوية النجم القطبى فوق الأفق ، ومن ذلك يعرف دائرة العرض التى توجد فيها السفينة



غواص يحمل حفنة من الأحجار الكريمة فى سريلانكا

وبعد أن تمرنت على استخدام «الكمال» الذى صنعه البحارة بانفسهم أصبح فى إمكانى أن أحدد خط عرض «صحار» بحيث لا يتجاوز الخطأ ٣٠ ميلا من موقعها الحقيقى .

ولكن العرب الأوائل لم يكن بمقدورهم قياس خطوط الطول ، ولم يكونوا بحاجة ماسة الى ذلك ، لأن كل الشواطىء التى تقابلهم فى الطريق الى الصين تمتد بشكل عام من الشمال الى الجنوب ، وكانوا كاساتذة فى الملاحة البحرية يعرفونها بالنظر .

سارت السفينة بثبات فى اتجاه الجنوب الشرقى فى بحر العرب ، وكنت مسروراً بادائها الممتاز ، فقد كانت تشق طريقها بسهولة بين الأمواج بدلا من أن تحاربها وتلاطمها ، كما لو كانت تتصرف بذكاء .

أشد ما كان يضايقنا هو الرائحة الكريهة المنبعثة من المياه الآسنة فى جوف المركب ، وهى غاز هيدروجين السولفيد الذى تسببه البكتريا فيما يبدو ، وقد تسبب هذا الغاز فى إحساسنا بحرقان الزور والصداع ، ولكن تاثيره كان قاتلا بالنسبة للراديو ، إذ سرعان ما كان يغلق دوائر الراديو فلا تنبعث عنه سوى إشارات ضئيلة ضعيفة . وقد اضطرتنا هذه الرائحة الكريهة الى قضاء معظم الوقت على سطح السفينة فى الهواء الطلق إلا إذا هطلت علينا الأمطار الاستوائية بغزارة .

أما دورات المياه فقد صنعناها على نمط السفن العربية القديمة أيضاً ، وهى عبارة عن «شرفتين» مثبتتين فى مؤخرة السفينة ومطلتين على البحر مباشرة ، مثل «بنوار» المسرح ، وكنا فى الليالى الحارة نستطيع أن نقف فى هاتين الشرفتين حيث نرفع مياه البحر المليئة بالحبب بواسطة جردل ندليه بحبل ، ونأخذ حماماً ، وقد كان شيئاً ساحراً أن نقف فى الظلام ومياه البحر تنساب على رءوسنا كالجداول تاركة وراءها حبيباتها اللامعة على أجسادنا كاليراعات الصغيرة .

لم تصادفنا متاعب فى بحر العرب ، كانت السفينة تمخر عباب المياه فى يسر قاطعة ما يصل إلى ٨٠ ميلا فى اليوم ولكنى بدأت أخشى أن يشعر الأوربيون بالسأم ، فقد كانوا جميعاً شبانا نشيطين ، معظمهم جديدون على البحر ، وكانوا يجدون جنبات السفينة ضيقة ، وحياتها مملة تسير على وتيرة واحدة ، مثلما كان طعام « شانبى » مثيراً للغثيان . أما العمانيون على العكس من ذلك فقد كيفوا انفسهم بسهولة مع وقع الحياة على ظهر السفينة ، فكانوا يثرثرون فيما بينهم ، وينشدون أغانيهم التقليدية ، وينسجون شباك الصيد ، ويغالبون النعاس . وكان فى إمكانهم أن يناموا فى أى مكان ، يستلقون على سطح المركب وقد فردوا عمائمهم وغطوا بها وجوههم لاتقاء أشعة الشمس



الصيادون الهنود فى بايبور يصنعون لنا شراعا اضافيا

ولكن إذا جاء وقت العمل فانهم يعملون بهمة ونشاط .

وكان من عادة العمانيين أن يغنوا بمصاحبة العمل الشاق ، وسرعان ما انتقلت هذه العادة إلى الغربيين الذين بدأوا يشاركونهم التصفيق بالأكف ، والدق بالأقدام ، والصيحات المنغومة التى تخفف من مشقة العمل ، وقد رحبت أنا بهذه الظاهرة إذ وجدت أفراد الطاقم يذوبون فى وحدة واحدة .

وفى منتصف شهر ديسمبر رسونا على البر لأول مرة ، فى جزيرة « شتيلات » الصغيرة إحدى جزر « لاكشا دويت » وهى جزيرة تحيطها الشواطىء التى تبهر العين بشدة بياضها ، ومياه البحر الصافية الزرقاء ، وتبدو عموما كالجنة ، ولكنها جنة مدفونة تحت قبضة الرسمية الميتة ، فالحكومة الهندية تفرض عليها رقابة صارمة لتنظيم اقتصادها القائم على محصول جوز الهند الذى تحتكره الحكومة وهى لا تشجع أية اتصالات بين هذه الجزر والعالم الخارجى ، وتفرض على الارخبيل كله سيطرة بيروقراطية مغرورة غير كفؤة . وعندما ذهبت الى نقطة البوليس فى « شيتلات » لأريهم خطاب وزارة الخارجية الهندية بالسماح لسفينة « صحار » بزيارة ارخبيل « لاكشا دوبت » لاحظت أمام « الكابتن » دفترا ضخما مكتوبا عليه « سجل يومية الجرائم فى نقطة شيتلات » . وكنت أعرف ان « لاكشا دوبت » مشهورة تاريخيا بخلوها التام من الجريمة ، لذلك سألت كابتن البوليس عما اذا كانت الأحوال قد تغيرت ، فأجابنى وعلى وجهه مسحة من الزهو : « طبيعى .. ان الجزر الآن قد تمدنت ولذلك « يجب » ان تكون هناك جرائم » !

● ●

كانت محطتنا الثانية فى « بايبور » بالقرب من كلكتا فى القارة الهندية نفسها ، وفى « بايبور » غادرنا « شانبى » استجابة للطلب الشعبى الملح من جميع طاقم السفينة ، وكان قد استقال فعلا خلال الأسبوع الذى استغرقته رحلتنا من « شيتلات » الى « بايبور » ، وبقى فى عمله مؤقتا حتى نحصل على من يخلفه فيه ، وكان ينتهز الفرصة لسرقة الأكل كلما لم يجد رقيبا ، وقد حصلت على من يحل محله فى « بايبور » ، وهو « ابراهيم » ، وكان موظفا حكوميا ضاق بروتين الوظيفة ويهفو الى حياة البحر ، واكتشفنا لسعادتنا ان « ابراهيم » طاه من الطراز الأول .

وامدت بايبور « صحار » باكثر من رئيس طباخين ، لقد أمدتها بعرائس لسبع من العمانيين أفراد الطاقم ، وكانت هذه مفاجاة مدهشة بالنسبة لى ، لقد كنت أعرف أن البحارة العرب ظلوا طوال القرون ياتون الى « بايبور » والى مدينة « كلكتا » المجاورة ، ومثل البحارة فى كل مكان فى العالم كانوا يتزوجون من النساء المحليات وغالبا ما يحتفظ الرجل بأسرتين إحداها فى وطنه العربى والأخرى فى « كلكتا » .

والطائفة المسلمة فى كلكتا تسر بشدة لتزويج بناتها من البحارة العرب ، ولكن ما لم أكن أعرفه ان قبطان السفينة العربية كان يجب الحصول على موافقته قبل زواج البحار ، وعندئذ كان يجب عليه أيضا أن يقدم له منحة من المال لتغطية نفقات الزفاف .

وذات صباح انتحى بى جانبا واحد من أحسن بحارتى ويدعى « مسلم » ، وألقى القنبلة ، قال انه التقى بفتاة فى « كلكتا » ويريد أن يتزوجها ، فهل يمكننى أن أقرضه بعض النقود لشراء هدية لأسرة الفتاة ؟

سألته فى عصبية « كم تريد ؟ » .

فأجاب فى أدب « كما تريد » ! .

سألته ماذا يفعل بزوجته الجديدة عندما تبحر « صحار » مرة أخرى ؟ فكان جواب « مسلم » ان الأمر سيكون على ما يرام ،

في خطى السندباد

رحلة "السفينة صحار" من عُمان إلى الصين

سوف يرسل لها نقوداً بصفة منتظمة ، وسيحاول ترتيب أن تلحق به فى عمان فيما بعد .. ولكن ماذا عن زوجته وابنته اللتين تركهما وراءه ؟ فقال « مسلم » : سوف تسران بذلك ، اذ سوف تقوم الزوجة الجديدة بالمساعدة فى تنظيف المنزل والطبخ مما يعطى الزوجة الأولى مزيداً من الوقت للراحة والعناية بالطفلة .

فى النهاية أعطيت « مسلم » ١٠٠٠ روبية ـ حوالى ١٣٠ دولاراً ـ من صندوق السفينة ليشترى هدية الزواج ويقدمها لوالدى عروسه ، وحدست أن هذه سوف تكون سابقة خطيرة ، وقد صح حدسى بالفعل ، فخلال أقل من أسبوع تقدم جميع العمانيين فيما عدا واحداً فقط هو «خميس بحرية» بطلبات للحصول على سلفة ١٠٠٠ روبية للزواج من هنديات .

وغادرنا بايبور بعمرة فى هيكل السفينة وطقم إضافى من الأشرعة المنسوجة يدوياً ، وسبع عرائس جديدات !

● ●

بعد ظهيرة يوم ٢١ يناير ، وصلنا الى شاطىء سريلانكا ، أو « سرنديب » كما كان يسميها العرب الأوائل ، ومن هذا الاسم جاء التعبير الانجليزى « السرنديبية » ومعناه العثور على أشياء ثمينة بمحض الصدفة .

كان الضباب عند الشاطىء يحجب عنا رؤية قمة جبل آدم ، وهو جبل يبلغ ارتفاعه ٧٣٦٠ قدماً ، وهو معروف للبحارة العرب عبر القرون الماضية ، إذ تقول أسطورة اسلامية انه على قمة هذا الجبل وضع آدم قدمه لأول مرة على الأرض بعد أن طرد من جنة عدن .

ومن المحتمل أن تكون سرنديب هى المقصودة فى الرحلة السابقة من رحلات السندباد ، وفى هذه الرحلة أسر القراصنة السندباد وباعوه كعبد رقيق لأحد تجار العاج ، وكان التاجر يرغم السندباد على الذهاب الى الغابة كل يوم ليقتل فيلا ويحصل على نيابه ، وفى النهاية دلت الأفيال السندباد الى مقبرتها السرية ، فكان السندباد يذهب الى مقبرة الأفيال ويحصل على بغيته من العاج دون أن يقتلها .

ونعرف من قصص السندباد أن سريلانكا كانت فيها أفيال أليفة ، وأخرى متوحشة ، وطبقاً « لألف ليلة وليلة » زار السندباد سرنديب مرتين ، وشاهد ملكها فى موكب عظيم على ظهر فيل ضخم ، ونفس الشىء تقريباً شاهده بحارة « صحار » اليوم ، فلا تزال سريلانكا تحتفظ بعيد تقليدى يسمى « بيراهيراس » يقام كل عام ، ويسير فيه الراقصون بالنار والمهرجون المتنكرون فى ملابس الكرنفال عبر الشوارع وفى ذروة الاحتفال تظهر الأفيال الضخمة المزركشة بالقصب .

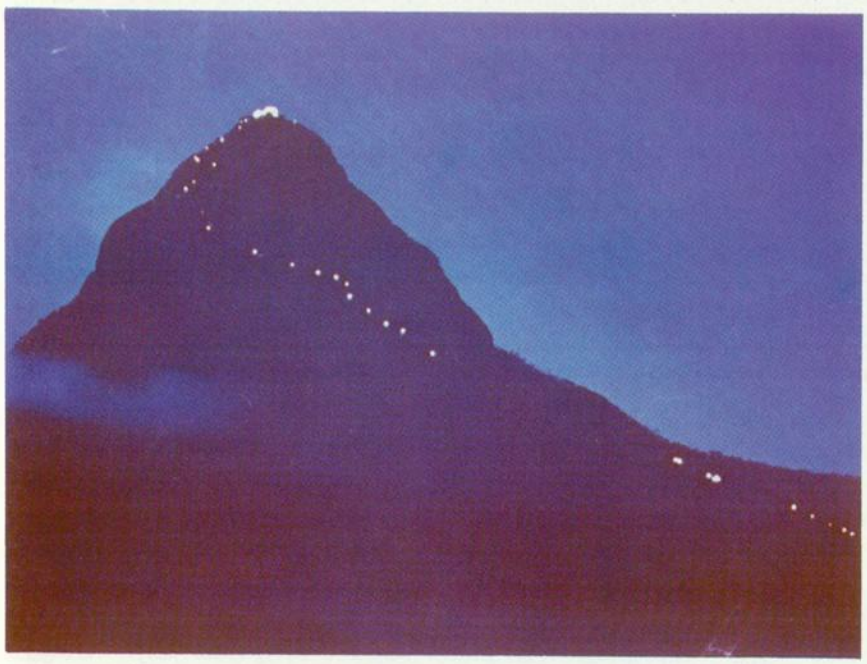
ويبدو أيضاً أن سريلانكا كانت موضع وادى الماس الذى زاره السندباد فى رحلته الثانية ، وقد استطاع السندباد أن يخدع الحيات التى تحرس الوادى ، وخرج وجيوبه مليئة بالجواهر .

والواقع ان سريلانكا لا توجد بها مناجم للماس ولكنها مشهورة عالمياً باحجارها الكريمة وشبه الكريمة مثل الياقوت ، والتوباز ، وعين القط ، والصغير الأزرق ، وهذه الأحجار ـ كما فى مغامرات السندباد ـ يعثر عليها فى بطون الأودية بعد التنقيب عنها فى السهوب الطمية ، والحيات تلجأ عادة الى هذه السهوب طلباً للرطوبة الباردة ، ومما له دلالة خاصة أن تجارة الأحجار الكريمة فى سريلانكا لا تزال فى أيدى المسلمين الذين مازالوا يتذاكرون حتى اليوم الملاحين العرب القدامى الذين دخلوا الاسلام الى سريلانكا فى القرن السابع الميلادى .

فى سريلانكا غادرنا المصور « بروس فوستر » وحل محله « ريتشارد جرينهيل » ، كما حل تيم « ريدمان » وهو صديق من مسقط محل « تروندور » الذى كان عليه أن يعود إلى الوطن ، كما انضم الينا الطبيب « نيك هوليز » من لندن ، وخلال يوم أو بعض يوم كان القادمون الجدد قد استقروا فى « صحار » ، وأبحرنا من سريلانكا على عجل ، لنلحق برياح المونسون الجنوبية الغربية التى من المقرر أن تحملنا شرقاً إلى سومطرة .

ولكن رياح المونسون تأخرت علينا طويلا إلى درجة كدنا معها نصاب بكارثة ، فبعد أن أبحرنا ثلاثة أسابيع كنا لا نزال على مسافة ٧٠٠ ميل من سومطرة ، وبدأت نشعر بالقلق لاحتمال نفاد ما لدينا من الماء العذب ، فكنا نستخدم الماء العذب للشرب والأكل فقط ، ونفد بالفعل نصف المستودع فأمرت الرجال بأن يقتصدوا فى استهلاك الماء بقدر المستطاع ، فكان منهم من يحتاج إلى ستة أكواب من الماء فى اليوم واكتفى بعضهم بنصف هذا القدر ، وأحسن وسيلة للاقتصاد فى استهلاك الماء البقاء فى الظل ولكن الشمس كانت عمودية فوق رأسنا ، إذ كانت « صحار » تبحر على ارتفاع درجتين فقط شمال خط الاستواء ، ولذلك كانت الأشرعة الكبيرة لا تعطى إلا القليل من الظل .

ولكن فى الأسبوع الأول من مـــارس جاءتنا خبطة حظ ، فقد هطل المطر ، وصرنا نجمع مياه المطر فى « التاربولين » (قماش مشمع) ونضعه فى المستودع .



جبل ادم فى سريلانكا ومصابيح الحجاج تحدد الطريق الى القمة



الاحتفال بعيد « بيراهيراس » فى سريلانكا يعيد إلى الاذهان مواكب الفيلة التى شهدها السندباد .

بالنسبة لنا جميعاً نحن ركاب «صحار» سنظل نذكر يوم ١٨ مارس ببساطة باعتباره « يوم أسماك القرش » . عند الظهيرة ظهر سرب من الأسماك التى تشبه سمك « الماكريل » الكبير تحت السفينة الهادئة ، فادليت « الصنارات » من فوق سطح السفينة وسرعان ما كانت هناك ست سمكات كبيرة تتخبط فى سلة فوق السطح ولكن فى اللحظة التى كانت السمكة السابقة فى طريقها الينا ظهر قرش طوله أربعة أقدام يشق الماء من الأعماق ، وابتلع السمكة ، ثم استدار وأطبق فكيه على « الصنارة » نفسها .

وفجأة تجمع أكثر من عشرين من أسماك القرش وراحت تلتهم سرب الماكريل ، فسارع خميس بوليس بقطع شريحة من إحدى السمكات فى السلة ، وثبتها كطعم فى خطاف كبير ، وأدلاه بحبل من فوق سطح المركب ، وخلال الدقائق العشر التالية ساد الهرج والمرج فوق « صحار » ، فقد أخذت أسماك القرش الواحدة بعد الأخرى تجذب بالحبال والخطاطيف الى ظهر السفينة حيث يهجم عليها العمانيون بالعصى والمضارب والأوتاد ، وهات يا طاخ طوخ ! وأسماك القرش تتخبط على سطح السفينة كالفيلان المخبولة ، والعمانيون يروحون ويجيئون وقد استخفهم السرور يضربون القروش وينزعون فى أفكاكها الخطاطيف ، ويدلونها بالحبال من جديد ، للحصول على المزيد من أسماك القرش !

والآن ، أصبح سطح السفينة فى فوضى شاملة أكثر من ١٢ سمكة قرش جريحة تنتفض بالغضب وتهاجم أى شىء فى متناولها ، وتبينت أنها مسألة وقت لا أكثر قبل أن يفقد أحد البحارة بعض أصابع يديه أو قدميه أو ربما يدا كاملة أو قدماً ، فصحت فيهم « بس .. بس » أى كفى .. كفى .. فقد حصلنا بالفعل على أكثر مما يمكن أن نستهلكه من لحوم سمك القرش ، وأخذت الضجة تهدأ تدريجياً ، فوضعت العصى جانباً ، ورفعت « الصنانير » ، وكومت أجسام القروش فى منطقة الطبخ ، ومسح سطح السفينة من الدم ، كانت حصيلة الغنيمة : ١٧ سمكة قرش فى ٢٠ دقيقة ، تزن ربع طن من الحم ، فقمنا بتمليحه وتجفيفه فى الشمس .

بعد خمسة أيام من ملحمة القروش كدنا نفقد مصورنا الجديد « ريتشارد جرينهيل » وقد كان «جرينهيل» تستهويه هوايته فى التقاط زوايا جديدة الى درجة تنسيه مخاطر السفينة المبحرة فى أعالى البحار ، فهو قد يتمشى على حافة إفريز السفينة فيكاد يسقط فى البحر ، أو لا يأخذ حذره فتضربه عقدة غليظة فى حبل ، وذات يوم هادىء قرر أن يلتقط صوراً « لصحار » من مسافة بعيدة باختراعه الجديد ، وهو عبارة عن عامود طويل من الخيزران ثبت الكاميرا بأعلاه ، وقفز جرينهيل فى البحر حاملا اختراعه المبتكر وسبح حوالى مائة ياردة ، وفجأة هبت ريح قوية ملأت قلاع المركب ، وصاح كل من على سطح السفينة « الريح .. الريح ! » وعندما تحقق ريتشارد فى النهاية مما يحدث بدأ يعوم عائداً فى اتجاهنا وهو لا يزال يحمل العامود والكاميرا ، وأمرت بانزال القلاع لأهدىء من سرعة « صحار » ، ومع ذلك ظلت الريح تدفع السفينة بعيداً عن المصور الذى يجاهد الماء ، وبشق النفس استطاع « ريتشارد » فى النهاية أن يصل إلى طرف حبل السلامة المدلى من السفينة ويتشبث به ، وحتى عند ذلك أصر على انقاذ الكاميرا أولا ، وجذبناه الى أعلى بعد أن أشرف فعلا على الغرق ، واتفقنا جميعاً على أنه لا ينبغى أن يغادر السفينة مرة أخرى بدون اذن ـ على الأقل فى عرض المحيط .

● ●

فى ٥ أبريل ، أى بعد شهرين من مغادرتنا سريلانكا بدأ الركود البحرى (وولدروم) يخفف قبضته على «صحار» ، فامتلأت أشرعتنا باول

في خطى السندباد

رحلة السفينة صحار من عمان إلى الصين

هبات رياح المونسون الجنوبية الغربية وبدأنا نحرز تقدماً حقيقياً نحو سومطرة . وفجأة حدثت لنا كارثة خطيرة فى وقت مبكر ذات صباح ، فقد هبت ريح قوية على الجانب الخطأ من الشراع الرأسى أدت الى كسر الصارى فى لحظة واحدة ، وتدلى الشراع الضخم كالجناح المكسور ، وهكذا أصبحت « صحار » سفينة عاجزة ، فقمنا بانزال الصارى المكسور بحذر واحتراس حيث كان جزء منه يتأرجح الى الأمام والخلف عبر سطح الماء كانه منجل مميت يهدد بتشويه من يرتطم به . وعلى ضوء الفجر الشاحب قمنا باصلاح الكسر بأن قطعنا الطرف المشجوج بأعلى الصارى ، وفصلنا عليه شراعاً مؤقتاً ، ثم رفعنا الشراع الجديد وقد صار أقصر مما كان عليه وبذلك انخفضت سرعة « صحار » بمقدار الثلث .

فى ١٥ أبريل بدا لأعيننا الطرف الشمالى لمضيق ملقة ، ذلك الممر المحيطى العظيم الذى تقطعه السفن التجارية بين الشرق الأوسط والشرق الأقصى وبخاصة ناقلات البترول التى تخدم اليابان ، وقد تطلع الينا طابور من تسع أو عشر سفن كبيرة ونحن نقترب من المطيق ، وفجأة هبت الرياح وزخ المطر مما أخفى عنا رؤية هذه السفن وشعرت كأن العالم كله قد صار بالنسبة لى كحارة ضيقة يقطعها رجل معصوب العينين ، ولكن «صحار» تمكنت من المرور بسلام .

وبعد ثلاثة أيام أخرى وصلنا أخيراً الى ميناء « سابانج » على جزيرة قريبة من الطرف الشمالي لسومطرة ، كنا قد قضينا في البحر ٥٥ يوماً متواصلة وبدت لنا « سابانج » جميلة للغاية كما كانت تبدو حتماً في نظر سابقينا من الملاحين القدماء

أما سومطرة ، الجارة العملاقة لسابانج فانها مشهورة « بأرض الذهب » ، ويقال ان حاكمها كان من الثراء بحيث كان يلقي كل يوم قالباً من الذهب الخالص في بحيرة قصره لاظهار مدى ثروته ، ولكن بالرغم من كل جمالها فقد كانت « أرض الذهب » تبدو مخيفة في نظر الزوار العرب القدامى الذين زعموا أن سكانها كانوا من أكلة لحوم البشر ولولا مهارة السندباد وذكاؤه لكان هو نفسه في عداد المأكولين .

فقد حدث خلال الرحلة الرابعة من رحلات السندباد أن تحطمت سفينته ، وألقت الأمواج به وببحارته إلى إحدى الجزر حيث خرج عليهم الأهالى المحليون وحملوهم الى ملكهم ثم راحوا يقدمون لهم طعاماً شهياً ، وشك السندباد فى الأمر وامتنع عن تناول الطعام بينما لاحظ أن زملاءه كلما أكلوا ازدادوا بلادة وذهولا ومرت الأيام والسندباد ممتنع عن الأكل وزملاؤه يسمنون ، ولم يمر وقت طويل حتى اكتشف أن أهالى الجزيرة من أكلة لحوم البشر ، وأنهم يسمنون هؤلاء البحارة لأكلهم واحداً بعد الآخر ، وارتعب السندباد وفر من قرية أكلة لحوم البشر ، وفى أثناء فراره مر على حقل فرأى زملاءه يرعون فيه كالبهائم على أربع يأكلون من حشائش الأرض تحت مراقبة راع .

ويبدو أن أصل هذه القصة المخيفة يعود الى أن أهل شمال سومطرة كانوا يستخدمون الحشيش فى طعامهم لاعطاء نكهة للطعام ، بالاضافة الى وجود بعض القبائل البدائية من أكلة البشر فى سومطرة .

كما تشير حادثة أخرى وقعت فى الرحلة الخامسة الى « معرفة » أيضاً بسومطرة ، اذ وقع السندباد فى احدى الغابات فى أسر مخلوق أحدب يشبه الانسان له جلد أسود جاف ، يعيش على الفاكهة البرية ولا يستطيع الكلام ، هذا المخلوق الذى أسر السندباد والذى أسماه « شيخ البحر » ربما كان هو ذلك النوع الكبير من القردة فى سومطرة المسمى أورانج أوتان .

وقد حصلنا من الغابات المجاورة على شجرة رفيعة طويلة قمنا بتشذيبها وركبناها فى « صحار » بدلا من الصارى المكسور ، ولاحظنا أن منطقة الميناء تبدو كمنجم لعلماء الأحياء المائية الذين كانوا متواجدين هناك بكثرة لجمع مجموعات ثرية من هذه الأحياء . وفى أوائل مايو قلعنا جنوباً فى مضيق ملقة قاصدين سنغافورة .

● ●

كانت قد سبقتنا أخبار رحلتنا الى سنغافورة ، فاستقبلنا هناك استقبالا حافلا بواسطة كبير مرشدى الميناء الذى تقدم منا ببزته البيضاء ، واعتلى مركبنا ، وفى يده خريطة وجهاز لاسلكى « ووكى ـ توكى » .

وقال لنا بظرف « أنا مرشدكم » ثم ألقى نظرة الى دفتنا الضخمة التى يبلغ طولها عشرة أقدام وقال « ولكن كيف يمكننى أن أقود سفينة كهذه ؟ لست أتصور ! » ثم أضاف وقد جاءه خاطر مفاجىء « يبدو أن كل ما يمكن أن أفعله هو أن أعطيكم التعليمات وأنتم تتولون القيادة » .

وأمسك مسلم بالدفة ، وتهادت «صحار» كالملكة نحو الميناء بينما أفسحت لها عابرات المحيط الضخمة طريقاً للمرور .

وعلى رصيف الميناء كان فى استقبالنا جمع غفير من أهل سنغافورة يغنون ويؤدون بحبور رقصاتهم الصينية والمالاوية وتلد ذلك أن تلقينا دعوات لا حصر لها كى نأخذ راحتنا فى سنغافورة ، ونعتبرها كمدينتنا .

كانت فكرة مغرية بلاشك ، ولكن لم يكن فى إمكاننا البقاء طويلا فى سنغافورة ، فقد كان علينا أن نقطع المرحلة التالية والأخيرة من رحلة « صحار » وهى اجتياز بحر الصين الجنوبى إلى وجهتنا المحددة



طريقة استعمال « الكمال » لتحديد خط عرض السفينة بالنسبة للنجم القطبي



ارتفع الرخ الى كبد السماء حاملا السندباد بين مخالبه

وهى ميناء « جوابخشو » أو « كانتون » فى أرض الصين ، وكان هدفى أن استفيد من الرياح الموسمية على طول الطريق : أولا من رياح المونسون الشمالية الشرقية ثم من رياح المونسون الجنوبية الغربية حتى يمكننا عبور بحر الصين الجنوبى قبل موسم الإعاصير .

ولكن بسبب تأخر رياح المونسون الجنوبية الغربية طويلا تأخرنا عن الموعد المحدد ، وبرغم من أن موسم الأعاصير يبدأ عادة فى يوليو إلا أن بعض العواصف الشديدة تحدث فى بحر الصين الجنوبى مبكراً فى مايو . وقد كنا حينئذ فى الأسبوع الأول من يونيو .

ولذا فقد غادرنا سنغافورة بعد زيارة قصيرة جداً ويممنا نحو البحار القديمة التى كان يعرفها الملاحون العرب باسم بحر « قندرانج » وبحر « كانكهاى » ، وقد كتبوا انه من بين كل البحار السبعة فى الطريق الى الصين فان هذين البحرين هما أسوأ البحور . فيهما يلقى الملاح العاصفة الضخمة التى يسميها بحارتى العمانيون المحدثون « الطوفان » واعتقد أنها كلمة محورة من « تيفون » وتعنى الأعصار ..

« المترجم : العكس هو الصحيح فان كلمة تيفون الانجليزية هى تحوير لكلمة طوفان العربية » !

كانت الأيام الأربعة الأولى بعد مغادرة سنغافورة هادئة بطريقة خادعة لدرجة اننى تصورت ان الحظ قد يصاحبنا طول الطريق الى « جوابخشو » ، ولكن كان الهدوء الذى يسبق العاصفة ، وقد عرفت ذلك فى اليوم الخامس ، فقبيل الفجر مباشرة هبت ريح معتدلة لم أشعر ازاءها بالقلق ، ثم صمدت « صحار » لعشرات من هذه العواصف الصغيرة خلال الشهور الماضية . ولكن هذه العاصفة لم تلبث أن تطورت على نحو مختلف إذ تحولت إلى ريح هوجاء ، وبدأت « صحار » تئن تحت حملها الثقيل وسمعنا صوت شرخ قوى بطول المركب من أسفل فتخيلت للحظة أن السفينة قد شقت الى نصفين ، ولكن تبين أن الشراع الرئيسى هو الذى كسر ، ولم يلبث أن سقط فى فرقعة شديدة .

بعد أن مرت الأزمة ، اعتدلت السفينة مرة أخرى ، وعكفنا على إصلاح الشراع المكسور ، ومرت بنا مجموعة مخيفة من السحب السود قادمة من ناحية الغرب تدور وتتدحرج كأنها دخان نار عظيمة ، وهذه ظاهرة محلية تسمى « قـــوس العاصفة » وبمجرد أن مرت عدنا إلى الابحار بهمة من جديد لأن كل يوم نقضيه فى البحر يزيد من مخاطر أن نواجه الأعصار البحرى المسمى « بالتيفون » .

وظللنا طوال ذلك اليوم نمر عبر الرياح العاصفة التى تتناوشنا من كل جانب ، واجتازتنا ثلاثة « أقواس عواصف » على الأقل ، وفقدنا خلال ذلك أشرعتنا الثلاثة التى تمزقت تماماً ، لقد كانت السفينة تحت وطأة عقوبة قاسية ولكن ملاحيها صمدوا صموداً رائعاً ، وقد حدث فى ذروة إحدى هذه العواصف أن جثا « خميس بحرية » على ركبتيه ، وأخذ يصلى بحرارة من أجل « صحار » وبحارتها .

إن سجل سفينتى بالنسبة للأيام الخمسة التالية يحكى قصة عابسة : إعصاران آخران يوم ١٦ يونيو ، وثلاثة يوم ١٧ يونيو ، وأربعة يوم ١٨ يونيو ، واثنان يوم ١٩ يونيو ، وواحد يوم ٢٠ يونيو .

ورغم أن الثمن كان باهظاً إلا أن هذه الأعاصير والعواصف دفعتنا نحو هدفنا ، وكنا بالمعنى الحرفى « نخيط » لنا طريقاً الى خارج المتاعب ، فقد كنا نجلس بالساعات المتواصلة فوق سطح السفينة نخيط أشرعتنا الممزقة كى نواصل طريقنا الى الشمال ، ولذا فان سجل سفينتى فى هذه الفترة يحتفظ بتدوينات أخرى : التقدم ٩٠ ميلا ذات يوم ، و ١١٠ ميلا فى اليوم التالى ، والرقم القياسى ١٣٥ ميلا فى اليوم الذى يليه .

ولمدة أسبوع كامل لم تكن هناك بقعة جافة واحدة فوق « صحار » . ولكننا اكتشفنا وسط هذه المتاعب بارتياح ان أسراب الصراصير التى شاركتنا حياتنا منذ بداية الرحلة كانت أكثر منا كراهية لبحر الصين الجنوبى ، فبعد يوم أو يومين من الأعاصير غسلت المياه قاع المركب ، ويبدو أن الصراصير تكره أن تعرض أرجلها للبلل فكانت عندما تميل السفينة الى جانب وتملأه الماء تتجمع الصراصير فى الجانب المقابل ، فاذا غيرت السفينة توازنها وغرزت

في خطى السندباد

رحلة السفينة صحار من عمان إلى الصين

المياه هذا الجانب تحركت الصراصير متململة تريد الهرب الى الجانب الآخر وبين هذه الحركة المتبادلة كانت مياه البحر تحمل هذه الكائنات الكريهة الى خارج السفينة وتغسلها غسلا . وهكذا شعرنا بشيء من الرضا حين عرفنا أنه بالنسبة لضيوف « صحار » غير المرغوب فيهم لم تكن رحلتهم سعيدة .

• •

فى ٢٥ يونيو ، وقد خلفنا أقواس العواصف خلف ظهورنا ، بدأنا نشق طريقنا بين جزر « الباراسيل » وساحل « ماكلسفيلد » على خليج « تونكين » وأصبحنا الآن على مسافة ٣٥٠ ميلا فقط من فم نهر اللؤلؤ (نهر بيرل) وهو المجرى المائى الكبير الذى سيحملنا إلى هدفنا النهائى ميناء « جوابخشو » . ولكن هذه المنطقة أيضاً هى « مياه القرصان » ، فهذه المنطقة ملوثة بزوارق القراصنة الذين يهاجمون السفن غير المسلحة وأغلبها من سفن اللاجئين الفيتناميين الذين يبحثون عن الهرب من بلادهم التى تمزقها الحروب وهكذا تبين بعد ظهر يوم ٢٦ يونيو أننا فى حاجة إلى بنادقنا وقنابل الغاز التى اقترضناها من القوات المسلحة لسلطان عمان للدفاع عن أنفسنا إذا تعرضنا للهجوم .

فبعد منتصف اليوم بقليل ظهر على الأفق قارب صغير أخذ يقترب منا حتى أصبح على مسافة ميل أو ميلين وتبينت عبر منظارى المكبر ان القارب لا يحوى سوى رجال ، وقد كنا بعيداً جداً عن مناطق الصيد الساحلية مما ينفى احتمال ان يكون هذا الزورق تابعاً لحراسة الشواطىء ، وكنت قد سمعت بأوصاف النمط التقليدى لقراصنة بحر الصين الجنوبى : إنهم جماعات مسلحة تسليحاً جيداً يستخدمون زوارق سريعة ويهاجمون السفن الصغيرة وأحياناً يقتلون ركابها ، بل ان القراصنة خارج سنغافورة يهاجمون حتى ناقلات البترول الضخمة ، ولما أخذ الزورق يتقدم نحو « صحار » فقد أمرت البحارة بامتشاق أسلحتهم .

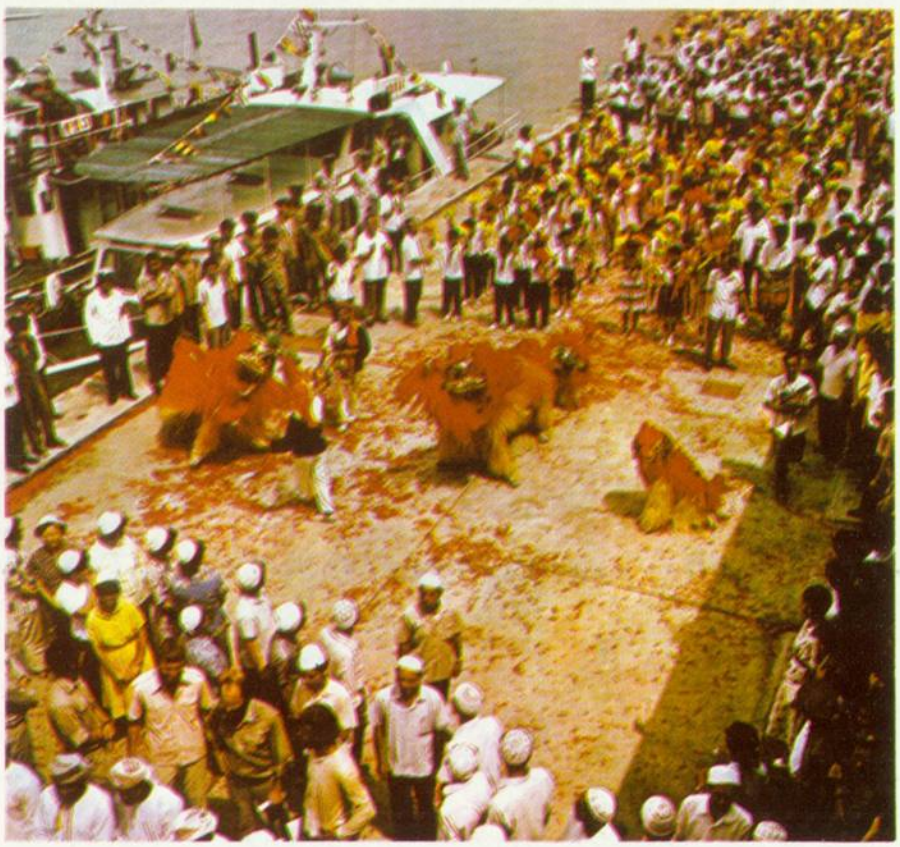
ثم تبين أن هذا الزورق لا يحوى قراصنة وانما على العكس يحوى ضحايا محتملين للقراصنة ، كانوا مجموعة صغيرة من الفيتناميين ، سبعة رجال ، وأربع نساء ، وسبعة أطفال يحاولون الوصول إلى « تايوان » ، وقد نفد لديهم الماء العذب والطعام والملابس وغير ذلك من المعدات ، وعندما شاهدوا شكل « صحار » الغريب قرروا المغامرة بالاقتراب منها لطلب المساعدة ، ولكنهم كاجراء احتياطى أخفوا النساء والأطفال فى قاع الزورق .

وفعلنا ما نستطيع لمساعدتهم ، فابتدأنا بتزويدهم بالماء العذب والأجولة وصناديق المعلبات والثياب ، كما أعطيناهم صندوقاً يحوى معدات طبية استطاع « نيك هوليز » تجميعها ، ثم قام « نيك » بفحص هؤلاء اللاجئين ، ووجدهم جميعاً فى صحة جيدة فيما عدا مانالهم من إرهاق بسبب وجودهم فى البحر أكثر من أسبوع .

وقمنا بفحص هيكل زورقهم « وموتوره » ووجدنا أن كل شيء سليم فيما عدا البوصلة التى كانت قد توقفت عن العمل بسبب نفاد سائل الطفو فيها ، فأصلحناها ، ثم رسمت لهم خريطة سريعة مستعينا بالبوصلة لتحديد الطريق التقريبى الى « تايوان » وحاولت بقدر المستطاع أن أشرحها لامرأة منهم تعرف كلمة أو كلمتين من اللغة الانجليزية . كانت مشكلتهم الحقيقية أن لا أحد على ظهر ذلك الزورق لديه أية معرفة بالبحر ، ولكن كان معهم رصيدان قويان هما الأمل والتصميم . وبالطبع فانهم بمثل هذا الزورق البخارى الصغير يبحرون أسرع منا ولديهم فرصة طيبة للوصول إلى هدفهم ، وقد ودعناهم ، وسرعان ما انطلق زورقهم وأصبح بعد قليل نقطة متلاشية على أفق البحر الواسع .

• •

وبعد يومين اكتحلت عيوننا لأول مرة برؤية ساحل الصين ، كان أول ما بدا لنا قمة جبل « راوانشان » عند مدخل نهر بيرل وقد ظل هذا الجبل قروناً طويلة بمثابة المنارة التى تهدي الملاحين العرب في طريقهم الى ميناء النهر العظيم الذي يعرف اليوم باسم «جوانجشو» ، ولكن العرب كانوا يسمونه « خانفو » وهنا كان العرب وغيرهم من الاجانب يأتون في اعداد متزايدة للاتجار في البروسلين



عندما رقص الصينيون ابتهاجاً بوصول السندباد الجديد



نهاية الرحلة .. الاستقبال الرسمي في كانتون من اليسار إلى اليمين : هوانج شن وزير العلاقات الثقافية الصيني ، ليو تيانغو حاكم الاقليم ، السيد فيصل بن علي ال سعيد وزير الثقافة والتراث القومي العماني ، تيم سيفرين ، الشيخ مستحيل بن احمد المشيني وكيل وزارة الثقافة العماني .

والحرير لدرجة أن الصينيين عينوا مفتشاخاصاً بالجمارك لمراقبة المبادلات .

كان مدخل نهر بيرل متسعا ومهجوراً ، وبدا كأن الحدقة البيضاء لقمة جبل « راواشان » تحدجنا بنظرات وحيدة باهته ونحن نشق طريقنا عبر المجرى العريض ، واوينا لقضاء الليل في مرفأ مهجور لجزيرة صغيرة وكان يشاركنا قاربان اخران يرسوان بالقرب منا ، ولكن الصيادين في هذين القاربين لم يفطنوا فيما يبدو لوجودنا ، فقد كان يحيطنا الصمت المطبق .

فى ظهيرة اليوم التالى اتصلنا أخيراً بضيوفنا الصينيين ونحن مازلنا نتقدم مصعدين فى النهر ، فقد ظهر فجأة قارب حربى سريع وأخذ يبعث باشارات ضوئية ، ولم نستطع أن نقرأ رسالته ، ولكننا ببساطة رفعنا العلم الصينى والقينا المرساة فى عرض النهر ، ويبدو أن ذلك أرضى القارب فقد انطلق بعيداً عنا موغلا فى النهر .

وفى صباح اليوم التالى ، اقترب منا صندل ضخم ، وجاءنا عبر الراديو صوت بلغة انجليزية ممتازة : « كيف حالكم ؟ انا السيد / ليو من وزارة الخارجية الصينية وقد جئت من جوانجشو لاستقبلكم » ، وشعرت فوراً بالجو الرسمى لهذه اللحظة فاجبت عبر الراديو بنبرات مؤدبة « كيف حالك ؟ انا تيم سيفرين ومعى افراد طاقمى لقد جئنا من عمان لمقابلتكم » .

وبعد ذلك سحبنا الصندل الى رصيف جوانجشو حيث كان فى انتظارنا استقبال بهيج . وبذلك استطعنا النجاة من أول طوفان فى الموسم قبل ٤٨ ساعة فقط .

● ●

كان كرم مضيفينا الصينيين لا ينسى ، فقد قاموا باصطحابنا فى جولات فى جوانجشو وقدموا لنا افخر الاطعمة كما لو كنا لم نذق شيئاً طوال الرحلة ، لقد قطعنا ٦٠٠٠ ميل فى سبعة أشهر ونصف لنصل إلى هذه الوليمة العظيمة المستمرة المسماة « جوانجشو » !

وقد كان ما سر له الصينيون بصفة خاصة أن ما فعلناه يعتبر من قبيل « عمل الفريق » ، وهى صفة يقدرونها تقديراً كبيراً فى الصين ، كما أبدوا سروراً واضحاً بكوننا قد أعدنا العلاقات التاريخية التى كانت تربطهم بالعالم العربى فى عصر رحلات السندباد .

وقد حضر للاشتراك فى حفل الاستقبال الرسمى صديقى السيد فيصل وزير الثقافة والتراث القومى العمانى الذى طار على رأس وفد رسمى فى إحدى طائرات السلطان ، ووصل للترحيب بهم وفد صينى رسمى من بكين .

وعندما جاء دورى للحديث فى حفل الاستقبال ، شعرت باحاسيس من الأسف ، فها قد جاءت اللحظة التى لن يعود بعدها رجالى يكونون فريقاً واحداً ، لقد حققنا ما قمنا لتحقيقه ، تتبعنا خطى السندباد عبر ربع المسافة حول العالم ، والآن وصلت مغامرتنا الى نهايتها .

و « صحار » أيضاً قد أتمت الغرض الذى بنيت من أجله وسرعان ما سوف تنقل على ظهر إحدى السفن الى مسقط لتعرض هناك كالمتحف ، لقد كان التحمس والكرم الذى أبداه سلطان عمان وشعبها بالاضافة إلى دقة الرجال الذين بنوا « صحار » وأبحروا بها سبباً فى جعل رحلات السندباد حقيقة واقعة ، والآن ، سوف تصبح هذه الرحلة ، مثل رحلات السندباد السبع ، مجرد حكاية أخرى ●

عن مجلة ناشيونال جيوجرافيك عدد يوليو ١٩٨٢

ترجمة : محمد العزب موسى

مع الفنانة الفلسطينية
لطيفة عبد الرحمن

أصبح الواقع الفلسطيني مرتبطًا بروح كل فنان عربي

حوار: بشرى ناصر



فتاة من فلسطين

لطيفة يوسف عبد الرحمن ..

فنانة تعمل بصمت .. ليس من ثمة صخب غير الذي يعتمل في وجدانها .. طموح واحلام وشحنات من الدفق الحي .. وكثير من قلق وتوتر ..

إنه اغنيتها وانشودتها .. تناجيه بالريشة وتمتلىء امامه بالحزن المتفجر ..

من مواليد فلسطين .. من منطقة «أسدود» ، ومن عرف فلسطين وعاش فيها .. تفتحت عيناه على الخضرة والبرتقال .. وساهم في مواسم الحصاد .. ونزف عرقا وهو يحرث الأرض في عشق ، لا تضيع رائحته من الذاكرة .. لن يستطيع إلا أن يظل في ملحمة طويلة من العشق وزاد من الذكريات العذبة .. والأمل الرائع في الولادة الجديدة على الأرض .. الام .

لطيفة يوسف عبد الرحمن - صورة للانسان الذي أبصر الرؤية في مخيمات اللاجئين ..

اشتغلت بالثورة والتمرد منذ الطفولة .. لذا فقد أصرت على إكمال دراستها حتى المرحلة الثانوية في خان يونس ..

ولم ينطفىء التطلع والتحدي من اجل أن تختط الطريق .. التحقت بمعهد المعلمات والفتيات الفلسطينيات في (رام الله) بالضفة الغربية ..

حصلت على التخصص سنة ١٩٦٧ في التربية الفنية .

لم تكن دراستها اكاديمية فقط .. وإنما كانت فترة خصبة ، إذ حصلت على جوائز عديدة في الخط والرسم طوال فترات دراستها ..

بعد التخرج تقول لطيفة :

حزمت امتعتي وغادرت إلى البحرين .. وعملت كمدرسة للمرحلتين الاعدادية والثانوية حتى سنة ١٩٧٠ .. وجئت إلى هنا .. لم أركز على التدريس فقط .. بل شاركت في العديد من الجمعيات باعمال بيعت لصالحها .. ومازلت أشارك سنوياً في معرض التراث الفلسطيني .. واخيراً قدمت مساهمات في معرض الفن التشكيلي الفلسطيني بمناسبة اسبوعنا الثقافي عام ١٩٨٢م ..

وأسأل الفنانة لطيفة :

كثيراً ما نسمع عن المدارس الفنية والأساليب المتنوعة التي يتبعها الفنانون ... ترى لأية مدرسة تنتمين ؟

- كل مدرسة لها لونها الخاص بها .. بالنسبة لي ، فانا أميل للمدرسة التأثيرية ، لأن الانسان مهما كانت طاقاته الفنية لا يستطيع أن ينتمي للواقعية التي حاولت أن انتمي إليها فوجدت عجز الانسان عن



لوحة تعبر عن جيل التحرير وكله عزم واصرار

أصبح الواقع الفلسطيني مرتبطاً بروح كل فنان عربي



الوطن والأمل .. كما عبرت عنه الفنانة في هذه اللوحة .

التعبير للواقع الذي ينتمي إليه .

احاول من خلال ـ البورتريه ـ أن أعبر عن مضمون الفكرة لأن الفرد هو العنصر الأساسي في عملي دوماً .. لمشاهدتي على الطبيعة الحية ما يعانيه هؤلاء ومشاركتي ايضاً لتلك المعاناة .. ولا اعتقد أنها معاناة سهلة ..

عطاء الفنان الفلسطيني والعربي

وماذا غير ذلك ؟

بدأت أسئلتي تتوالى ، وبدأت اجوبتها

قلت لها :

● لن يستطيع الحديث عن فلسطين بصورة صادقة مثل الفلسطيني ذاته .. فهل نتحدث قليلا عن الفن الفلسطيني واهم ما يميزه ؟ .

ـ الفن الفلسطيني ذو اصالة قديمة .. ومتفرع ومتعدد .. فهناك الفخار والنسيج .. كانا يمارسان من قبل مجموعة كبيرة من الناس قديماً .. ومازال البعض يتقنهما .. وقد أصبحت الآن من التراثيات التي يعتز بها الفلسطيني لابراز هويته اينما كان .

كانت المناظر الطبيعية الجميلة في الماضي تشد الفنان الفلسطيني ليرسم البرتقال والزيتون ويرسم جرار الماء . ويوجد لدينا فنانون عديدون .. ولكن من ضمن من قدموا للعالم عدالة القضية عن طريق لوحاتهم كان اسماعيل شموط .. وهناك فنانون على مستويات مختلفة .. ولست ادرى لماذا يلفهم النسيان الآن بالرغم من اعمالهم الجيدة امثال سامية طقطق ـ هدى ميخائيل ـ توفيق عبد العال ـ كمال بلاطة ، الذى كان له اثر كبير بتعلقي بالخط العربى ..

● وهل نعطى جانباً للفن فى الوطن العربى عموماً : ماذا ينقصه .. وهل وصل لمرحلة التعبير عن الواقع المعاش ؟

ـ فى كل يوم جديد يبرز عطاء اكثر للفنان التشكيلى العربى وهو عطاء كبير وغير محدود .. لذا فقد خرج فنانون ليعبروا عن امور لا تمس المواطن ولا تهمه .. ولهذا فالمردود المعنوى للمعارض لا يكون بالصورة التى يتوقعها هؤلاء الفنانون ...

فالفن وسيلة للتعبير عن المجتمع بما يعتريه من تفاعلات وانفعالات وتغيرات من شتى النواحى .. الفن ليس كل التراث .. ولكنه رسالة حرة يجب أن تعني الكثير .

أثر الأساليب العالمية

● ما هو الأثر الراجع على العالم العربى من الأساليب الفنية العالمية والتيارات المتعددة خاصة ونحن الآن ننفتح على العالم الخارجى بكل ما فيه من حضارة وانهيار ؟

ـ اعتقد أن الأساليب الفنية العالمية المتعددة قد ساعدت الفنان العربى على بلورة افكاره بالرغم من أن الأسلوب متوفر فى اعماق كل فنان ... ولكن التكنيك والحداثة فى استخدام الخامات وغير ذلك للأسف مازال يقدم لنا على طبق من ذهب من الغرب .. بالرغم من قدرتنا على ذلك .. ونحن نمتلك ما نملك من اصالة وقدم يذكرنا بتراث غنى جداً فى كل مجال ..

لذا نجد بعض الفنانين يخلطون بين هذا وذاك فى لوحة واحدة او عمل واحد .. وتكون النتيجة التخبط .. والشعور فى النهاية بعدم الرضى ..

انا بطبعى لا أميل للسريالية مهما كانت جودة العمل .. فالواقع مليء .. وغني .. فلم نلجأ للحلم والبعد والخيال ؟ طالما نحن قادرون على التعبير باسلوب ابسط واقرب للجماهير ولانفسنا ايضاً ؟

ومن يقول لندع الجماهير تصبح ذات نظرة فنية ونعودها على ذلك فهو مخطىء .. فجميع الفنانين العالميين لم يظهروا على السطح إلا من خلال اعمالهم الواضحة التى تعبر وتسجل وتذكر شيئاً . ولا اريد ان اكرر ما يعرفه الجميع عن مايكل انجلو وليوناردو دافنشى .. وفان جوخ ورينوار .. وغيرهم .. فهم لم يصلوا الى تلك الشهرة والصيت إلا من خلال اعمالهم الخالدة والواقعية والمسجلة لزمنهم ..

وثمة فنانين عرب عبروا عن مضمون يعكس للجماهير بصدق قضية ما وامنيات ما .. منهم الفنان العراقى جواد سليم الذى كان امتداداً لفنانى العراق والخليج عامة .. فى البحرين اذكر الفنان عبد الكريم العريض صاحب الشفافية والريشة الصافية ..

● ولكن .. من خلال كل ذلك .. ما هو واقع الفنان الفلسطينى ..

ـ من حيث واقع الفنان الفلسطينى فهو يتجه من خلال لوحاته للتعبير عن واقعه وماساته ، لذا فالفن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بروحه وكيانه .. وقد اصبح الآن الواقع الفلسطيني والقضية مرتبطاً بروح كل فنان عربى ودليل ذلك ما قدمه الفنان العربى جمال قطب فى لوحة قدمتها مجلة العهد موضوعها مذبحة صبرا وشاتيلا .

ما اريد قوله إن المفهوم لدى الفنان العربى واحد والقضية واحدة .. وما علينا إلا التحاور من خلال الأعمال البسيطة التى نحاول تسجيلها ...

● فى النهاية .. ماذا تحبين اضافته ؟

تقفز الاجابة من فمها جاهزة لتقول :

ـ أحاول تكريس جهدى لعمل مجموعة تمثل كل اتجاهاتى فى معرض بسيط وهذا متروك للوقت والتوفيق والعمر باذن الله .

بشرى ناصر

توهّج

شعر: شهاب غانم

وحين تعودُ إليَّ .. برغم المسافاتِ ....
أشعرُ أن التوهّجَ قد عادَ يرتادُ وجْهي
وأسمَعُ صوْتَ العصيِّ التى فى دواليبِ عمري تكسَّر
تحت التوهّجِ
تحت النجومِ التى التمَعَتْ فى عيُونِي
كما يتكسَّر عَودُ الثقاب

• •

أقبِّل جفنيك ... والبحر يفصل ما بيننا والجبالْ
فاستلهمُ البَحْرَ
أقرأ فى كل شكل له حكمةً
فأدركُ سرَّ السكونْ
وأدركُ سرَّ الهَيَاجْ
وأشهدُ للحُسْنِ فى البَدْرِ سحراً جديداً
إذا ما غَدَا فوقَ أمواجِهِ الراقِصَاتِ شَظَايَا
فأدركُ كيفَ يكونُ القلقْ
وكيف يزيد جمالَ انكسارِ جفونِك طولُ الأَرَقْ
فالثمُ جفنيك
لكن تظلّ البحارُ ... وتبقى الجبالْ
فيلهمني كلُّ طودٍ يلوحْ
معاني الشموخْ
وفلسفةَ الصبرِ والاحتمالْ

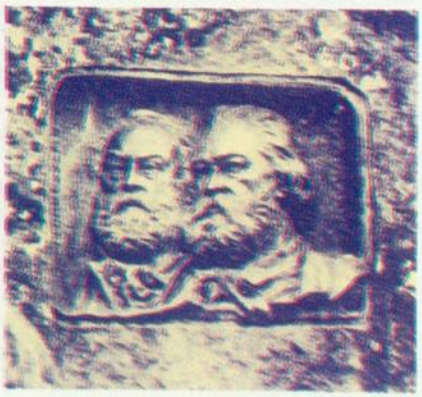
• •

وحين السواعدُ حولك تلتفُّ
يسبقهن إليك التلهفُ
حين يلينُ الزمانْ
ويأبى علينا المكانْ
فاهصر شوقَك فوق ضلوعي
واعجب كيف توحد فى ساعديَّ النقيضانِ
ـ قمة عنفي ... واقصى حناني ـ
وعندئذ لا أحسُّ بطولِ المسافاتِ .....
بالبحرِ .....
بالموجِ .....
بالليلِ .....
أو بارتفاع الجبالِ ....
هنالك ، لست أحس بغير التوهُّجِ يجتاحُ نفسي ..
وفيض الجمالْ .



شهاب غانم ـ دبى

جمال قطب



النصب التذكارى فى قرية « باربيزون » لمؤسسى الجماعة « تيودور روسو » ، وجان ميليه

جماعة باربيزون

معزوفة الطبيعة في وجدان الفنان

رأينا فى حلقة سابقة كيف بلغ الصراع أشده فى النصف الأول من القرن التاسع عشر بين فريقى الكلاسيكيين والرومانتيكيين ، حتى وصل إلى قمة التحدى فى الربع الثانى من ذلك القرن .. إلى أن ظهرت الجمهورية الفرنسية الثانية بعد ثورة ١٨٤٨ كنتيجة طبيعية لحركات القمع التى سادت فرنسا خلال حكم شارل العاشر (١٨٢٤ ـ ١٨٣٠) ، لويس فيليب من بعده (١٨٣٠ ـ ١٨٤٨) ، كما كانت لآراء « جان جاك روسو » التى نادت بالرجوع إلى الطبيعة والفطرة ، أثر كبير فى اشعال الثورة ضد الفنون الكلاسيكية .

ولكن التعنت الشديد الذى انتهجه الفنان (دافيد) فى فرض الكلاسيكية على فنانى الثورة ، أحدث رد فعل بين بعض الفنانين الشبان ، فسعوا إلى التحرر من تلك الأساليب الكلاسيكية التقليدية ، متجهين إلى تصوير الانفعالات من الأحداث التاريخية وكذلك الأحداث المعاصرة .. وتولى قيادة الدكتاتورية الفنية فى فرنسا بعد (دافيد) ، تلميذه (انجر) عام ١٨٢٥ ، وبالرغم من أن انجر قد اتجه بالكلاسيكية إلى البحث الملتزم عن (الجمال) أينما كان شريطة أن يكون مثالياً ، وتحرر من قيود الميثيولوجيات الاغريقية والرومانية التى فرضها استاذه (دافيد) ، إلا أن القيد ظل يكبل الفنانين الباحثين عن التحرر واللجوء إلى الفطرة والطبيعة وتأمل أسرار الكون من حولهم دون كلفة أو تصنع !

وما أن حل عام ١٨٣٠ ، حتى هجرت مجموعه من الفنانين الشبان باريس ، هرباً من سطوة القيود الأكاديمية التى فرضها انجر ، ولجأوا إلى قرية صغيرة تبعد عن العاصمة حوالى ٤٨ كيلومترا تدعى (باربيزون) وتقع على حدود غابة (فونتين بلو) الشمالية . وتزايدت هجرة الفنانين إلى هذه القرية فى المدة (١٨٣٠ ـ ١٨٧٥) . وتكونت منهم جماعة عرفت باسم (مدرسة باربيزون) أو جماعة الخروج إلى الطبيعة . وقام الفنانون برسم موضوعات استوحوها من الطبيعة مباشرة تتناول البحر والسماء والغابة وكل ما تقع عليه أعينهم من جماليات الكون الفسيح .

وقد اعتبرت أعمالهم خروجاً على القواعد الأكاديمية وشروطها الحازمة ، تلك الشروط التى وضعها انجر وفريق أساتذة الأكاديمية الفرنسية .

ولذلك كانت ترفض تلك الأعمال فى معارض (الصالون) السنوية ، حيث كان العرض بالصالون هو وثيقة الاعتراف بالفنان من وجهة نظر أساطين الأكاديميين آنذاك ! وما أن انتهى حكم الملك لويس فيليب عام ١٨٤٨ لتحل محله الجمهورية ، حتى شجعت الدولة (الفن الواقعي) ، ولم ترفض أعمال فنانى الطبيعة فى الصالون ، بل لقد عين بعض أعضاء الجماعة البارزين فى لجنة تحكيم الصالون السنوى فى باريس .. وسادت مدرستهم .. إلى أن تطورت بعد ذلك .. ونشأ فن جديد يعالج طريقة رسم المناظر الطبيعية الخارجية مستغلا نظريات العلوم الحديثة فى تحليل ضوء الشمس والوان الطيف .. هو المذهب التأثيرى ، الذى تحدثنا عنه تفصيلا فى لقاءات سابقة .

وقد أثرت جماعة باربيزون فن التصوير الحديث بالروائع الخالدة من المناظر الطبيعية .. وقاد اعضاؤها المصور (تيودور روسو) ـ (١٨١٢ ـ ١٨٦٧) ـ وهو المؤسس الفعلى لهذه المدرسة التى مجدت الطبيعة فى لوحات شاعرية واقعية رومانتيكية . وقد حصل (روسو) على جائزة صالون باريس عام ١٨٤٨ .. وتأكد نجاحه وتألقت عبقريته عندما خصصت له قاعة مستقلة لأعماله وحدها بصالون باريس فى المعرض السنوى العالمى عام ١٨٥٥ . وتألق جمال الطبيعة فى وجدان الناس وفى بصائر الفنانين وفى أروقة المتاحف !

وعندما تتسابق اليوم هذه المتاحف العالمية الشهيرة لشراء احدى لوحات تيودور روسو ، وتدفع الملايين ثمناً لها ، نتذكر دائماً تلك اللوحات التى كانت ترفض باستمرار من رجال الصالون والأكاديمية الفرنسية فى الفترة (١٨٣٧ ـ ١٨٤٨) بدعوى شططها وريفيتها وخروجها على قواعد الجمال المثالى ! .. ولنتأمل معاً هذه اللوحة المنشورة على الصفحة المقابلة لنرى جمال الطبيعة وسحر اللمسات وكأنها تناغم موسيقى رائع بين الأرض والسماء .



لدوحة الكبيرة : غابة «فونتين بلو » كما رسمها « تيودور » عام ١٨٤٠

من مواقف أبي علي:

شعر: حسن طلب

موقف الشذى



أوقفنى السوسَنُ فى موقفٍ : لا تَثْريبَ :
(لا خوفَ
ولا حزنَ
ولا أذىً)
أخَذَ منّى الحارِنَ الوعْرَ
وأعطانى الأغَرّ

قال : ذَا بِذَا
قلت : فيابوركتَ مُعطِياً وآخِذاً
خَلّصْتَنى من شَرَكِ البنفسجِ / العَوْسجِ
أنقذتَ حِصانى ـ إذ أتيتَ
ـ قبل أن يغرقَ فى مستنقعِ القذَى
لأنت خيرُ مَنْ أتى فأنقَذا
فقال لى :
تلك سهامٌ أصطفِى بها وأكتفِى
قلت : وسَهْمَ العشقِ كان أنفَذَا
ومال فى غَوْطَتِه
فانفتحتْ سبعةُ أبوابٍ رحابٍ
ـ واستدارتْ فوقها سبعُ قبابٍ
ـ كلُّ بابٍ خلفَ محرابٍ
وقال لى :
جَنَّةُ من يعشقُ تلكَ
حبَّذَا لو جِئْتَ

قلتُ : حبَّذا
قال : فتهدى إذا دخلتَ ؟
قلتُ : أهتدِى إذَا ..
قال : إذنْ عليكَ بالأدَبْ
قل حِطَّةٌ ثم اقترِبْ
وقال لى :
إيَّاكَ واللَّعِبْ
والسانحاتِ البارحاتِ فاجتنِبْ
قلت : أعوذُ بالشذى
من شرِّ هاذٍ إن هذَىٰ
ومن مُشَعْبِذٍ إذا ما شَعْبَذَا

فقال لى :
يالك جانِياً فعائِذَا
وقال لى :
تلك سحابةٌ ستحميكَ

فلُذْ بظلّها إن كنتَ لائِذَا
وقال لى : أراك واجفاً
فظلّ واقفاً
لكىْ تَرَى
وقال لى :
أراكَ قد عرَاك ما عرىٰ
وقال لى :
قِفْ تتلقَّ حكمةَ الشَّذَىٰ
وقال آيةً
فانطلقتْ سبعةُ أحباب شباب
وانسدلتْ من دونهم سبعةُ أحجاب عجاب
وحينما جزتُ إليهمُ الحجُبْ
عدتُ ولم أجدْ سوى سبعةِ أثواب
وقلب مذاب
فمزج الأثوابَ والقلبَ المذابَ ، قال لى :
العشقُ هكذا
وقال : ما قولك فى اثنين حميمَيْن :
دعاها .. فَدَعَتْ
واستودَعَتْ وأَوْدَعَتْ
فاستمتَعت وأمتعت
واستحوذَتْ واستَحْوَذَا ؟ !
وقال لى : الخاسرُ من حاذرَ
والفائزُ من أقبَلَ واحتَذَىٰ
وقال : تلك لذّةُ الشذى

فقلت : سعيدٌ من بلذتهِ اغتذَى
فقال : هنيئاً للذى قد تلذَّذَا
فقلت : أرانى بالشذى غيرَ عارف
فقال : إذنْ أقبِلْ تصِرْفيه جهْبَذا
فقلت : من العشاقِ من يعرفونَهُ ؟
فقال : جميعاً هُمْ ومن حذْوَهُمْ حذا
فقلت : ألا كم عارفٍ ماتَ دونَهُ
فقال : وكم حَبْرٍ عليه تتلمذَا (**)
فقلت : ذَوَتْ منذ ارْعَوَيْتَ لَقَانتى
فقال : كذا دَأْبُ الذى يرْعَوى .. كذا

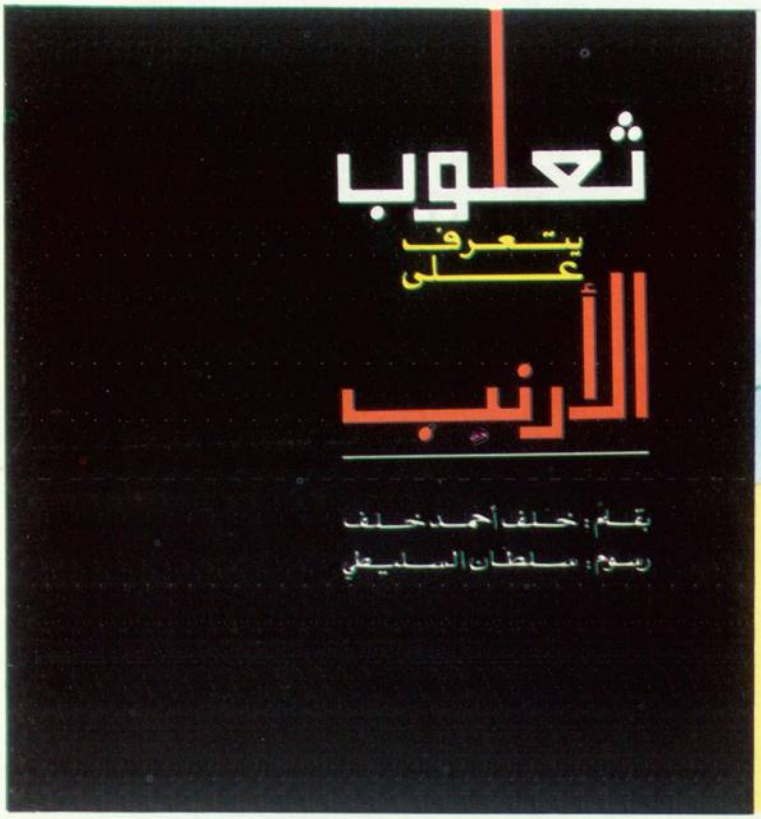
(*) الشعبذة : لغة فى الشعوذة .
(*) الحَبْر (بفتح الحاء وسكون الباء) : العالم المتمكن من علمه ، وتجمع على أحبار وحبور .

أبجديّة : م.ص

شعر : محمود صفر

تَثَاءَبَ المَكَانْ
ارتَهَنَ الزمانْ
تناثر العِقْدُ الجميلْ
وافتَقَدَ الحَنَانْ
م - محترف مطارَد
تنهَشُني الذئاب
يستبيحُ حُرْمَتي البرغُوثْ
ح - حائرْ ..
تلفظُني مَرْسَاتي
وعيْنُ المَوَاني
وقلبٌ طيّب
يبعث الحياه
م - منسحِقْ ..
محدَوْدِبُ الظهر
تلسَعُني السِّياط
ألف لعنةٍ تقتاتُ أحشائي
لا ماء ..
لا تراب ..
لا هواء
و - وحيد
إلا من الأصدقاءْ
واحدٌ تمضُغُه الرطوبةْ
وواحد تمضُغُه النعومةْ
د - دُرِّبْتُ أن أردِّدَ الكلام
أنا العظيمْ
أنا الذليلْ
ص - صار الضَّحِكُ بكَاءْ
وصرت بيْن بيْن
لا ضَحِكَ .. لا بُكَاءْ
ف - فاضت الروح
تعالىْ .. تعالىْ
احتضنيني
ر - رئتي صارت وَقُوداً وحِجَارةْ
ارفعي عنيَّ البَذَاءةْ ،،،







هذه القصة تمثل بداية الأعمال التى قدمت للطفل

رحلة نقدية
مع كتب الأطفال في قطر

من هنا .. لا من الغرب ينبغي أن نكتب للأطفال

بقلم: عبد الرحمن المناعي

قامت ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام خلال السنوات الثلاث الماضية باصدار ثمان كتب تتضمن ثماني قصص للأطفال وجهت لاعمار مختلفة . وبذلت الادارة كل جهد من اجل ابراز هذه التجربة ومحاولة إثرائها وإن كانت التجربة لم تخل من بعض السلبيات مثل عدم وجود أو وضع منهج واضح لتبنى هذه الخطة بشكل مستمر وعدم القدرة على ايصال هذه الكتب الى المنتفعين بها ، واخيراً عدم القدرة على ابراز هذه الاعمال على الصعيد الاعلامى وعدم تناولها بالنقد والتحليل على الصعيد الصحفى .

ففى ظل غزو وسائل الترفيه المتعددة وتوفرها بشكل كاسح فى كل زوايا المنزل ، يظل الطفل العربى كائناً يتم تشكيله حسب ما تزوده السوق الفنية من مواد يزداد تاثيرها ويقل حسب ثقافة ودراية والديه .

وإذا كان الكبار قد وجدوا فى التلفزيون وشرائط الفيديو مادة اسهل من الكتاب، ونموا سلبياتهم تجاه هذه الأجهزة هروباً من التعاطى الفكرى ، وجعلوا من عقولهم أداة استقبال ليس لها حق الاختيار ، فكيف الحال مع عقول متوثبة مترقبة تبحث عما وراء الشيء وتسترشد وتبحث عن الطريق الصحيح ؟!

ولو نظرنا الى واقعنا والى الجهود التى تبذل من اجل تقديم مادة مفيدة للطفل ، لوجدنا أن المحاولات قليلة جداً ، بعضها وجد لغاية تجارية بحتة ، وبعضها الآخر وجد لغاية انسانية ، وبيعيب الفئة الأولى سوء الاختيار وعدم مراعاة احتياجات الطفل الحقيقية ، بينما يعيب الفئة الثانية القصور فى عملية النشر والتوزيع ، وتظل التجربة ناقصة ما لم تصل الى الطفل بشكل بسيط .









مجموعة من كتب الاطفال التي قدمتها ادارة الثقافة والفنون وحاولت بها ان تخاطب عقلية وميول اطفالنا

ومن بين أوجه القصور فى هذا المجال افتقاد العناصر البشرية المتخصصة ، فالكتابة للطفل ليست مجرد مسالة دخول لعالم الكتابة والابداع ، فبرغم أنها تعتمد على كلمات قليلة مختصرة إلا ان وراء كل كلمة محاذير عديدة ووراء كل جملة جدل يتطرق الى النواحى النفسية والتربوية للطفل .

ومعنى ذلك باختصار أن التعامل مع الطفل يحتاج الى القلم المتفهم المدرك والى الخيال الذى يراعى نواحى عديدة والى الاسلوب الواضح الذى يختار الكلمات المناسبة لكل سن ، ثم يأتى بعد ذلك عنصر لا يقل اهمية عن مضمون الكتاب الا وهو شكله الفنى ..

وهذه قضية على جانب كبير من الاهمية حيث أن الشكل لدى الطفل يعنى جذب اهتمامه وفضوله او العكس : الالوان ، الخطوط ، الصور .. كلها تؤثر بشكل سريع على موقف الطفل .

ولا ننسى أن بعض القصص الموجهة لسن معينة تقتصر على الصور فقط ، وهذا يعنى دقة متناهية فى رسم الاحداث وابرازها بشكل يصل الى الطفل بسهولة ، ويتيح له القدرة على التصور الخاص ..

واخيراً ، وقبل البدء فى مطالعة هذه القصص لابد من الاشادة بتلك التجربة والدعوة الى بذل مزيد من الجهد ومزيد من الدقة ، ودعوة للجميع بمساندة هذه التجربة حتى تصل لغايتها المرجوة وحتى نستطيع أن نضع البديل المناسب فى الوقت المناسب امام طفلنا قبل أن تشوهه شرائط الفيديو !

رحلة نقدية
مع كتب الأطفال في قطر

عبد القادر عقيل في تجربته الأولى

هاتان حكايتان .. الحكاية الأولى تروى قصة اتفاق بعدم اعتداء يتم بين مجموعة من الطيور ، وبين الثعلب ، يقترحه ديك مغرور ، يكون فريسة للثعلب ، وتاتى خاتمة القصة على شكل نصيحة مفادها أن من يصدق عدوه يهلك .

قصة مناسبة للأطفال فى سن ما بعد العاشرة ، إلا انها تتجاوز تلك السن فى بعض جملها التى ينقصها التركيز اثناء سرد الأحداث حيث يصعب على الطفل تتبعها بسهولة .

اما الحكاية الثانية فهى حكاية سلطان يتشاءم من المطر والسحب ، وذات يوم جاءت غيمة سوداء كبيرة وحجبت ضوء الشمس ، فخرج الناس من بيوتهم فرحين ، لكن السلطان امرهم بالنفخ على الغيمة كي تذهب بعيداً ، وعندما عجزوا جميعاً ، صنع السلطان لنفسه جناحين وحاول ان يطير بهما ليبعد الغيمة ، لكنه وقع ومات .

هذه حكاية تربوية مباشرة ، حاول الكاتب من خلالها ان يقول لنا ان الحقيقة لا تخفى .

الملاحظ فى القصتين ان الرسام قد اجاد توضيح الحكاية ، ولكنه لم يراع نفسية الطفل بالنسبة للتنفيذ والالوان ، لذلك كان التنفيذ رديئا ، والحكايتان لا تخرجان عن إطار الوعظ والمباشرة .

.. وتبقى قضية الألوان

«ثعلوب» هو اسم ثعلب صغير لا يعرف غير اصدقائه الثلاثة وهم من بنى جنسه .. اصدقاؤه يضحكون عليه لعدم قدرته على التعرف على الارنب . فمرة ياتيهم بفار ومرة بكلب ، وكل ذلك لانه لا يستمع جيداً عندما يتحدث غيره ..

الكاتب استطاع ان يسرد القصة بشكل سلس بسيط ، والرسوم ساعدت فى ابراز الحكاية ، ولكن تبقى قضية الالوان .

فمهمة الرسام ليست فقط توضيح القصة وتذليل مضمونها بالصورة المناسبة امام الطفل لكى يستوعبها ويفهمها ، وإنما مهمته ان يستثير فى الطفل عالما من الالوان التى تجعله يعشق ان يرسم وان يستخدم هذه الالوان فى التعبير عن خيالاته وتصوراته الخاصة

والملاحظة الثانية هى ان هذه القصة لا تخرج عن اطار القصتين السابقتين فهى موعظة مباشرة تقريرية لا تخدم خيال الطفل ..

وللمؤلف قصة ثانية بعنوان «اجمل من قوس قزح» انتجتها الادارة ولم اتمكن من الحصول عليها .

كما ان للمؤلف تجارب عديدة فى التعامل مع الطفل من خلال المسرح ، واتمنى ان يستمر مساهماً فى وضع الأسس لتطوير فن الكتابة للأطفال .

محاولة لتقديم حكاية مرسومة

هذه القصة موجهة للأطفال فى سن الرابعة وما فوق ، تحكى عن حب راشد للحلوى وعدم تقيده بتعليمات والديه بغسل اسنانه قبل النوم ، فقد كان راشد ينام لتصحو مخلوقات صغيرة تنتقل بين اسنانه تبحث عن طعامها . وبعد ايام تحولت اسنان راشد الجميلة الى اسنان ناخرة مسوسة .. واخيراً قرر الطبيب ان يخلع بعض اسنان راشد ليخفف من المه .

فكان يصرخ متالما ولكنه هدأ حين قال له الطبيب : إن نظافة الأسنان ضرورية .

ربما حاول محمد علي الفنان التشكيلى المعروف ان يقدم للأطفال حكاية مرسومة فقط ، وان يسخر ريشته والوانه لتوصيل هذا الدرس البسيط للصغار ، ولو انه تريث قليلا لما احتاج لتلك الجمل التى اقحمت على القصة لشرحها فبعض الرسوم لا تحتاج الى شرح ، وبعضها يحتاج الى اضافة بسيطة لايصال المعنى المطلوب .

اما من ناحية تنفيذ تلك الرسوم والوانها فنعود للحديث عن الفرق بين الرسم للأطفال والرسم العادى ، فمهمة الرسام هنا واضحة جلية ، تعتمد على الاختيار الدقيق للالوان والشكل البسيط المناسب ..

ملاحظة اخيرة وهى تنفيذ الكتاب بشكل متسرع جعل منه كتابا ابعد ما يكون عن قصص الأطفال ..

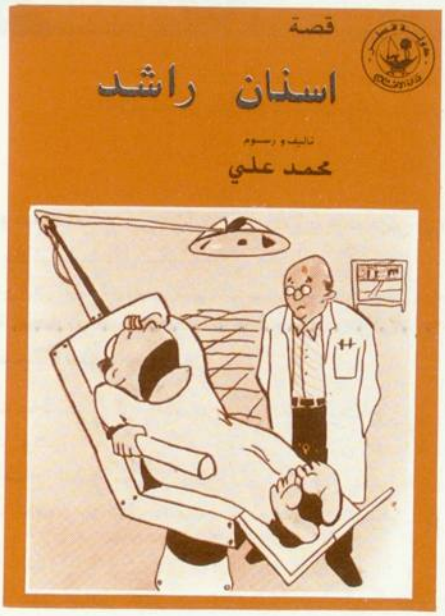
قفزة جديدة فى عام الطفل

بعد الكتب السابقة قامت ادارة الثقافة والفنون بطباعة ثلاث قصص فازت فى مسابقة اجرتها الادارة بمناسبة العام الدولى للطفل ١٩٧٩ ..

والحقيقة أن الادارة استفادت من تجربتها السابقة فقامت بتوزيع القصص على اكثر من فنان تشكيلى ليقوم بتنفيذها وجاءت النتيجة جيدة وصدرت هذه الكتب مع بداية هذا العام ١٩٨٣

وقد كانت القصة الفائزة بالجائزة الأولى هى قصة الثعبان اللعين ..

ولاشك انك تفاجا بهذه القفزة النوعية فتعتقد لاول وهلة انه كتاب اصدرته مطابع الغرب ، لروعة الوانه ، وجودة الورق « كوشيه » وجمال الاخراج ، ودقة الطباعة



فى هذه القصة حاول الفنان التشكيلى محمد علي الدخول الى عالم الطفل



القصة الفائزة بالجائزة الثانية

.. إنه كتاب مثير للانتباه يؤكد دور تلك العناصر وتاثيرها فى جذب الطفل .

الحكاية تتحدث عن سيطرة ثعبان لعين على واحة خضراء وعين ماء لا يستطيع احد الاقتراب منها ، وعندما جف بئر الفلاح عبد الله اضطر الى محاربة ذلك الثعبان بمساعدة الطيور ، واستطاع اخيراً الانتصار عليه وقتله .

لاشك ان المؤلف استحق فوزه لوضوحه وتمكنه من إبهار الطفل واثارة ترقبه ، وساعدت الالوان الهادفة للرسام فى ايصال المضمون بطريقة ودية ، وابتعد المؤلف عن المباشرة فى اسداء النصح .

وهذه النتيجة الجيدة فى التنفيذ تجعلنا نؤكد بان الاعداد والتنفيذ الجيدين لهما دور كبير فى كتب الأطفال .

ورغم ان هذه القصة تعتمد على السرد المكتوب اكثر من الصور إلا ان الشكل الجمالي للكتاب يجبر اي قارىء ـ فما بالنا بالطفل ـ على التوقف لتصفحه .

الجمال والبساطة فى سيد المخلوقات

كانت هذه القصة الفائزة بالجائزة الثانية فى المسابقة .

سمع الأسد ان سيد المخلوقات هو الانسان فغضب لذلك وهام على وجهه بحثاً عن هذا الانسان حتى تعرف عليه فطلب مصارعته ، فقال الانسان ان قوتى ليست معى الآن ، فتركه الأسد يذهب للبيت لاحضارها ، فذهب الانسان واحضر عصا غليظة ضرب بها الأسد ففر هارباً ، ولكن الأسد لم يرض بهذه الهزيمة فجمع كل أسود الغابة وهجم على الانسان الذى صعد الى الشجرة ، ففكرت الأسود فى طريقة للوصول اليه ، فاقترح الأسد ان يركب كل واحد فوق الأخر حتى يصلوا الى الانسان ، وكان هو على الأرض خائفاً من عصا الانسان . وفطن الانسان لذلك ، فما كادت الأسود تصل اليه حتى صاح «ابتعدوا عنى حتى لا تصيبكم عصاى ، دعونى اضربه مرة أخرى»، وعندئذ تذكر الأسد العصا فهرب فوقعت الأسود على بعضها وهربوا الى الغابة .

وهكذا فان الانسان هو سيد المخلوقات بعقله وتفكيره ..

وفى هذا الكتاب يستطيع الرسام الفنان محمد الصغير أن يضع يديه على نوعية الرسوم المطلوبة لتاتى غاية فى الروعة والبساطة ..

اما الحدوتة فلم تخرج باى حال عن سابقاتها من سرد بسيط لحكايات تدور اكثرها فى الغابة وتؤكد تفوق الانسان وضرورة التفكير والتعاون .

وبهذه القصة تحقق الادارة كتاباً رائع المظهر بجمل سلسلة معبرة ورسوم رائعة.

تجربة تستحق الوقوف والمقارنة

كانت هذه هى القصة الفائزة بالجائزة الثالثة ..

وهى قصة أطفال نذروا انفسهم لخدمة الناس ولخدمة مدينتهم ونظافتها ، وكونوا جمعية أطلقوا عليها اسم «الخير للجميع»

وهذه الحكاية باسلوبها الروائى المحكم وبرسومها التى حاولت بشكل واضح الاضافة الى جانب التفسير اعتبرها تجربة ثالثة مختلفة من حيث التنفيذ بحيث تستحق الوقوف والمقارنة وإن كان مضمون الحكاية يدور حول نفس الموضوعات ذات الطابع الارشادى ..

دعوة لاثراء التجربة واستمرارها

من خلال القراءات السابقة نجد ان هذه القصص برغم تعدد مؤلفيها واختلاف مشاربهم ، فكلها تدور حول موضوعات تربوية لا تخلو من المباشرة . كما انها تشابهت فى مكان الاحداث حيث كانت الغابة فى اغلب القصص مسرحاً للاحداث من هنا ارى ان تكوين قاعدة صلبة للانطلاقة بهذا الجهد النبيل لابد ان تدفعنا الى دراسة وافية للطفل وظروفه التربوية والاجتماعية ومكوناته المبكرة وتراثه الشعبى ، وذلك لاختيار المادة الملائمة له .

وبنظرة سريعة ارى ان العودة للتراث العربى (كليلة ودمنة ، الف ليلة ، قصص العرب) والتراث المحلى واختيار ما هو صالح منه يشكل مصدراً ثرياً للخيال والخصوبة ويمتزج بتاريخ لابد للطفل ان يتعرف عليه .

كذلك فان من الضرورى دراسة اساليب اصدار كتب الأطفال فى الدول المتقدمة فى هذا المجال ، واخذ ما هو صالح وملائم لطفلنا العربى فى اساليب التنفيذ ..

والمعروف أن الادارة ، قامت بشراء قصة مترجمة عن الفرنسية لاصدارها قريباً وعنوانها «صياد اللؤلؤ» .. وانا لا ارى اى مانع فى ذلك شريطة مراعاة الفروق النفسية والسلوكية بين اطفالنا واطفالهم .

واعتقد ان الخصوبة متوفرة فى تراثنا بشكل عام لنغذى طفلنا العربى بما هو مفيد ونافع ..

واخيراً .. اتمنى ان تستمر هذه التجربة وليس هناك ما يمنع من اقامة ندوة تدعى لها الادارة لتقييم هذه التجربة ووضع منهاج واضح للاستمرار فيها فلقد قدمت تلك الادارة خير خدمة للاطفال ويا حبذا لو كرست مزيداً من الجهد من اجل تدعيم هذه الأعمال ..

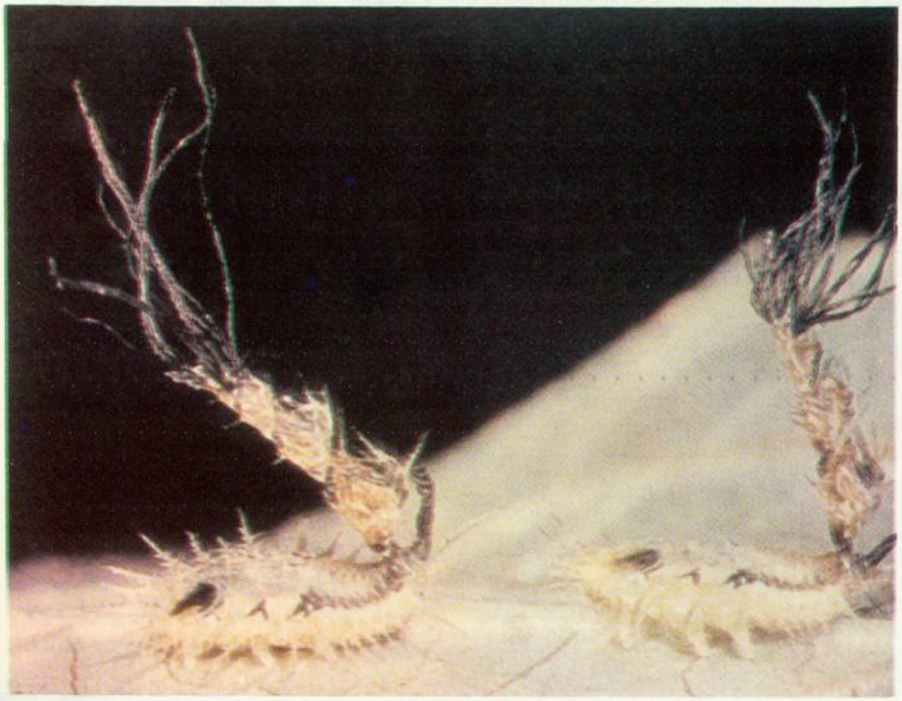
عبد الرحمن المناعى

لقطات من الكون المثير

انتحار بالنار .. على الطريقة البوذيّة!

رغم ان الاسلام يعتبر الانتحار جريمة شنعاء ، لا تدانيها اية جريمة أخرى ، لأنها هروب من الحياة ، وتمرد على شريعة الله ، رغم هذا ، فان العقيدة البوذية تعتبرها فضيلة لا رذيلة ، خاصة اذا كان الأقدام عليها من أجل هدف يخدم قضية وطنية ، والصورة توضح كيف جلس أحد رجال الدين البوذيين على رصيف شارع من شوارع سايجون ، وأضرم النار فى نفسه ، ودون تدخل من احد ليثنيه عن فعلته ، وظل مستسلماً حتى صارجثة متفحمة ، حدث ذلك في عام ١٩٦٣ احتجاجاً على الولايات المتحدة الأمريكية التي شنت الحرب على وطنه ، وكأنما النار أخف وطأة على نفسه من « نار » ظلم الأمريكان لبلده !





على ظهرها .. حملت جلدها!

من عادة اليرقات أنها تتخلى عن جلودها القديمة (كما تفعل الثعابين) ، بعد أن تكون قد جهزت جلداً جديداً أكثر مرونة فى مسايرة نموها ، ولكن هذه اليرقة التى تمثل طوراً من أطوار الخنفساء المعروفة باسم الخنفساء السلحفاة (لأنها بطيئة الحركة) ، قد حملت جلدها القديم فوق مؤخرتها ، كنوع من التمويه الذي نعرفه نحن مثلا في «خيال المآتة» لتخيف به الطيور التى تأكل الحبوب ، لكنها سبقتنا بهذه الفكرة المبتكرة منذ عشرات الملايين من السنين ، فبهذه «المظلة» المرفوعة ، تلوح فى الهواء ، لتخيف أعداءها الطامعين في لحمها ، وما أجملها من فكرة حشرية ، ولا جديد تحت الشمس ـ لو كنتم تعلمون ! .

صيد مُعْتَبَر.. وصيَّاد مُقْتَدِر!



هذه المصيدة الخضراء التى تشبه الفخ، ليست - في الواقع - إلا ورقة نبات « فينوس » الصياد للذباب والحشرات ، ولكن الورقة هنا قد تحورت لتصبح مصيدة بارعة تفتح وتغلق من خلال «تكنولوجيا» المفصلات الحية (خلايا نباتية خاصة فى محور الورقة) .. فاذا لامس الورقة كائن حي مناسب ، سارعت بغلق نصفيها على الضحية ، لتفرز عليها عصاراتها الهاضمة ، فتذيب لحمها ، وتمتصه على هيئة أحماض أمينية ، تماماً مثلما يحدث في أمعاء الانسان والحيوان ، لكن الغريب أن الورقة قد اصطادت ضفدعة صغيرة عندما قفزت بالصدفة بين شقيها ، فاطبقت عليها ، ولم تستطع الضفدعة - رغم مقاومتها الشديدة للمصيدة - أن تفلت من براثنها ، فلقد كانت المصيدة أقوى منها وأشد ، وهي بلاشك وليمة دسمة تكفيها أياماً وأسابيع قد تطول .. بقى أن نعرف أن مثل هذه النباتات تعيش على «أكل» اللحوم ، لأن البيئة التى تنبت فيها فقيرة فى المادة النيتروجينية التى تستخدم فى تكوين البروتينات ، فاستعاضت عن ذلك ببروتين حيواني ، ولهذا أكلت الحيوان قبل أن يأكلها ! .

مخبأ "مودرن" عند ظهور الخطر!



الصورة لا تحتاج إلى تعليق كثير ، فلقد استفادت الفئران من نواتج المدنية الحديثة ، والفار بطبيعته مخلوق حذر ، فاذا لم يأخذ حذره ، قصف القط أو الانسان عمره ، ولابد له عن مخبأ أمين يأوي إليه ، ويستكين فيه ، حتى يزول الخطر ، وبالصدفة رأى الانسان هذا الفار ، وشعر الفار بوطأة الأقدام ، فكان أن لجأ إلى علبة الكوكاكولا ، وأسرع بالاحتماء داخلها ، وأعجبت الانسان حيلة الفار ، فجاء بكاميرا وظل يرقب سلوك الحيوان ، وعندما برز برأسه ، ليستطلع الأخبار ، كانت الكاميرا أسرع ، فجاءت هذه اللقطة المعبرة ، وكانت هي آخر نظرة يلقيها الفار على عالمه ، فقد قتله الانسان تخلصاً من شره ، فأصبحت العلبة مقبرته ، ومنها إلى صندوق الزبالة ، فهذا هو منطق القوي على الضعيف ! .



لطفل نائم .. وحارسه مستيقظ لحمايته من أى خطر

الصداقة عند الحيوان

إذا صادَقت الحيواناتُ فهي تُصَادق عن وفاء وحُسْن نِيَّة

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

هناك حيوانات إذا صادقتك فهى تصادقك على وفاء وحسن طوية ، لا يشوبها غدر أو وقيعة . وإذا حالفتك أدت تعهداتها كاملة غير منقوصة من غير تردد أو إبطاء . وإذا عاهدتك لن تمحو الأيام ماعاهدتك عليه ، معاهدات تحترمها الأجيال جيلا بعد جيل . معاهدات لن يشوه قدسيتها مصالح فردية ولا مطامع مادية .

والصداقة بين الانسان والكلب قديمة قدم التاريخ نفسه ، فقد كان الكلب له حارساً ورفيقاً وأنيساً .

وعندما بدأ الموسيقار العالمى شوبان يكتب سيمفونيته الخالدة راح الناس يبحثون عن الفتاة المحظوظة التى سيقدمها لها ، فاذا به يهديها الى كلب صديقته المؤلفة الفرنسية « جورج صاند » .

ولما ذهب نابليون ليعيش فى منفاه لم يكن وحده . فقد فوجىء الجميع بكلبه الصغير « لوريل » يسير وراءه إلى المنفى .

قال مارك توين يوماً : « خذ كلباً ضالا جائعاً ، وأطعمه واملأ معدته ، إنه لن يعض اليد التى أحسنت إليه أبداً .. وهذا هو الفارق الكبير بين بعض الناس وهذا الحيوان الوفى الأمين»

كتبت « جين أوستن » المؤلفة الانجليزية تحكى لنا قصصاً عن هذا الصديق الوفى الذى يمشي على أربع ، وعن تعلق الانسان به وحبه له ، قالت : « كان الرسام الكبير مايكل انجلو يصحب كلبه معه ، وهو يقوم بأروع أعماله الفنية ، فقد ظل هذا الكلب الصغير يلازمه طوال عمله ، فيقفز من مكانه ويتبعه عائداً الى البيت .. » .

والكلب فى صداقته وفي أمين ... لا يعرف نفاقاً ، ولا يضمر خداعاً أو رياء ، إنما يصادق مصادقة شريفة كريمة ، شعارها الوفاء المطلق والاخلاص الكامل .. وفيما يلى بعض القصص الواقعية التى تصور صداقة هذا الحيوان وما جبل عليه من وفاء منقطع النظير .

« يحكى أن ملكاً من ملوك اليمن كان عنده كلب ، يلبسه الحرير ويطوقه بالذهب ويأخذه معه أينما ذهب ، فأحبه الكلب حباً عظيماً وفى ذات يوم تركه فى المطبخ مع الطاهى بعد أن طلب منه طعاماً معيناً .

وبعد أن اعد الطاهى الطعام المطلوب انصرف لبعض شئونه ، وفى أثناء غيابه دخل ثعبان المطبخ ، ونفث سمومه فى هذا الطعام على مرأى من هذا الكلب .

وعندما عاد الطاهى أسرع فى تقديم الطعام إلى مولاه ، فراح الكلب ينبح نباحاً متصلا محذراً سيده . ولما لم يلتفت إليه أحد اندفع نحو الطعام ، وأكله ، فمات لساعته . فبكى الملك حزناً عليه ، وكفنه فى حرير وبنى له قبراً.

يبحث عن صاحبه

ومن القصص التى تصور هذا الوفاء الكامل والاخلاص النادر ، قصة الكلب الذى ظل عدة سنوات ينتظر صاحبه ويبحث عنه

ففى يوم من الأيام سافر « سدنى » على ظهر باخرة إلى أوروبا ، بعد أن ودعه كلبه فى الميناء ، وكان الكلب كلما اقبلت سفينة من بعد ، اسرع الى الميناء وراح يتأمل الركاب القادمين واحداً بعد واحد ، ثم يعود حزيناً ، لأن سيده لم يحضر بعد .

واستمر الكلب على الذهاب إلى الميناء ، ومراقبة القادمين ثلاث سنوات ، وأخيراً جاء سيده ، فاندفع نحوه يطوف حوله ، ويلحس يده ، ويهز ذيله ، من فرط سروره بلقاء سيده .

والقصة التالية تصور عمق الصداقة ومدى إدراكه لها وتمسكه بها .

أراد أحد القصابين أن يسرق بعض الأوراق الهامة من منزل السيد باركر ، فكان كلما مر فى طريقه بباب السيد «باركر» ألقى قطعة لحم للكلب ، معتقداً أن ذلك سيسهل عليه دخول المنزل ، وسرقة ما به دون أن يتعرض له الكلب بالأذى .

وفى ذات يوم اقتحم باب بيت السيد باركر وكسره ، وتسلل إلى الداخل .

راه الكلب فى بداية الأمر ، فهز ذنبه فرحاً بصديقه ، فألقى أمامه قطعة لحم كبيرة معتقداً أنها تشغله وقتاً طويلا .

واندفع القصاب إلى خزانة السيد «باركر» لسرقة ما بها من أوراق فتبعه الكلب تاركاً قطعة اللحم ، ولما رآه الكلب يعبث بأوراق سيده ويمزقها ، هجم عليه الكلب وعضه فى رجله ، وفى أثناء هجوم الكلب سقطت ساعة المسرة على الأرض وكانت من النوع القديم غير المباشر ، فاندفع الكلب نحوها ، وأخذ ينبح نباحاً شديداً ، وكان القصاب يسب ويلعن بصوت عال ، من شدة الغضب والألم . وعندما سمعت عاملة المسرة هذا الضجيج فى أثناء سؤالها عن الرقم المطلوب ، لم تتردد فى إبلاغ البوليس بما سمعت ، فجاء من فوره وقبض على القصاب وأخرج من ثيابه الأوراق التى سرقها .

وكأن هذا الكلب أراد أن يقول له :

آسف يا سيدى .. مهما أعطيتنى من لحم وعظم ، فان ذلك لن ينسينى واجب الوفاء نحو صاحبى .... لن أقبل رشوتك مهما كانت من لحم وعظم .

ويروى أيضاً أن أحد المصورين اقتنى كلباً ، وكان يلحظه دائماً بعنايته ورعايته فلما مرض هذا المصور ، ونقل إلى المستشفى ظل الكلب واقفاً أمام باب المستشفى لا يبارحه ، وعندما مات سيده ، تبع الكلب نعش صاحبه ، وشيعه إلى مقره الأخير ، وظل ممتنعاً عن الطعام ستة أيام متتالية ، حتى مات بدوره حزناً على سيده .

هذه صور متباينة وحوادث واقعية تصور صداقة الكلب للانسان وما عرف عنه من اخلاص ومودة ووفاء .

التمساح وطير الزكزاك

ويوجد تحالف آخر يثير الدهش حقاً بين التمساح وطير يدعى « زكزاك » ولقد سمي بهذا الأسم نسبة إلى الصوت الذى يصدر عنه .

لقد أنس التمساح لهذا الطير من قديم الزمن ، فتوطدت بينهما أسباب الصداقة حتى أنك ترى هذا الطير يدخل ويخرج من فم التمساح فى طمأنينه بالغة كأنه فى عقر داره . يدخل هذا الطير فم التمساح ، ليلتقط فضلات الطعام من بين أنيابه ، والتمساح راض عن ذلك كله دون أن يفكر فى التهامه .

ولعله يرى فى التهام هذا الطير الصديق مظهراً من مظاهر الغدر والخيانة ، وإن كان التمساح فى طبيعته لا يتورع عن هذا الغدر .

ولكن للصداقة حرمة وللتحالف حقوق وتقاليد !!

وطير الزكزاك يقدر من التمساح صداقة فيبادله صداقة بصداقة ، ومودة بمودة ، ويقدم له أجل الخدمات ، وهل هناك أجل وأعظم من أن ينذر التمساح بالخطر المحدق بحياته قبل وقوعه .

فهذا الطير يتبع عادة التماسيح فى رحلاتها عبر الأنهار طالباً للقوت ، فاذا ما شاهد صياداً مقبلا أو خطراً بالتمساح ، أسرع إلى انذاره بأن يصدر صفيراً حاداً يدرك التمساح معناه ، فيسرع إلى الاختباء أو يتخذ الحيطة اللازمة .

وتذكرنا صداقة التمساح بطير الزكزاك بصداقة أخرى قائمة بين حيوان يعرف باسم « وحيد القرن » ، وطير آخر .

لقد تحالف الحليفان من زمن قديم وتعاهدا معاً على خير كل منهما ، وقامت بينهما معاهدة صداقة ، لأن الحشرات تضايق هذا الحيوان الضخم ، وهو لا يستطيع مطاردتها مع كبر جسمه . لهذا تحالف مع هذا الطير واعطاه امتياز الهبوط على ظهره والسير ببطء ليلتقط الحشرات ويتغذى بها كيفما شاء .

وفى سبيل ذلك نصت معاهدة التحالف والصداقة على أن يقوم هذا الطير بانذار هذا الحيوان كلما رأى صياداً أو وحشاً جاء من بعد .

القط والفأر صديقان

ومن أمثلة صداقة الحيوان لأخيه الحيوان ، صداقة قرد ورخ فى حدائق الحيوانات بلندن . لقد عاش هذان الصديقان فى توافق وتفاهم مدة طويلة ، وبالرغم مما بينهما من اختلاف لم يتشاجرا .. وكثيراً ما حمل الرخ صديقه القرد الى جهات عديدة .

ومن أغرب ما ذكره مدير متحف التاريخ الطبيعى فى كندا أنه وضع قطاً صغيراً مع فأر صغير فى قفص واحد ، فشبا معاً ، وأكلا وشربا معاً ، وغفت عيونهما معاً ، ثم نقل القط الى قفص آخر ، وأقصي الى جهة أخرى بعيداً عن زميل صباه . فما كان من الفأر إلا أن انكمش فى قاع القفص ، وبدت عليه علائم الحزن والانقباض ، وامتنع عن تناول الطعام ، وظل كذلك إلى أن أعيد اليه القط ، وبعد فترة طويلة ، فارق الفأر الحياة بحكم الشيخوخة ، فحزن عليه القط حزناً شديداً وظل يموء أسبوعاً كاملا بغير انقطاع .

وروى أحد الرحالة أن غزالا كان يأوى إلى مغارة فى جبل فتبعه ، فرأى وعلا بداخل المغارة لا يستطيع المشي ، ورأى مع الغزال عنقوداً من العنب وهو يلقيه فى فم الوعل .

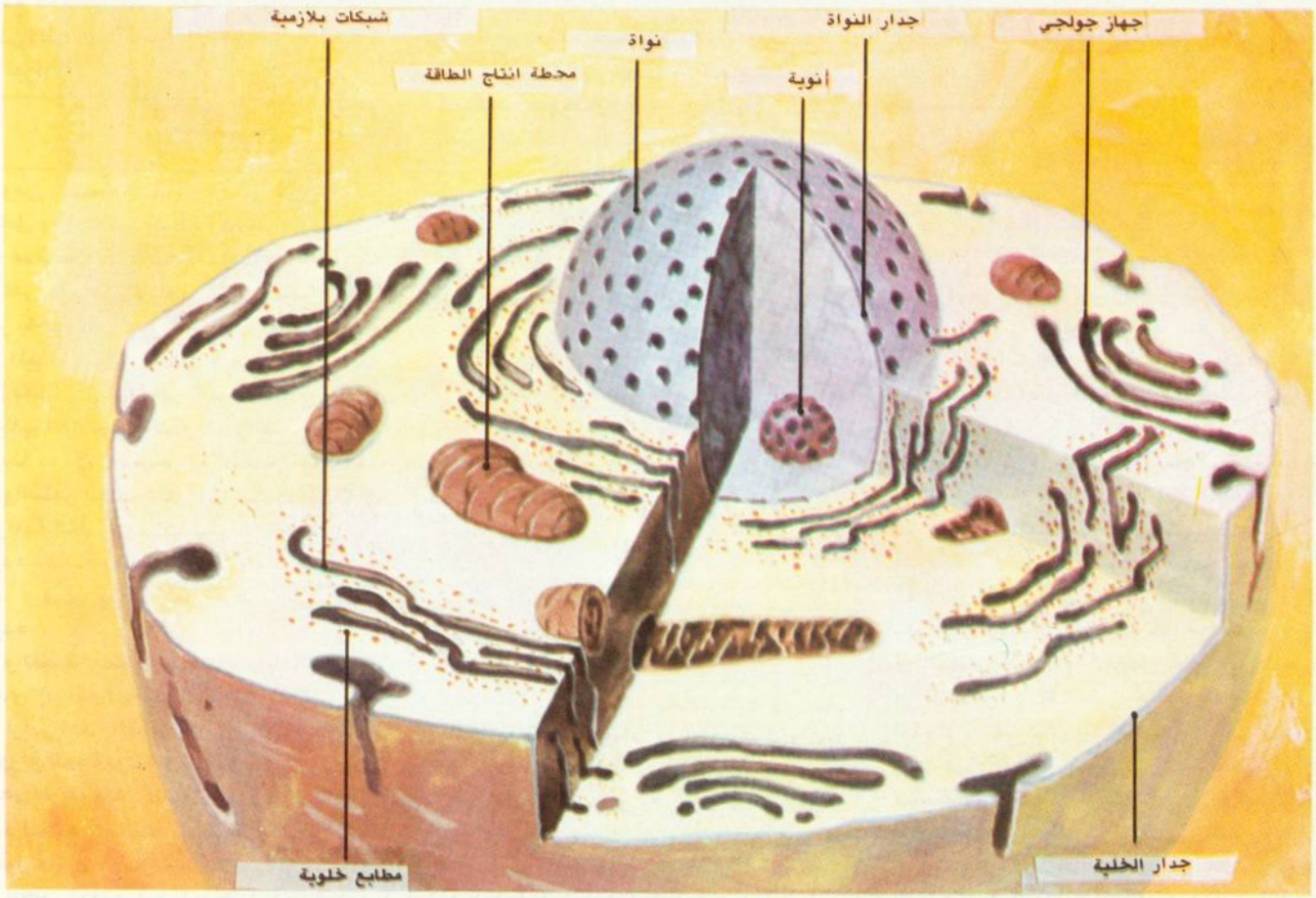
ويحكى أيضاً أن أحد الرحالة كان جالساً ساعة القيلولة وأمامه طعام يأكله ، وإذا بكلب يختطف رغيفاً ويعدو ، فتبعه حتى انتهى إلى مغارة ، فاذا فيها كلبة قد عجزت عن الحركة ، فجعل يكسر الرغيف ويضع كسرة فى فمها ، فتعجب الرحالة وانصرف .

سبحانك ربي !؟ .. حتى هذه الحيوانات علمتها الصداقة والوفاء ... زدنا من هذه الصداقات لنهرع إليها فى المحن ، ونستظل بها فى صحراء الحياة ، فنحن أحوج إليها ، لكى نحقق الحب والسلام على الأرض .

د . عز الدين فراج

توحّد الخلق.. في فكرة.. ثم شفرة!

بقلم د. عبدالمحسن صالح



شكل (١) رسم توضيحى لخلية على مستويات مختلفة ومؤسس على ما راه العلماء بالميكروسكوب الضوئى والاليكترونى ، وفى وسط الخلية توجد النواة التى تحتوى على اشرطة مبرمجة (لا تظهر هنا بطبيعة الحال) ، وحول النواة مرافق الخلية المختلفة التى تدير بها شئون عالمها الدقيق ، ويحيط بالسيتوبلازم (او مادة الخلية الحية) جدار او غشاء رقيق ليحفظ لها مادتها ، ويحدد شكلها ، ولا تختلف خلايا المخلوقات عن بعضها البعض كثيراً فى هذا الاطار العام .

كل كائن حي من تراب .. والى تراب يعود ، وعلى هذا المبدأ العام ، لا يختلف اثنان .. لكن الاختلاف يجيء فى التفاصيل والعلم بهذه التفاصيل يحتاج الى حواس غير حواسنا ، أو عيون غير عيوننا ، لأن العين البشرية قاصرة عن رؤية عوالم كثيرة خافية ، اذ لو اعتمدنا عليها فيما ترقب وترى ، لغاب عن مداركنا ما انطوى عليه الخلق من نظم قدرت تقديراً مذهلا .

فنظرة العين الى التراب وما طوى ، أو إلى اللحم وما حوى ، أو الى الدم والنطف والانسجة والالياف والخشب ، وغير ذلك من مكونات شتى ، غير نظرة العلماء اليها « بعين » المجهر الذى يكبر الاشياء وعشرات الالاف من المرات ، وكلما كان التكبير أكبر ، ظهرت التفاصيل أكثر ، وتجلت لنا أكوان دقيقة من داخل أكوان ادق ، من داخل أكوان أدق وأدق !

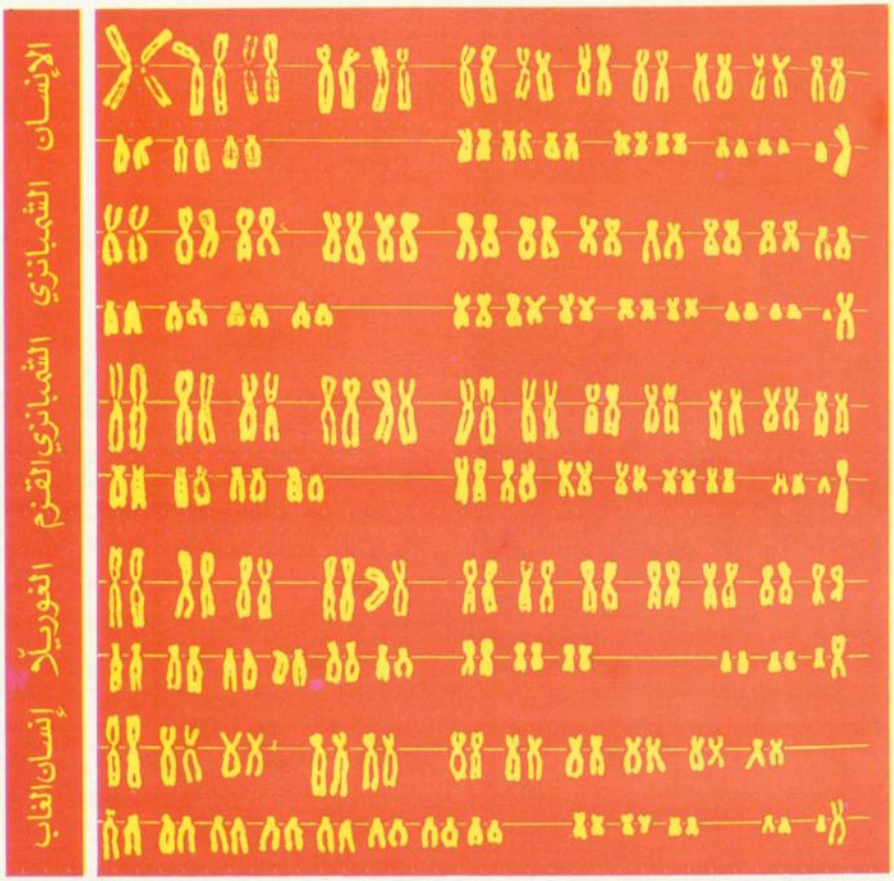
وبالعين نرى المخلوقات المنظورة متباينة فى التكوين ، ومختلفة فى الأشكال ومتعددة فى الألوان ، ولهذا قسمها العلماء الى رتب وعائلات وأجناس وأنواع .. لكن هذا الاختلاف الظاهرى سوف يتلاشى بالتدريج ، كلما نظرت الى أصول الخلق

بالتفصيل .. فتشريح الكائنات الحية .. هو أول خطوة متواضعة فى رؤية بعض التفاصيل ومنه يتضح أن هناك أعضاء أو مرافق فى الكائنات الحية .. ولكل عضو أنسجته ، والأنسجة متشابهة فى الحيوانات الثديية أو ما دونها الى حد كبير ، لأنها تؤدى نفس العمل .. ففكرة نسجة لجهاز الهضمي ، قد جاءت لتهضم وتمتص ، وأنسجة الجهاز العصبى لتحس وأنسجة الكلى لترشح ، وأنسجة الرئتين لتتنفس ، والعضلات لتتحرك ، ولا يختلف ذلك في الانسان عن الحيوان .. ويعني هذا أن تلك الأنسجة لها بدايات مشتركة ، وأصول موحدة وجذور متوارثة يعرفها العلماء من خلال عمليات التشريح المقارن بين الكائنات .

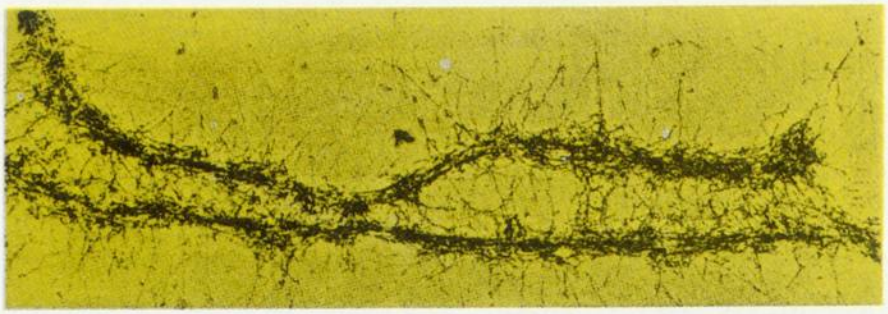
وعند حدود الأنسجة ، تتوقف كفاءة العين البشرية ، فلا تكاد بعدها ان ترى شيئاً مذكوراً ، لكن « عين » المجهر تكشف لنا مزيداً من التفاصيل ، وتوضح ان كل نسيج يتكون من خلايا .. أو بمعنى أعم نرى وحدة الحياة هنا ممثلة فى خلية ، أى ان كل المخلوقات من خلايا ، ولا يختلف فى هذا الميكروب عن الحشرة عن الدودة عن النبات والحيوان والانسان .. فالكل ينشأ من خلية ، وفيها توحدت فكرة الخلق من البداية الى النهاية .

تحديات كبرى

لكن ليس معنى ذلك أن الخلايا صورة طبق الأصل من بعضها ، بل هى تتخذ بدورها أشكالا وأنماطاً وأحجاماً مختلفة ، لأنها تؤدى وظائف مختلفة كذلك ، لكن ما هو السر الكامن وراء هذا التنوع الهائل على مستوى الخلايا ثم الأنسجة ثم المخلوقات ثم الأنواع ؟ .. وهل يمكن ان ينشأ هذا الطوفان الدافق من كل سلالات وأجناس الكائنات من أصل واحد ، أو خلية أولى كانت هى بمثابة « آدم » الخلايا التى اشتقت من أصلها كل هذه السلالات الخلوية التى يرقبها العلماء بالميكروسكوبات ليل نهار ؟ ... واذا كان هذا صحيحاً ، فما هى الفكرة الموحدة التى تشترك فيها جميعاً ؟ .. ثم كيف تتميز الخلايا فى الكائن الواحد ، رغم انها نشأت من خلية واحدة ملقحة ؟ .. وما هو



شكل (٢) خريطة الكروموسومات لكل من الانسان وعائلة القردة العليا .. ان فكرة الخلق فيها جميعاً واحدة ، كما أنها قد جاءت أزواجاً ، وكل زوج متشابه تماماً ، لأن أحدهما قد جاء من الذكر ، والآخر من الأنثى ، وهما يمثلان النوع .. لاحظ ان الزوج الأخير في كل خريطة غير متشابه ، فالكبير منها يحدد الأنوثة والصغير للذكورة . وطبيعى أن تكوين الكروموسومات هنا غير واضح ، فاذا كبرنا واحداً منها بالميكروسكوب الاليكترونى لرأيناه يتكون من خيوط دقيقة مهلهلة (شكل ٢ ب) لكن .. ماذا تحوى هذه الأشرطة الدقيقة ؟ (انظر شكل ٣) .



سر الاختلاف بين أفراد النوع الواحد ، وبحيث لا يأتى مخلوق فى هذا النوع شبيهاً فى كل صفاته مع أى مخلوق آخر ؟ .. الخ .

الواقع ان مثل هذه الأسئلة تنطوى على تحديات كبرى لكل من فكر وتساءل وتأمل وتعجب ، لكن ذلك لن يزيل الحجب عن الأسرار العظيمة التى تنطوى فى خلق الكائنات ، بل لابد ان يتبع مرحلة التعجب والتساؤل ، مراحل متطورة للبحث والتجربة فى أصول الأشياء ، أو بدايات الخلق ، وهذا ما ارتضاه العلم سبيلا ، والعلماء طريقاً ، فتفتحت لهم كنوز من المعرفة الحقة ، لأنها قامت على أساس ، ولها مراجع ، ومراجعها من عند الله ، لأنها هى ذاتها آيات الله فى خلقه .. فكأنما آيات الخلق عند العلماء التجريبيين ، كمثل آيات القرآن الكريم عند علماء

توحد الخلق.. في فكرة.. ثم شفرة!

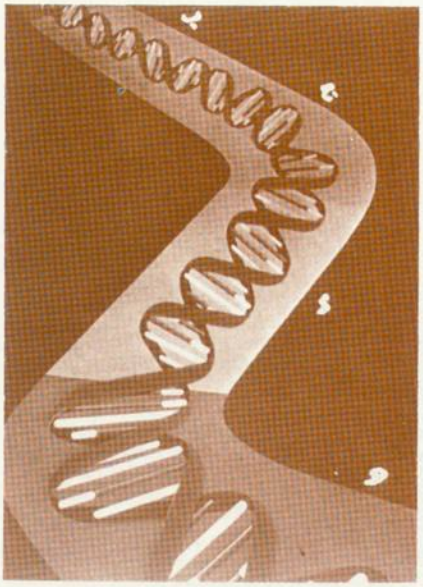
المسلمين ، وكلها من عند الله ، وكل يتدبر على حسب تخصصه ومستواه ، « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .. وكذلك « آيات » الخلق ، اذ لو كانت من عند الله ، لوجد العلماء التجريبيون فيها اختلافاً كثيراً .. صحيح ان الاختلاف فى الظاهر ، لكن الفكرة الموحدة فى الخلق تكمن فى الباطن .

ولظاهر الخلق علماء ، وكذلك للباطن ، والخلايا ذاتها لها ظاهر وباطن ، ولكى نطلع على الباطن ، فلابد من تشريح الخلية ، وللتشريح على مستواه الدقيق وسائل ، إما بالرؤية من خلايا «عيون» المجاهر ، أو بالتحليل الفيزيائى لكل مالا تستطيع وسائل الرؤية اظهاره ، ثم لابد من التدليل على ذلك بتجارب هادفة ، ليتحقق القول بالعمل ، أو النظرية بالتطبيق ، وهذه سمات المنهج العلمى الأصيل .

وبدون الدخول فى التفاصيل ، نقول أن العلم قد حقق فى هذا انجازات هائلة ، وفتح عقولنا على أسرار مذهلة ، وبها عرفنا كيف نشأت الحياة من « سلالة طين » .. لكن قبل أن نتعرض لأصول النشأة الأولى كان لزاماً علينا ان نرى ما تمخضت عنه بحوث العلماء عند تشريح الخلية .. أية خلية تشاء من أى مخلوق تريد ، ولا تختلف التفاصيل كثيراً فى مملكة الحيوان عنها فى مملكة النبات ، وبهذا نستطيع أن نوضح الاجابات الواضحة ، على الأسئلة السابقة .

للخلية ظاهر وباطن

فكما تنطوى المخلوقات على ظاهر وباطن كذلك الحال مع الخلية ، فلها شكل مميز يحدد طبيعتها ووظيفتها فى الأنسجة التى تحتويها ، ومع ذلك فهى تشترك فى أمور جوهرية .. منها غلاف أو جدار رقيق غاية الرقة ، ليحفظ لها استقلالها ومادة حياتها ، ومنها السيتوبلازم الحى الذى تنتشر فيه مرافق متخصصة ، وكأنما هى بمثابة الادارات الفرعية فى دولة من الدول ، ومن التآلف والتناسق بين هذه الادارات الكيميائية ، تتوازن العمليات المختلفة فى



شكل (٣) نموذج مبسط لجزء من الشريط الوراثى وهو يبدو كضفيرة مجدولة ، او سلم حلزونى ، يحتوى على درجات كيميائية متتابعة ، وفيها تكمن الشفرة الوراثية ، والشريط مقسم الى مقاطع أ ، ب ج ، د .. الخ ، وكل مقطع يمثل جينة عليها معلومات وراثية محددة سوف تترجم فيما بعد الى عملية كيميائية .

« ملكوت » الخلية الدقيق الحجم ، والعظيم الشان ، لكن ذلك قد لا يهمنا الآن بقدر ما يهمنا أن نعرف ان هذه الادارات محكومة برئاسة عليا هى النواة ، وهى التى تهيمن على كل ما حولها من مرافق مختلفة ، أو جماهير جزئية متفاعلة (شكل ١) ، فرغم دقة حجم الخلية ، الا انها تحتوى على بلايين فوق بلايين من الجزيئات الأساسية العضوية اللازمة لتسيير دفة الحياة فيها ، ولا يدخل فى هذا جزيئات الماء والأملاح غير العضوية ، فهذه وحدها تتجاوز مئات الالآف من ملايين الجزيئات !

وطبيعى أن هذه الجزيئات تتكون أساساً من ذرات ، ولو اننا أحصينا عدد الذرات فى بويضة الانسان الملقحة لبلغ عددها ما يربو على ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ (أى مائة مليون مليون) .. وهناك ـ بطبيعة الحال ـ خلايا أصغر أو أكبر حجماً من البويضة ، فالخلية البكتيرية التى يبلغ طولها جزءاً من ألف جزء من المليمتر ، وقطرها ثلاثة أجزاء من عشرة آلاف جزء من المليمتر ، تحتوى على مائة ألف مليون ذرة تتآلف فى عشرات الملايين من الجزيئات من كل نوع وشكل وحجم ، فكأنما نحن فى الواقع أمام عالم من العوالم المفعم بالأسرار والألغاز والعمليات المنظمة ادق تنظيم ، والمتوازنة أعظم توازن ، والمنضبطة تمام الانضباط ، ولن يتأتى ذلك الا بادارة خلوية حازمة ـ هى نواة الخلية !

وكما كان للخلية ظاهر وباطن ، كذلك تأتى النواة بظاهر وباطن .. اما ظاهرها فينبىء بسور أو غلاف يحدد لها شكلها ، ويهيىء لها سكناً ومقاماً ، لتتفرغ للرسالة الكبرى التى تدير بها شئون عالمها ، وأما باطنها فلن يظهر الا اذا ارادت الخلية ان تكون نسخة من ذاتها ، وعندئذ نشاهد تمثيلية رائعة ، قسمها العلماء الى فصول خمسة ، وفى كل فصل نرقب احداثاً متلاحقة ، والحديث فى تفاصيلها قد يتشعب ويطول ، ولن نتعرض لها هنا ، لكن يكفى ان نشير الى ان هذه الأحداث متشابهة فى خلايا كل الكائنات ، لأنها جميعاً تنمو من خلال عمليات الانقسام التى تسرى بحساب ومقدار .

وفى هذه التمثيلية يظهر « ممثلو » الخلية على « خشبة » المسرح ازواجاً لزواجاً ، وما الممثلون هنا الا تكوينات دقيقة تعرف باسم الكروموسومات أو «الصبغيات» وسميت كذلك لأنها تمتص الأصباغ التى يعامل بها العلماء الخلايا ، علها تظهر تحت الميكروسكوبات بتفاصيل لوضح ، وهى تسمية قديمة وغير موفقة على أية حال ، لأن هذه الكروموسومات ليست الا « اشرطة » الحياة الدقيقة التى طويت طياً متقناً ، لتتخذ هذه الأشكال التى تشبه العلق أو الدود الصغير

وبهذه الأشرطة نبدأ

كأنما نحن ـ فى الكشف عن اسرار الحياة ـ كمن يمسك بين يديه بعدة صناديق متداخلة ومتراكمة ، وكلما فتح منها صندوقاً ، وجد فى داخله صندوقاً أصغر فأصغر فأصغر .. كذلك تظهر الأنسجة متراكبة من خلايا أصغر ، وفى داخل الخلايا أنوية أصغر ، وفى داخل الأنوية كروموسومات أصغر ، وفى داخل الكروموسومات أشرطة أصغر ، ولاشك أن الأشرطة تحتوى على نظم أصغر وأصغر ، وهى بالفعل كذلك ، لكن دعنا من ذلك الآن ، وسوف نعود اليها بعد قليل ، بعد توضيح الأسرار التى غابت عن مدارك الأجيال

السابقة ، ليتبين لنا فكرة الله فى خلقه ، فلكل شىء أساس « ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون » .

فالنواة ـ فى الحقيقة ـ بمثابة مكتبة كيميائية ضخمة تضم بلايين المعلومات ، وهذه المعلومات مرتبة وموزعـــة على كروموسومات ، والكروموسومات اشـبه « بالدوسيهات » أو الملفات ، ولكل نوع من الكائنات عدد ثابت ومحدد من البداية فى البويضة والحيوان المنوى .. فاذا تلقحت البويضة فى عملية التزاوج ، فذلك يعنى اجتماع النسخ أو الملفات التى تمثل الذكر والأنثى فى تكوين واحد ، وهنا تبدأ بداية كل مخلوق فى أى نوع من الأنواع .

ان الحيوان المنوى الخاص بالنوع الانسانى يحمل فى رأسه خطة العمل الموزعة على ٢٢ كروموسوما ، زيادة على الكروموسوم المحدد للجنس ، وكذلك الحال فى بويضة الأنثى .. فاذا تجمعت حصيلة ذاك مع تلك ، نتج ٢٢ زوجـــاً من الكروموسومات ، وكل زوج منها متشابه تماماً ، عدا الزوج الخاص بتحديد الجنس (شكل ٢) .. وطبيعى أن أى كروموسوم فى أى زوج من هذه الأزواج ، يعبر عن نفسه ، ويترجم معلوماته ، ويحولها الى خطط عمل وراثية ، لكن قد يكون التعبير فى احدهما ، أقوى من التعبير فى الآخر ، فتسود صفة أو صفات على الأخرى ، وهنا نقول أن احد الصفتين سائدة ، والأخرى متنحية ، ومن حصيلة التعبير الوراثى ، تأتى أفراد النوع الواحد مختلفة الألوان والأصوات والطباع والأشكال والبصمات والبروتينات .. صحيح أن السمات العامة تحمل صفات النوع ، فيكون الانسان انساناً ، والقرد قرداً ، والحمار حماراً ، والتفاح تفاحاً .. الخ .. الخ . لكن هناك اختلافات فى التفاصيل الدقيقة ، وهى اختلافات ظاهرة وباطنة .. فأما الظاهرة فهى الشكل العام للمخلوق ، وأما الباطنة فتكمن اساساً فى التكوين الجزيئى للخلية أو النسيج ، ويتضح ذلك تماماً من نقل عضو أو نسيج من مخلوق ، وزرعه فى مخلوق آخر من النوع نفسه ، وعندئذ يتعرف الجسم على الأنسجة أو الخلايا الغريبة ، ويجهز لها ترسانة من قوته الدفاعية ليزيلها من ملكوته ، وكأنما هو يحس أن « لغتها » مختلفة عن لغة جزيئاته التى صنعها على هواه ، وبخطته الوراثية التى لا يشاركه فيها أحد سواه !

والواقع ان كل كروموسوم بمثابة اشرطة ملفوفة ومكدسة بالخطط والمعلومات .. ولكل خطة وراثية جزء محدد على الشريط ، وهذا الجزء نسميه « جينـــة » أو مورثة (شكل ٣) لأنها تقوم بترجمة خطتها لتصنع بها جزيئاً بروتينياً يدخل فى تشكيل الحياة ، أضف الى ذلك ان الجينات لا تشتغل هكذا على هواها ، بل هى محكومة بجينات أخرى تسيطر على عمليات التشغيل والايقاف على الشريط أو الأشرطة ، كأنما لسان حالها يقول « ابدأ من هنا » .. أو « توقف هناك » .. أو « اسرع » .. أو « تباطأ » .. كل هذا يتوقف على حجم العملية ، أو على أنواع الجزيئات التى تحتاجها الخلية !

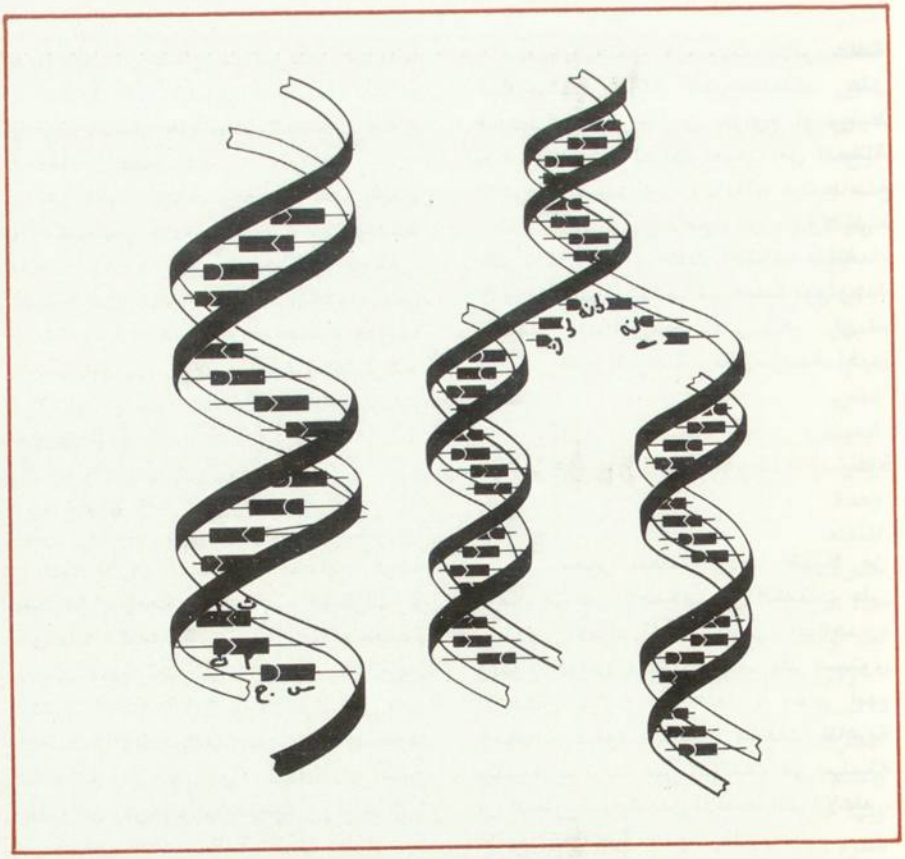
ان الأمر يبدو فى النواة وكأنما هو بمثابة واحد من « العقول » الاليكترونية التى عرفناها حديثاً جداً ، ذلك ان كل الخطط الوراثية مبرمجة على اشرطتهـــا الدقيقة ، ليس ذلك فحسب ، بل ان التوقيت الزمنى مبرمج أيضاً ، وكأنما هى تحمل معها ساعة ايقاف وتشغيل بيولوجية ، وبحيث تسير العمليات محددة بالزمان والمكان ، ويتضح ذلك تماماً فى عمليـات انقسام الخلايا ، وظهور الأنسجة والأعضاء أثناء تكوين الأجنة ، لكن هذا موضوع آخر ينطوى على متاهات من فوق متاهات .

شفرة البرمجـــة

والذين ينظرون الى أنواع الكائنـــات بعيونهم المجردة ، فيرونها مختلفة اختلافاً واضحاً ، فان ذلك قد لا يعنى ان كلا منها قد خلق خلقاً مستقلا ، بل تجمعها فى الخلق فكرة واحدة ممثلة فى الخلايا التى أصبحت وحدات البناء فى العالم الحى ، ورغم أن الخلايا قد تتخذ اشكالا واحجاماً ووظائف مختلفة ، الا انها موحدة فى المرافق الأساسية التى تخدم كل خلية ، لكن هذا التنوع الهائل على مســـتوى المخلوقات والأنسجة والخلايا والنوى والكروموسومات والجينات ، تجمعه فى النهاية فكرة الشريط الوراثى الموحد بين كل المخلوقات .

فلو انك نظرت بالميكرسكوب الاليكترونى الى شريط من فيروس أو ميكروب أو دودة

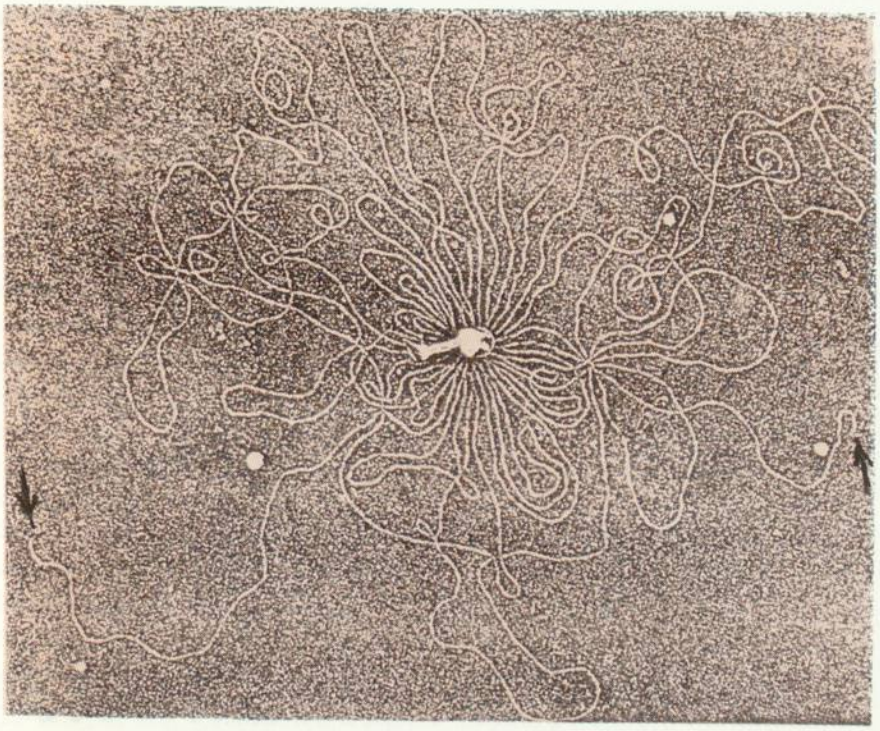
شكل (٤) يوضح كيف أن الشريط الوراثى المجدول (الى اليسار) يصبح شريطين : الى اليمين بعد أن ينشق طولياً ، فيكمل كل شق نفسه بالشفرات المناسبة (أى « ا » تلبس فى « ث » ، و « ج » فى « س ») .



لو سمكة أو أى نوع من أنواع النبات والحيوان ، بما فى ذلك الانسان ، فانك لا تستطيع أن تحدد الى أى نوع من الكائنات ينتمى هذا الشريط أو ذاك .. مثلها فى ذلك كمثل اشرطة التسجيل التى نعرفها حق المعرفة ، فلو أن زيداً من الناس قد امسك ببضع اشرطة بين يديه ، وسألك ان كنت تعرف ما سجل عليها ، فقد تنظر اليه شزراً ، لأن المحتوى لا يظهر الا اذا دار الشريط على جهاز التسجيل .. وكذلك الحال مع اشرطة الحياة ، فاذا اشتغلت فى خلاياها ، تجسدت معلوماتها فى مخلوقات شتى .. مع الفرق الشاسع طبعا بين اشرطة الناس ، واشرطة الحياة ، ففيها يتجلى بديع صنع الله ، وتظهر الفكرة الموحدة فى الخلق بداية من الميكروب الضئيل ، وانتهاء بالانسان العظيم .

واشرطة الحياة لها أيضا ظاهر وباطن ، فظاهرها ما نراه بالميكروسكوبات الاليكترونية على هيئة خيوط دقيقة غاية الدقة ، والى هذا الحد تتوقف مهمة هذه الميكروسكوبات ، لأنها لا تستطيع أن توضح الباطن ، حتى ولو جاءت الأشرطة مكبرة عشرات الالاف من المرات .. والى هنا يدخل علماء الكيمياء والفيزياء بكل ما وضعه العلم بين ايديهم من وسائل متقدمة .. وبدون الدخول فى التفاصيل ، اتضح أن اشرطة الحياة جميعاً جاءت على هيئة مجدولة كضفيرة الشعر المجدولة ، أو هى اشبه ما تكون بسلم حلزونى ذى درجات متتابعة ، لكن كل الدرجات فى هذه الضفيرة أو السلم الوراثى تتكون من أربعة جزيئات كيميائية مختلفة ، وكل جزىء منها يتكون كذلك من أربعة عناصر مختلفة هى : الايدروجين ، والأوكسيجين ، والكربون والنيتروجين ، وهذه من « سلالة » الطين التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، لكنها اختيرت اختياراً حكيماً وموفقاً لتصبح فكرة مذهلة يخلق الله بها ما يشاء من ملايين الانواع من الكائنات ، وكذلك بلايين فوق بلايين من النوع الانسانى ، ودون أن يتشابه اثنان تشابهاً مطلقاً فى السمات الظاهرة والباطنة ـ عدا التوائم المتشابهة

خلق قام على أسس عظيمة ، وأحكام قويمة ، ونظم بديعة ، وافكار حكيمة ، لتنشأ على أساسها كل صور الحياة .. أفلا



شكل (٥) عندما حطم العلماء راس فيروس دقيق غاية الدقة ، خرج منه شريط وراثى لا يزيد طوله فى عالمه الحقيقى عن جزء واحد من الف جزء من المليمتر ، لكنه ظهر بهذا الطول لأن الصورة مكبرة حوالى ٩٠ الف مرة وهذا ينبئك بضالة سمك الشريط أو عرضه .. وفى هذا الشريط تتراص ١٧٠ الف درجة كيميائية ، تحتوى كل درجة على شفرتين من شفرات الحياة الموحدة فى كل الكائنات (راجع شكلى ٣ ، ٥) لمزيد من بعض التفاصيل .

يدعو ذلك الى التامل الواعى فى آيات الله .. فتقودنا الى خشوع عقلانى له معناه ومغزاه ؟ .. ان هذا ـ فى الواقع ـ ايمان العلماء لا العوام !

ان تالف الكـــربون والنيتروجين والأوكسيجين والايدروجين بنظم ذريـــة مختلفة ، قد تمخض عن جزيئات أربعة ، انتظمت بدورها فى الأشرطة المجدولة على هيئة درجات كيميائية ، جاءت بدورها لزواجاً ازواجاً ، لتصبح الشفرة المشتركة فى خلق جميع الأنواع من الكائنـــات (شكل ٣) .

والأزواج من هذه الشفرات تعنى أن شفرة واحدة ترتبط ارتباط اليكترونياً بشفرة أخرى مناسبة ، لتصبح درجة متكاملة .. ونحن نعرف هذه الشفرات أو المركبات الكيميائية الأربعة باسماء محددة .. هى أدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين ولناخذ الحرف الأول من كل مركب من باب الاختصار والتبسيط ليس الا ، ولنكتبها هكذا : أ ، ث ، ج ، س .. فاما أ ، ج فتتبع عائلة من المركبات الكيميائية ، وكذلك ث ، س تنطوى تحت عائلة أخرى مختلفـــة (اسمها العلمى لمن يهمه الأمر عائلة البيورينات وعائلة البيريميدينات على الترتيب) ، ولابد أن يتزاوج أو يرتبط مركب من هذه العائلة بمركب من العائلة الأخرى ، بمعنى أن « أ » دائما ترتبط مـــع « ث » ، وكذلك « ج » مع « س » ، ولا شىء غير ذلك ، اذ لو حدث اختلاف طفيف ، لأدى ذلك الى اختلاف فى عملية بيولوجية وسوف نعود لنوضح معنى ذلك ، ان لم يكن فى هذه الدراسة ، ففى دراسة أخرى قادمة .

وحدة الفكرة ووحدة الشفرة

ولقد تحير العلماء ردحاً طويلا من الزمان فى سر الاختلاف بين الكائنات على مستوى الافراد فى الجنس الواحد ، والنوع الواحد ، ثم الاختلاف على مستوى الاجناس والأنواع ذاتها ، رغم انهم لاحظوا وعرفوا ان هناك علاقات ظاهرية وتشريحية تربط بين الكائنات فى سلسلة من التطور الهادف من الأبسط الى الأعقد ، لكنهم وقفوا عند حدود زمانهم .

ولاشك ان كل شيء يتطور بمرور الزمن ، ولقد تطورت البحوث فى هذا الميدان بشكل مذهل، وبحيث أصبح من الممكن الآن ادراك السر العظيم فى اختلاف الكائنات ، ومرورها فى حلقات تطورية متصلة ، وهو ما يطلق عليه الآن اسم الداروينية الحديثة أو التطور الحديث ، لأن ظاهر التطور والتنوع امكن تفسيره والتدليل عليه بما يكمن فى باطن هذه الأشرطة الوراثية العجيبة .

اننا نعرف الآن ـ على وجه الدقة ـ السر فى عملية الانقسام فى أية خلية ، وبحيث يؤدى هذا الانقسام الى انتاج خليتين متماثلتين تماما فى مخزونهما الوراثى ، لأن الأشرطة الموجودة فى النواة تنشق طولها الى نصفين ، ثم يكمل كل نصف ذاته ، ليصبح شريطاً متكاملا ، وكأنما قد أصبحا توأمين متشابهين (شكل ٤) ، ثم تتوزع التوائم بالعدل والقسطاس بين الخليتين الجديدتين ، فتعاود العملية ذاتها ، وكأنما الانصاف المنشقة تطبع نسخا طبق الأصل من ذاتها وبهذه الطريقة تتوزع النسخ بين انوية الخلايا الجديدة ، وبحيث تحتفظ بصفاتها الوراثية المحددة للنوع ، أى أن اشرطة خلايا شجرة البلوط مثلا تحتفظ بصفات شجرة البلوط ، واشرطة خلايا الانسان تحتفظ بصفات الانسان ، وعلى هذا المنوال تكون اشرطة خلايا كل الأنواع .

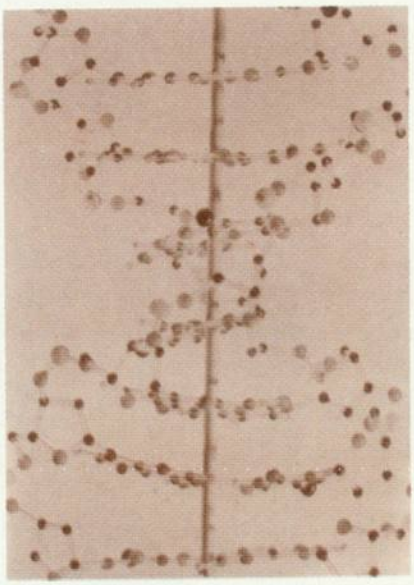
وطبيعى ان المخزون الوراثى يختلف من نوع الى آخر ، فللفيروس شريط طوله ٠٠١ر٠ من المليمتر ، وفيه تكمن ١٧٠ الف شفرة مزدوجة (شكل ٥) .. وللخلية البكتيرية شريط يبلغ طوله حوالى ١ر١ ملليمتر لا غير ، لكنه يحتوى على ٤ر٣ مليون شفرة مزدوجة هى بمثابة درجة فى سلم حلزونى ، وفى كل لفة أو جدلة (لأن الشريط مجدول) تكمن عشر درجات كيميائية ، وبين كل درجة واخرى مسافة تقدر بـ ٣ر٤ انجستروم (والانجستروم وحدة من وحدات القياس فى هذا العالم المتناهى الدقة ، وهو يساوى جزءاً من عشرة ملايين جزء من المليمتر !!) ، أى أن هذا الشريط الدقيق يحتوى على ٤٣٠ الف لفة أو جدلة .

وفى كل خلية من الخلايا الجسدية للانسان يوجد حوالى مترين من هذه الأشرطة ، وهى موزعة على ٤٦ كروموسوما وتضم حوالى خمسة ملايين جينة أو مورثة وبها حوالى ثمانية آلاف مليون درجة أو شفرة مزدوجة ، ولو تصورنا اننا كتبنا هذا العدد الهائل من الشفرات على هيئة نقطة وشرطة ، فلن يكفيها عشرات من المجلدات الضخمة .

وبين خلايا الانسان وخلايا الميكروب تتفاوت أطوال الأشرطة فى الكائنات ، فمنها ما يحتوى على بضعة ملليمترات أو سنتيمترات أو عشرات السنتيمترات ، لكنها جميعاً تتسم بنفس السمك ، وتسير على نفس الجدلات ، وتحتوى على نفس المركبات الأربعة ، وتفصلها نفس المسافات بين جدلة وأخرى .. أى ان كل شيء موحد بين جميع اشرطة الكائنات ..

لكن .. ما الذى يمسك بهذه الشفرات المزدوجة أو الدرجات الكيميائية المتتابعة ؟

إن الفكرة ببساطة شديدة أقرب الى فكرة السلالم الحلزونية التى ترتبط درجاتها « بدرابزين » الى اليسار والى اليمين ، لكنه « درابزين » كيميائى بطبيعة الحال ، وهو يتكون من جزيئات سكرية خاصة (اسمه سكر ريبوز) متماسكة بجزيئات فوسفات ، وسكر مرتبط بفوسفات مرتبط بسكر بفوسفات .. الخ ، يعطينا الهيكل الذى ترتبط به شفرات الحياة الأربع مع السكر فى درجات متتابعة (انظر شكل ٦) .. بقى أن نذكر ان عرض هذا الشريط يقع فى حدود جزئين اثنين من مليون جزء من المليمتر ، ولهذا يظهر بالميكروسكوبات الاليكترونية إلا كشعيرات أو خيوط دقيقة ،



شكل (٦) نموذج فراغى للشريط الوراثى المجدول وقد أخذت كل ذرة فيه وضعها الصحيح ، وبين شقى الشريط تتراص الدرجات الكيميائية ، وعليها تكمن الشفرة الوراثية .

رغم انها مكبرة عشرات الألوف من المرات (أنظر شكل ٥) .

السر الأكبر

ورغم أن هذا الكشف المثير عن مواصفات الأشرطة الوراثية وتكوينها الدقيق قد ظهر فى بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، الا انها لا تزال تحتوى على كثير من المتاهات التى انكب عليها علماء الحياة فى العالم أجمع ، علهم يعرفون عن تفاصيلها المزيد ، ولقد عرفوا الكثير ، لكن ما لم يعرف أكثر بكثير ، ولاشك ان هذا الكشف ـ فى حد ذاته ـ يعتبر أعظم الكشوفات فى عالمنا المعاصر على الاطلاق ، لأنه فسر لنا ما عجز السابقون عن تفسيره ، ووضع حدوداً للحيرة المريرة التى جابهتها العقول الواعية .

لكن ذلك لا يفسر لنا كيف تتحول هذه الشفرات الكيميائية الأربع الى مخلوقات شتى ، ومنها الانسان الذى جاء ليبحث فى الحياة كيف بدأت وتنوعت وتشكلت ، والتفسير يحتاج الى مجلد كامل ، ولهذا فسوف نعود اليه لنلخصه فى دراسة قادمة لنعلم ما لم نكن نعلم ، وما أكثر مالا نعلم « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

ومع ذلك ، فيكفى أن نشير هنا الى ان الشفرات بمثابة برمجة كيميائية على الأشرطة الوراثية ، وهى بمثابة مخزن هائل من المعلومات التى ستترجمها الأشرطة الى خطة عمل تتجسد على أساسها المخلوقات وتتنوع ، أو هى كالأفكار التى تتزاحم فى عقول البشر ، ولابد من تحويلها الى لغة مكتوبة ، أو اشكال مرسومة ، ثم تنفذ فى أوامر أو مشاريع هندسية وانشائية وتكنولوجية نراها مجسدة فى بنايات ومصانع ومرافق تخدم الانسان .. وكذلك الحال مع البرمجة الكيميائية ، لأن هذه البروجرامات سوف تطبع على اشرطة مبعوثة يحملها مندوبون من الادارة المركزية (أى النواة) الى ساحة الخلية ، لتجمع الجزيئات الصغيرة المشتتة بغير هدف ظاهر ، وتبنيها فى جزيئات أكبر مختلفة التكوين والأشكال والوظائف ، ليؤدى كل منها دوره فى الحياة وكما أراد لها الله .. « الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .. وفى ذلك الكفاية لقوم يتدبرون فيعقلون ويفقهون !

د . عبد المحسن صالح

تشايكوفسكي

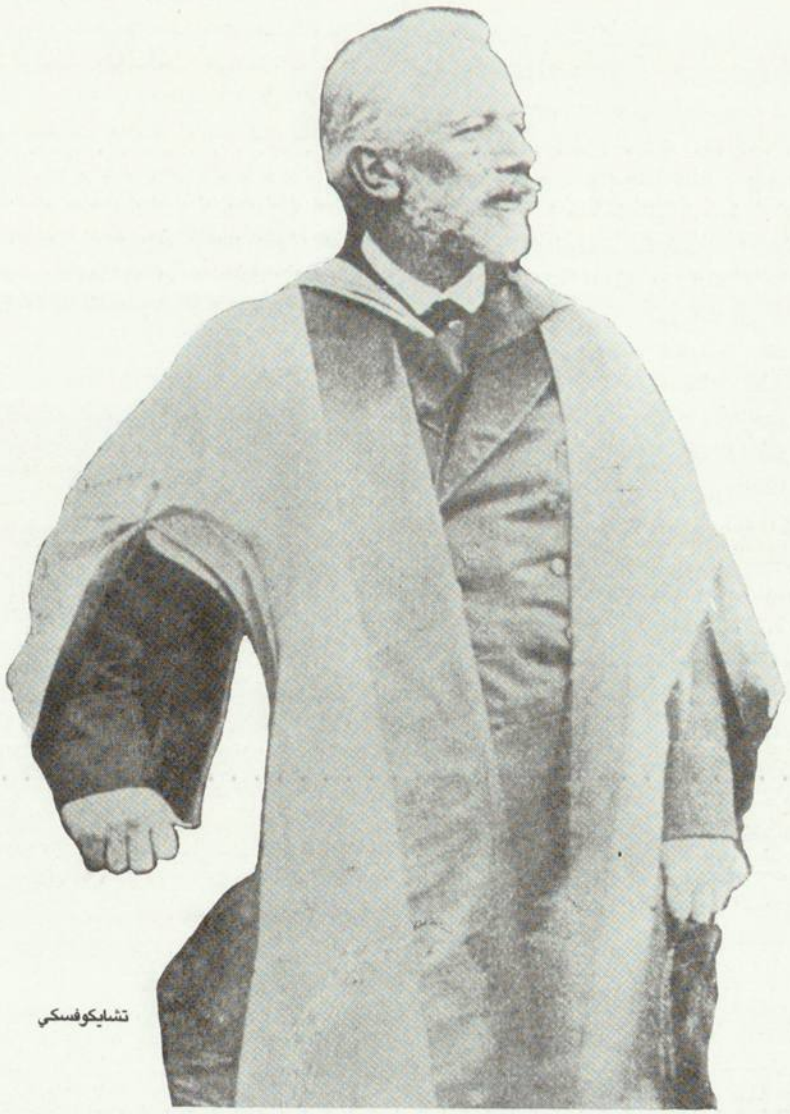
عبقريّة إنسانيّة لامعة بين الجنون والحب والفن

إعداد وترجمة : عبدالقادر عقيل

كانت روسيا القيصرية واحدة من الأمم المتخلفة عن ركب التطور الموسيقي فى العالم ، وظلت لفترة طويلة لا تضيف جديداً إلى الموسيقى حتى منتصف القرن التاسع عشر .

والصوت الموسيقي المتمايز في روسيا كان ميخائيل إيفانوفيتش جلنكا (١٨٠٤ ـ ١٨٥٧) ، وهذا لم يحظ إلا بالقليل من الشهرة خارج بلاده ، وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت روسيا تستفيق على أنغام الموسيقيين الجدد (تشايكوفسكي ، ريمسكي كورساكوف ، مسورجسكي ، بالاكيريف ، برودون) الذين سرعان ما انتشرت أعمالهم الموسيقية خارج روسيا .

وكل واحد من هؤلاء المؤلفين الموسيقيين تميز في فن من الفنون الموسيقية : كورساكوف لمع فى القيادة الأوركسترالية ، ومسورجسكي فى الأوبرا .. وهكذا . ولكن أشهر الناجحين وأكثر المؤلفين الموسيقيين الروس تمايزاً ، كان بيتر اليتش تشايكوفسكي ، هذا الفنان البارع فى كل الأشكال الموسيقية : السيمفونية ، القصيد السيمفوني ، الأوبرا ، الباليه وموسيقى الحجرة . ولكل شكل من هذه الأشكال ترك أعمالا فائقة الدقة أضافت كثيراً الى الموسيقى العالمية .



تشايكوفسكي

ولد فى فوتكنسك فى ٧ مايو ١٨٤٠ ، كان ابوه مهندسا حكوميا يتذوق الموسيقى ويحبها ، أما هو فقد كان حساسا وشاذا فى كل شىء ، ولكنه مثل ابيه كان شغوفا بالموسيقى .

فى عام ١٨٤٥ بدأ بيتر ياخذ دروسا فى البيانو مع ماريا ماركوفنا بالجيكوفا ، وسرعان ما استطاع العزف ، وتمكن بعد فترة وجيزة من عزف مقطوعتين من موسيقى المازوركا لشوبان بعد تعلمه من زائر بولندي يدعى مازيزوسكي .

والغريب فى الأمر انه فى الفترة التالية صارت أعصابه تتوتر ومزاجه ينقلب بعد العزف على البيانو او الاستماع الى الموسيقى . فبعد أمسية موسيقية كان يسمح فيها بالجلوس . وجدته امه جالسا فى سريره يبكي بحرقة ، وعندما سالته عن السبب أخذ يكرر « اوه هذه الموسيقي ، هذه الموسيقي » فى حين كان البيت هادئا ولم يكن هناك أى صوت للموسيقى . وعندما الحت بى معرفة الامر قال « إنها هنا ، هنا » وكان يشير الى راسه « لا استطيع التخلص منها ، انها لا تدعني فى سلام » .

لذلك شعر والداه بان الموسيقى ستؤثر سلبيا على صحة ابنهما ، فابعداه عن اجواء الموسيقى . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كان مستقبل الابن تشايكوفسكى قد حدد بالنسبة اليهما : موظف فى الخدمة الحكومية .

بعد عامين من الدراسة الاعدادية ارسل الى مدرسة القانون فى سانت بطرسبورج فى عام ١٨٥٢ ليتركها فى ١٨٥٩ ويصبح موظفا فى وزارة العدل .

واثناء عمله فى الوزارة كان يتلقى دروسا فى البيانو من استاذ فى الموسيقى كان يعمل مدرسا فى المدرسة ، ثم اخذ يتلقى دروسا مع الموسيقى المحترف رودلف كوندنجر .

وغير معروف الظرف الذى جعل والد تشايكوفسكى يقع تحت فكرة ان ابنه يمكن ان يصبح موسيقيا محترفا .

لذا فقد عهد الى زاريمبا استاذ النظريات الموسيقية المعروف ليقوم بتدريبه الهارموني . وحتى ذلك العهد لم تكن هناك اية مدرسة للموسيقى فى كل روسيا .

فى سبتمبر ١٨٦٢ افتتحت الجمعية الموسيقية الروسية اول كونسيرفتوار فى سانت بطرسبورج وصار زاريمبا واحدا من الاساتذة فى الكونسيرفتوار ، فما كان من تشايكوفسكي إلا أن تبع استاذه واخذ يحضر فصلين فى الاسبوع .. حتى هذه الفترة لم يكن تشايكوفسكى واثقا من نفسه ولم يكن قد وصل الى قرار بشان الدراسة

فى ابرايل ١٨٦٣ استقال من خدمته فى وزارة العدل ، وكتب الى اخته يقول « على الأقل انا واثق من أمر واحد ، وهو اننى ساصبح فى النهاية موسيقيا كبيرا » .

انعزل تشايكوفسكى فى حجرة نومه واخذ يدرس بهمة شديدة الهارموني والكونتربوينت مع زاريمبا ، والتوزيع الاوركسترالي مع روبنشتاين ، وتلقى ايضا دروسا فى الأرغن وتعلم العزف على الفلوت .

وكان اخوه الأكبر نيقولاس قلقا من اندفاعه الهائج فى الموسيقى فكتب اليه تشايكوفسكى يطمئنه قائلا « ستفخر يوما بانك اخى » .

فى نهاية عام ١٨٦٥ عرضت على تشايكوفسكى أولى وظائفه المتخصصة . فقد كان نيقولاس روبنشتاين ، الأخ الاصغر لانطون ، يحاول فتح كونسيرفتوار للموسيقى فى موسكو وبحاجة الى استاذ فى الهارموني . وكان اسم تشايكوفسكى ضمن المقترحين لشغل هذه الوظيفة فقبلها براتب ضئيل .

وفى يناير ١٨٦٦ سافر الى موسكو وحيدا ، منقبض النفس مشدودا الى بيته ، على اية حال ، اعتاد على الحياة فى موسكو فى بضعة اسابيع وكتب الى أخته « تدريجيا بدات اعتاد على موسكو وايضا على الوحدة التى تجعلنى باشا ، وعملى ناجح جدا مما قلل دهشتي » .

فى مارس من ذلك العام بدأ فى كتابة اولى سمفونياته (احلام الشتاء) ، وهذه السمفونية كانت مثل بقية تاليفاته الأوركسترالية التالية داخلة ضمن اطار الموسيقى التقليدية .

وتاليف هذه السمفونية اقلق تشايكوفسكى كثيرا . فكانت تنتابه حالات الأرق ويعانى من « تشوش فى راسى » وسيطرت عليه فكرة موته قبل الانتهاء من السمفونية .

عمل بجد ليلا ونهارا ، وصار كالمخبول فى تصرفاته ، ولم يكمل السمفونية (فى نوفمبر) حتى انهارت اعصابه تماما .

خلال شتاء ٦٦ ـ ١٨٦٧ تعرف تشايكوفسكى على المسرحي اوسترفسكي من خلال مسرحيته المثيرة (العاصفة) واتخذها لعمل افتتاحية فى احتفال يوم الطلبة وكان هذا العمل بداية لاستمالة المؤلفين المسرحيين نحو كتابة نصوص الأوبرات له . (يجدر الاشارة إلى ان تشايكوفسكي حتى هذا الوقت كان يجهل اعمال شومان ولا يعرف عدد السمفونيات التى الفها بيتهوفن) .

بدأ أوسترفسكى فعلا فى كتابة نص « فيوفودا »(١) ولكنه فقد الاهتمام بها فتولى تشايكوفسكى اكمال النص لنفسه . فشغله التاليف طيلة عام ١٨٦٧ . ولم يكمل وضع الحانها إلا فى باريس ـ خلال رحلة استجمام الى اوربا الغربية ـ فى صيف ١٨٦٨ .

اجريت البروفات على « الفيوفودا » لتقدم على مسرح موسكو الكبير . ولكن لسوء حظ تشايكوفسكى أن فرقة ايطالية للأوبرا ـ من الدرجة الثالثة ـ زارت موسكو لتقدم عروضها فتزاحمت الناس لرؤية مغنية السوبرانو المشهورة ديسيري ارتون . ونظرا الى أن العازفين فى مسرح موسكو كانوا سعداء بعملهم مع الايطاليين فانهم اهملوا إكمال بروفات اوبرا « فيوفودا » .

فقد تشايكوفسكى فى هذه المصادفة الغريبة شيئين : أولاهما فقدان فرصة عرض الأوبرا ، وثانيهما فقدانه قلبه بعد أن استاثرت به ديسيري ارتوت .

كان فطريا لا يميل الى النساء ، وحتى وهو فى هذه الحالة كان يعشق فيها الفنانة وليست المراة . ومع ذلك فقد افصح لها عن رغبته فى الزواج منها . وبعد فترة وجيزة حدث بينهما فتور شديد مما دعى ديسيري الى انهاء العلاقة والاقتران برجل اخر .

عرضت « الفيوفودا » اخيرا فى ١١ فبراير ١٨٦٩ والنجاح الذى حققته فى الليلة الاولى لم يستمر فى بقية ليالى العرض . وبعد عدة سنوات اتلف تشايكوفسكى الأوبرا تماما .

فى هذه الفترة تعرف تشايكوفسكى على مجموعة صغيرة مؤلفة من المؤلفين الموسيقيين فى بطرسبورج (بالاكيريف ، ريمسكى كورساكوف ومسورجسكي وبرودن) وكانوا جميعا من جيله ولكنهم كانوا هواة تعلموا الموسيقى بانفسهم وكانوا يعملون اما ضباطا فى الجيش او البحرية . وهو كان على نقيضهم تماما ، كان متعلما ومحترفا ولم يكن يحمل مثلهم الأفكار « القومية » الجديدة وغير مقتنع بفكرة توظيف التراث الشعبى فى الموسيقى فقد كان ينظر فى اعجاب شديد الى كبار المؤلفين الموسيقيين الالمان ويحاول ان يقتدى بهم ، لذلك اعتبرته المجموعة « طفلا مدللا فى الكونسيرفتوار » أما هو فقد نظر اليهم باحتقار شديد (استثنى منهم ريمسكي كورساكوف) . ولكن الاتصال الشخصي فيما بعد بين الطرفين غير الكثير

من وجهات النظرة السابقة . وكان لاتصال تشايكوفسكي مع « القوميين » في بطرسبورج أن وجد نفسه يميل بشدة نحو اظهار الوعي القومي في موسيقاه وإن كان لم يحبذ فكرة توظيف التراث الشعبي في الموسيقى .

ومن الأعمال الموسيقية الرائعة التي ألفها تشايكوفسكي في هذه الفترة افتتاحية « روميو وجولييت » (ألفت في ١٨٦٩) وهذا العمل لم يكن يحمل أفكاراً قومية ولكنه جاء بناء على اقتراح من بالاكيرف . هنا أيضاً ، أثبت تشايكوفسكي نبوغه في تأليف الأوركسترالية .

ومع كل النجاح الذي كان يصيبه تشايكوفسكي إلا أنه كان ينزع نحو الكآبة والتشاؤم والضجر . كتب وهو في الواحدة والثلاثين من عمره « لقد هرمت ولا أستطيع أن أتمتع بشيء ، أعيش على ذكرياتي وآمالي ، ولكن هل هناك أي أمل ؟ » .

حالته المادية كانت جيدة ، وعمله في الكونسيرفتوار كان مطمئناً واستطاع أن يقوم بزيارة الى أوربا الغربية وايطاليا . عدا ذلك ، حصل على الاعتراف العام به كمؤلف موسيقى وذلك بعد حصول أوبراته «فاكولا» على جائزة في المسابقة ، وأيضاً حققت السمفونية الثانية (ألفت في صيف ١٨٧٥) نجاحاً سريعاً .

خلال هذه الفترة غامر تشايكوفسكي في عمل جديد : باليه طويل جداً قياساً الى بقية الباليهات ، وتجربة جديدة لم يقم بها أي مؤلف موسيقى من قبل . هذه التجربة كانت « بحيرة البجع » ، وقدمت في مسرح أوبرا موسكو في ٤ مارس ١٨٧٧ ولكنها لم تلاق النجاح الكبير .

« بحيرة البجع » واحدة من الأعمال التي تبين تأثير الموسيقى الفرنسية على تشايكوفسكي (هو نفسه كان يميل للفرنسيين وأمه كانت ابنة لرجل فرنسي) في شتاء ٧٥ ـ ١٨٧٦ حينما كان يشرع في كتابة الباليه سمع « كارمن » (٢) للمرة الأولى فتأثر بها تأثراً شديداً .

كتب أخوه موديست قائلا « انه لم يتأثر من قبل بأي من الموسيقى الحديثة مثلما تأثر بـ « كارمن » .

العام ١٨٧٧ كان عاماً مهماً في حياة تشايكوفسكي . ففيها ألف اثنتين من أروع أعماله الموسيقية : أوبرا « أوجين أونجين » والسمفونية الرابعة . وفي هذه السنة تزوج ـ مع نتائج مخيبة ـ ، وفيها بدأ في واحدة من أهم علاقات الحب .

هذه العلاقة الغريبة بدأت في أواخر عام ١٨٧٦ حينما طلبت منه سيدة تدعى ناديجدا فون ميك أن يعيد بعض المقطوعات الصغيرة للفيولينة والبيانو مقابل أجر سخي . وناديجدا كانت أرملة في السادسة والأربعين ، مثقفة ، وأم لاثني عشر طفلا .

في ذلك الصيف أفصح عن رغبته في إهداء ناديجدا فون ميك « صديقتي الوفية » السمفونية الجديدة التي كان يعمل فيها ، والتي أطلق عليها اسم « القدر » .

تعطل تأليف السمفونية الرابعة وأوبرا « أوجين أونجين » بزواج تشايكوفسكي المفاجيء من فتاة تدعى انتونينا ميلوكوفا . وغير مفهوم البتة أقدام تشايكوفسكي على هذا الزواج الفاشل حتى لو سلمنا بحقيقة انها كانت تطارده وتكتب اليه الرسائل وتهدده بالانتحار إن لم يتزوجها .

كتب الى ناديجدا رسالة يبرر فيها هذا الزواج بانه جاء بناء على رغبة من والده

تم الزواج في صمت تام دون أن يعلم به أحد ، وأمضيا أسبوعاً في بطرسبورج ، ثم زار أم انتونينا وانفصلا لمدة شهر واحد ، عادت العروسة الى موسكو لاعداد بيتها والعريس لاذ بالفرار الى أخته المتزوجة في كامينكا « لو بقيت معها يوماً آخر أقسم بأنني سأفقد عقلي » هكذا اعترف لأخته .

هناك ، في كامينكا ، واصل تشايكوفسكي العمل في أوبرا « أوجين أونجين » والسمفونية الرابعة ، ثم عاد الى موسكو وحاول الانتهاء منهما هناك مع تجنب أي حديث عن زواجه حتى لأقرب أصدقائه .

وجد تشايكوفسكي نفسه في وضع لا يطاق فعقد العزم على الانتحار ، وكما اعترف بعد عدة سنوات ، فانه كان يبحث عن وسيلة للانتحار تكون مثل الموت الطبيعي . وذات مرة خرج في ليلة شديدة البرودة وخاض في نهر موسكوفا حتى وسطه آملا أن يصاب بالتهاب الرئة . وأخبر زوجته لما عاد الى البيت بانه سقط في النهر حينما كان يصطاد السمك ، ومع ذلك فلم يمت وأصيب بنزلة برد فقط .

لجأ هذه المرة الى بطرسبورج « وأنا على وشك الجنون » . كان واضحاً بانه لا يريد أن يرى زوجته ثانية . وتم الانفصال بينهما بواسطة نيقولاس روبنشتاين وأناتول تشايكوفسكي . أناتول أخذه وهو على هذه الحالة الى الخارج . كان عندهما مالا يكفي فقط لبضعة أسابيع ، ولكن ناديجدا مدت يد العون له وعرضت عليه مساعدة سنوية قدرها ٦٠٠٠ روبل (حوالي ٥٠٠ دينار) مقابل أن يترك وظيفته في كونسيرفتوار موسكو ويكرس نفسه للتأليف الموسيقي فقط . لم يكن أمام تشايكوفسكي إلا أن يقبل العرض بامتنان شديد وكتب اليها يقول بأن كل أعماله التي سيؤلفها ستكون مهداة اليها .

من هذه النقطة تغيرت حياة تشايكوفسكي تماماً . هو الآن رجل حر وباستطاعته أن يتمتع بالأسفار الى الخارج (خصوصاً ايطاليا) . وعندما قرر العودة الى موسكو وهبته « المحسنة » الثرية بيتاً من بيوتها ليعيش فيه .

كان يحتاج الى بعض الوقت لاستعادة هدوئه وراحة أعصابه ، ولكنه عمل بجد لانهاء « أونجين » والسمفونية الرابعة . ولم تمض فترة بسيطة حتى انهمك في العمل بنشاط كبير .

لم يكن تشايكوفسكي من طينة المؤلفين الموسيقيين الذين ينتظرون باستسلام مجيء الالهام اليهم « الالهام امرأة خجولة ويجب دائماً مقابلتها في منتصف الطريق » .

خلال سنوات « الحرية » (٧٨ ـ ١٧٨١) انتج تشايكوفسكي مجموعة كبيرة من الأعمال الموسيقية : سوناتا للبيانو ، وكونشيرتو للفيولينة ، وثلاث متتاليات للأوركسترا ، أوبرا « عذراء أورليانز » ،

من أعماله

الموسيقى الأوركسترالية :

- سبع سمفونيات (مضافة إليها سمفونية « مانفريد » .
- أربع قصائد سمفونية ، خمس افتتاحيات ،
- أربع متتاليات (مضافة إليها متتالية « موزارتينا » .
- الكبريتشيو الايطالية سبرنادا لوتريات الأوركسترا .

الكونشيرتو :

- ثلاثة كونشيرتات للبيانو .
- كونشيرتو للفيولينة .
- تنويعات للفيولونسيل والأوركسترا ..

أعمال مسرحية

- عشر أوبريتات .
- ثلاثة باليهات .
- مقدمة موسيقية لمسرحيتين .

موسيقي الحجرة :

ثلاث رباعيات وتربة ، سداسي الآلات . ثلاثي البيانو . سوناتا للبيانو . عدة مقطوعات صغيرة للبيانو . حوالي مائة أغنية (بينها أغاني للأطفال) .

كونشرتو البيانو الثاني ، « الكبريتشيو الايطلية » ، افتتاحية « ١٨١٢ » المشهورة وسيرنادا لوتريات الأوركسترا .

في أوائل عام ١٨٨٣ تلقى تفويضين آخرين لعمل كنتاتا ومارش للاحتفال بتتويج القيصر الكسندر الثالث ، فقبل تشايكوفسكى هذا العرض ورفض أخذ أى أجر ، فقد كان شديد الولاء للقيصر ، وفوق هذا ، كان القيصر الشاب قد ساعده واخرجه من محنته المالية بهبة سرية قدرها ٣٫٠٠٠ روبل ، ومنذ هذا الوقت استمال تشايكوفسكى نحوه عطف العائلة الملكية ، وأصبحت أوبرا « أوجين اونجين » الأوبرا المفضلة لدى القيصر .

وفى عام ١٨٨٨ حصل تشايكوفسكى على معاش سنوى قدره ٣٫٠٠٠ روبل من العائلة الملكية حتى آخر حياته .

فى فبراير ١٨٨٥ سكن تشايكوفسكى فى بيت جديد يقع فى ميدانوفو بالقرب من كلين وهى مدينة يسهل الوصول منها الى موسكو وفى هذا البيت طبق روتيناً صارماً ومنع نفسه من أن يكسر هذا الروتين حتى بقية حياته .

لم يكن تشايكوفسكى يرحب بزيارة أحد ، لكنه كان يستمتع باستضافة أخوته وبعض الأصدقاء المقربين حينما لا يكون مشغولا مع التاليف ، فالأعمال الابداعية بحاجة إلى عزلة تامة .

وفى هذه الفترة بدأ تشايكوفسكى أصفى وأهدأ أعصاباً عما كان عليه من قبل ، واستطاع أن يقود ـ باعصاب باردة ـ العرض الأول لـ « فاكولا الحداد » (سميت فيما بعد « الحذاء الصغير ») فى ٣١ يناير ١٨٨٧ .

أخذ تشايكوفسكى يفكر فى السفر الى الخارج ليعرف العالم بموسيقاه (التى لم تحصل حتى الآن على نجاح كبير خارج روسيا) . وافتتح رحلته الى ليبزج ، حيث قابل الفنانين الكبيرين يوهان برامز وجريج وفى ٤ يناير ١٨٨٨ قاد أوركسترا جواندوس .

فى أولى متتالياته والتى استقبلت بحماس شديد من قبل الحاضرين ولكن بفتور من قبل الصحافة . وزار هامبورج ، برلين ، براغ ، باريس ، وأخيراً لندن حيث أمضى أربعة أيام وقاد السيرنادا للآلات الوترية ، وتنويعات من متتاليته الثالثة فى حفلة الجمعة الموسيقية فى ٢٢ مارس .

فى ذلك الصيف ، سكن تشايكوفسكى فى بيت جديد يقع فى فرولونسكو بين كلين وموسكو . وهناك ألف سمفونية جديدة (الخامسة) ، وافتتاحية « هاملت » التى اهداها الى جريج تعبيراً عن صداقتهما .

أعقب السمفونية الخامسة باليه آخر « الجمال النائم » الذى كان أكثر جودة من « بحيرة البجع » وتشايكوفسكى نفسه كان معجباً به كثيرا (٣).

وفى فبراير ١٨٨٩ أعد نفسه لجولة سياحية أخرى . هذه المرة زار لندن وقاد فيها كونشيرتو البيانو (مع سابلينكوف كعازف منفرد) والمتتالية الأوركسترالية الأولى .

وانقضى الصيف من ذلك العام وهو منهمك فى إعداد الباليه حتى عرض فى ١٥ يناير ١٨٩٠ ، وبعد عدة أيام قام برحلة الى ايطاليا .

وخلال مكوثه فى فلورنسا ألف عملين : أوبرا « ملكة البستوني » (اقتبسها من قصة لبوشكين) وسداسى الآلات الوترية (سميت بذكريات فلورنسا) .

وهذه السنة التى بدأت بنجاح كبير جلبت له فيما بعد عدة ضربات موجعة : تنبيه من ناديجدا فون ميك بانها على حافة الافلاس وانها ستكف عن امداده بالمال . وضريبة الامتياز التى فرضت على « ملكة البستوني » وتجاوزت أرباحها . والأسوأ من ذلك ، أن تشايكوفسكى كان يجهل أن « صديقته الوفية » كانت منهارة عصبياً وتعانى من مرض يؤدى بها الى الموت البطىء ، بينما هو استنتج خطأ بأنها تعبت من صداقته واختلقت عذراً لقطع المساعدة .

فى أوائل ١٨٩١ بدأ فى تاليف باليه جديد « كسارة البندق » ولكن هذا العمل تأجل بسبب رحلة موسيقية أخرى .

هذه المرة ذهب بعيداً الى أمريكا . وقدم عدة حفلات موسيقية فى نيويورك ، بالتيمور وفيلادليفيا (ابريل ـ مايو) ، وكان فى كل مكان يتواجد فيه يقام له احتفال أو مهرجان خاص به .

لا أحد كان يعرف سبب الحزن الذى يغرق فيه هذا الرجل رغم كل النجاح المنقطع النظير الذى تصيبه موسيقاه . ففى ليلة وصوله الى نيويورك أختلى بنفسه فى الفندق وجلس يبكى وهذه الحادثة تكررت خلال الشتاء أثناء زيارته الى هامبورج ليسمع الفنان الكبير غوستاف ماهلر وهو يقود « أوجين أونجين » .

فى مايو ١٨٩٢ انتقل تشايكوفسكى الى سكن جديد قرب كلين . وهناك ألف سمفونية جديدة ، ولكنه كان غير راض عنها فحولها الى عملين للبيانو والأوركسترا . على أية حال ، السمفونية السادسة « الحقيقية » بدأت بعد عدة أشهر . فالفكرة وأتته أثناء رحلة قام بها الى فرنسا وبلجيكا فى شتاء ذلك العام ، وأفصح لأقرب اصدقائه عن رغبته فى عمل « سمفونية شاملة ، ولكن مع شموليتها ستبقى غامضة بالنسبة للآخرين » .

بعد ذلك ، وبناء على اقتراح من أخيه موديست أسماها سمفونية « الأحزان » . هذه السمفونية هى واحدة من أعمال تشايكوفسكى « الشخصية » جداً . فقد أفرط فى ابراز الجانب العاطفى فيها ، عاكساً فيها حالته النفسية حينذاك .

وأعقب سمفونية « الأحزان » زيارة أخرى الى بريطانيا التى وصل اليها فى ٢٩ مايو ١٨٩٣ وقاد سمفونيته الرابعة فى حفلة الجمعية الموسيقية فى الأول من يونيو ، وحصل على دكتوراه مع مرتبة الشرف فى الموسيقى من كامبردج .

وبعد رجوعه الى روسيا عاد للعمل فى السمفونية حتى أنهاها فى ٢٤ أغسطس . وفى ٢٨ أكتوبر قاد بنفسه العرض الأول لها فى سانت بطرسبورج .

بعد خمسة أيام اشتكى تشايكوفسكى من سوء هضم وتعب شديد يرهقه ، فلم يأكل شيئاً على الغداء وأكتفى بشرب كاس من الماء غير المعقم . وكان هذا عملا متهوراً فى وقت كانت فيه الكوليرا متفشية فى سانت بطرسبورج (وهو عمل مريب أيضاً ، هذا إذا استبعدنا مسالة الانتحار بطريقة الموت الطبيعي) . فى المساء أشتد عليه المرض ، وكان واضحاً أنه وقع فى قبضة الكوليرا ولم تكن عنده أية فرصة للنجاة .

وفى اليومين التاليين بدأ عقل تشايكوفسكى يختل « يعيد باستمرار اسم ناديجدا فيلاريتوفنا فون ميك » هكذا كتب أخوه موديست .

فى الساعة الثالثة من صباح ٦ نوفمبر ١٨٩٣ توفى تشايكوفسكي.

اعداد وترجمة : عبد القادر عقيل البحرين

المراجع

ـ تشايكوفسكى ـ جيرالد ابراهام .
ـ تشايكوفسكى ـ ايدوارد غاردين .
ـ أشهر المؤلفين الموسيقيين ـ جيرفاس هوغس

(١) فيوفودا : اسم كان يطلق قبل الثورة الروسية على محافظ المقاطعة .

(٢) كارمن : واحدة من أهم وأعظم الاوبرات الفرنسية لجورج بيزيه .

(٣) قبل سبع او ثماني سنوات ألف تشايكوفسكى فانتازيا سمفونية أسماها فانوم (القدر) .



الصغير والبحر

مسرحية من فصل واحد

مسرحية بقلم : صالح أحمد المناعي
نقد وتعقيب : د. محمد عبد الرحيم كافود

الشخصيات :

- صالح
- خالد

المنظر :

«جزيرة يحيطها البحر .. بها مرتفعات صخرية ... » .

«يصعد من أعلى وسط المسرح شخصان يبدو عليهما الاعياء والبلل وكانهما كانا يصارعان الأمواج منذ فترة طويلة» ...

صالح : آه .. اكاد اموت من الاعياء والتعب ..

خالد : هيا لنصعد بسرعة ..

صالح : اين نحن .. ؟

خالد : فوق جزيرة ..

صالح: ما الذى حدث .. ؟

خالد : العاصفة هبت علينا .. واغرقت القارب الذى كنا فيه ....

صالح : اجل .. اجل تذكرت .. كانت عاصفة قوية قاسية .

خالد : وقد سبحنا حتى وصلنا هذه الجزيرة .. الحمد لله ..

صالح : سبحنا .. ؟ كلا .. ولكن حملنا التيار ..

خالد : اجل .. اجل .. ولا تكثر من الكلام فانا اريد ان ارتاح قليلا حتى استطيع ان افكر فيما سيحدث .. وكيف ننجو من هذه الورطة ..

صالح: احس انى لا استطيع ان احرك كتفى ..

خالد : اجل .. المياه كانت قوية وقد سبحنا مسافة طويلة حتى وصلنا الى هنا ..

صالح: واين هو .. ؟

خالد : من تعنى .. ؟

صالح: سالم ابن اختى ..

خالد : غاص فى اعماق البحر ..

صالح: (صارخا) اعماق البحر ... (يستمر فى الصراخ) ..

خالد : صه . دع عنك هذه الولولة .. ولنفكر حتى نصل الى حل ..

صالح : سالم .. ابن اختى .. (صرخات قوية) ..

خالد : اعرف ذلك .. اعرف انه ابن اختك الاكبر .. واعرف مدى اعزازك له ولكن هل صرخاتك هذه ستعيده من اعماق البحر .. ؟

اه .. لولا .. رغبتك الملحة فى الصيد هذا اليوم ما وصلنا الى هذه المصيبة ..

صالح: وهل كانت رغبتى انا .. أم ..

خالد : اسكت .. ودعنا نفكر ..

صالح: فيم تفكر .. ولم يعد هناك مجال للتفكير .

خالد : (يرد على سؤال صالح) كيف نصل الى القرية قبل غروب الشمس .

صالح: ماذا اقول لاختى .. ؟ ماذا اقول لزوج اختى .. ؟ ماذا اقول ؟ .

خالد : كفاك نواحا .. ودعنى للحظة واحدة افكر ...

صالح: تفكر .. انت .. ولا افكر انا .. لماذا .. ؟

خالد : فكر كما تشاء .. المهم ان افكر كيف اصل الى القرية .. ؟

صالح: المهم .. ماذا اقول لاختى ؟

خالد : ليس هذا مهما ...

صالح : فكرى يسرح فى اعماق البحر المظلمة .. اه لك يا خليفة .....

خالد : سوف تحمله الامواج الى الشط .. وسيعرفون ..

صالح : اجل المياه تلعب بنا كما تشاء .. والاسماك تنهش جثتنا ..

خالد : اصمت قلت لك ..

صالح : اريد ان اتكلم .. دعنى اعبر عن مشاعرى كما اشاء ...

خالد : صوتك يزعجنى ..

صالح: يزعجك ..

خالد : نعم ....

صالح : تريدنى ان اصمت ..

خالد : نعم ..

صالح : انك تكرهنى ..

خالد : نعم ..

صالح : وتتمنى لو لم تخرج معى .

خالد : نعم ..

صالح : والآن تلعن نفسك لانك جئت معى ..

خالد : نعم ..

صالح : إذن ما الذى جاء بك معى ..

خالد : إنى اسال نفسى .. ؟

صالح : تسال نفسك ... !! اما كانت هى رغبتك ؟ ..

خالد : رغبتى ... !!

صالح: اجل .. رغبتك انت .. انت الذى طلبت منى ان نخرج اليوم ..

خالد : انا ..

صالح: اجل وبالحاح شديد .. اليس كذلك ..

خالد : أنا .. أنا .. لا أذكر شيئاً الآن ..

صالح : لا تتناسى ..

خالد : دعنى أفكر ..

صالح: أنا خائف ..

خالد : ماذا .. ؟

صالح : كيانى ممتلىء بالخوف ..

خالد : ممن .. ؟

صالح: ألا تعرف ممن .. أنا خائف .. ألا تتكهن بذلك .. ؟

خالد : ممن .. ؟

صالح : هى ..

خالد : من هى .. ؟

صالح: القرية ..

خالد : القرية .. !!

صالح: نعم أخافها .. أخاف أهلى .. أهلها .. كيانى مليء بالرعب ..

خالد : غريب .. وهل هم مخيفون .. أنا لم أشعر بذلك .

صالح: لأنك واحد منهم ..

خالد : لا أفهم ..

صالح : ليس مهماً أن تفهم .. أختى منهم أيضاً .. وزوجها .. ذلك الكهل الذى تعدى الستين .. ذلك الصقر الذى انقض على أختى الشابة الصغيرة .. الحمامة .. الجميلـــة .. ليمتص جمالها .. وهى لم تتعـد العشرين بعد ..

خالد : وما دخل أختك الآن .. ؟

صالح: الغريق ابنها الوحيد .. دفؤها فى صقيع الزوجية الفاشلة زواج دون رضا .. زواج بالضغط والاكراه ..

خالد : الخوف .. ؟

صالح: الخوف من الجوع .. من الفقر .. من التشرد .. رحمة الله عليك يا أبى ..

خالد : أبوك .. لقد مات منذ عشر سنوات .. أو يزيد ..

صالح: قتلوه ..

خالد : من .. ؟

صالح: الكبار ..

خالد : لا أفهم ..

صالح: ولن تفهم .. أجبروه على الغوص فى أعماق البحر .. ليأتى بخيره ولكنه لم يعد الينا أبداً ..

خالد : لماذا أجبروه .. ؟

صالح: ليسدد ديناً عليه ..

خالد : ماذا .. ؟ ديناً عليه ..

صالح: ورجعوا يحملون فراشه الى أمى ..

خالد : الى أمك ..

صالح : وقبل أن يخرج معهم فى ذلك اليوم الكئيب الذى طرق فيه سيد البحارة باب دارنا وأجبره على الذهاب .. حاولت أمى أن تمنعه ولكنها لم تستطع .. فقد كان بين خيارين .. الموت أو الفضيحة .. أذكره وهو يقول لها .. وفى نبراته ثقة بأنه لن يعود .. ارعى الصغار يا امرأة .. لابد أن أذهب .. ارعى الصغار يا امرأة . لا تستسلمى لا تضعفى .. ارعى الصغار يا امرأة .. كونى لهم أماً وأباً .. لا تتركيهـــم يخرجون الى الحياة .. الا وقد أعددتهم ليصارعوا هذا الزمن المر .. ارعى الصغار يا امرأة .. ارعى الصغار يا امرأة .. جلست أمى تبكى وتولول وتنوح ..

كانت تعرف أن أبى قد ذهب الى الموت بقدميه .. وجلسنا أيضاً نبكـــى كالأفراخ تحت ذراعيها .. (يبكى) (ينخرط فى بكاء مرير) ..

خالد : ماذا يفيد البكاء الآن ؟ ..

صالح : لأفرج عن نفسى .. كلما تذكرت هذا اليوم الأسود أبكى .. ومن يومها صرت ألعب .. أنا وأختى داخل البيت تحت انظار أمى التى كثيراً ما تحلق فى الأفق .. بعينيها .. منتظرة قدوم أبى ..

خالد : اصمت قليلا .. لا داعى للذكريات .. دعنى أفكر فى حل لي ..

صالح: (مستمراً) .. وفجأة فتح الباب ودخل بحار من أصدقاء أبى يحمل فراشه وقال .. رحمه الله .. صرخت أمى .... انشق الكـــون بصراخهـــا .. احتضنت فراش أبى .. وانهارت تبكى بلا صوت .. حتى بكى البحار .

خالد : البرد شديد ..

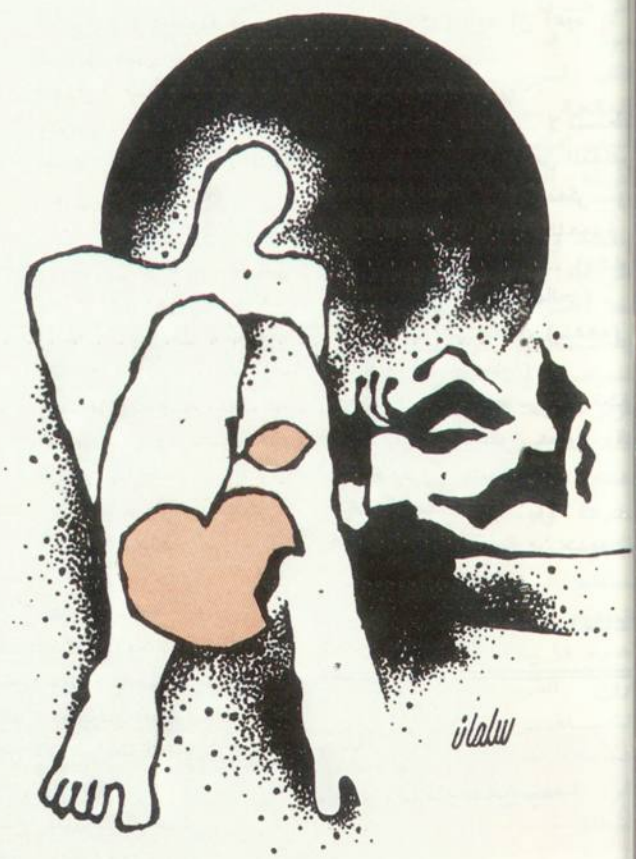
صالح: لقد ذقنا البرد والفقر معاً .

خالد : كيف الطريق الى القرية ؟.

صالح : لم نعرف طريق السعادة أبداً ..

خالد : أراك تحدثنى عن الماضى .

صالح : كان ماضياً جميلا رغم





الصغير والبحر

قساوته .. نجرى وراء أمنا كافراخ صغيرة وهى تكد فى سبيلنا ..

خالد :صالح.. اتسمعنى ؟ ..

صالح : أسمعك .. اسمع صوت سيد البحارة عندما اقتحم بيتنا ليطردنا منه .. او نسدد له ديناً على ابى ..

خالد : اتسمعنى .. انت لا تسمعنى ..

صالح: باعت امى كل ما لديها .. كل شىء إلا الشرف .. كى تحافظ لنا على ذلك البيت .. ولكنها لم تستطع .. فقد جاءها واحد من سادة البحارة طالباً ان تزوج زهرتها اليانعة الى بائع التمر المسن العجوز مقابل سداد الدين .. حاولت امى ان ترفض فى البداية .. قاومت ولكنها استسلمت فى النهايـــة وزوجـــت صغيرتنا لهذا الكهل الثرى

خالد : يكفينا قصص عن ابيك وامك وبائع التمر .. دعنى افكر ..

صالح : الم تر اباك وهو ميت ..؟

خالد : لم أره ...

صالح : هل بكيت .. ؟

خالد : لا اذكر ..

صالح: هل نسيته .. ؟

خالد : كما ينسى كل حي اى ميت ..

صالح: إن قلبك حجر ..

خالد : قلبى ..

صالح : نعم .. فانت منها ..

خالد : ممن .. ؟

صالح : القرية .. ؟

خالد : ولكن ما ذنبى .. ؟

صالح: هكذا انتم جميعاً ..

خالد: اف لك .. الا تريد ان تسكت .. لقد سئمتك .. وسئمت كلامك ..

صالح : لا فرق بينك وبينهم .. نفس ما يأمرون .. ونفس ما يعلمون ..

خالد : انت تمرضنى بكلامك ..

صالح: وانا اتمزق ألماً ..

خالد : ليتنى كنت أعرف ..

صالح: ماذا تعرف .. ماذا تريد ان تعرف؟ اتعرف شيئاً عن طفل يصارع الامواج بلا أدنى أمل فى النجاة ..

خالد : سيمر علينا الوقت ونحن هنا .. فلنحاول شيئاً للخروج من هذه الجزيرة اللعينة .. هيا بنا قبل ان يضيع الوقت ..

صالح : لم يعد للوقت قيمة ..

خالد : انهم ينتظروننى الآن ..

صالح : واختى تنتظر طفلها الصغير ..

خالد : لقد مات .. وانتهى الامر ..

صالح : سترى دموعها تحفر خديها .. وتشاهد شفتيها ترتعشان .. وهى تنوح بكلمات تقطع نياط القلب .

خالد : سوف تبكى فى البداية ثم تنسى ..

صالح : لانك لا ترى إلا ما بنفسك .

خالد : ماذا تقصد .. ؟

صالح : انت تعرف ..

خالد : القرية .. ؟

صالح : نعم ..

خالد : انت لا تعرفها جيداً .

صالح: بل اعرفها منذ ولادتى .. اعرفها .. اعرف شوارعها الصغيرة .. اعرف كلماتها الجارحة .. اعرف خباياها .. كل فضائحها .. اعرف من يملك كل شىء .. يملك الماء والامر .. ونحن لا نملك إلا الطاعة .. اعرفها .. وقد مسحت بيدى هاتين دموع المضيعين فيها .

خالد: ستغرب الشمس ولا أراك أمامى إلا باكياً ..

صالح : يجب ان يعيش مثلهم تماماً ..

خالد : احب ان اعيش كما أريد أن اعيش ..

صالح : لا كما يعيش امثالى ..

خالد : ماذا .. ؟

صالح : امثالى ليسوا مثلك .. انت تعرف كيف نعيش .

خالد : لم اسمع جيداً ..

صالح : لانك لا تسمع غير صوتك انت ..

خالد : ماذا .. ؟

صالح: لم يفهم بعد معنى هذه الكلمة ..

خالد : امرك غريب ..

صالح: وهى الآن غريبـــة .. مضيعة .. ثكلة .. تجوب الشوارع كالمجنونة تبحث في كل مكان .. تسال كل انسان .. تبكى .. تصرخ .. وتولول .. سائلة عنه .. عن طفلها الصغير .. الذى غرق ..

خالد : لن تراه بعد اليوم ..

صالح: انت لن تراه .. اما هى ستراه فى عينيها .. فى قلبها .. فى كل دمعـــة تسكبها ام .. ستراه وتحدثه وتناجيه .. وتدلله كما كانت .. وستحدث عنه كل من يراها ..

خالد : انت يا من تكلم نفسك .. الم تكتف بعد ..

صالح : نفس كلامهم .. نفس تصرفاتهم ..

خالد : ساعود وحدى ..

صالح: مثلهم بالضبط ..

خالد : يحيرنى امرك ..

صالح : تحير كما تشاء ..

خالد : نعم ..

صالح: النتيجة واحدة ..

خالد : وماذا بعد ..

صالح: اين هو الآن .. ؟

خالد : اقسم بالله انى ساجن إن لم تكن انت مجنـــونا بالفعل ..

صالح: لانك لا تفهم شيئاً ..

خالد : لماذا احضرته معنا ..

صالح: لانه كان يريد ذلك .. كان يحلم به .. بركوب البحر ..

تعلق بى .. قال .. خالى .
خذنى معك .. احب البح
.. خفت عليه .. ولكن كا
فى قلبى إشفاق .. على
حلمه ...قالت اختى خذ
معك يا أخى فلم أستط
أن أرد لها طلبها ..

خالد : إذن هى المسئولة ..

صالح: كلا .. كلا ..

خالد : من إذن المسئول .. انا إياك أن تقولها ..

صالح : ..... (صامت

خالد : القرية بعيدة .. (يك يبكى) أريد أن أعود ..

صالح: ستعود ..

خالد : لماذا لا ...

صالح : (مقاطعاً) لانك لا تستط
.. لقد عجزت عن التفكير

خالد : حاول معى .. لنفكر سو
.. لنجد طريقاً للعودة

أريد أن أعود .. (محاو
الاقتراب من صالح) .

صالح: عد الى مكانك (يدفعه)

خالد : (ينهار باكياً) ..

صالح: (بسخرية مريرة) لا تخف
انهم سيبحثون عنك .. وق
يعثرون علينا ..

خالد : احقا ..

صالح:وتعود القصة من جديد ..

صالح أحمد المناع

نقد وتعقيب

إن موضوع الغوص يشكل مادة درامية تتمثل غالباً فى ذلك الصراع الدرامى بين (النوخذا) سيد السفينة وبين غيره من الغواصين والبحـــارة الذين يعملـــون على ظهـــر السفينة بمختلف طبقاتهم من جهة أخرى

وقد استغل معظم الكتاب فى
نطقة الخليج هذه القضية ،

افاضوا فيها وتفننوا فى
ستخدامها كمادة للعديد من
لقصص والمسرحيات . وطبيعى
ن تتشكل هذه المادة بصورة
رامية ، أعنى بها هنا انها ذات
لطابع مأسوى . لأنها تحمل أو
صور ذلك الظلم الذى يقع على
لعاملين بهذه المهنة (الغوص)
مختلف فئـــاتهم من قبـــل
(النوخذا) . هذه المادة الجاهزة
ى حد ما من الناحية الدرامية
يها ، قد استغلها كما ذكرت
تاب المسرح ، واختلفت طريقة
لمعالجة عندهم من كاتب لآخر
نسب امكانية كل منهم من حيث
براته الفنية ، والثقافية ،

تمثله وهضمه لهـــذه المـــادة
تراثية . فالبعض منهم وقف
ند النقل المباشر لهذه المادة
صـــــاغها باســـلوب الحوار
لمسرحى ، ولم يتجاوز فى عمله
تزير حقيقة وقعت بالفعل وليس
لك الفن ، ولذا فانه قد افتقدت
عظم هذه المسرحيات حيوية
حركة وقوة الصراع ، لأن
كاتب لم يخلع عليها أو لم
ستطع أن يفيض عليها من
شاعره ، وأحاسيسه ، وهموم
عصره ما ينفخ فى هذه المادة
روح التى تذكى عواطف
شـــاهدين ، فيعيـــد لتلك
ذكريات المأساوية الحياة مرة
خرى فيتفاعل معها القارىء أو
شاهد .

والبعض تلقى هذه المادة
وضوع الغوص) بكل ما كان
تحمله من مأس وآلام واستطاع
هذا البعض ـ أن يعيد لهذه
مادة الحياة مرة أخرى فى
مسرحياته ، بما أضافه اليها من
حاسيسه ومشـــاعره وهمـــوم
صره ووعيه وقدراته الفنية ،

حتى تحس وانت تشاهد هذه
المسرحية أو تلك وكأنك تعيش
المأساة أو هى تحدث بالفعل
أمامك ـ مجسدة على خشبة
المسرح ـ فتتفاعل معها ،
وتتعاطف مـــــع شـخوصها ،
وتتالم لما تعانيه هذه الشخصية
أو تلك من ظلم ، واضطهاد .

وهذا يتحقق كما ذكرت عندما
يستطيع الكاتب أن ينفخ فى هذه
المادة الحياة من جديد ، ويخلع
عليها من روح عصره وهمومه ما
ينفذ من خلاله الى نفوس
جمهوره . إذا تحقق كل ذلك فى
المسرحية ، فاننا حينئذ نستطيع
أن ندرجها فى مكانها المناسب من
سلم هذا الفن .

ونعود الى مسرحية «الصغير
والبحر» لـ (صالح المناعى) فهى
تستمد مادتها أو يقوم مضمونها
على تلك المعاناة وذلك الصراع
الذى أوجده مجتمع الغوص بكل
قيمه وأعرافه وما خلفه من مآس
وآلام عانت منه طبقة واسعة فى
المجتمع الخليجى . والمسرحية
تدور أحداثها أو لنقل بصورة أدق
يدور الحوار فيها بين خالد وصالح
بعد رحلة معاناة وصراع مع
الموت على اثر حادثة غرق كان
ضحيتها (سالم) ابن اخت صالح
ثم قذفت الأمواج بصالح وخالد
الى جزيرة غير مأهولة فيدور
الحوار بين الشخصيتين .

يستعيد فيها صالح ذكرياته
المأساوية وكيف كان والده

ضحية من ضحايا مجتمع
الغوص وما ساده من استغلال
وابتزاز من قبل فئة معينة فى
مجتمع البحر .

هذه المسرحية التى تتكون من
فصل واحد وتقوم بها شخصيتان
(صالح وخالد) تخفت فيها الى
ـ حد ما ـ روح الصراع والحركة
الدرامية . ولعل السبب فى ذلك
يعود إلى ما ذكرناه سابقاً من أنه
لايكفي أن يكون الموضوع المتناول
(دراميـــاً) لـكى تتحقق فى
المسرحية حدة الصراع وحيويته
بل لابد أن يخلع عليها الكاتب
هذه الحيوية والحركة باسلوبه
الفنى ، وبما يخلعه عليها من
مشاعره ورؤيته للحياة ، وما
يحدثه من تمازج بين الحوادث
التاريخية وبين قضايا ومشاكل
عصره وهمومه لكى يعمق من
حدة هذا الصراع ويتفاعل معه
المشاهد .

الى جانب ذلك فان المسرحية
تقوم أو تتكون من فصل واحد
والشخصيات فيها محدودة وهذا
يؤثر على حدة الصراع وتبلور
الحدث ونموه . خاصة وأن
الشخصية الثانية فى المسرحية
(خالد) شخصية غير فاعلة ـ

الى حد ما ـ أى أنها لا تسهم
بصورة فعالة فى إذكاء الصراع
وتطوره ونموه .. ومن هنا فان
المسرحية هى أقرب الى روح
الطابع القصصى الذى يقوم على
(المونولوج) الداخلى واستذكار
الباطن ، فى تلك الذكريات التى
يستعيدها (صالح) من الماضى .

ولكن المسرحية لا تخلو بعد
ذلك من مواقف ذات بعد فكرى
ونفسى يطرحه الكاتب من خلال
هذا الحوار البسيط ، ولكن له
عمقه وأبعاده . فما هى هذه
القرية الغريبة ؟ وماذا يعنى
الخوف منها بالنسبة لصالح ؟
ولماذا هو غريب عنها ؟ وما نوع

هذه الغربة ؟ وما الذى دعا
(صالح) الى اتخاذ هذا الحكم
ضد تلك القرية (المجتمع) ؟

هذه قضية أساسية تثيرها
المسرحية بايماءة سريعة . هذه
القضية قد تمخضت عن تلك
المآسى التى عاناها (صالح)
وكيف تخلى عنه المجتمع بعد أن
اختطف منه اباه ، ثم سلبه اخته
حين فرض عليهـــا واقعهـم
الاجتماعى أن تتزوج من رجل
عجوز لكى يدفعوا ديناً فرضه
عليهم هذا الواقع .

إن نغمة الغربة فى أدبنا
العربى قديمة قدم هذا الأدب
نفسه فقد ظهرت عند الشعراء
الصعاليك فى الجاهلية واحسوا
بانهم غرباء على مجتمعهم أو
فى قبائلهم ، غربة تولدت من
احساسهم ـ فى الغالب ـ بالظلم
والاضطهاد وضياع الحقوق .

وتكررت هذه النغمة على مر
التاريخ حتى تبلورت فى العصر
الحديث عند العديد من الشعراء
العرب الذين احسوا بوطأة
الظلم فى مجتمعاتهم وضياع
الحقوق فيها . فالانسان يشعر
بالغربة وإن كان يعيش فى
مجتمعه إذا أحس باختلال القيم
وضياع العدالة ، وتلك هى
الغربة النفسية التى نجدها فى
أشعار العديد من الشعراء أو
العرب أو غيرهم .

ويبقى بعد ذلك أن نقول ان
هذه المسرحية جهد طيب ، وعمل
جيد ، نتمنى لكاتبها التوفيق
ومزيداً من النتاج ، ومما هو جدير
بالتنويه أيضاً هو كتابة هذه
المسرحية باللغة الفصحى التى
يتهرب منها معظم كتاب المسرح
فى الـــــوطن العـــربي بحجة
الواقعية وغيرها من الحجج
الواهية ...

د. محمد عبد الرحيم كافود

سارق النار.. وملهم الشعراء

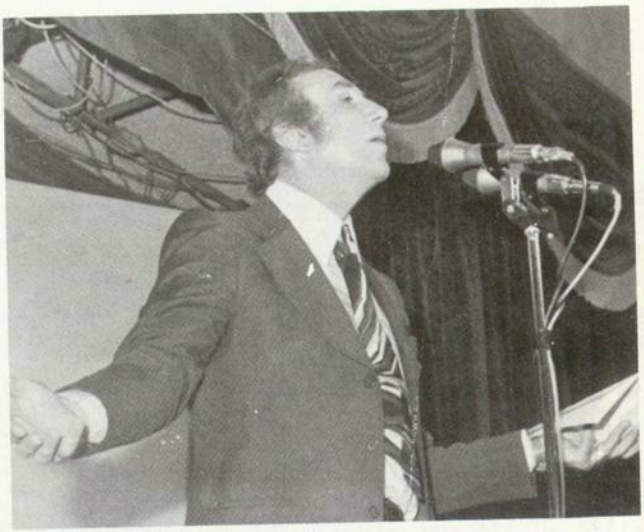
بقلم: د. احمد عثمان

في الذكرى الأولى لوفاة عميد وفقيد الأدب والنقد العربيين طه حسين وقف نزار قباني يرثيه في حفل أقامته جامعة الدول العربية بالقاهرة فقال :

أيها الفارس الذي اقتحم الشمس ... وألقى رداءه الأرجواني
فعلى الفجر موجة من صهيل ... وعلى النجم حافر لحصان

ويخاطب الشاعر في هذين البيتين المتوفي على أنه فارس يقتحم الشمس ويطير بين الكواكب ويرسم له صورة شعرية رائعة لا يمكن إلا أن تكون مستوحاة من الأساطير الأغريقية التي تتحدث عن إله الشمس الوثني « هيليوس » وهو يمتطي عربة ذات عجلات أربع تجرها الخيول فيقطع بها صفحة السماء كل يوم من الشرق إلى الغرب حيث ينزل إلى المحيط الأطلسي (نهاية العالم من الجهة الغربية آنذاك) ويستقل زورقاً ذهبياً يعود به من الجانب الآخر ـ الشرقي ـ مع شروق شمس اليوم التالي . كل شيء في عربة هيليوس بما في ذلك الخيول ليس فقط أرجوانياً كما جاء في كلمات نزار بل من نور ونار .

وسيجد المتصفح لدواوين الشعر العربي الحديث والمعاصر أن كلمة النار ومترادفاتها ومشتقاتها من أفعال وأسماء وصفات ، وكذا الصور الشعرية المستمدة منها قد اقترنت ليس فقط بفكرة الثورة والتغيير على الصعيد الاجتماعي والسياسي ، بل أيضاً بالتطلع إلى التجديد في الفن الشعري ذاته . تحفل قصائد الأشعار عندنا الآن بكلمات وعبارات مثل « عربات النار » و « مركبات الشمس » و « عربات الفجر » و « خيول النار » وما إلى ذلك . وسنترك تعليل شيوع هذه الظاهرة النارية في شعرنا العربي المعاصر إلى سياق آخر ولقاء نرجو أن يكون قريباً ، بإذن الله ، وسنكتفي الآن بتسليط الضوء على بعض جوانبها .



نزار قباني



نازك الملائكة



أبو القاسم الشابي



د. محمد عبد الحي



علي محمود طه



ت . س . إليوت

ودعنا نمضي قليلا مع قصيدة نزار قباني الرثائية حتى نصل إلى مخاطبته الأسطورية لطه حسين إذ يقول :

أيها الأزهري .. ياسارق النار
ويا كاسراً حدود الثواني

وليس نزار قباني هو أول من استخدم عبارة « سارق النار » ، فسبقه إلى ذلك شعراء آخرون كثيرون . بل ان هذه العبارة شائعة فى الشعر العربي المعاصر شيوعاً عجيباً وملفتاً للنظر . ولكننا على أية حال نعتبر طه حسين أجدر من يستحق حمل هذا اللقب « سارق النار » . فالعبارة بلاشك تعني بروميثيوس الذي – كما تقول الأسطورة الاغريقية – كان من سلالة الجبابرة أو المردة التيتانيس وهو الذي صنع الشكل الانساني من الطين ، فلما حرم « زيوس » الوثني بني البشر من معرفة النار وفنونها سرقها لهم بروميثيوس من السماء أو من أحزان هيفايستوس من البراكين والنار والصناعة والحدادة .

وعلم بروميثيوس الناس فن استخدام النار وسائر الحرف الصناعية وفنون الطب وتحضير العقاقير وعلم التنجيم والنبوءات وغيرها . فهو إذن بطل حضارى ومتمرد ثائر ضد قوى التخلف والظلم والطغيان حتى ولو كان مصدرهما زيوس نفسه . بروميثيوس هو النصير الأول للانسانية والرائد الأول للتحضر إذ بدد ظلمات الجهل وتمرد على الظالمين وجلب النور والنار وأسس العلوم والفنون فوضع اللبنة الأولى فى صرح المدنية : ولم ينجح بروميثيوس – كما لم ينجح طه حسين الأزهرى وأى مفكر يسبق عصره – من العقاب المرير إزاء عنفه الثورى وتحرره الفكرى وتحيزه للعلم والانسانية . لقد أمر زيوس أن يكبل بروميثيوس بالأصفاد ويقيد بالأغلال على ظهر صخرة جرداء فوق جبل القوقاز وان يتغذى نسر كبير من لحم كبده الذى كان يعاد خلقه وتجديده كل ليلة أو كلما نفد ليجد النسر دوماً وكل يوم ما ينهشه وليستمر عذاب بروميثيوس الى الأبد .

ولقد وردت أسطورة بروميثيوس هذه عند هيسيودوس (القرن السابع ق.م) واستوحاها أيسخولوس مبدع التراجيديا الاغريقية (فى القرن الخامس ق.م) لينظم ثلاثيته أى المسرحيات الثلاث المتكاملة شكلا وموضوعاً «بروميثيوس سارق النار» و «بروميثيوس مقيداً» و «بروميثيوس طليقاً» ولم تصلنا كاملة سوى المسرحية الوسطى فى هذه الثلاثية وفقدت المسرحيتان الاخريان . ونشر الشاعر الانجليزى شيللى (١٧٩٢ – ١٨٢٢) مسرحيته الغنائية «بروميثيوس طليقاً» عام ١٨٢٠ . وشاعت هذه الأسطورة فى

سارق النار.. وملهم الأشعار

الأدب الأوروبى الحديث والمعاصر شيوعاً ساعد على انتقالها الى أدبنا العربى ولاسيما الشعر .

المهم أننا ما كنا لنفهم الصورة الشعرية التى رسمها نزار قبانى لطه حسين بعبارة «سارق النار» ما لم نكن ملمين بالأسطورة الاغريقية عن بروميثيوس وما ترمز اليه هذه الشخصية من حب عميق للانسانية واستعداد كبير للتضحية فى سبيل الرقى والتقدم وبذر بذور التنوير .

وفي الحقيقة نود مصارحة القارىء الكريم بان ابيات نزار قبانى تلك عندما سمعناها لأول مرة عام ١٩٧٤ هى التى دفعتنا الى البحث عن تاثير أساطير ورموز النار الاغريقية فى شعرنا العربى الحديث والمعاصر وهو بحث لازلنا نعكف عليه حتى الآن . ذلك اننا اكتشفنا ان الأمر لا يقتصر على مجرد اشارات متفرقة او عابرة بل إن فكرة النار بكل أساطيرها ورموزها تغلغلت الى جوهر مفهوم الشعر العربى الحر ، بل والى مفهوم التجديد والتقدم حتى اصبحت كلمة النار تعنى او ترادف الثورة الفكرية والنهضة التحررية بصفة عامة . وهذا ما سبق أن اشرنا اليه فى احد ابحاثنا بعنوان «عبد الوهاب البياتى وحرائقه الشعرية» المنشور بمجلة «الكويت» .

المشكلة التى تواجهنا الآن فى معالجة هذه الظاهرة النارية فى شعرنا المعاصر هو تعسر حصرها وتعذر تناولها على نحو شامل فى هذا المجال الضيق الذى نتحدث فى إطاره . ومن ثم سنكتفى بذكر اهم الأمثلة وأبرز الشعراء .

شرارة «أبوللو»

ومما لاشك فيه أن شعراءنا المعاصرين يدينون الى ت.س. إليوت من ناحية والى جماعة «أبوللو» وعلى راسها أبو شادى وعلي محمود طه من ناحية أخرى بحب التعامل مع الأسطورة الاغريقية وتناولها بالاحياء او باعادة الصياغة . وهذا موضوع يحتاج الى بحث مستقل . على اية حال فان أقدم اشارة الى أسطورة بروميثيوس ـ فيما نعلم ـ هى تلك الواردة فى قصيدة أبى القاسم الشابى تحت عنوان «نشيد الجبار .. أو هكذا غنى بروميثيوس» وهى قصيدة جاءت ضمن ديوان الشاعر الذى حققه الدكتور عز الدين اسماعيل (دار العودة ١٩٧٢) مؤرخة بيوم ٢٧ شعبان ١٣٥٢ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٣٣ ويقول فيها ابو القاسم الشابى :

ساعيش رغم الداء والاعداء
كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو الى الشمس المضيئة هازئاً
بالسحب والأمطار والانواء
لا أرمق الظل الكئيب ولا أرى
ما فى قرار الهوة السوداء

ويقول الشابى لاعدائه الذين ما لبثوا يشوون أشلاءه فوق السنة اللهب ويأكلون من لحمه ويرتشفون من قطرات دمه :

فارموا الى النار الحشائش والعبوا
يا معشر الأطفال تحت سمائى

ويضيف قوله انهم إذ يفعلون ذلك يخسرون الكثير أما هو فيربح نشوة النصر عليهم ومزيداً من الثقة بنفسه :

ورأيتمونى طائراً مترنما
فوق الزوابع فى الفضاء النائى
فارموا على ظلى الحجارة واختفوا
خوف الرياح الهوج والانواء
أما أنا فاجيئكم من فوقكم
والشمس والشفق الجميل ازائى

وهكذا نعود الى حيث بدأنا فابو القاسم الشابى يتخيل نفسه بعد الموت حرقا وقد غدا طائراً يجوب اجواز الفضاء او فلكاً بين الكواكب والنجوم يحتقر أعداءه الأطفال الأقزام ويحييهم تحية الاشفاق والمقدرة مع اشراقة الشمس والشفق الجميل . وهنا نتذكر أبيات نزار قبانى حيث تخيل فارسه طه حسين بعد موته وقد اقتحم الشمس والقى رداءه الأرجوانى وخلف على الفجر موجة من صهيل وعلى النجم حافراً لحصان .

اتهم طه حسين أحد رواد مدرسة أبوللو أى الشاعر علي محمود طه بتغريب الشعر واعتبر محمد مندور أن الاشارات الأسطورية فى قصائد هذا الشاعر «تتلف عليك احساسك وتثير فيك الغيظ !» . أما أحدث الدراسات فى ذلك المجال فلها راى آخر . إذ يقول الدكتور محمد عبد الحي فى كتابه «الاسطورة الاغريقية فى الشعر العربى المعاصر من ١٩٠٠ الى ١٩٥٠» المنشور بدار النهضة العربية عام ١٩٧٧ يقول (ص ٦٨ وما يليها) انه إذا كان أبو شادى رائد جماعة أبوللو لم يستطع أن يقرض اغريقياته نماذج يحتذيها شعراؤنا فان علي محمود طه وهو من شعراء مجلة أبوللو قد حاول تذويب كل ما قد يضرس القارىء من عناصر أجنبية فى الشعر المستمد من الأساطير الاغريقية بفيض من الموسيقى الشعرية الساحرة وباللغة الرنانة التى تغيب فى ضجة صنوجها الذهبية والنحاسية أكثر تفاصيل التجربة المحسوسة . لقد امتلأ شعر علي محمود طه بعناصر الرمز والتصور الأسطورى للطبيعة والحياة كما لم يحدث عند أى شاعر عربى من قبله .

ما بين الثلوج والنيران

ولأساطير النار ورموزها مكانة خاصة فى أشعار علي محمود طه وأبرز مثل على ذلك قصيدة «ثلج ونار» وجاء فيها :

أأيتها النار ويك اصبرى
أحبك بكل الذى أملك
بقربانى المقدس الأخير
أزاهير كن رفاقاً لطافاً

ثم يكمل هذه القصيدة باخرى تحمل عنوان «نار ونار» يقدم لها بقوله «اشتد به الألم عند مطالعة قصيدتها التى تضطرم أسى وألماً وتضطرب يأساً ومرارة وتفيض بنبل العواطف فذابت نفسه حباً وحناناً .. وفزع اليها .. بهذه القصيدة معاتبة ومصالحه...:

حبيبة قلبى هى النار لا
تشبى لظاها ولا تستثيرى
دعيها ولا توقظى جمرها

فمـا النـار أحـن من الزمهريـر
فـدى راحتيـك فـؤاد يلـذ
لـه نـى هـواك عـذاب السـعير
الا يارائس وادى الخيـال
بالهـة الرحمـة المنصفـة
وأنقـذن هـذا الغـرام الشـهيد
فقـد كـادت النـار أن تلتقفـه

ومن الملاحظ أن النار فى أبيات القصيدتين المذكورتين تقرن تارة بالحب ومشاعر الشوق واللهفة وتارة أخرى بنقيض الحب أى ما يدمره ويقضى عليه . ففى إطار الاستخدام الأول يستمد الشاعر من النار أجيجاً لما يتقد فى قلبه من حب ويقدم للنار قرباناً مقدساً . وفى إطار الاستخدام الثانى يطلب من صاحبات الرحمة المنصفة ـ وهن رموز الصفح فى الأساطير الاغريقية ـ أن ينقذن الغرام الشهيد حيث كادت النار أن تلتهمه . هذا مع أننا نرى أن استدعاء هؤلاء هنا غير مناسب للسياق لأنهن تخصصن أصلا فى الانتقام من ـ ثم الصفح عن ـ جرائم سفك دم الأقارب ولاسيما الأب او الأم كما هو الحال فى ثلاثية أيسخولوس الشهيرة «الأوريستيا» ولاسيما المسرحية الثالثة التى تحمل عنوان «ربات الصفح» .

ولقد اتدت شرارة اللهب التى اشعلتها مدرسة أبوللو الى أشعار نازك الملائكة التى أعجبت أيما اعجاب وتاثرت تاثراً كبيراً بعلي محمود طه فهذا ما يبدو من كتابها عنه بعنوان «محاضرات فى شعر علي محمود طه دراسة ونقد» الذى نشره معهد الدراسات العربية العالية عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥ . ويبدو أن نازك الملائكة قد مرت بتجربة مماثلة لما وقع لعلي محمود طه حين ألقت بمذكراتها الخاصة الى النار عام ١٩٤٦ ثم راحت تقول :

أيها الحاضر لا تسرع الى الماضى البعيد
ولتقف مركبة الشمس على الأفق المديد

وتعد هذه من أقدم الاشارات فى الشعر المعاصر لعـربة إله الشمس «هيليوس» .

وجدير بالذكر هنا أن وقوف مركبة الشمس فى هذين البيتين يعنى توقف الزمان وهذا معنى تردد كثيراً وبنفس الطريقة فى أشعار عبد الوهاب البياتى .

المهم أن نازك الملائكة تقلد أستاذها علي محمود طه فى قصيدة «ثلج ونار» التى يشي عنوانها بهذا التقليد . ولقد نشرت هذه القصيدة فى ديوان «شجرة القمر» واختتمتها الشاعرة ببيتين يوجزان معنى القصيدة ككل وهما كما يلى :

ذلك ما شـاءته أقـدار مقضيـة
أدم مثـل الثلـج وحـواء ناريـة

شجرة القمر ... تلتهب

ومن الصدف العجيبة أن أسم نازك الملائكة نفسه ـ وفى شطريه ـ يحمل بين حروفه فكرة النار . وفى الحقيقة ما أن تسربت أساطير النار الى أشعار نازك حتى شاعت فيها شيوع السنة اللهب فى الهشيم بل ونلاحظ إطراداً مستمراً فى وضوح ونضوج أساطير ورموز النار من قصيدة لأخرى من نتاج هذه الشاعرة . وفى قصيدة «شجرة القمر» استغلت الشاعرة قصة من أدب الأطفال الانجليزى لتصوغ قصة شعرية تقول فيها :

وطاف الصدى بجناحيه حول الجبال وطار
الى عربات النجوم وحيث ينام النهـار
ووجه كأنّ أبولـون شبيـه بالوضـاءة

وما يلفت النظر هنا أن الأساطير الشمسية الاغريقية لم تجعل للنجوم «عربات» واختصت «هيليوس» رمز الشمس فقط بهذه الميزة فهو الذى يقود عربة الشمس من الشروق الى الغروب . ولكن شاعرتنا ـ كغيرها من شعرائنا المعاصرين ـ جمعت العربة فأصبحت «عربات» وربطتها بالنجوم وهى إنما فعلت ذلك لأن السياق يقتضيه فهى تتحدث عن القمر الشمسى وفى ليالى القمر «ينام النهار» . أما الذى يوحى بالشمس هنا فهو «وجه .. أبولون» فهو رمز الطب والرياضة والنبوءات الوثنية ولكنه الى جانب ذلك قد شارك هيليوس رمز الشمس بعض وظائفه والقابه ومنها «فويبوس» وتعنى «الوضاء» أو «المضيء» .

ويبلغ الرمز الأسطورى بالنار والشمس حد النضوج والعمق فى ديوان نازك الملائكة «يغير البحر ألوانه» . ففى قصيدة «تمتمات فى ساحة الاعدام» بهذا الديوان تقول الشاعرة عن الفدائيين :

نحن ارتفعنا
نحن مع البرق قد نصعنا
ومن حليب الفداء والشمس قد رضعنا
ونحن كنا براعم النار فاندلعنا

فالنار والشمس كرمزين شعريين لروح الفداء والثورة يدخلان هنا فى نسيج معنى ومبنى الكلمات بل وعلاقاتها ببعضها البعض وناهيك عن البلاغة الماثلة فى الفعل «نصعنا» و «رضعنا» و «اندلعنا» عندما تقترن على التوالى بالبرق وحليب الشمس وبراعم النار

وهكذا حصاد ... سنابل النار

تعد أروع الصور النارية وأنضجها فى شعر نازك الملائكة تلك الواردة فى قصيدة «سنابل النار» المنشورة فى ١٩٧٤/٢/٩ وجاءت فى ديوان «يغير البحر ألوانه» وتقدمها الشاعرة بقولها «ذات شتاء أثمرت النار فاشتعل الحب ثلاث دوائر واصفرت معه النار ثم احمرت ثم صارت بيضاء تحرق عينى من يحدق فيها» . وهذا كلام لا يصدر إلا عن شخص جلس يراقب عملية اشتعال النيران مراقبة دقيقة وفاحصة كما

سارق النار.. وملهم الشعار

أن لهذه الدوائر الثلاث دلالات رمزية تستغلها الشاعرة فى القصيدة أروع استغلال . وجاء فى القصيدة :

تقلبني جبال خواطر وبحـــار
تدب النـــار مشعلة ثلوج دمي
يلامـــس دفؤهـــا نغمي
بريق لهيبها صفـــا على عودي ويصحى
غفوة الأوتـــار
ويحملني جناح النـــار
لكل دوائر الحـــب
ثلاثتهـــا وينبـــت لي على قلبي
جناحين من الحلم ، من التذكار
ولولا النار ماكانت ثمار الحـــب .. لولا النار
عرفت توهج الأهواء حول لهيبها
... فعواطفي أغـــــوار .
من النيران تبدأ رحـــــلتي .
ففى أغصاني النشوى يكاد يسيل نسخ النار

وإلى هنا قدمت نازك الملائكة الفكرة العامة لقصيدتها وكيف دبت النار فى دمها الثلجى فطارت على أجنحة النار الى كل دوائر الحب فلولا النار ما أحست بهذه العاطفة الدافئة وما كانت ثمار الحب لتنضج وما عرفت توهج الأهواء فمن النيران تبدأ كل الأشياء وتنتهى .

وهذه بالطبع فكرة أسطورية عرفتها شعوب كثيرة منذ القدم ، منهم المجوس ومنهم الاغريق والرومان . وبلغت هذه الفكرة أقصى ما وصلت اليه فى العالم القديم من ذيوع وشيوع ، وازدهار وانتشار على يد اتباع الفلسفة الرواقية التى جعلت النار أصل كل شيء بما فى ذلك الروح . بل اعتبر فلاسفة الرواق النار مهندساً بارعاً ينظم الكون ويعيد ترتيب أى خلل فيه ويصلح ما قد يفسد من أجزائه أو يتعطل . فاصبحت صاعقة زيوس رمزاً للنظام الكونى واستتباب الأمن والسلام فى العالم وكذا استقرار النظام واستمرار الحياة .

ونبدأ مع نازك الملائكة دائرة الحب النارى الأولى إذ تقول :
هواى الأول الحسى دائرتى الصغيرة
جسمت السنة النيران لي شخص حبيبى
أطلعت لي وجهه من شفق الذكرى ...
سماء فى غلالات غـروب .
وجهه أم زهرة حمراء ؟ أم وهج ضياء
وجهه أم وردة النار وعنقود شرر ؟
وشظايا لهب أم مزرعة ؟
...
أصابت ناره صفرة
بلون الشك والأهواء والغيرة
مؤرجحة كانـى قشة فى حضن اعصار
مضيعة بوديان الهوى الخطرة
وألبس معطف النار
...
ومثل الحب هذى النار السنة مراوغة
فلا تلمس ...

فيا نارىُ يا نارى
غرامى الجامح الأرضى يشبه وجهك الأصفر
فلمس كليهما دفء
وطعم كليهما سكر
وقبلاتهما تجرح كالخنجر
ويا نارى من لجة هذا الموقد الأصفر
يا نارى اصهرينى طهرينى وارفعينى
اننى انفقت فى حب التراب سنيني

فدائرة الحب الأولى إذن ترمز للحب الحسى وهى كالنار فى بداية اشتعالها صفراء لا أمان لها . ومع أنها دافئة وطعمها سكر إلا أن قبلاتها تجرح كالخنجر . فهو حب لا تدينه الشاعرة إدانة كاملة ولكنها فقط تعتبره مرحلة أولية ترابية تمهدنا للانتقال الى الدائرة الثانية حيث ينسى فيها المرء ذاتيته وأهواءه الشخصية ويذوب فى حب أشمل من ذلك . وفى الأبيات الأخيرة تبرز فكرة النار المطهرة وهى أيضاً فكرة أسطورية عرفتها جميع الشعوب القديمة وتدرجت فيها من علاج الامراض والجروح عن طريق الكى بالنار ثم بالحرق ـ أى حرق الميت ـ ليتحول الى رمز وهذه طقوس معروفة فى عبادة أباطرة الرومان وغيرها من العبادات الوثنية .
على أية حال هيا ندخل الدائرة الثانية من دوائر الحب النارى عند نازك الملائكة :

فالى الدائرة الثانية الوسطى انقلينى وابعثينى
فى الدجى قبرة لائغة تهفو لبيارات يافا وجنين
... فلسطين أم الأرض
هواى لها يغير جوهر النار
تبدل موقد النار
وصار اللهب الأصفر جمرا قانى الحمرة
له حجم ، له شكل ، وخلف أجيجه فكرة
إذا ما شئت ألمسه بكفيا
أوزعه هنا وهنا وأنثره
ألمله أبعثره
وحمرة ذلك الجمر
دم يجرى
بلون الغضب النازف من جرح فلسطين

فالدائرة الثانية إذن هى رمز حب الوطن وبصفة خاصة تحرير فلسطين فما هى يا ترى الدائرة الثالثة ؟

ويا نار اهدمينى
طهرينى واغسليني
والى دائرتى الثالثة العليا انقلينى
إننى أصعد بالنار الى ذروة أفاق حنينى
وحب مليكىَ المحبوب غير جوهر النار
وصارت ناره بيضاء كالبرق
بياض النار يبهرنى
هنا وطنى
هنا وطنى
أغيب .. أغيب لا أبصر حتى النار

وهكذا ترقى بنا نازك الملائكة فى دوائر حبها النارى المتصاعد من دائرة الحب الحسى المحدودة الى دائرة حب الوطن الأوسع والأرحب بل والأعلى مرتبة من الدائرة الأولى . أما الدائرة الثالثة فهى دائرة الحب الصوفى حيث يندمج المخلوق مع الخالق ويترفع بنار الحب الى أفاق النجوم والشموس فيطوى حدود المكان والزمان ويمتزج بجوهر النار ويصبح معه شيئاً واحداً الى حد أنه لا يبصره .

د. أحمد عتمان

رسائل غير عادية

بقلم : معروف رفيق

إلى المنزل والمدرسة

فلتكن هذه الرسالة .. مزدوجة العنوان ، متوحدة المضمون .. لأنها الى صانعى الانسان : المنزل ، والمدرسة ..

الدراجة تسير على عجلتين .. المنزل هو العجلة الامامية .. والمدرسة هى العجلة الخلفية .. فاذا سارت الدراجة على عجلة واحدة .. كانت كدراجة السيرك .. لا يقودها الا بهلوان ...

والعربة التى يجرها حصانان ، لابد لها من السير الى الامام .. أما اذا تعارض الحصانان ، بحيث شرق الأول ... وغرب الثانى .. فلابد للعربة من الوقوف ... وربما التصدع ..

ولا بأس أن نكرر المثل المتداول فى مثل هذا المقام ... المنزل والمدرسة وجهان لعملة واحدة ، هى الانسان ..

ولا بأس أيضا ، أن نكرر المثل الشعبى : يد واحدة لا تصفق وحدها .. فاذا كنا نعلم كل هذه المعلومات ... ونحفظ كل هذه المحفوظات .. عن الدور المثالى للمنزل والمدرسة ، فلماذا إذن هذا التخلف العربى ، فى تخريج الانسان العربي ، القادر على صنع التقدم ، قفزا على حواجز التخلف ؟ ..

يذهب الوالد الى المدرسة عندما يعجز عن تربية ولده ، ويقول بصوت مفعم بالصدق : أيها المدرسون ، لكم اللحم ، ولي العظم ...

ويصاب المدرسون بالزهو والخيلاء .. فها هو الوالد يعترف بعجزه .. وها نحن نصبح فى نظر الآباء .. المنقذين الوحيدين لا اللحم للمدرسين .. ولا العظام للآباء .. فليس الطالب شيئا قابلا للقسمة والتجزئة .. وليست عملة التربية الصحيحة ، عملة بوجه واحد .. انما هى عمل متكامل .. يجرى التعاون على إنجازه بين منزل ومدرسة ، بين والد ومعلم .. بين أم ومعلمة ..

ثم لماذا يتعاون الآباء والمعلمون على الطالب ؟ ولماذا لا يتعاونون من أجل الطالب ؟

وقد يجرنا الحديث عن التربية فى وجهى العملة التربوية الواحدة .. عن أسلوب التربية والهدف منها ..

أما الهدف فقد تعارف عليه الأقدمون والمحدثون على اختلاف الآراء والأساليب ولعل الهدف الأسمى يكمن فى تربية الأبناء من أجل مواجهة الحياة وفهمها والاسهام فى الحضارة الانسانية ..

فالبيت الذى يوفر الطعام والماء والرداء ... ويتوقف عند حاجات الجسد دون حاجات الروح والعقل .. إنما هو راع يسمن الخراف فقط . بينما الانسان أعظم من ذلك ..

والمدرسة التى تحشو العقول بالمعلومات وتنسى أو تتجاهل حاجات النفس والروح والعقل . فهى إنما تصنع جهاز كمبيوتر .. لا إنساناً أسمى وأعظم .. تلك خطوط رسالة اليوم .. وهى ألفباء التربية ..

وسلام على المنزل ... وسلام على المدرسة ...

إلى سمكة ..

عزيزتى السمكة ، أسعد الله أوقاتك وملأ البحر بأمثالك .. وبعد ، فمنذ أن غنى المطرب الراحل ، عبد الحليم حافظ قصيدة نزار قباني « رسالة من تحت الماء » .. وأنا أفكر أن أخط اليك رسالة عتاب ، فربما رددت على بجواب ، أو بعلامة اندهاش واستغراب وأكاد أسمعك تتحدثين من خياشيمك الحمراء ، وبأسلوب يحمل فى طياته بعض الكبرياء .. ماذا تريد منى ؟ ماذا تريد وقد ضحيت بكثير من بنات جنسي على موائدكم ؟ ولكنكم أيها الناس ، أهملتم أماكن إقامتى وما حافظتم على سلامتى ، فأنا أختنق من زيوتكم وشحومكم ، تلك التى تملأ البحار وليس من يلومكم .. ثم إنكم لا تحسنون مواسم الصيد .. مع أن علوم البحار منتشرة فى جامعاتكم ومجلاتكم .. ومع ذلك ، تلقون على عاتقى سبب غلائى وارتفاع أسعارى فى السوق ، وتعيدون وتكررون كلام الشاعر عبد الرحمن رفيع ..

الذى قال فى عام ٧٣ .. (والله زمان .. الشعرى صار بثمان) ..

أيتها السمكة يا رفيعة المقام .. لقد سمعت وأوضحت .. فما أنت الا حيوان بحري مسخر لنا .. نصطادك ونشويك ، ونطبخك أو نقليك .. ومع ذلك .. فقد انشغل الناس عن صيدك بمختلف الأعمال .. لأنها تدر عليهم مزيداً من الأموال .. وتركوك لبضعة من التجار .. يعرضون علينا ما يحلو لهم من أسعار .. حتى صرت طعام الأكابر دون الأصاغر .. ولولا أن المولى عز وجل .. خلق المزيد من الأنواع ... كالشعرى والكنعد والهامور .. لكان الزبيدى والربيب والصافى ، يباع فى الصيدليات .. فضلا عن البقالات ..

سبحان الذى أبدع اللحم وأبدع الفول .. وكلاهما يحتوى على البروتين المطلوب .. سبحانه تعالى .. لم يترك عباده للأطماع والا كان معظم البشر فى عداد الموتى .. ولكنه وهو العليم الحكيم ، قد جعل الكون فى أحسن تصميم ، فكانت القناعة كابحاً للمطامع ، وكانت الرحمة كابحاً للقسوة والجبروت .. وكانت أجسامنا عرضة للتلف بسبب التخمة ، كما هى عرضة للتلف بسبب الجوع والمخمصة ..

إيه أيتها السمكة ..

اكتب اليك وأعلم أنك تهربين من كل حركة ، مخافة أن تقعى فى الشبكة .. اطمئنى ... لا شبكة عندى ولا زورق .. فاذا نزلت الماء كدت أغرق .. فداومى على مراسلتى .. ولسوف أذكرك كلما رأيتك على المائدة .. قبل أن تصبحى فى عداد الأسماك البائدة .

كتاب الشهر

زكى طليمات علم من أعلام المسرح العربى،ورائد كبير من رواده.لمع اسمه فى الحركة المسرحية فى أواخر الحرب العالمية الأولى . ومنذ ذلك التاريخ وهو يؤدى دوراً رياديا فى مسار الحركة المسرحية مخرجاً، وممثلاً،ومديراً فنياً لكبرى الفرق،وناقداً فنياً،وعميداً لمعهد الفنون المسرحية، وأستاذاً لفنون المسرح ، كما امتد نشاطه الى الدول العربية مشاركاً بخبراته فى تأسيس مسارحها القومية . وإليه يدين المسرح العربى بما استطاع أن يحققه من مستوى رفيع ، فقد كان الفنان دائماً صاحب رؤية علمية متكاملة فى الارتقاء بالمسرح العربى والنهوض به من الارتجال والاجتهادات الفردية الى مرحلة التوظيف العلمى لفنون المنصة ، وكانت عدته فى ذلك دراسته الاكاديمية بفرنسا وخبرته العميقة الطويلة وموهبته الفنية وشخصيته الجبارة الصلبة التى لم تهادن أبداً فى سبيل الفن الصحيح .

ذكريات ووجوه





تأليف : زكي طليمات

عرض وتحليل : سمير عوض

اثرى زكى طليمات المكتبة العربية بمؤلفات ثمينة فى تاريخ المسرح العربى وفن الممثل ، ومنذ اسابيع ظهر كتابه الأخير بعنوان «ذكريات ووجوه» تناول فيه طائفة من الشخصيات الفنية المؤثرة فى الحركة الفنية خلال نصف قرن وكان لها دور بارز فى صنع تاريخ الفن فى مصر ، هى روز اليوسف ، جورج ابيض ، سلامة حجازى ، سيد درويش ، يوسف وهبى ، طلعت حرب عزيزة امير ، ام كلثوم ، حلمى عيسى ، نجيب الريحانى ، علي الكسار ، فاتن حمامة ، احمد فهيم ، منسي فهمى ، خليل مطران ، د. حسين هيكل ، وعلي أيوب .

هذه الشخصيات لم يعالجها المؤلف من خلال النقد او التاريخ أو السرد لحصادها الفنى والأدبى ، لتخرج فى النهاية مجموعة من السير او عرضاً نقدياً لتلك الشخصيات ، بل نراه يكتب عنهم من واقع لقاءاته المباشرة والحية بهم ، دون أن يعتمد اساساً على روايات استقاها عنهم ، ذلك انه عايش هؤلاء كما كان يعايش شخصياته المسرحية اثناء اخراجها وتمثيلها وتابع سلوكها عن قرب ونفذ الى أعماقها ليجلو خباياها ويكشف الدوافع المحركة لتصرفاتها ، الخالقة لابداعها .

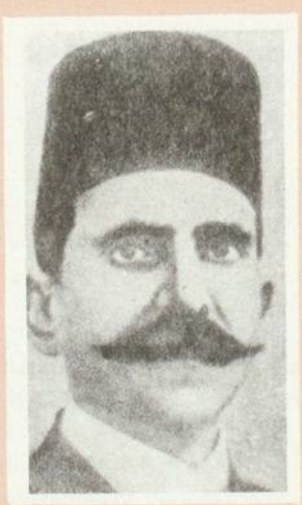
إن الخبرة المباشرة هى المعين الذى استمد منه المؤلف مادة كتابه ، لكنه لم يقدم كل ما لديه ، فهو يملك قطعاً مادة وفيرة ، اضعاف ما جاء فى الكتاب من الذكريات والخواطر والأحداث والتأملات



روز اليوسف



جورج ابيض



سلامة حجازى

والسير والطرائف ، لكنه اكتفى بتصوير جوانب معينة من الشخصيات . وان كان يخرج احيانا على هذا المنهج بان يقدم لنا عرضا تحليليا ونقديا لفن تلك الشخصية كما فعل مع سلامة حجازى وعلي الكسار ومحمد عبد الوهاب .

فالكتاب فى الحقيقة اعمق من الذكريات او هى ذكريات منتقاة بحرص من خزانة الذاكرة وخبرات الماضى يقدمها كعناصر تتالف منها صور شخصيات ، يوظفها كمداخل لفهم ابعادها النفسية والفنية ، ولا يهم ان تكون الصورة كاملة الملامح والتفاصيل ، انما ما يرمى اليه هو ان تبرز جانبا اساسيا من حياة الشخص او ملمحا بارزا من فنه كما لو كانت «كاريكاتور» يضخم ميزة او سمة ، واحيانا تبدو الصورة كلوحة لا تظهر منها سوى القسمات دون الدقائق ، واحيانا اخرى يستطرد فى وصف بعض التفاصيل وظلالها .

هناك من الشخصيات التى خصها بالكشف عن الزوايا المجهولة فى حياتها او التى كان لا يعرفها سوى الخاصة ، واخرى اطلعنا على المواقف الحاسمة فى تاريخها ، واحيانا يعري لنا عيبا جسميا او خلقيا ، ليس ليفضح صاحبه بل ليبنى عليه عصاميته وقدرته على التسامى الى مرتبة التفوق الفنى الفريد .

الدرس الذى تعلمه

الدرس الذى تعلمه طليمات من الممثلة روز اليوسف .. كانت امنية زكى طليمات ان تتاح له فرصة اللقاء بالممثلة العظيمة الحسناء ، روز اليوسف ، كان آنذاك فى شبابه المبكر ، وذهب ذات يوم بصحبة احد الكتاب المعروفين الى بيتها ، كانت الفنانة تعد طعامها واستفسرت منه عن معنى اسم «طليمات» ، لكنه لم يدر جوابا ، وعندما عبر لها عن شوقه للتمثيل ، بادرته قائلة : تعرف تطبخ .. ! .. تعرف ترقص كويس ؟! فاجابها بالنفى . واستجمع الفتى شجاعته وسالها ما علاقة الطبخ والرقص بهواية المسرح واجادة التمثيل ، ويومها احس انها تحدثه بالالغاز ، فانصرف متبرما . فاجابت : لما تعرف العلاقة دى تبقى ممثل صحيح .

لكن طليمات ادرك بعد اعوام امضاها فى حرفة التمثيل والاخراج ان روز اليوسف لم تكن تهزل بل كانت جادة لان الدور التمثيلى بين يدى الممثل يجتاز عملية حاذقة ليخرج ناضجا فوق المسرح . وبين الرقص والتمثيل علاقة وثيقة فهما يقومان على اسس واحدة من الايقاع والانسجام والرشاقة فى التعبير ، وبعد سنوات قليلة تزوج الفنان زكى طليمات من الفنانة القديرة روز اليوسف .

الشيخ سلامة حجازى

ولقد عشق زكى طليمات فى صباه صوت الشيخ سلامة حجازى . وكان يتسقط اخباره على مقهى مجاور لمسرح دار التمثيل العربى من عجوز صاحب الشيخ فى مختلف مراحل حياته . وكان سلامة حجازى صاحب صوت مجلجل جبار . كان إذا ارتفع بالغناء تجاوز الى ما وراء جدران المسرح حيث احتشد جمهور من المارة يستمعون اليه بالمجان . صوت رخيم نفاذ يعلو ويهبط يشتد ويلين فى مدارج التعبير عن الكلام . يقفز فى يسر وتناسق فوق درجات السلم الموسيقى صعودا وهبوطا ، يعتصر النغمات والتراكيب الموسيقية ، يستقطر كل ما تعود عليه من قوة التعبير ، وكانه يحس فى وعيه الباطن بان هذه التراكيب لا تؤدى ما يريده من التعبير ، ومرد ذلك فى تقدير طليمات ان الشيخ كان يعانى صراعا داخليا لان الموسيقى العربية تحرص فى ذلك الوقت على التطريب اكثر من عنايتها بالتعبير ، فكان يحاول ان يحقق هذه الثورة دون ان تفقد الموسيقى العربية عطرها وطربها .

وإذا كان ما يؤخذ على الشيخ جهله بدقائق الفن فى الالقاء والتمثيل إلا انه كان على موهبة اصيلة ، مرهف الحس صادق الانفعال مؤثرا فى تعبيره ، وكان حرف

كتاب الشهر

ذكريات ووجوه





فاتن حمامة

القاف يجرى على لسانه «كافا» «فحبيبة قلبى» تتحول على لسانه الى «حبيبة كلبى» دون ان تثير ضحك المتفرجين لأن انشاده الفريد كان يغفر اخطاء الممثل .

وذكريات المؤلف وان كانت تلح عليه فى المواقف الكبيرة من الحركة المسرحية . وتتضافر فى رسم صور لكبار الفنانين ، إلا انها تلاحقه ايضاً فيجلو لنا صوراً لرجال ارتبط اسمهم بالمسرح دون أن يكونوا من رجاله العاملين .

من هؤلاء الاقتصادى الكبير طلعت حرب مؤسس بنك مصر وشركاته ، والذى ساند مشروع بناء مسرح حديقة الازبكية ، واضفى الطابع العربى على معماره ، كما شجع تقديم مسرحيات محلية مؤلفة وملحنة تلحيناً عربياً لفرقة عكاشة ، وكان ذلك بحافز من الوعي القومى كما فعل فى عالم الاقتصاد .

وزير التقاليد

اما الرجل الثانى فهو الوزير حلمى عيسى الذى كان اسمه مقروناً «بوزير التقاليد» ، فهو الذى اغلق عام ١٩٣١ اول معهد حكومى للتمثيل بحجة مخالفته للتقاليد ، وطليمات فى كتابه يبرىء الوزير من هذه التهمة التى الصقت به ، لأن الحقيقة التى تكشفت بعد سنوات تشير الى الفاعل الاصلى وهو فؤاد الأول ملك مصر فى ذلك الوقت الذى امر باغلاق المعهد خوفاً على عرشه ، ذلك أن انقلاباً وقع فى افغانستان عام ١٩٣١ اطاح بالملك امان الله لخروجه على تقاليد الأسلاف وفتح النوافذ للتيارات الغربية ، فخشي الملك فؤاد ان يلقى نفس المصير ، فاخذ يراجع كل جديد فى الحياة المصرية وكان على راس القائمة معهد التمثيل الذى امر بغلقه .

راء فاتن حمامة

ومن ذكرياته الطريفة يروى لنا زكى طليمات قصة لقائه الأول مع التلميذة فاتن حمامة وكان ذلك فى المحاضرة الأولى من افتتاح معهد فن التمثيل فى منتصف الاربعينات فقد لفتت الطالبة انتباهه كجسم صغير الحجم ينمو بحساب دقيق ، فتاة وسيمة ذات وجه صغير بالغ الوسامة كوجه العرائس الغالية ، هذه الطالبة الجميلة يتحول حرف الراء على لسانها الى غين ، انها لدغاء تخرج بقية الحروف على لسانها سليمة المخرج فصيحة المنطق .

وعلى الفور شرع الأستاذ يعالج هذا العيب ، وكان العلاج انه جعل الطالبة تتعرض للاستثارة والانفعال العنيف ، ثم تتلو عبارة حول طالبسمين هى : «انحشر حشرأ فى الدرج ولم يقدر أن يخرج» . وامر الطالبة أن تقرأ هذه العبارة بسرعة لمرات متتابعة .

ويحكى طليمات أن الطالبة اندفعت غاضبة تنفذ ما امرها به ، ووقعت الاعجوبة إذ بدأت اللدغة تفقد حدتها تدريجياً ، وكانت هذه الطالبة هى فاتن حمامة التى اصبحت سيدة الشاشة العربية .

خليل مطران الشاعر

وفى الصورة التى رسمها الفنان للشاعر الكبير خليل مطران لا يقف طويلا عند شاعريته ، بل يلقى الضوء على شخصية رجل الادارة فى مواجهة الشاعر . ذلك أن مطران عمل مديراً للفرقة القومية المصرية وهى أول فرقة مسرحية انشاتها الدولة عام ١٩٣٥ ، وظل مطران على مقعد الادارة سبع سنوات . غير أن العلاقة بينه وبين طليمات مخرج الفرقة لم تلبث أن تعثرت لان اصحاب الوشاية اوهموا مطراناً بان طليمات يسعى الى اخذ مكانه فى إدارة الفرقة ، فتوجه اليه طليمات فى مكتبه بالجمعية الزراعية بالجزيرة وكان يعمل سكرتيراً عاماً لها الى جانب عمله مديراً للفرقة ، ليدافع عن نفسه وينفى ما أشاعه عنه الوشاة .

وكان من عادة مطران انه يقيم حاجزاً بينه وبين اعضاء الفرقة حتى لا يتجراون عليه ومع ذلك كان اعضاء الفرقة يلاحقونه حتى فى مكتبه بالجمعية الزراعية بل ويقترضون منه دون أن يردوا له الدين .

ويقول طليمات ، إن الشاعر الرقيق الحانى الكريم الذى يكمن وراء تجهم مدير الفرقة هو الأصل ، أما المدير الخشن فطارىء ودخيل عليه . وفى مكتبه اخذ الشاعر يروى له حادثة تركت اثراً فى انفه واشار الى قصيدته «تذكارات الطفولة» :

هل تذكرين ونحن طفلان
عهداً بزحلة ذكره غنم
إذ يلتقى فى الكرم ظلان
يتضاحكان وتانس الكرم

لقد تظاهر امام صديقه بانه يجيد ركوب الخيل مثلها فجمح به الجواد والقى به ارضاً وركله فى انفه .. وعلق مطران على هذه الحادثة «هذا عقاب الحب ، لاننى كذبت على من احب ، وان لم اكذب فى حبى» .

ابن الباشا

من بين الشخصيات التى تناولها المؤلف طائفة اخذ يبحث عن مفتاح يفسر به مسلكها وانجازاتها الفنية وغير الفنية ، وليس هذا المفتاح سوى مركباتها النفسية او عقد النقص فيها . فهذا عزيز عيد المخرج والممثل المشهور صانع النجوم والمدير الفنى لمعظم الفرق الكبرى فى الثلث الأول



طلعت حرب



عزيزة امير



محمد عبد الوهاب



خليل مطران

من هذا القرن كان قصير القامة ، اصلع طويل الأنف ، كان فنانا غاضبا ، دائم القلق يبحث عن الأفضل والاجود ، دائم الصدام مع مديرى الفرقة . يشكو تسلطهم واستبدادهم بالفنانين . هنا يحاول المؤلف أن يقيم رابطة بين نبوغ وعبقرية عيد ، وبين بنيته الجسمية ، وإذا كانت هذه البنية بعيوبها لا تصنع الموهبة ، إلا انها الشرارة التى تشعل وهجها .

ويوسف وهبي ، صاحب واحدة من أشهر وأكبر الفرق المسرحية لم ينشيء فرقته عام ١٩٢٣ ولم يغامر بثروته التى ورثها من أجل الفن كما يقول زكي طليمات . بل هناك حافز يكمن وراء هذه المغامرة وهو أن يوسف وهبي ابن أحد الباشوات ، أحس بالأرض تهتز تحت قدميه حينما احترف صناعة التمثيل وخرج من حياة القصر إلى حياة الفنادق المتواضعة فى إيطاليا ليكسب عيشه ، كان يوسف يحس هذا ويؤلمه رغم عشقه للمسرح ، فأخذ يبحث عن فرصة ليفجر عملا مدويا .

وجاءته الفرصة حين ورث أكثر من عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية ، فانشا مسرح رمسيس وأصبح على راس فرقة تضم المع الممثلين بقيادة عزيز عيد ، وبذلك يبنى مجدأعصاميا جديدا يحقق له شهرة ابن الباشا .

عبد الوهاب .. وحرارة الروح

والتقى طليمات بالفنان محمد عبد عبد الوهاب لاول مرة عام ١٩١٨ ، كان الموسيقار فتى نحيل الجسم ، وفى وجهه شحوب وهزال وفى عينيه قوة وبريق وفى نظرته حلم وصفاء ، يطرب الجمهور فى فترات الاستراحة بفرقة عبد الرحمن رشدي باغاني الشيخ سلامة حجازي وسيد درويش .

ومن صورة عبد الوهاب فى صباه يمضي المؤلف فى تحليل فنه الموسيقى ، فيصف موسيقاه بانها موسيقى تؤرخ عصرها وتعبر عن روح ذلك العصر وتعكس مزاجه فى بلبلته الذهنية وفى قلقه الاجتماعي وتارجحه بين القديم الذى سئمه والجديد الذى ياخذ منه ، لكنها موسيقى رغم تفاوت الآراء بشانها ، يترنم بها المعجبون ، ويهمس بها غير المعجبين . وترجع هذه الحالة العجيبة الى أن الالحان تصدر عن فطرة سليمة وتمر فى طبع خصب ، اداء لايقوم على جهارة الصوت وجلجلته ولا على التشدق باللفظ وإنما يقوم على حرارة الروح ووهج الشعور وامتلاء النفس بالمعنى .

وعن صداقة عبد الوهاب الحميمة بالشاعر أحمد شوقى يقول طليمات انه ورث عنه مجافاة النقد ومحاذرة الناقدين وحبه لجمع المال بمهارة .

ويفتح طليمات صفحة جديدة من ذكرياته الشيقة التى يكشف فيها عن لقاءاته العاصفة بنجم المسرح الكوميدي نجيب الريحاني . وكان طليمات من الد خصوم المسرح الهزلي الذى ازدهر ابتداء من الحرب العالمية الاولى ، وطغى على المسرح الجاد وانتزع منه جمهوره . ويقصد بالمسرح الجاد المسرحيات المكتوبة بالفصحى سواء كانت مقتبسة او مؤلفة ، لكنها لا تتناول واقع الحياة .



سيد درويش

الريحاني يتألم والجمهور يضحك

وفى عام ١٩٢٢ التقى طليمات بالريحاني فى مقهى بشارع عماد الدين ، شارع الفن وقتذاك ، وكانت المواجهة ساخنة اشبه بمناظرة فنية بين ممثل المسرح الجاد وممثل المسرح الهزلي . وجاء فيها :

طليمات : انت بتشتغل فى التمثيل علشان تعمل فلوس .

الريحاني : وعايزني اشتغل فى التمثيل والحس صوابعي ؟ !

ـ وانت بتضحك على الناس ومن الناس

ـ طيب ما تعملوا زيي ..

ـ مانقدرش نعمل التهجيص بتاعك ..

وكان ردا قاسيا ، لكن الريحاني تلقاه بضحكة مدوية يخالطها الكثير من الاشفاق

ـ انتم لسه بتقدموا فى رواياتكم نابليون ولويس ، وانا اقدم دقدق ، وسيد وحلويات وشلبية .. الجمهور المصرى يريد أن يكون غذاؤه الذى يتناوله من المسرح مثل غذائه الذى يملأ به بطنه .

ـ الجمهور بيحب الطعمية والفسيخ والمش .. معدته هزيلة وذوقه مريض والمسرح أداة إصلاح وارتقاء .

فاجاب الريحاني بان الاصلاح والارتقاء لا ياتيان دفعة واحدة ، وانه يحاول بمسرحياته الفكهة أن يدخل اللحم الدسم فى سائر الوان الطعام الذى يتقبله الذهن المصري ، فلا يمكن تقديم المسلوقات بدون زبد أو دسم ، وكذلك لايمكن تقديم اللحم بدون توابل .

كتاب الشهر

ذكريات ووجوه



واستمر الريحاني في الحديث وانتقد الأسلوب البياني الرصين الذى يلتزم به حوار معظم ما كان يقدمه المسرح الأدبي فى ذلك الوقت ووصفه بالحذلقة والتكلف . وأحس طليمات بالهزيمة أمام منطق الريحاني .

وفى عام ١٩٣٠ سعى طليمات لمقابلة الريحاني ليثار منه ، لكن الفنان كان يعاني عذابات وأوجاع غرام لم يشف أبداً منها . وغادر غرفته الى المنصة وما أن اندمج فى دوره حتى استغرق الجمهور فى الضحك ، فالريحاني يضحكه ويبدد همومه بينما قلبه يدمى ولا يستطيع هو أن يمسح دموع حبه الجريح .

الكسار المضحك العصامي

ويأتي دور الكسار فى حديث الذكريات ، كان الكسار فناناً موهوباً متميز الأداء وأحد قطبي الفكاهة فى مصر بين الحربين ، وكان صاحب فرقة كبيرة للتمثيل الفكاهي ظلت تعمل نحو ثلاثين عاماً ، وكان هو بطل الفرقة وممثلها الأول الذى اشتهر بدور البربري عبد الباسط ، وانتهى به المطاف ، بعد رحلة الصعود الى ذرى المجد ، أن يصبح ممثلا بالمسرح الشعبي بأجر شهري قدره ٣٠ جنيها ، يجول الأقاليم بعد أن كانت الجماهير تسعى إليه .

لقد التقى طليمات الذى كان مؤسساً للمسرح الشعبي (عام ١٩٤٦) بالكسار فى لحظة انكساره وأفول نجمه وزوال مجده ، وأخذ يروى كيف أنه كان يربح فى بعض الأعوام نحو ١٦ الف جنيه ، كذلك كان يربح شريكه المؤلف المترجم أمين صدقى ، وذهب المال هباء على الممثلين والمزاج والاسراف . كان الكسار فناناً عصامياً ، عمل فى مطلع شبابه طاهياً فى بيوت السراة ، ورغم أميته ، إلا أنه لم يكن يشكو أمية الذهن والقلب بما وهبته الفطرة من ذكاء وإدراك وتخيل وسرعة البديهة وخفة الظل ومرونة الحركة . كان جمهوره من الفئات الشعبية التى تضحكها النكتة المليحة والقافية والحركات المرتجلة .

قال عنه الاستاذ دني دينيس عميد الكوميدي فرانسير ، أثناء مشاهدته لفرقة الكسار بمسرح الماجيستيك بالقاهرة فى عام ١٩٣٧ : هذا الممثل وإن كان لا يحذق صناعة التمثيل إلا أن الفطرة أودعت فيه موهبة الحضور المسرحي . إن صاحب هذه الموهبة إذا ظهر فوق المسرح بين زملائه الممثلين ، فان الجمهور لا يعود يصغى إلى صوت غير صوته ، بل لايعود يرى أحداً سواه ، ويستطرد دينيس بقوله :

إننى على جهلي باللغة التى يمثل بها الكسار ، أراني منجذباً إليه بقوة مغناطيسية .

أم كلثوم والطريق المسدود

ويروي المؤلف ذكرياته مع أم كلثوم سيدة الغناء العربي ، والجهود التى بذلها لاستدراجها الى المسرح الغنائي ، ففى عام ١٩٤٢ تولى طليمات الادارة الفنية للفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى وبنى خطته على العناية بتقديم الأوبريتات للنهوض بالمسرح الغنائي . وهذا اللون يحتاج إلى أصوات جميلة مدربة ، وهكذا وجد نفسه أمام مهمة عسيرة وهي اجتذاب أم كلثوم من التخت إلى المسرح ، وأخذ يثير فضولها الى معرفة هذا الفن عن طريق تعريفها بالأوبريت والأوبراكوميك ، وحدثها عن شخصية « كارمن » و « غادة الكاميليا » ، وارتاحت الفنانة الى أوبرا « حـــــلاق اشبيليه » فشرع فى ترجمتها تمهيداً لتلحينها ، ومع ذلك لم تفض محاولات


نجيب الريحاني

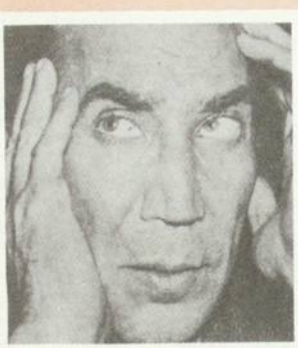

علي الكسار



د . محمد حسين هيكل



ام كلثوم



يوسف وهبي

طليمات مع أم كلثوم إلى أي نتيجة وأحس بان مهمته تمضي فى طريق مسدود .

وفى سياق هذه الرواية يقوم المؤلف برحلة فى أعماق الفنانة ليفسر لنا الجانب الساخر فى شخصيتها ، ويرجع ذلك إلى نشأتها الريفية ، وتجوالها الدائم فى صغرها وشبابها المبكر فى القرى والموالد والأعراس ، مما جعلها تبالغ فى خشيتها وحذرها من الرجال ، وكان عليها أن تبحث عن مخرج لهذا المظهر الجاد الذى تتستر وراءه ، فلم يكن أمامها غير السخرية والتعليق بالنكتة اللاذعة وبعبارات تبعث على الابتسام .

هيكل .. وروسو

وتتسع دائرة الذكريات فى كتاب «ذكريات ووجوه» لتتناول شخصيات من عالم الأدب والسياسة ، ففى عام ١٩٢١ ، تعرف طليمات على الدكتور محمد حسين هيكل فى مقهى بشارع عماد الدين بالقاهرة وهيكل أديب كبير وسياسي مشهور ومفكر لمع اسمه لأكثر من ثلث قرن قبل عام ١٩٥٢. ترك مهنة المحاماة بالمنصورة وجاء إلى القاهرة ليقف فى الصف مع مجاهدى ثورة ١٩١٩ . فى ذلك الوقت تهامس عنه البعض بانه مشاغب . لكن طليمات أيقن من عدم صدق الشائعة وتعلم انه لايجب أن يحكم على شخص بما سمعه يجري على الألسنة وأدرك أن هيكل كاتب جريء يهز الوعي العام بارائه فى ضرورة الانتقال بالحياة المصرية من ظلام الماضي وجموده الى الحاضر الذى يضج بالحركة ، والتطلع الى أوربا فى حضارتها وعلومها وآدابها . وبنفس الحماس إلى الاصلاح ، أخذ هيكل يعالج مشكلات الحياة المصرية .

مرة أخرى يلتقى الشاب طليمات فى عام ١٩٢٢ بالدكتور هيكل الذى أصبح رئيساً لتحرير جريدة السياسة ، ذهب إليه شاكياً من اهمال المحرر لمقالاته فى المسرح والأدب، بل وزاد عليه المحرر تهجمه على طليمات ، فهدأ هيكل من روعه قائلا :

« إن النقد ـ يقصد نقد المحرر لطليمات ـ سواء كان مدحاً أو ذماً ، انما هو انفعال نفسى أمام حالة ما ، والنفس لا تنفعل إلا إذا كانت لهذه الحالة أهمية تلفت النظر .. وإذا كان المحرر ينكر وجوده كعامل يجاهد فى سبيل المسرح ، فان انكسار الشيء هو الدليل على وجوده» وأهداه هيكل كتابه عن المفكر الفرنسى جان جاك روسو ، وهو أحد فلاسفة القرن ١٨ الذين مهدوا لقيام الثورة الفرنسية . فقد نادى بالديموقراطية وثار على نظم التعليم والتربية ، كما أرهص لظهور الرومانتيكية فى الأدب .

وما إن فرغ طليمات من قراءة كتاب روسو حتى عرف لماذا سمى هيكل مشاغباً إذا صح أن المشاغب هو من ينادي بجديد وينكر ما هو قائم .

كتب د. هيكل عام ١٩١١ قصة « زينب » التى تؤرخ المحاولات الأولى الموفقة فى كتابة القصة المصرية الحديثة . وهي قصة رومانتيكية عن فتاة ريفية أحبت حباً نقياً ثم زوجوها بمن لاتحب وعاشت حياتها بقلبين دون أن تخون الزوج أو تتنكر لعهد الحب ، غير أن العلة تمكنت من صدرها وقضى نحبها .

ونشر هيكل القصة تحت اسم مستعار « فلاح مصري » خوفاً من المتزمتين . وتساءل طليمات ، هل خان هيكل استاذه روسو فى جرأته التى لم تعرف يوماً الحذر والخوف ؟ لكنه لا يلبث أن يلتمس له العذر ربما فعل ذلك مكرهاً فى مواجهة مجتمع محافظ متخلف لم يألف بعد التجديد . وإذا كانت قصة زينب تعد علامة مميزة فى نشأة الرواية المصرية فان السينما تدين لهيكل بأول انتاج كبير وهو فيلم « زينب » الذى استمد أحداثه من قصة محلية ذات شأن فى تصوير ملامح الريف المصري فى مطلع هذا القرن .

● ●

لقد استطاع زكي طليمات فى كتاب «ذكريات ووجوه » أن يكشف النقاب عن خبايا نفسية وملامح انسانية فى حياة نماذجه كانت مجهولة أو لايعرفها سوى القليلين فاضاف بذلك أبعاداً جديدة يمكن أن يفيد منها الباحث فى تاريخ المسرح العربي . وإذا كان كل فصل يبدو وكأنه وحدة مستقلة إلا أنها عند التأمل تبدو شريحة من صورة كاملة هي الحركة المسرحية خلال النصف الأول من هذا القرن .

وكم كان المؤلف حاذقاً فى عرض مادته ، فلم يلجأ الى الصياغة الجافة المجردة ، بل استخدم أسلوباً شبه قصصي ، يتخلله حوار شيق حي مع أبطاله .

وكنا نود أن يثري الأستاذ زكي طليمات كتابه بفصول عن كتاب المسرح الذين ارتبط بهم وأخرج أعمالهم بالفرقة القومية وغيرها من الفرق ، أمثال : محمد تيمور ، ابراهيم رمزي ، توفيق الحكيم ، عباس علام ، محمود تيمور ، بيرم التونسى . فلاشك فى أن التقاء المخرج المسرحي بالمؤلف فى عمل مشترك يحفل دائماً بالمناقشات المثمرة ، التى تتفق فيها الآراء كما تتصادم وجهات النظر حول تفسير النص . وفي ظني أن الفنان طليمات قد أرجأ هذه المهمة لكتاب مستقل يحوي ذكرياته ولقاءاته وانطباعاته العميقة عن أشهر المؤلفين الذين التقى بهم خلال رحلة عمره العامرة بالكفاح الفني .

سمير عوض



قف هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

ماذا تعرف عن الحركة الدائمة؟

المقصود بالحركة الدائمة الحركة التى تستمر إلى الأبد ... ولكنها هنا تعني شيئا خاصا جداً.

لقد ظل الناس مئات السنين يحلمون بصنع آلة ما ان تتحرك حتى تتابع هذه الحركة إلى الأبد ، تسهم فى إيجاد أشياء نافعة بدون حاجة إلى مصدر طاقة خارجي . فالآلات ذات الحركة المستديمة ينبغي أن تخلق طاقتها الخاصة في شكل حركة ... ففي كل وقت تكمل فيه دورة عملية تعطي طاقة أكبر مما امتصت واستهلكت .

كان معظم الناس الذين فكروا فى ابتكار هذه الآلة ذات الحركة المستديمة لديهم أهداف عملية فى أذهانهم ... فقد كانوا يريدون أن يمتلكوا هذه الآلة المدهشة التى ترفع لهم الماء من الآبار وتطحن لهم الحبوب بدون حاجة إلى مدد من أية طاقة .

هل من الممكن صناعة ماكينة دائمة الحركة ؟ .

سوف يجيب أي عالم : لا .. والسبب يرجع إلى واحد من أعظم قوانين العلم أهمية ... مبدأ بقاء الطاقة . فبناء على هذا المبدأ لا يمكن خلق الطاقة ولا إفناؤها فى الطبيعة .. يمكن نقل الطاقة من مكان إلى آخر ، ويمكن أن تكون الطاقة أو يمكن إطلاقها .. ولكن الطاقة لا تخلق ... فكل ماكينة تقوم بأي عمل يجب أن يكون لها مصدر للطاقة . ولذلك فقد باءت كل المحاولات التى بذلت لصناعة ماكينة دائمة الحركة بالفشل .. لأن قانون بقاء الطاقة كان لا يزال مجهولا .

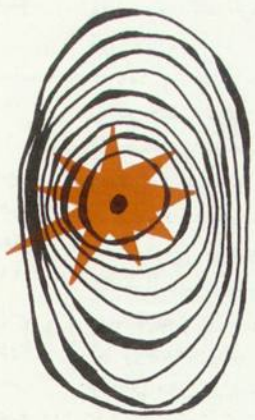
ماذا تعرف عن القارّة المفقودة؟



تروي الأساطير اليونانية القديمة قصة جزيرة أو قارة مفقودة تسمى قارة أطلانطس .. من المعتقد أنها كانت تقع فى المحيط الأطلنطي غربي جبل طارق ... وتروي الأساطير أنها قارة بلغت الغاية فى الجمال ... وأنها كانت جنة حقيقية ... وكانت مملكة قوية دانت لها شعوب جنوب أوربا الغربية كما فرضت سيطرتها على شاطىء أفريقية الشمالي كله ... ثم هزمها الأثينيون ... فانقلب شعبها إلى شعب شرير عابث فاسد ... فكان أن ابتلعهم المحيط عقاباً لهم على ما يقترفونه من آثام ويرتكبونه من شر وفساد ... روى أفلاطون الفيلسوف اليوناني المشهور هذه القصة منذ ٣٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام رغم أن الأساطير تروي أن هذه القارة قد فقدت قبل أفلاطون بتسعة آلاف سنة !!! .

وفي خلال القرون الوسطى تناقل الناس أسطورة هذه القارة وشاعت حتى اعتقد البعض أنها قصة حقيقية ... فقامت رحلات كثيرة فى القرن الخامس عشر بحثاً عن هذه القارة ... وقارة أطلانطس ... وعاد البعض بحكايات متنوعة عن حوادث ربما قد وقعت فعلا ... وربما عاد بعض المغامرين بقصص عن أراضي جديدة اكتشفوها ثم صارت هذه القصص جزءاً من أسطورة أطلانطس العجيبة . ولم يزل هناك حتى اليوم من يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن هذه القارة كانت موجودة بالفعل ... وأنها كانت الموطن الأول للحضارة الانسانية ... وأن كثيراً من الآلهة التى كانت تعبدها الدول القديمة كانوا ملوكاً وملكات فى هذه القارة ... وأن سكان هذه القارة هم أول من عرف الكتابة واخترع الحروف الأبجدية ...

ماذا تعرف عن الضوء ؟



الضوء أحد أسرار هذا العالم الذى نعيش فيه .. مازلنا لا نعرف على وجه التحديد ما هو ؟ نعرف أنه شكل من أشكال الطاقة مثل الحرارة ، أمواج الراديو، ويمكن قياس سرعته وذبذباته وطول موجاته .. كما أن سلوكه يجعله شبيها بالطاقات الأخرى فى جوانب كثيرة .. فنحن مثلا نعرف أن سرعة الضوء هى ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية وذلك يعنى أن شعاع الشمس ينتقل ٥/٨٨٠/٠٠٠/٠٠٠ ميل فى السنة وهى المسافة التى يسميها الفلكيون بالسنة الضوئية .. وهى أيضا الوحدة التى تقاس بها المسافات فى الفضاء .. وقد ظهرت نظريات كثيرة تحاول معرفة الضوء والكيفية التى ينتقل بها .. ففى القرن السابع عشر كان أسحق نيوتن يرى أن الضوء مكون من جسيمات تشبه كرات دقيقة جدا يطلقها مصدر الضوء ، ولكن هذه النظرية لم تستطع تفسير أنواع عديدة من سلوك الضوء .. أما هيجنز الذى عاش فى نفس العصر تقريباً فكانت له نظرية أخرى هى نظرية موجات الضوء .. فالذرات المضيئة فى رأيه تبدأ على شكل ذبذبات أو موجات تشبه بالتى يحدثها حجر صغير ألقى فى الماء وقد ظل الجدل بين النظرتين ١٥٠ سنة .. وقد تلاشت فكرة الجسيمات المضيئة بعد أن عرفت آثار الضوء معرفة يقينية .. ولكن العلماء يعتقدون اليوم أن الضوء يعمل كالجسيمات والموج فى وقت واحد .. وتؤكد تجاربهم الفكرتين كلتيهما .. ولهذا فاننا لا نستطيع حتى الآن أن نجيب اجابة كاملة عن سؤال ما هو الضوء ؟ .

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد نضجاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● قصة غرام فاطمية
●● الزواج ●●● ألغام الدكتور ماغنس

من أدب التاريخ

قصة غرام فاطمية

موضوع مسرحية بديعة

بقلم : محمد عبدالله عنان

تقدم إلينا صحف القصور الاسلامية طائفة من القصص الغرامية الشائقة التى امتزجت بسير الخلفاء أو السلاطين ، بيد أن هذه القصص المشرقية بالرغم من ألوانها المشجية المؤسية أحياناً لا تحمل دائماً ذلك الطابع الروائى العنيف الذى يبدو فى قصص الحب فى القصور الغربية ، ويرجع ذلك أولا إلى روح العصور ، وثانياً إلى تباين الخلال والنظم الاجتماعية ، ففى القصور الاسلامية كان يغلب دائماً ذلك التحفظ الذى سبغ ستار الصمت والكتمان على حوادث وسير لا تحمد إذاعتها وتتقى آثارها بين الكافة ، وكان نظام التسرى الذى يعمر قصور الخلفاء والسلاطين بأسراب الجوارى الحسان من مختلف الأمم والأجناس يحول دون اضطرام هذه العواطف والنزعات العنيفة التى كثيراً ما تضطرم فى قصور الغرب ، وتحمل فى طريقها عروشاً أو تؤثر فى مصاير أمم ومجتمعات ، ومن النادر أن نرى فى التاريخ الاسلامى جارية .. تسيطر على أقدار الدولة ومصايرها بمثل ما كانت تسيطر غانية مثل بومبادور أو دوبارى على أقدار فرنسا فى عهد لويس الخامس عشر ، أو نرى ملكاً وأمبراطوراً عظيماً كادوارد الثامن يهجر أعظم عروش الأرض وأجلها قدراً فى سبيل حب ليس فيه من الروعة والجمال ما يتناسب مع روعة التضحية التى أقدم عليها .

بيد اننا نظفر فى بعض صحف القصور الاسلامية مع ذلك ببعض السير الغرامية العجيبة التى تطبعها ألوان روائية تذكى الخيال إلى الذروة . ولولا أن الرواية الاسلامية تحجم فى كثير من الأحيان عن الافاضة فى تلك السير الشائقة ، وتكتفى بايراد الروايات الموجزة عنها لكان منها تراث روائى ساحر لا يقل فى روعته وجماله وتباينه عما تقدمه إلينا قصص الحب الغربية الشائقة .

مثال ذلك قصة الخليفة الفاطمى الآمر باحكام الله وحبيبته البدوية فهى فى الواقع نموذج ساحر من ذلك القصص الغرامى الذى يصلح بموضوعه ومناظره وألوانه موضوعاً لمسرحيات من الطراز الأول فى سحرها وروعتها .

قصة غرام فاطمية

ولى الأمر بأحكام الله الخلافة وهو طفل فى نحو السادسة من عمره سنة ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) رفعه إليها أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه وزير أبيه الخليفة المستعلى ، وجده المستنصر من قبل ، والمتغلب على الدولة ، والمستأثر بسلطانها ، ونشأ الآمر فى كنف هذا الوزير الطاغية ، كما ينشأ جميع الأمراء الذين ليس لهم من الملك غير رسومه ومظاهره ، محجوباً فى قصره ، مغموراً بأنواع الملاهى والمسرات ، بيد أنه نشأ مع ذلك طموحاً ينزع إلى السلطان والبطش فلما بلغ أشده ، وشعر بوطأة المتغلب عليه أخذ يتربص به حتى استطاع أن يدبر مصرعه ، وقتل الأفضل سنة ٥١٥ هـ ، وتولى مكانه المأمون البطائحى ، وقبض مثل سلفه على السلطة بقوة وحزم ، فلم يلبث أن لقى نفس مصيره ، فقتل فى سنة ٥١٩ هـ ، واستأثر الآمر عندئذ بكل سلطة ، وأطلق العنان لأهوائه وإسرافه وبذخه ، وكان الآمر أميراً مرحاً ، مضطرم النفس والأهواء ، مشغوفاً بحياة اللهو والطرب ، وافر السخاء والبذل ، يعشق البذخ الطائل ، وكان يهيم بالجوارى والحسان ، لا يطيق الحياة دون حب وهوى ، وكان يشغف بفتيات البادية بنوع خاص ، وله مع إحداهن قصة غرام مؤثرة ، نقلها إلينا الرواة فى ألوان ساحرة ، فكأنما تقرأ فيها كما تذكر الرواية ذاتها فصلا من فصول ألف ليلة وليلة ، أو ما يشابهها من القصص العجيب المغرق .

كان الآمر يهيم كما قلنا بفتيات البادية ، ويرسل فى أثرهن رسله وعيونه ، يجوبون البوادى والنجوع ، ويبحثون عن روائع الجمال الساذج فى ثنايا الخيام وفى مهاد البداوة النقية ، فنقل إليه بعضهم أنه عثر ببعض أحياء الصعيد بجارية عربية هى مثال رائع للجمال العربى آية فى الحسن والرشاقة والظرف ، أديبة شاعرة ، وافرة الذكاء والسحر ، وإلى هنا تبقى القصة عادية ليس فيها ما يثير الدهشة بيد أن الرواية تجنح بعدئذ إلى نوع من القصص الرائع ، فتقول لنا إن الخليفة الآمر لما سمع بخبر هذه الفتاة البارعة فى الحسن وفى الجمال ، أراد أن يراها بنفسه قبل أن يتخذ فى شأنها أى إجراء ، فتزيا بزى الأعراب وغادر قصره بالقاهرة ، وسار إلى الصعيد ، وأخذ يتجول بين الأحياء حتى وقف على حيها واستطاع أن يتصل بأهلها دون أن يعرفوه وأن يظفر برؤيتها وتأمل محاسنها ، فما أن رآها حتى اضطرمت جوانحه بحبها ، وأسرع بالعودة إلى القاهرة وقرر فى الحال أن يخطب هذه الفتاة التى تيمته حباً ، وأن يتزوج بها ، وبعث الآمر إلى أهل الفتاة برغبته ، فبادروا إلى تحقيقها فرحين مغتبطين ، وأرسلوا بالفتاة إلى القاهرة ، حيث حملت إلى القصر ، وغدت فى الحال زوجة للخليفة ، وسيدة البلاط الفاطمى .

وإلى هنا ينتهى أول فصل فى القصة وهو فصل لا تنقصه عناصر الخيال الممتع ، ثم إن فتاة البادية العالية ـ وكان هذا اسمها ـ بعد أن سكنت إلى حياة القصر الباذخة حيناً ، وأفاقت من دهشتها الأولى ، أخذت تشعر بثقل هذه الحياة الناعمة على ما فيها من متاع ونعماء وترف مستمرة ، وتبدو لها جدران القصر العالية ، وأبهاؤه الفخمة كأنها ظلام السجن ، وأخذت تحن إلى فضاء القفر الشاسع وهوائه النقى الساذج كما تحن الطيور فى أقفاصها إلى فضاء السماء ، أو كما تحن الأسود المعتقلة إلى أحراجها وأدغالها ، رغم ما تتمتع به فى سجنها من وافر العناية فلما رأى الخليفة الآمر ، ما أصاب حبيبته من الاكتئاب والوحشة ، دفعه الخيال إلى أن يلتمس لها متعة الفضاء التى تنشد على طريقته الملوكية ، فأمر أن تقام لها على النيل فى جزيرة الفسطاط (الروضة) منتزهاً عظيماً يضم بستاناً ساحراً وأجنحة ملوكية بديعة ، وسمى هذا المنتزه الرائع الذى لبث مدى حين من محاسن الدولة الفاطمية « بالهودج » فكان للتسمية مغزاها فى التشبيه بالهودج الذى هو خباء السفر فى البادية ، وأنس روح البدوية الهائم مدى حين إلى الرياضة فى « الهودج » والتمتع بمناظره الرائعة ونسماته العليلة بيد أنها لم تنس قط وهج القفر وسحر الفلاة .

واليك فصلا ممتعاً آخر من تلك القصة الغرامية الرفيعة . لقد ظفرت « العالية » بغزو قلب صاحب الخلافة والعرش ، وغدت سيدة القصر والبلاط ولكن ذلك لم يكن منتهى آمالها وسعادتها ، ذلك لأن قلبها البدوى المضطرم كان يخفق منذ أيام البادية بهوى فتى من بنى عمومتها يدعى ابن مياح ، ربيت معه فى الحى منذ الطفولة وكان فتى رقيق الخلال وافر السحر ، فلما حملت الى قصر الخليفة لم تخمد فى قلبها جذوة حبه ، ولبثت فى قصرها تتجه بخيالها اليه ، وفى ذات يوم هزها الشوق اليه . فبعثت اليه من قصر الخليفة بهذه الأبيات .

يا ابن مياح اليك المشتكى
مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حبى مطاعاً أمرا
نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد
لا أرى إلا حبيباً ممسكا
كم تثنينا باغصان اللوا
حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى
حيثما شاء طليق سلكا

تقول الرواية فأجابها ابن مياح بهذه الأبيات .

بنت عمي والتى غذيتها
بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها
لو غدا ينفع فيها المشتكى
مالك الأمر اليه يشتكى
هالك وهو الذى قد هلكا
شأن داود غدا فى عصرنا
مبدياً بالتيه ما قد ملكا

ثم تقول الرواية : ووقف الخليفة الآمر على سر هذه المراسلة وقرأ أبيات ابن مياح ، فقال لو انه لم يسىء اليه فى البيت الرابع لرد الجارية الى حبه وزوجها منه .

وأثارت هذه القصة نفس شاعر معاصر من بنى طىء يدعى طراد بن مهلهل ، فنظم أبياتاً ينحى فيها على الآمر باللائمة ويخاطبه بما يأتى :

ألا بلغوا الآمر المصطفى
مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن الفة
بها سحر الحى بين الرجال
كذا كان أباؤك الأقدمون ؟
سألت فقل لي جواب السؤال

فغضب الآمر حينما وقف على هذا الشعر ، وقال جواب السائل قطع لسانه على فضوله ، وبعث فى طلب طراد فى أحياء العرب ، ففر منه واختفى .

ولبث الآمر بعد ذلك أعواماً : يطلق العنان لأهوائه ، وينعم إلى جانب حبيبته العالية ، ويتردد معها إلى منتزه الهودج . وكان الآمر يثير سخط فريق من الزعماء ورجال الدولة بما جنح إليه من تمكين النصارى من مناصب الثقة والنفوذ ، وما كان يمعن فيه من اللهو والبذخ والاستهتار بالرسوم والتقاليد ، ففى ذات يوم من أيام ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠ م) ركب من القصر كعادته إلى الهودج للتنزه ، فلما وصل إلى رأس الجسر الموصل إلى الهودج وثب عليه قوم قد كمنوا له ، وأثخنوه طعناً بخناجرهم ، فحمل جريحاً إلى قصر اللؤلؤة على مقربة من مكان الجريمة ، ولكنه لم يلبث أن توفى ولم يجاوز الخامسة والثلاثين .

وكان الآمر بأحكام الله شاعراً مجيداً ، وله نظم قوى مؤثر فمن نظمه قوله :

دع اللوم عنى لست منى بموثق
فلابد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة
واجمع شمل الدين بعد التفرق

تلك هى قصة الآمر بأحكام الله مع حبيبته العالية ، وهى قصة تجمع بين حقائق التاريخ ومتاع القصة ، ولا ريب أن الرواية قد أسبغت عليها حواشى وألواناً خلابة مصدرها الخيال الشائق ، بيد أنها تحتفظ مع ذلك بطابعها التاريخى ، ولقد عرج كثير من كتاب المسرح عندنا على بعض الوقائع والمآسى التاريخية واتخذوها موضوعاً لمسرحياتهم ، بيد انها قلما تتمتع بذلك الطابع الروائى الخلاب الذى تتمتع به قصة الآمر بأحكام الله مع حبيبته العالية ، ألم يقف أحدهم بتلك القصة الفاطمية الشائقة التى وقعت بمصر فى ظل خلافة تنثر من حولها آيات الفخامة والبذخ الرائع ؟ إن صحف التاريخ الاسلامى تقدم الينا كثيراً من هذا القصص الرقيق المؤثر ، فهلا فكر كتاب المسرح فى ورود هذا المنهل الغزير والاقتباس من طرائفه ، وإن المسرح المصرى ليبدو أروع وأبدع ، وأوفر سحراً وفتنة اذا استطاع كتابنا أن يتحفوه ببعض هذه المناظر القومية الشائقة التى تبز فى الوانها ، وفى روعتها وبهائها كثيراً مما ينقلون الينا من تراث المسرح الغربى .

محمد عبد الله عنان ١٩٣٧



الزواج ..



بقلم

إبراهيم عبد القادر المازني

لاأدرى ماذا دها الناس ، فانه يندر أن اسمع فى هذه الأيام بزواج موفق فهل صار نظام الزواج غير صالح لهذا الزمن ؟ أم العيب فى الناس لا فى النظام ولا فى الزمن ؟ ولا شبهة فى أن للزواج عيوبه ، فما يخلو شىء فى دنيانا هذه من عيب ، وإن له لمتاعب ، وإن مسئولياته لعديدة وثقيلة ، ولكن النجاة من المتاعب عسيرة فى الحياة ، وإنه ليظن حمقا من يتوهم انه يستطيع أن يحيا ويخلو مع ذلك من المتعبات سواء أتزوج أم آثر الوحدة والاستفراد . وأحسب أن كثيرين من الرجال والنساء ليضاً يقدمون على الزواج وهم يعتقدون أنه صفو لاكدرة فيه . ومتعة لا تنقص ولا ينغصها أو يفسدها شىء وحلاوة لاتشوبها مرارة ، فتخيب آمالهم كما لابد أن يحدث ، ويضجرون ويتأففون ويشكون وتتلف أعصابهم فلا تعود تقوى على احتمال ما كان ظنهم ألا يكون . وهذا شأن كل من يتناول الحياة بخفة ، وواجهها بغير ما ينبغى من التهيؤ للاحتمال ، ومن الاستعداد للتشدد والجلد والمقاومة .

وقد كنت أتكلم فى هذا وما إليه مع صديق فقال : « الحقيقة أن الزواج نظام ثبت اخفاقه وقلة صلاحه فى هذا الزمن » فعذرته لأنه ممن جر عليهم الزمن نكبات كثيرة يشق احتمالها ، ولكنى لم أدر رأيه ، فقلت له : « لا تغلط ياصاحبى فان كل زمن ككل زمن ، وهذه الاختراعات الكثيرة لم تغير شيئاً من حياة الناس وفطرهم ، ولم تقلب الحقائق الاجتماعية وما خلا زمن قط ممن يسعدهم الزواج وممن يشقون به ولا من الراضين والساخطين على هذا وغيره من أحوال الحياة ، وما زال الرجل كما كان ، والمرأة كما عهدها آباؤنا وأجدادنا عفا الله عنهم ورحمهم ، ومع ذلك قل لى ماذا تطلب من الزواج وأنا اقول لك ماذا ينبغى أن تبلغ به ، أو ما لابد أن يصيبك من خيره أو شره » .

قال : « أطلب الراحة والاستقرار ... ماذا اطلب غير ذلك ؟ » .

قلت : « إن الراحة مطلب لا سبيل إليه فى الحياة ، وهى لا تكون إلا بالموت على أن هذه لا تعد راحة ما دام المرء لا يحسها ولا يدرك أنه مرتاح ، ولا يعرف حتى ما صار إليه ، والاستقرار كذلك عسير لأن حياتك كلها قوامها التحول والتغير ، وجسمك ونفسك وخواطرك وآمالك وشهواتك وكل ما فيك لو لك يتغير ، فكيف بالله يكون هذا الاستقرار ؟ وأين السبيل إليه ؟ » .

قال : « إنما أعنى الراحة النسبية والاستقرار بالقياس إلى حياة العزوبة والوحدة » .

قلت : « ولا هذه أيضاً . إن الزواج ليس أداة لراحة ولا وسيلة لاستقرار أو غير ذلك مما تتوهم ، وإنما هو نظام . فاذا كان يوافقك أن تحيا فى ظل هذا النظام فتفضل وأهلا بك وسهلا ، ولكن يجب حينئذ ، أن تعرف أن له مقتضيات وأن توطن نفسك على الاذعان لها واحتمالها ، كما يخضع الجند للنظام العسكرى ، ولم يقل أحد ان الجندية سبيل لراحة أو استقرار أو لذة ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وإنما هى نظام تقتضيه حياة الجماعة . وكل جندى يقول لنا إنه نظام شاق عسير ثقيل الوطأة ، ولكنه لازم ولابد منه . والفرق بين الزواج والجندية أن الجندى يعلم أنه داخل فى نظام لالذة فيه ولا متعة له منه ، وأنه سيلقى عناء ويكابد متاعب ، وأنه معرض للجلد له والسجن ، بل للموت حتى من غير حرب ولكن طالب الزواج يمنى نفسه الأمانى المستحيلة فيلقى خلاف ما كان يقدر ،

ولو أنه وطن نفسه ـ كما يفعل الجندى ـ على التعب والنصب ووجع القلب ومعاناة المنغصات إلى آخر ذلك لسعد بالزواج ، ولفاز منه بلذات كثيرة ونعم جزيلة ومتع يضن بها على النسيان . وقد ذكرت الجندية على سبيل التمثيل ، ولكن للجندية علاقة وثيقة بالزواج ، لأن الزواج غايته تنظيم أمور النسل اللازم للجماعة ، أى مد الجماعة بالعدد الكافى من الأفراد للقيام بأعباء حياتها ، فهو نظام تمهيدى للجندية . وأنا نستعمل الجندية هنا بالمعنى الأعم الأشمل ، وأعنى كل فرد لا الذين يحملون السلاح ويسيرون إلى القتال حين يدعون إلى ذلك ـ لا أعنى هؤلاء وحدهم ، فان كل جندى للجماعة وإن لم يحمل سيفاً ولم يتقلد رمحاً ، إذا كان قد بقى فى عصرنا هذا من يتقلد رماحاً . والواجب على كل حال أن يدرك المرء أنه بالزواج يكون كالذى يعمل فى شركة ، وللعمل نظامه . والعمل لا تطلب منه اللذة بل الثمرة ،والعمل لا يفيد الراحة بل التعب ، ولا آخر للتعب ما دامت الشركة قائمة تعمل وتؤدى ما هو منتظر منها . نعم يستطيع المرء أن يفوز باجازة ، ولكن هذا ميسور فى نظام الزواج : خذ إجازة كلما شعرت أنك تعبت ، وامنح زوجتك مثل ذلك كلما بدا لك أن أعصابها كلت » .

فعجب وسألنى : « كيف ذلك .. ؟ إن هذا مزاح » .

فأكدت له أنى جاد ، وقلت : « إنى أعيش مع زوجتى كأنا صديقان ، وليس يسعنى أن أفعل غير ذلك ، لأنها إنسان مثلى ولها حياتها المستقلة عن حياتى وإن كنا متعايشين تحت سقف واحد . وأنا أحرص فى حياتى ومعها على الاعتراف بهذا الوجود المستقل فلا أحاول أن أفنى وجودها هذا وأجعله يغيب فى وجودى ، ولو تيسر لى هذا لما كان لى فيه أى لذة لأنى خليق أن أشعر حينئذ أنى أعايش آلة لا إنساناً محساً مدركاً يبادلنى ما يسرنى أن أراه يبادلنى إياه من العواطف والاحساسات والخوالج . ولو أفنيت شخصيتها فى شخصيتى لانحطت فى نظرى إلى منزلة الخدم الذين تطعمهم وتنقدهم اجرهم على أن يفعلوا ما تريد ولا يجاوزوا مشيئتك . وليست زوجتى خادماً ولا آلة وإنما هى رفيق حياة ، أى صديق معين ولست أقول هذا تملقاً أو نفاقاً بل أقوله لأنى لا أفهم معنى للزواج غير ذلك . كلا لست أحاول أن أغلب إرادتى على إرادتها لأنى لا أحس حاجة إلى ذلك ، وسبيلى التفاهم لا الاكراه ، وإرادتى أبلغ بهذا ما لا أبلغ بالقوة والضغط . ومطلبى ما هو أوفق لكلينا ، لا ما هو أوفق لي وحدى ، فان الشركة لا تصلح بهذا الاستئثار ، والزواج شركة على التحقيق ، ولا يحسب أحد أن الرجل يضع فى هذه الشركة أكثر مما تضع المرأة ، وأنه لهذا مغبون فيها ، فان هذا خطأ ، فليس السعى للرزق كل ما تقتضيه هذه الشركة ، وإن المرأة لتبذل حياتها كلها لا جهدها لانجاح الشركة ، وحسبها الحمل والوضع . ولو امكن أن يحمل الرجل لأمكن أن يدرك هو ما تتحمل المرأة فى سبيل هذه الشركة : ولكنه لا يحمل مع الأسف ، فهو فى الغالب لا يستطيع أن يقدر نصيب المرأة وما يكلفها الزواج وما يعرضها له ولا كيف تضحى بها الحياة لتملأ الدنيا بمثلى ومثله ممن لا يستحقون هـــذه التضحية » .

فترك هذا وقال : « ولكن ألا يجب أن يكون للبيت سيد ... إن المركب يغرق إذا كان له رئيسان » .

فقلت : « آه .. حكاية التركى الذى



الزواج ..

جرد سيفه ليلة الزفاف وأطار به عنق القطة ليرهب الزوجة المسكينة .. لا ياسيدى .. ليس الأمر أمر سيد أو سيدة ، فما ثم محل لذلك . وأين محل هذا ولكل من الرجل والمرأة عمل ؟ وأصدقك فاقول إنى لا أدرى كيف يمكن أن تجور المرأة على الرجل أو يجور الرجل على المرأة . أخل ذهنك من كل فكرة عن السيادة وأخل لها ذهنها أيضاً .. تفاهما معاً .. هى لها عملها وواجباتها التى لا تستطيع ـ حتى اذا أرادت ـ أن تشاركها فيها ، وأنت لك عملك وواجباتك التى يعييها أن تشاركك فيها ، وكل منكما يمضى بعد ذلك فى طريقه لينهض باعبائه الموكولة إليه . فاين يكون الاختلاط والاحتكاك والخلاف ؟ وإذا حدث خلاف فلماذا لا يكون بالحسنى .. » .

قال : « والغيرة .. أليست بلاء ؟ » .

قلت : طبعاً .. والرجل أيضاً يغار .. أليس هذا بلاء ؟ .. فلماذا لا تضع نفسك فى موضع المرأة وتنظر إلى الأمور من ناحيتها هى أيضاً .. ؟ صحيح أن المرأة أسرع إلى الغيرة من الرجل وأن غيرتها أحمى ، فبلاؤها لهذا أعظم ، ولكن هذه طبيعتها ولا حيلة لها فى ذلك لأن الغريزة الجنسية فى المرأة أقوى منها فى الرجل إذ كانت هى مدار حياتها ثم إن الواحد منا يتقبل أصدقاءه على علاتهم ويحتمل أمزجتهم التى تخالف مزاجه ، ويوفق بين رغباته ورغباتهم ـ وما أكثر ما تتباين ـ ويظل مع ذلك صديقهم ويظلون هم أصدقاؤه فلماذا لا يكون هذا حال الزوجين .. ؟ لماذا لا يحتمل منهما الآخر على العلات وهما بذلك أولى من الصديقين .. ؟ المسألة يا أخى أن الرجل يريد أن يسود ، وأن المرأة تريد أن تتحكم ، لأن هذا هو « المودة » الجديدة . ولو تركا هذا وأهملاه فنزل الرجل عن الرأى الموروث فيما ينبغى أن تكون عليه علاقة الرجل بالمرأة ، وتركت هى ما تشير به «المودة» الحديثة من أن الست هى السيدة المطاعة والرجل هو التابع والخادم الذليل ـ لو تركا هذا وسارا فى الحياة سيرة شريكين متعاونين على إنجاح الشركة واحتمال متاعبها والصبر على بلاياها فى سبيل مزاياها وفائدتها لارتاحا جداً ونعما بالحياة الزوجية » .

فسألنى : « هل أنت سعيد ؟ » .

قلت : « إنى سعيد لأنى لا أطلب من الزواج سعادة ، ولو كنت أطلبها لشقيت على التحقيق ، وقد تزوجت وأنا موطن نفسى على أن هذا واجب أؤديه كما أؤدى واجبي بالعمل فى الصحافة وبالاشتغال بالأدب ـ واجب والسلام . فاذا فزت بمتعة فهذا فضل من الله . وإذا فاتنى ذلك فما كنت أطمع فيه أو أرجوه . وقد أدخلت هذا فى رأس زوجتى فهى تفهمه حق الفهم ، وقد كان على أن أفهمها هذا فى أول الأمر لأنى أردت من البداية أن أجنب سبيل الاخفاق . وقد أفلحت ولله الحمد والشكر ، فاذا حدثتك نفسك بالزواج مرة أخرى فاصنع هذا » .

فصاح : « أنا ... أعوذ بالله ياشيخ!»

فقلت : « أرانى لم أوفق إلى إقناعك .. لا بأس .. المسألة فى الحقيقة مرجعها إلى الاستعداد ، ولو شئت لقلت إلى العقل والحكمة وسعة الصدر ورحابة أفق النفس » .

فقال : « متشكر يا سيدى » .

فعلمت أنه غضب . ومع ذلك ماذا قلت .. إني لم أزد على إبداء رأى ، فاذا كان لا يحتمل هذا بل يعده تعريضاً شخصياً به فلا غرابة إذا كان قد أخفق فى زواجه .

ابراهيم عبد القادر المازنى

١٩٣٧

ألغام الدكتور ماغنس

بقلم : نجائي صدقي

كان سكان حى وادى الجوز فى القدس مستسلمين إلى نوم عميق بعد يوم من العمل الشاق فى سبيل المعاش ، وكانت الساعة تشير وقتئذ إلى الثانية بعد منتصف الليل .. فاذا وقفت فى غرفتى فى تلك الساعة وتطلعت من نافذتها الشرقية مخترقاً بنظرك ظلام الليل الحالك ، ارتسم أمامك جبل الزيتون ، وقد قامت عليه أشباح عمارات الجامعة العبرية ، ومستشفى هداسا ، وهى تغتسل بالفحم السائل ..

ثم إذا لقيت بنظرك إلى يمين الجبل رأيت هناك قسماً من بيوت قرية الطور وهى أيضاً تغط فى نوم عميق هادىء ، لكنها آثرت أن تبقى بعض الأضواء هنا وهناك تحسباً للمفاجآت ، وكم تحمل هذه المفاجآت فى طياتها من جرائم مشبعة بالخسة والنذالة . وكنت أنا ساعتئذ فى جملة الناس المستغرقين فى نومهم ، أودع يوماً مضى واستقبل يوماً آتيا ، وإذا بى أستيقظ فجاءة على أزيز الرصاص ينطلق من جميع الأسلحة الآلية ، من (بون) و (ستن) و (طومسون) وبنادق انكليزية وكندية وفرنسية وألمانية ، يتخللها انفجارات مروعة تهتز لها أركان البيوت ، تمتزج مع أصوات نساء ورجال وصفارات ، فيتجاوب صداها فى الوادى الممتد من

محلة الشيخ جراح حتى ضريح العذراء مريم فتخيلت نفسى فى مدريد سنة ١٩٣٧ ! ..

كان المهاجمون جماعات من منظمة (الهاجانا) اليهود المرابطين فى الجامعة العبرية وهم خليط من التلامذة والعمال ، وبينهم عدد من الفتيات .. وقد اقتحموا أطراف الحى من ناحية الجبل مغتنمين فرصة خلو هذه الناحية من الحرس الوطنى تقريباً لأن السكان كانوا يعتقدون بان الجامعة العبرية هى معهد عام وتربية وثقافة ، ويستحيل أن تصدر منها طلقة واحدة .

ومما يدل على قوة اعتقاد العرب هذا حوار جرى بينى وبين صاحب حانوت من أهل الحى ، وهو رجل امى ، سليم الطوية ، قلت له : أتظن أن الجامعة العبرية ستكون مصدر خطر على وادى الجوز والاحياء العربية المجاورة ؟

فقال : كلا يا ابا سعيد ، هذه دار علم ونحن لا نخشاها ، كما اننا لا نعتدى عليها .. وهى على الجملة فى حمى قوانين العالم !

وحدث أيضاً أن اعتقل الحرس الوطنى صحفياً يهودياً أمريكياً واقتاده إلى مقر قيادة مدينة القدس ، حيث أخذوا يحققون معه فقال فى دفاعه إننى من أنصار الدكتور ما غنس عميد الجامعة العبرية .. وحزبنا يريد سلماً مع العرب . فافرجوا عنه مصحوباً بحرس ليوصله إلى الاحياء اليهودية .

وبلغ مسمعى حوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل أصوات آتية من وسط الوادى تقول بالعبرية : مهير . مهير كاديماً (*) !

وأعقب تلك النداءات انفجار هائل شعرت معه أن دارنا قد تزحزحت عن مكانها ، ثم استمر تبادل إطلاق النار حامياً ، وكانت تصدر عن الأسلحة السريعة الطلقات أنغام غريبة تشبه الخبط على الأبواب ، أو النقر على الزجاج ، أو الضرب على طبلة المسحر ... ثم تنفجر الغام الدكتور ماغنس وكانها قرع طبول تشترك فى هذا العزف الآثم .

وحين بلغت المعركة الليلة أوجها اقترب أحد المعتدين من كوخ منعزل تركه صاحبه ليساهم فى الدفاع عن الحى ، ولم يبق فيه سوى زوجة وستة أطفال ... ولما سمعت المرأة حركة عند كوخها ظنت أن زوجها عاد ليتفقد أسرته فصرخت قائلة : من بالباب ؟ .. فاجابها المعتدى : يهوديم ، ثم سألها : أين زوجك ؟

قالت : خرج ، ولا أدرى إلى أين ، وليس فى البيت سواى وأطفالى ..

لعل القارىء يتصور أن المعتدى ابتعد عن الكوخ وسكانه الابرياء الآمنين ، غير أن الواقع كان على العكس من ذلك ، فانه وضع لغماً عند باب الكوخ ، وأشعل فتيله ، وأطلق ساقيه للريح ، ملبياً صوت قائده الذى يقول له من بعيد : بوهينا اتسخاق .. مهير (١) ! ... وبعد لحظات انفجر اللغم ، وقتلت المرأة مع أربعة من أطفالها ، واستحال الكوخ إلى رماد .

أما الدكتور ماغنس فهو عميد الجامعة العبرية بالقدس ، فى حدود الخامسة والخمسين ، أمريكى الجنسية ، مديد القامة ، نحيف الجسم ، غائر العينين ، ذاهل النظرات ، وصاحب مائة مشروع ومشروع من أجل التقارب بين العرب واليهود .

استمرت المعركة حتى السادسة صباحاً ، فتطلعت إلى جهة الجامعة فرأيت أحد المعتدين يقذف النار من مدفع (برن) ، وقد نصبه فى صومعة الدكتور ماغنس ، وتقع هذه الصومعة فوق سطح فرع الانسانية التابع لكلية الآداب ! ..

وحوالى الساعة السابعة صباحاً هدأت المعركة ، وهرع السكان إلى حيث يقع الكوخ المنسوف ، والأشلاء المبعثرة ، وكان بود المعتدين أن يغتنموا هذه الفترة الملائمة ، ويمطروا الحشد بوابل من الرصاص ، لو لم تتدخل السماء وتسدل ستاراً كثيفاً من الضباب على الجامعة العبرية لمدة نصف ساعة من الزمن .

ثم انقشع الضباب .. وانتشر الضياء .. وعرف العرب أمراً جديداً ، هو أن فى وسع العلم والجريمة أن يعيشا فى الجامعة العبرية تحت سقف واحد ! ..

نجاتي صدقى ـ ١٩٤٨



(*) السرعة .. السرعة .. وإلى الامام .

(١) تعالى يا إسحاق على عجل .

تقديم : لبنى الريدي

جهاز تسجيل ذو ذاكرة



جهاز التسجيل ... والذاكرة

قد يبدو جهاز التسجيل والراديو الذي يظهر في الصورة جهازاً عادياً كل ما يميزه انه اكبر حجماً من المعتاد . ولكن بالتدقيق فيه يتضح انه ليس كذلك ، فهو مزود بلوحة مفاتيح منفصلة اشبه بمفاتيح البيانو كما يضم خانتين لتشغيل اشرطة التسجيل بدلا من خانة واحدة .

إلا أن هناك ابتكارات لا تظهر في شكله وإن كانت تميزه عن غيره من اجهزة الهاي فاي . إذ يضم ذاكرة كمبيوتر ودوائر لتسجيل الصوت بشكل رقمي وهو ما يجعله اقرب ما يكون لاستوديو موسيقي متحرك . حيث يستطيع الموسيقار تاليف وتسجيل الموسيقى باحدى طريقتين : أولا الطريقة التقليدية وهي أن يعزف اللحن مستخدماً مفاتيح البيانو وعددها ١٦ ، بينما يتم تسجيل اللحن على الشريط .

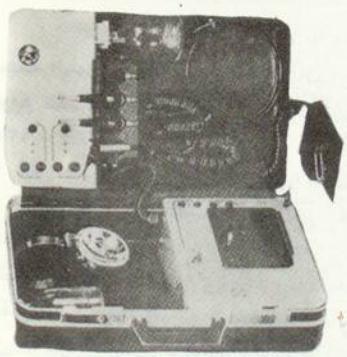
كما يستطيع بواسطة هذه المفاتيح برمجة عدد كبير من الأوامر الموسيقية يصل إلى ٣٤٠ نغمة موسيقية .

وتختزن هذه الالحان فى ذاكرة الكمبيوتر الموجود داخل الجهاز أو تسجل فى شكل اشارات رقمية مثل تلك المستخدمة فى اجهزة الكمبيوتر على شريط تسجيل عادي .

ويتميز التسجيل الرقمي للصوت بانه يختزل وقت التسجيل ، بمعنى أن الاغنية التى يتم تسجيلها في خمس دقائق لا تستغرق سوى عشرين ثانية .

كما يمكن بواسطة هذا الجهاز إضافة صدى كخلفية صوتية لبعض الاغنيات وإذا احتاج الامر إلى الحصول على نسخة ثانية من الشريط يتم تشغيل الشريطين في آن واحد حيث يتم التسجيل فى نصف الوقت الحقيقي للشريط .

عيادة أسنان متنقلة



عيادة الأسنان المتنقلة

ابتكرت صناعة الاجهزة الطبية حقيبة تضم كل المعدات اللازمة لعيادة أسنان بحيث يمكن اصطحابها فى الطائرة أو وضعها فى حقيبة السيارة .

فهي وحدة متنقلة للعناية بالأسنان ، إذ لا يزيد وزنها عن ١٥ كيلوجراماً . وهو وزن ضئيل جداً بالمقارنة باجهزة عيادة طبيب الأسنان الضخمة مثل اجهزة الحفر والحشو الخ ..

وتتميز هذه الحقيبة الطبية بانها تعمل بالتيار العادي أو بالبطارية مما يجعلها مثالية بالنسبة للعمل في الريف فى البلدان النامية . كما انها مفيدة للغاية بالنسبة لمن لا تسمح لهم صحتهم بالذهاب إلى طبيب الأسنان .

النوافذ الشمسية



منظر الشرفة من الخارج حيث يبدو الشيش مغطى بالالواح الشمسية.

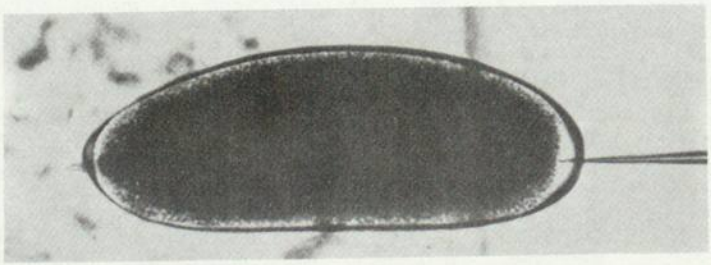
هناك إعلان يقول « افتحوا النوافذ لتحصلوا على مياه ساخنة طوال اليوم» وقد يبدو هذا الاعلان للوهلة الأولى غير منطقي ، فما هي العلاقة بين النافذة والمياه الساخنة ؟ .

إلا أن هناك علاقة وثيقة ، فان شيش هذه النوافذ مغطى بخلايا شمسية تمتص الاشعة الحرارية للشمس طوال النهار لتستخدمها فى تسخين مياه المنزل . ولقد جهزت هذه الخلايا بحيث تناسب كافة أشكال النوافذ والابواب ، إذ تبلغ مساحة هذه الالواح الشمسية متراً ونصف المتر في مترين وربع المتر .

ويفضل بالطبع تركيبها على النوافذ المطلة على الجهة الجنوبية لتكون معرضة لأطول فترة ممكنة للشمس . ويبلغ سمك كل مصراع ١١ سنتيمتراً ، ويضم خلايا شمسية مساحتها واحد متر مربع في حين يبلغ ثقلها ٤٠ كيلوجراماً لكل متر مربع . وترتبط هذه النوافذ الشمسية بشبكة المياه الساخنة فى المنزل .

ولا تتعرض الخلايا الشمسية للجو الخارجي إلا نهاراً ، أي عندما يكون الشيش مفتوحاً ، إذ يقلل من الفقد الحراري .

أول عملية زرع للعوامل الوراثية



حقن جنين الذبابة بواسطة الابر الميكروسكوبية لزرع الجينات في موضع تكوين الخلايا الجنينية .

نجحت أول عملية زرع للجينات فى الكائنات الحية . وهي حقيقة أقرب للخيال ، إذ يعني ذلك تغيير الصفات الوراثية للكائن الحي لأجيال مقبلة . فمن المعروف أن الجينات هي العوامل الوراثية التى تنتقل من جيل الى آخر .

ولا يقلل من أهمية هذا الحدث أن العملية أجريت لذبابة بهدف تغيير لون عينيها . فان نجاح مثل هذه العملية لزرع الجينات الموجودة داخل نواة الخلية ، تفتح باب التجربة على مصراعيه من أجل تكرار العملية نفسها على حيوانات أرقى . ولا غرابة إذا طالعتنا الصحف خلال سنوات قلائل بخبر نجاح أول عملية زرع للجينات فى الانسان .

وتعتمد التجربة على استخدام اجراء من الحامض النووي أي أجزاء من المعلومات الوراثية التى تتضمنها الكروموسومات .

ولقد أجريت العملية بواسطة إبر ميكروسكوبية كما يتضح من الصورة بحيث أدخلت هذه الجينات إلى أجنة الذباب التى لا يزيد طولها عن نصف ملليمتر ، والتحمت هذه الجينات المزروعة بكروموسومات الجنين ، وغيرت بالفعل من الصفات الوراثية لجيل الذباب الجديد . ويرجع السبب فى اختيار العلماء الأمريكيين ـ الذين أجروا هذه العملية الفريدة ـ للذبابة إلى سرعة توالدها مما يتيح متابعة التغييرات فى الصفات الوراثية .

وتوالى مراكز البحث تجاربها من أجل الانتقال إلى حيوانات أكثر تطوراً فى انتظار دور الانسان .

صور فوتوغرافية مجسمة



هـذه الكاميرا تلتقط صورة مجسمة ! .

يشهد مجال التصوير الفوتوغرافي تطوراً جديداً . فبعد الصور الفورية ، تأتي الصور المجسمة . فهذه الكاميرا بالرغم من مظهرها العادي ، تلتقط صوراً مجسمة ، إذ تضم أربع عدسات تكون كل منها صورة على فيلم عادي مقاس ٣٥ ملليمتر ولا تختلف خطوات التقاط الصورة عن أية كاميرا أتوماتيكية. كما أن عمليات معالجة الفيلم بعد التصوير ليس فيها أي تجديد . أما فى مرحلة طبع الصورة السلبية ، فالأمر يختلف . إذ يوجد جهاز خاص يقوم بتقسيم الصور الأربع إلى شرائح يمزجها ثم يطبعها لكي تعطي صورة سلبية ملونة . ثم تلصق على الصورة شبكة من العدسات الشفافة بحيث لا ترى كل عين إلا الأجزاء الموجهة إليها ، ومن ثم ليكونان معاً الصورة المجسمة .

الابصار فى الظلام

لم يعد الظلام عائقاً للرؤية . ففى الامكان من الآن فصاعدا الابصار في الظلام ، بل والتصوير أيضاً . وذلك بفضل مكبرات للضوء تعمل على تكبير أية طاقة ضوئية مهما كانت ضعيفة ٢٠ ألف مرة .

ويكفي لذلك شعاع القمر أو أضواء المدينة الآتية من بعد بل أن ضوء عود الثقاب أو وهج سيجارة مشتعلة كاف لذلك . وبالتالي فان سائقي السيارات يستطيعون القيادة ليلا بيسر وأمان شريطة ارتداء نظارة مكبرة للطاقة الضوئية ولا يزيد وزن هذه النظارة عن ٧٠٠ جرام .

ولا خوف من الانطلاق بسرعة مائة كيلومتر فى الساعة فى الظلام الدامس ، إذ يبدو الطريق أمام قائد السيارة وكأنه مضاء بكشافات .

أما إذا استخدم مريض بالعشا الليلي نظارة مماثلة ، فان ذلك كفيل بمعالجة هذا العيب ليرى بوضوح ليلا.

ويعتمد عمل هذه النظارة على تحويل الضوء الضعيف المنبعث من الجسم إلى اليكترونات . وبما أن الاليكترونات عبارة عن جسيمات مشحونة يمكن العمل على زيادة سرعتها باستخدام مجال كهربي . وعندما تمر هذه الاليكترونات المتسارعة خلال قنوات زجاجية دقيقة داخل النظارة ، تولد نتيجة لتصادمها بجدار هذه القنوات عدداً متزايداً من الالكترونات التى يتم تحويلها مرة أخرى إلى ضوء ، وذلك بواسطة شاشة مثل المستخدمة فى أجهزة التليفزيون ، إلا أن الصورة المتكونة تكون درجة إضاءتها مكبرة عشرين ألف مرة .



بقلم: رؤوف توفيق

غاندي.. على الشاشة

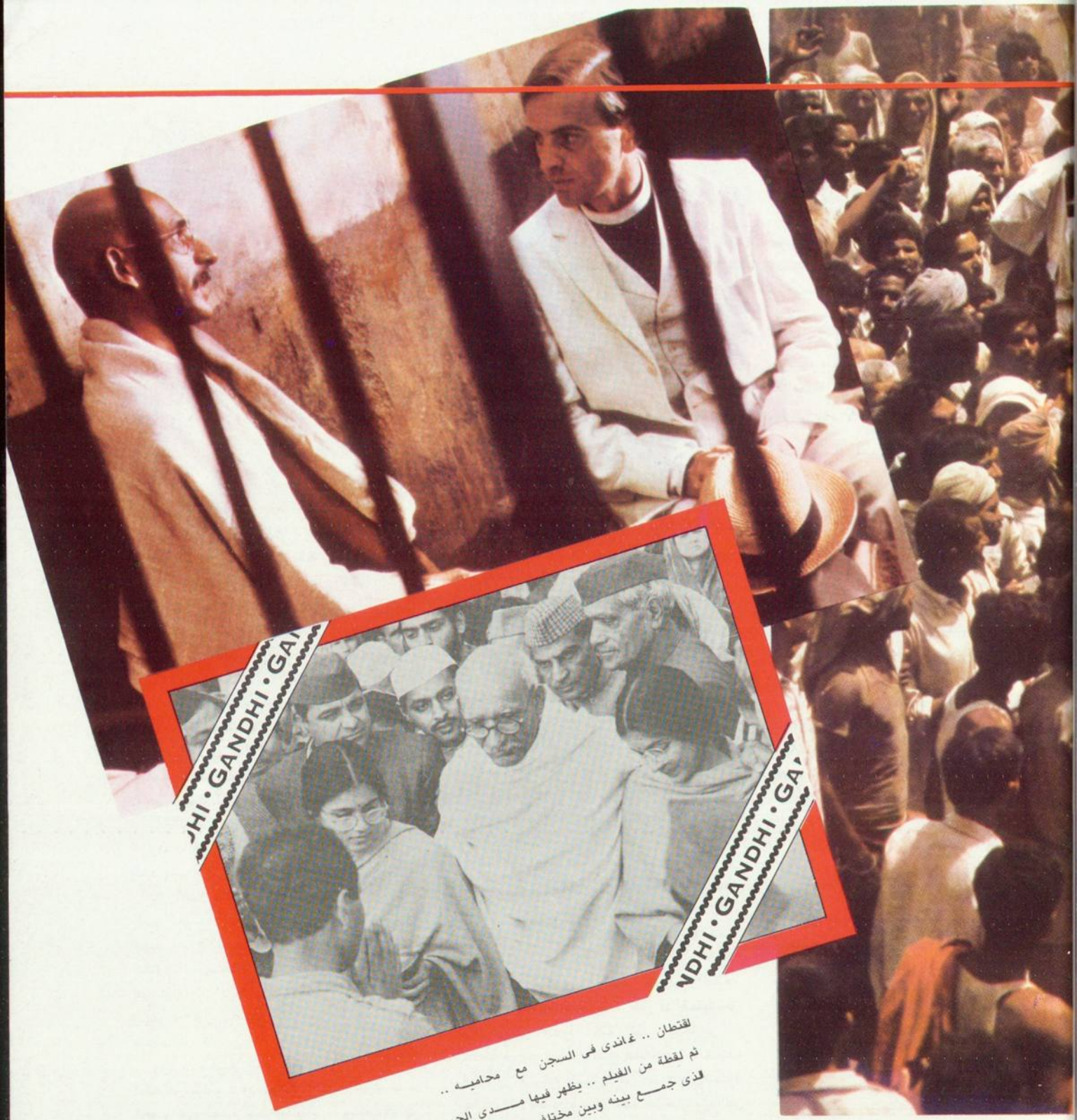
وقصة عشرين عاما.. مع الانتظار والاعتراضات

غاندى بين ابناء شعبه .. يهتفون له .. لقطة من الفيلم

بعد عشرين عاماً من الانتظار ، والمحاولات المستميتة ، والاصرار .. خرج إلى العالم أخيراً فيلم « غاندى » ليصبح من أهم الأحداث الفنية فى الشهرين الاخيرين .

ومفاجأة فيلم « غاندى » انه من خلال مستوى فنى متميز .. يعيد الى الأذهان ، معانى القوة بلا عنف .. والكرامة بلا تنازلات .. واكتشاف الذات ، وتوحيد الصفوف فى مقاومة لا تعرف التخاذل ولا يدركها الوهن .. تلك المعانى التى كانت صلب رسالة غاندى ، وسحره الخاص .

والمفاجأة هنا .. فى جمهور السينما هذه الأيام .. وأغلبه فى سن الشباب .. انهم اكتشفوا غاندى .. أو عرفوه أكثر .. فالتفوا حول الفيلم وكأنهم وجدوا فيه التعبير عن حلمهم بعالم مختلف .. وزعيم مختلف .. غَيَّر ما يعيشون فيه ، ويعانون منه كل يوم .. بين سباق رهيب للتسلح .. وعنف مدمر .. وسيطرة الآلة .. وفقدان الذات والاحساس المتزايد باللاقيمة .. حتى أصبح العقل الاليكترونى هو أهم شخصية لعام ٨٢ .. كما قدمته احدى المجلات الامريكية الكبرى !



لقطتان .. غاندى فى السجن مع محاميه .. ثم لقطة من الفيلم .. يظهر فيها مدى الحب الذى جمع بينه وبين مختلف طوائف الشعب

ومن هنا .. يجىء فيلم غاندى .. ليعزف على الوتر المفقود .. وليحقق صدى جماهيرى غير متوقع .. حتى ان الفيلم حطى تكاليفه التى تجاوزت ٢٢ مليون دولار ، فى ظرف ثلاثة أسابيع فقط من عرضه فى امريكا وانجلترا .. وقبل ان يعرض فى اليابان والهند وبقية الدول الأوربية . !

ماذا يقدم الفيلم ؟

ويتعرض فيلم غاندى ـ على مدى ثلاث ساعات هى مدة عرضه ـ لحياة غاندى ، منذ أن كان يعمل بالمحاماة فى جنوب افريقيا ـ وكانت جزءاً من الامبراطورية البريطانية ـ وبدايات التفتح لخطر الاستعمار على أمته .. ومحاولات الانجليز لسحق الشخصية الهندية ، والثقافة الهندية ، واثارة التفرقة بين ابناء الشعب بأستخدام سلاح الدين والتعصب .. بدأ غاندى يوجه رسائله الى الشعب الهندى من خلال المؤتمرات التى كان يخطب فيها .. وأيضاً من خلال أصراره على عدم التعامل مع الانجليز .. حتى وصل الى قناعة بعدم ارتداء الملابس الأوربية ، واختيار قطعة من القماش الأبيض يتدثر بها ، والتى أصبحت رمزاً له فيما بعد .

سينما

غاندي.. على الشاشة

وقفة عشرين عاما.. مع الانتظار والاعتراضات



الممثل « بن كنجسلى » .. صورة قبل الفيلم



المخرج « سير ريتشارد اتينبورو »

ويركز الفيلم فى هذه البدايات على الحادثة التى أثرت فيه .. حينما ألقوا به من القطار فى جنوب أفريقيا ، عندما أصر على ان يستخدم حقه بالتذكرة التى دفع ثمنها بالجلوس فى عربة الدرجة الأولى بالقطار .. ولكنهم أجبروه على ان يجلس فى عربات الفقراء المخصصة للهنود والزنوج .. وحاول الاحتجاج مستخدماً منطقه كرجل قانون ، وأيضا كانسان له حقوق .. ولكنه اكتشف انه منطق مهزوم أمام تسلط الانجليز .. فبدأ يفكر فى وسائل تجميع الطبقات الفقيرة لاعلان صوتها ..

وتعرض للسجن عدة مرات .. وفى كل مرة يخرج من السجن تزداد شعبيته .

وبعد عشرين عاماً .. يعود الى الهند .. بلده وشعبه .. ليجد نفسه يستقبل كبطل .

كان هذا عام ١٩١٥ .. وفى هذه المرحلة يقدم الفيلم ، الواقع السياسى والاقتصادى للهند .. والدور الذى لعبه . غاندى فى المقاومة السلمية .. ورفع شعار عدم التعاون مع الانجليز ومقاطعة بضائعهم .. ودعوته لأن يصنع الهنود ملابسهم بأنفسهم ..

ويبرز الفيلم هذه الجاذبية التى كانت لكلمات غاندى وتصرفاته .. وتأثيرها القوى فى جميع انحاء الهند .. وكيف كانت ثورته السلمية لها قدرة فائقة على تحريك الجماهير الى العمل ، وتخليصهم من الخوف .. مما شكل فى النهاية من ابناء الهند ، قوة ضاربة بسياسة عدم التعاون .. أدت الى إلحاق أكبر الضرر بالاقتصاد الانجليزى ، الذى كان يعتبر الهند مزرعة خاصة به ، وسوقاً تجارياً هائلا !!

ومن أجمل مشاهد الفيلم .. تلك المسيرة التى قادها غاندى مع ابناء شعبه لمسافة ٢٤٠ ميلا لجمع الملح من على شواطىء البحر .. مما أثار غضب الانجليز الذين كانوا يحتكرون محصول الملح !

مشهد الوداع المهيب

ويمضى الفيلم فى رحلته مع غاندى .. ليصور الصدام الذى وقع بين البوليس والفلاحين فى مدينة « شورا شورى » والذى انتهى بأحراق الجماهير لمركز البوليس بما فيه من جنود .. وكيف تطورت الأحداث بعد ذلك ليقدم غاندى الى المحاكمة ، ويصدر الحكم بسجنه سبع سنوات .. حتى تنتهى حياته باغتياله بثلاث رصاصات ، صوبها أحد الشبان الهندوس المتعصبين .. بينما كان غاندى يسير فى طريقه الى اجتماع الصلاة المسائى !

تم الاغتيال فى يناير ٤٨ .. بعد أن حصلت الهند على استقلالها قبل شهور قليلة .. وكان غاندى بمثابة روح الأمة وبطلها .. ومن هنا جاءت جنازته حدثاً فريداً .

حتى أن مخرج الفيلم عندما استعد لتصوير مشهد الجنازة .. كان قد خطط بأن يتحرك فى حدود مائة ألف كومبارس .. ولكنه فوجىء بجماميع هائلة من الشعب الهندى ، تندفع لتشارك من جديد فى جنازة غاندى .. حتى وصل عدد المشاركين الى أكثر من ربع مليون مواطن يذرفون الدموع الحقيقية !

وكان مشهداً لم يحلم به المخرج .. ولن يتكرر على الشاشة .

المذبحة الهندية .. والمذبحة الاسرائيلية

وقد استقبلت الصحافة الغربية هذا الفيلم استقبالا حافلا .. حتى أن صحيفة « التايمز » اللندنية اطلقت على المخرج تعبير « المخرج الذى استطاع أن يتسلق قمة أفرست » .

وقد أثار كثير من النقاد العالميين .. مشهد المذبحة التى صورها الفيلم ، والتى كان قد قام بها الجنرال الانجليزى « ديار » ضد ١٥٠٠ رجل وامرأة وطفل فى منطقة « جاينا نوالا باج » الهندية .. وربط النقاد بين وحشية هذه المذبحة .. ووحشية المذبحة الاسرائيلية التى قاموا بها على أرض لبنان .. فكلاهما نقطة سوداء فى تاريخنا المعاصر .

وهكذا يفجر الفيلم أكثر من قضية . !

سرهذا الاصرار

ولم يكن أحد يتوقع أن يلاقى فيلم « غاندى » مثل هذا النجاح والاهتمام .. حتى أن مخرج الفيلم الذى قضى عشرين عاماً من حياته يحلم ويفكر ويخطط لهذا الفيلم .. قال فى مؤتمر صحفى قبل أن يبدأ التصوير ..

« هناك جهل شنيع بشخصية غاندى .. خصوصاً بين الشباب الذين يمثلون الكتلة الكبرى من مشاهدى السينما هذه الأيام .. انهم حتى لايعرفون أنه من الهند .. وبعضاً منهم يظن أنه والد انديرا غاندى .. إن هذا لشىء مرعب » !

وعندما سألوه وقتها « لماذا هذا الاصرار على اخراج فيلم غاندى رغم كل العقبات التى صادفتها خلال عشرين عاماً » ؟

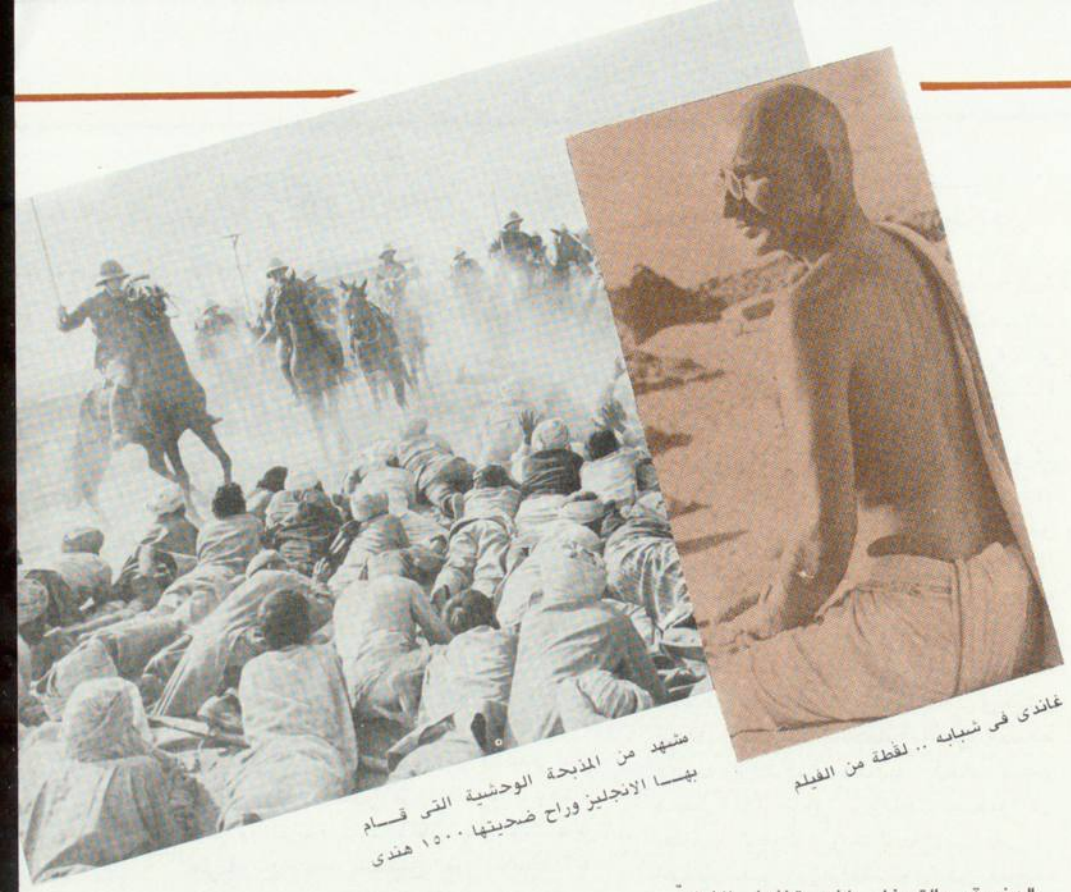
قال بلهجة الواثق من نفسه : « كل ما فعلته فى حياتى من تمثيل أو انتاج أو اخراج كان بهدف أن أخرج فيلم غاندى » .

هذا الفنان .. هو المخرج الانجليزى « سير ريتشارد أيتنبورو » الذى يخطو الآن الى عامه الستين .. والذى يعتبر من أعمدة السينما الانجليزية .

موافقة نهرو وأنديرا غاندى

وفيلم « غاندى » أشتركت فى انتاجه كل من انجلترا والهند .. وقد ساهمت الهند بمبلغ ٦,٥ مليون دولار ، قدمتها الشركة القومية للانتاج السينمائى الهندى ، على اساس أن تسترد هذا المبلغ من حصيلة ايرادات الفيلم .. وذلك لتدعيم صندوق الشركة ومساعدة المخرجين الهنود الشبان

ولولا موافقة السلطات الهندية على مشروع الفيلم .. ولولا المساهمة المالية



غاندى فى شبابه .. لقطة من الفيلم

مشهد من المذبحة الوحشية التى قام بها الانجليز وراح ضحيتها ١٥٠٠ هندى

التى قدمتها الهند .. ما كان هذا الفيلم قد ظهر للوجود .. !

ذلك لأن تقديم شخصية غاندى على الشاشة .. كان ومازال أمراً محفوفاً بالمشاكل والعقبات ..

وبالرغم من أن المخرج الانجليزى « ريتشارد اتينبورو » فى رحلته الطويلة لتنفيذ هذا الفيلم .. قد حصل على موافقة « نهرو » على مشروع الفيلم ، واعلن وقتها نهرو أمام البرلمان الهندى « أن هذا المخرج الانجليزى ، صالح تماماً للقيام بهذا العمل » ..

ورغم أن « أنديرا غاندى » قد قرأت بالتفصيل سيناريو الفيلم .. حتى أنها بكت أمام بعض المشاهد المكتوبة على الورق – كما أعلن المخرج فى مؤتمر صحفى أخيراً – واقترحت أنديرا غاندى بعض الملاحظات الهامة على السيناريو .. كما أعلن المخرج أيضاً .. ومنها أن تكون زوجة غاندى كما يقدمها الفيلم ، أقل همساً فى حوارها ، وأكثر تحفظاً ووقاراً (وهى الزوجة التى تزوجها غاندى وكان عمر كل منهما وقت الزواج ، ثلاثة عشر عاماً ، واستمر هذا الزواج ستون عاماً ، انتهى باغتيال غاندى وكان قد أنجب هذا الزواج أربعة أبناء) .

يقول المخرج : « بفضل اقتراحات انديرا غاندى ، أمكننا التقدم بأحداث الفيلم .. فنحن لا نقدم فيلماً تسجيلياً يغطى خمسين عاماً من حياة غاندى .. بل أن نكون صادقين مع أنفسنا ، فى أن يكون هدفنا من الفيلم هو تقديم فلسفة وروح غاندى » .

رغم كل هذه الموافقات الرسمية على مشروع الفيلم .. فان العديد من الصحف الهندية ، أثارت حملة من التشكيك والهجوم والانتقادات اللاذعة قبل تصوير الفيلم .

اعتراضات الصحافة الهندية

بعض الاعتراضات أثارت قضية ان شخصية غاندى يجب الا تظهر على الشاشة أبداً .. من الممكن ان يكون فقط مجرد صوت .. واقترح احدهم ان يستعاض عن تجسيد شخصية غاندى ، ببقعة ضوء ! .

اعتراضات أخرى فجرت مسألة كيف ان مخرجاً انجليزياً أجنبياً عن الهند .. يتناول شخصية هندية عظيمة .. ولجأت هذه الاعتراضات على استعداء الرأى العام ضد هذا المشروع ، ومطالبة الحكومة الهندية بالتدخل لمنع تنفيذ الفيلم .

وقد علق المخرج على هذه الاعتراضات قائلا : « أشعر بالحزن الشديد ، لأن كثيراً من المخرجين الهنود أنتابهم القلق لقيامى باخراج هذا الفيلم .. ولكن لنتكلم بصراحة .. لقد انقضى زمن طويل بعد وفاة غاندى .. ولم يتقدم أحد منهم ليصنع عنه فيلماً . بجانب اننى لم أطلب نقوداً من الدولة الهندية كاعانة أو هبة .. وانما قدمت كنوع من الاستثمار » .. واعتقد ان هذا الفيلم خطوة نحو الانتاج المشترك ، وتدعيم هذه السياسة السينمائية فى الهند .. وفى هذا فائدة للهند » .

وأثارت الاعتراضات فى الصحافة ، مسألة الاستعانة بممثلين من انجلترا وامريكا ، لتعلب الأدوار الرئيسية فى فيلم غاندى .. بالرغم من أن السينما الهندية التى تنتج سبعمائة فيلم فى العام ، مليئة بالمواهب الفنية والوجوه القادرة على التمثيل .

وكان قد تردد فى المراحل الأولى لتحضير الفيلم .. ان الأسماء المرشحة لتلعب دور غاندى .. كلها من النجوم الامريكية والانجليزية مثل ألبرت فينى – داستين هوفمان – انتونى هوبكنز – جون هيرت – روبرت دى نيرو .. حتى يستطيع الفيلم أن يجد سوقاً للعرض فى امريكا !

بل ان احدى شركات التوزيع الأمريكية .. أشترطت للمساهمة فى تمويل الفيلم ان يلعب « ريتشارد بيرتون » دور غاندى !!

ولكن المخرج – على حد أعترافه – لم يتخيل أحداً من هذه النجوم صالحاً للدور ، خصوصاً عندما يتصوره فى الملابس الفقيرة ، والعظام البارزة ، وهى السمات الظاهرية المعروفة عن غاندى .. واقتنع تماماً بأنه لابد من أسناد الدور الى ممثل غير معروف .

وبعد بحث طويل .. ألقىَ به الحظ ، لكى يعثر على الممثل المسرحى الانجليزى « بن كنجسلى » والذى عمل لسنوات طويلة مع مسرحيات شكسبير .. ولكنه لم يصل الى مرتبة النجومية .. وان كان من أهم أسباب ترشيحه للدور ، أنه من أصل هندى .. فجده الأكبر كان هندى الجنسية ، ولا يزال الممثل يحمل لقبه الهندى .

وقد كان أختيار « بن كنجسلى » لدور غاندى .. أختياراً فيه كثير من الاحساس الفنى وأيضاً الذكاء والدبلوماسية لارضاء الجمهور الهندى وتقليل حدة المعارضة التى قامت ضد فكرة الفيلم ..

صعوبات تمثيل شخصية غاندى

ونجح تماماً الممثل « بن كنجسلى » فى تقمص شخصية غاندى واعطائه كل اللمسات الخارجية الدالة على الشخصية .. وعرف كيف يدرب صوته على الكلام كما كان يتكلم غاندى ..

واعطى النقاد كل تقديراتهم العالية لهذا الممثل .. واعتبروا ان نجاحه فى هذا الدور الصعب ، دفع بمجموع الفيلم الى النجاح .

سينما

غاندي.. على الشاشة

وقفة عشرين عاما.. مع الانتظار والاعتراضات

ولكن كيف تقمص هذا الممثل ، شخصية غاندى ..

يقول : « من السهل التعبير عن شخصيات شكسبير على المسرح .. وهناك أكثر من طريقة لذلك .. لكن ليس هناك غير طريقة واحدة للتعبير عن غاندى .. خصوصاً ان هناك ناساً كثيرين يعرفونه .. وهناك أيضاً الصور والأفلام التسجيلية التى تعرض كيف كان يتكلم ويضحك ويصمت .. انه من أصعب الشخصيات التى مثلتها فى حياتى ..انه يملك قدرة هائلة على النشاط والحركة ، وأيضاً عنده قدرة هائلة على الصمت والسكون » !

وعن كيفية استعداده لتمثيل الدور .. قال: انه بدأ بقراءة خمسة كتب مؤلفة عن غاندى .. ثم بدأ يتعمق فى كل ما كتبه غاندى بنفسه ، ويستمع الى تسجيلات بصوته .. وملأ جدران منزله بصور غاندى .. وأيضا اخذ يمارس « اليوجا » كل مساء وبنفس أسلوب غاندى .

وقد كانت أول مرة يزور فيها الهند ، مع بداية تصوير الفيلم .. يقول : « لقد أحببت الهند .. واكتشفت انه كانت لدى الكثير من الاعتقادات الخاطئة عنها .. خاصة هذا الاعتقاد بانها بلد صوفية غامضة كالالغاز .. فمثلا اليوجا ليست صوفية .. بل انها وسيلة عملية للحياة فى مجتمع التضخم السكانى .. ولقد كانت اليوجا هى وسيلتى الوحيدة للمقاومة والحياة امام قوة الضغط الهائلة والتركيز الشديد اثناء قيامى بتمثيل هذا الدور .. ومازلت مستمراً فى ممارسة اليوجا ، ربما تساعدنى على ان احافظ على نفس المستوى فى المرحلة القادمة » .

التحية التى تدير الرأس

وهذا الكلام للممثل « بن كنجسلى » يؤكد على علم بما ينتظره فى المرحلة القادمة .. حيث انتقل الى امريكا فى أكبر حملة دعاية وتناقلت وكالات الأنباء احاديثه وتصريحاته .. وعلى حد تعبير صحيفة « الجارديان » الانجليزية : « ان حجم التحية والاعجاب الذى انهمر على الممثل « بن كنجسلى » كاف لأن يدير رأس قديس » !!

ولكنها بلاشك تحية لمن اتقن عمله ..

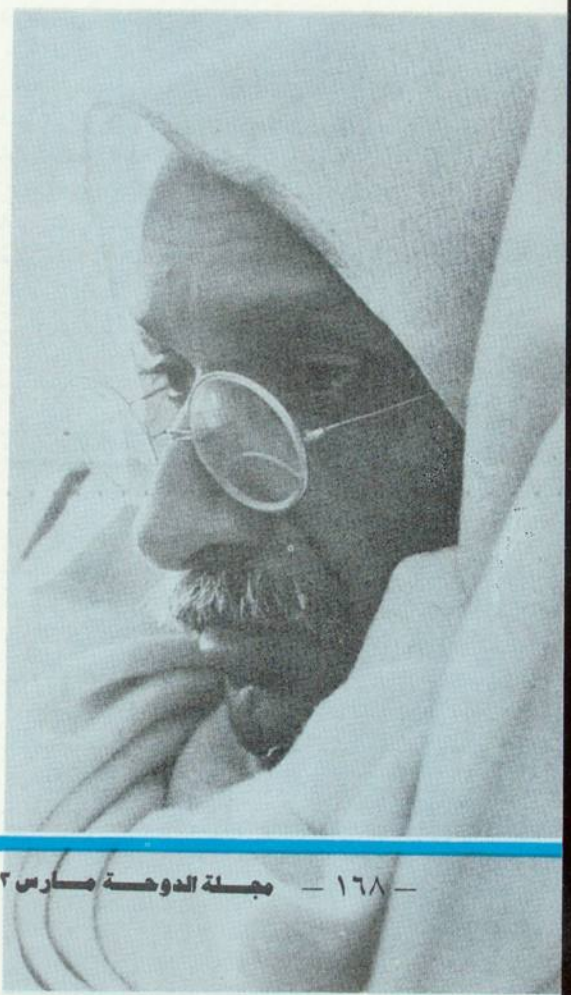
فقد قال « بن كنجسلى » أثناء تصوير الفيلم انه شعر بأنه يتخلى عن شخصيته تماماً ويدخل شخصية غاندى بكل أبعادها حتى انه شعر وكأنه داخل طبقة من الجلد لا يتحرك فيها سوى حدقتى العين ..

كيف فهم غاندى . ؟ يقول الممثل : « غاندى .. عبقرى منح نعمة القدرة على الممارسة العملية .. مما جعله يعرف كيف يحول هذه العبقرية الى شىء مادى وملموس ونافع بشكل مباشر لكل من الفقراء والضائعين والجهلاء ، بنفس القدر لطبقة المثقفين والحكماء والعلماء .. وقد أفادتنى دراستى لشخصية غاندى فيما هو أكثر من مجرد تقديم شخصية فى فيلم .. فقد ساعدتنى فى توضيح وتحديد أهدافى»

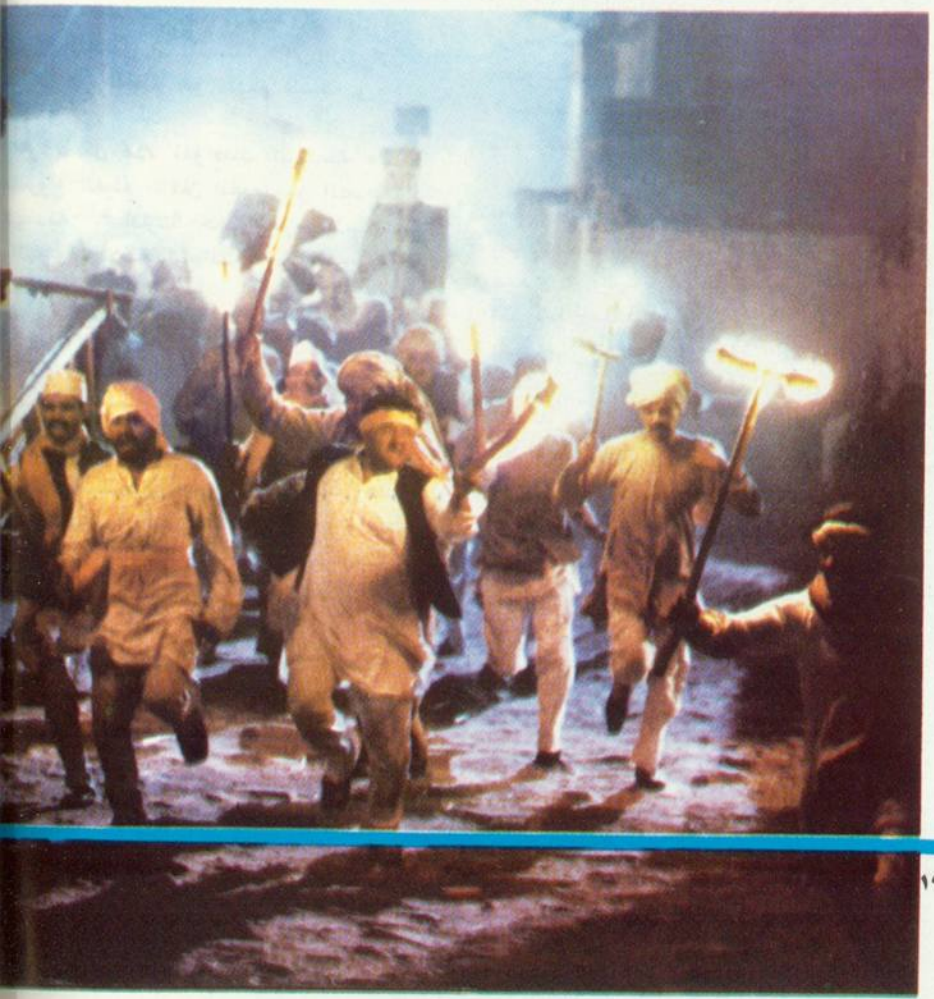
كيف خرج الفيلم الى النور ؟

وقد أستغرق تصوير الفيلم فى الهند ،

غاندى فى اخر أيامه .. صامتا متأملا ..



الفلاحون الهنود ، يحرقون مركز البوليس الانجليزى بما فيه من جنود



ما يقرب من ٢١ أسبوعاً بلا توقف .

ومن الطريف انه فى أول يوم تصوير ، وكان فى نوفمبر ٨٠ .. اقيم احتفال صغير قام فيه أحد رجال الدين فى الهند بالصلاة ليبارك تصوير الفيلم .

فقد كان المخرج « سير ريتشـــارد اتينبورو » لا يصدق ان حلمه أصبح حقيقة .. وانه فى موقع التصوير على الاراضى الهندية وبموافقة السلطات الهندية .. وامامه طاقم الممثلين والفنيين .. وتسانده ميزانية تسمح له بالعمل اللائق ..

انه عمر طويل .. منذ بدأ يفكر فى الفيلم عام ١٩٦٢ ، حينما قابل الكاتب الهنـدى « موتيلال كوتهارى » الذى قدم له ٤٨ صفحة مكتوبة عن غاندى .. قرأها .. واتخذ قراراً بأن يخرج فيلماً عن غاندى ..

ولكن كيف يحصل على موافقة الهند ؟ . استعان بصديقه اللورد الانجليزى « لويس مونتباتن » ليلعب دور الوسيط بينه وبين « نهرو » رئيس وزراء الهند وقتها .

وعندما سمع الوسط الفنى بهذه الفكرة .. اعتبروها نكتة .. واطلقوا على المخرج « اتينبورو » لقب المجنون !

ولكنه كان مصمماً على هدفه .. وبالفعل التقى بالرئيس نهرو وحضرت اللقاء ابنته انديرا غاندى .. وتمت الموافقة على المشروع المبدئى للفيلم ..

ومع وفاة نهرو فى ربيع ٦٤ .. تغيرت السلطة الحاكمة فى الهند .. وتوقف مشروع الفيلم .. وكان على المخرج ان يبحث عن عمل ، بعد ان وضع كل ما يملك رهناً للمشروع الذى يحلم به ..

فى هذه الفترة أشـــترك المخـــرج « اتينبورو » فى تمثيل ثلاثة افلام أمريكية .. منها فيلم « دكتور دوليتل » وعاد الى لندن ليجد ان صديقه الهنـــدى كاتب السيناريو « كوتهارى » مريضاً جداً بقلبه ، ولا يعتقد انه سيعيش ليرى الفيلم .. وبالفعل مات عام ٧١ ..

وفى هذه الأثناء أخرج « اتينبورو » فيلم « يالها من حرب رائعة » واستقبل الفيلم استقبالا رائعاً ، وحصل على ١٦ جائزة دولية منها جائزة الاكاديمية البريطانية .. ثم اخرج فيلم « ونستون الصغير » عن ونستون تشرشل ..

ولم يغب فيلم غاندى عن باله ..

وبدأ الكاتب الانجليزى الشهير « روبرت بولت » يكتب له سيناريو الفيلم من جديد .. (وهو الكاتب الذى كتب سيناريو أفلام : لورانس العرب ـ دكتور زيفاجو ـ رجل لكل العصور ـ ابنة رايان) .

ويقول المخرج «اتينبورو» عن هذه الفترة « ان احلامي حلقت الى السماء وتهشمت على الأرض عشرات المرات » .. فقد اعتذر روبرت بولت بعد فترة طويلة عن الاستمرار فى كتابة السيناريو ، بسبب مرضه ..

وهكذا جاء كاتب السيناريو « جـــون بريلى » الذى وافق على الكتابة بشرط عدم الرجوع الى ما سبق وكتبه زملاؤه وأن يبدأ من جديد .. واقترح ان يكون اسم الفيلم « غاندى » بعد ان كان الاسم الســـابق « الفقير العارى » وهو الأسم الذى اطلقه تشرشل على غاندى .!

وتنقل المخرج وكاتب السيناريو ما بين الهند ولندن بحثاً عن الموافقة والمساهمة فى التمويل .. حتى عادت انديرا غاندى للحكم فى ابريل عام ٨٠ .. وتمت الموافقة النهائية على مشروع الفيلم .

وبدأ اختيار الممثلين ومواقع التصوير .. وطاقم الفنيين ..

واستقر الرأى على اختيار « ادوارد فوكس » فى دور الجنرال الانجليزى دايار .. والممثلة الامريكية « كانديس بيرجن » فى دور الصحفية المصورة التى رافقت غاندى فى بعض تنقلاته داخل الهند ..

واشترك فى التمثيل « ترفور هوارد » ـ « جون ميلز » ـ « مارتن شين » .. مع عدد من الممثلين الهنود منهم الممثلة « روهينى هلتا نجادى » التى لعبت دور زوجـــة غاندى .

وقام بالتصوير المصور الانجليزى الشهير « بيلى ويليامز » ـ وشارك فى التصوير المصـــور الانجلـيزى « رونى تايلور » .



غاندى فى مسيرته الطويلة .. لجمع الملح على شواطىء البحر .. والاستقبال الحافل فى كل قرية يمر بها

المخرج يؤلف كتباً عن غاندى

وربما كان لرحلة هـذا المخرج مع فيلم غاندى دافع لأن تستغله دور النشر الامريكية .. فقد تعاقدت معه على نشر كتاب « فى البحث عن غاندى » يروى فيه قصة عشرين عاماً من الصراع لاخراج هذا الفيلم ..

وايضاً اشترك المخرج فى كتاب آخر بعنوان « حياة غاندى بالصور » سيصدر خلال هذا العام ، متضمناً ١٥٠ صورة من أرشيف غاندى بالمقارنة مع صور من فيلم غاندى .!

وكان المخرج قد أصدر كتاباً فى العام الماضى بعنوان « كلمات من غاندى » عبارة عن مختارات من كتابات غاندى اختارها وقدم لها المخرج .

• •

وهكذا يعود غاندى فى عام ٨٣ وسط احتفال فنى وثقافى .. ومهما كانت براعـة الفيلم فى تقديم حياة غاندى .. الا ان الضجة المثارة حوله حالياً .. تؤكد بلاشك مدى الشوق والتعطش العالمى للبحث عن قائد ومعلم صادق وبسيط .. يعيد التوازن بين العقل والقوة .. وينتصر للانسان فى سباق الالة الرهيب !

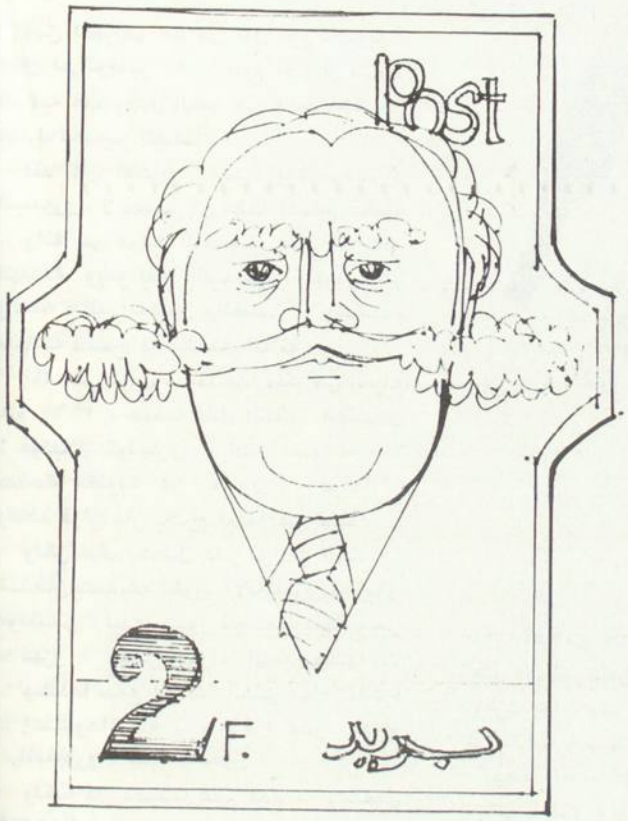
« رءوف توفيق »



ضحكات الشهر

صلاح البيتي

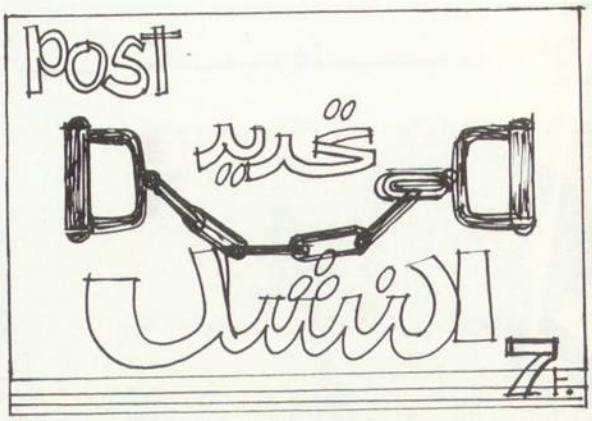
طوابع البريد



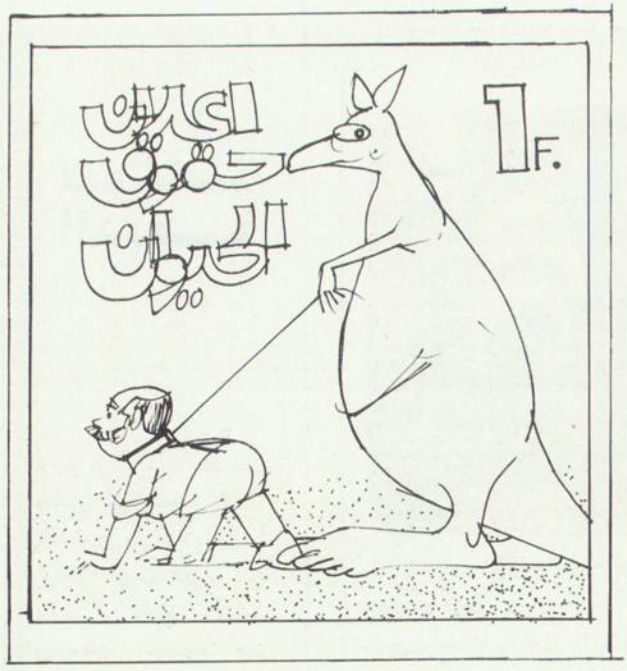


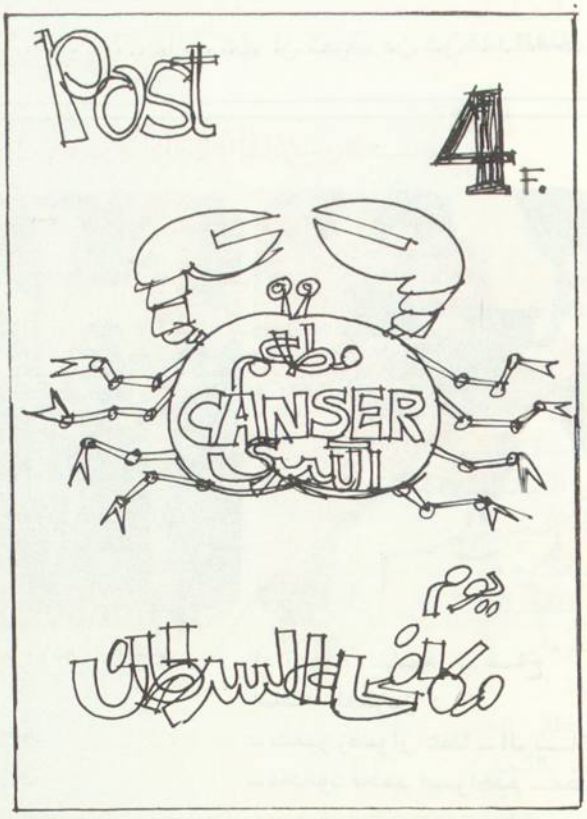



Post
J
J
4F.
يوم
التبرع العالمي


Post
تحديد
النسل
7F.


5F.*
عالم الرجل


1F.
اعلن
حقوق
الحيوان


Post
4F.
CANSER
السيئ
يوم
مكافحة السرطان



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حـــاول أن تعـــرف ..



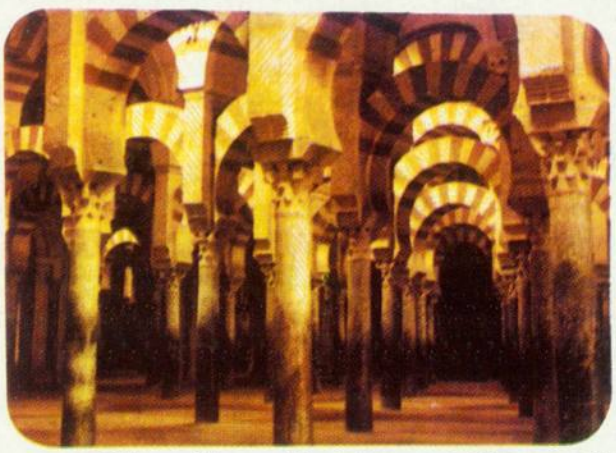
مصلح أجتماعي ، حارب الجهل والتخلف بأسلوب علمي أخلاقي ، اشتهر بدفاعه عن المرأة العربية رغم أنه من أصل كردي ، وأصدر كتاباً أثار جدلا عنيفاً ، كما اشترك فى تأسيس الجامعة المصرية عام ١٩٠٧م .. من هو هذا المصلح ؟ وما اسم كتابه الشهير .؟



هذه اللوحة من مقتنيات متحف الفن الحديث بروما ، رسمها فنان فرنسي سريالي ولد عام ١٨٩٣ ، وأمضى فترة طويلة فى التدريب ببرشلونة ثم استقر بباريس ابتداء من عام ١٩١٩ . وقد اشتهر بتقليده لرسوم الأطفال .

.. هل يمكنك أن تعرف من هو هذا الفنان ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٥



الصورة الأولى ـ دمشق والمسجد الأموي الكبير .

أسماء الفائزين :

ـ صلاح الدين عبد اللطيف ـ الدوحة

ـ فاطمة يوسف الشبعان ـ البحرين



الصورة الثانية ـ بلخ

أسماء الفائزين :

ـ سمير رضوان عطا ـ الرياض

ـ محمود محمد ابراهيم ـ مصر

كيف وصفوا الفيل ؟



وصف العرب الفيل وصفاً طريفاً يلفت النظر . فقال أحدهم «لا ظهر فيركب ، ولا ضرع فيحلب» .. وقال آخر: هذا هو الفيل الذي يبدو العجيب لنابه ، ليل قد افترس النهار فبان في أنيابه .. وفى هذا المعنى يقول شاعر آخر :

يا حبذا الفيل الذى شاهدته
وشهدت منه ما نمى لي ذكره
فكأنه وكأن أبيض نابه
ليل تبلج للنواظر فجره

مؤيد الكيلانى ـ اللاذقية

الجاحظ والنحو



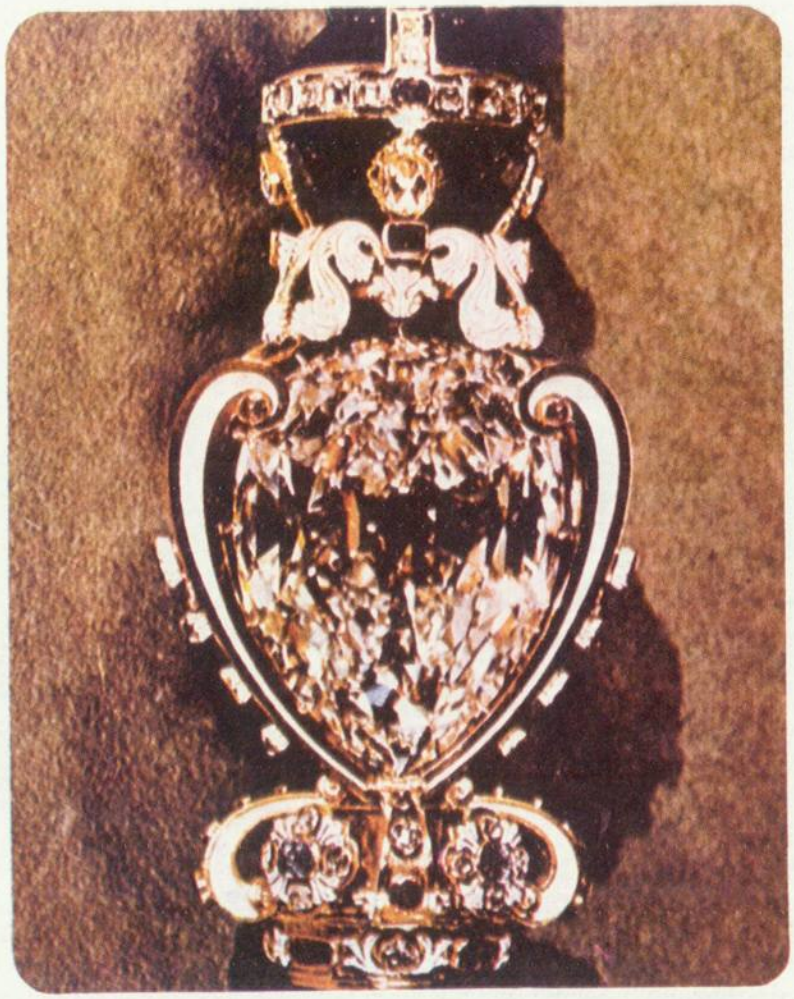
قال الجاحظ : كنت جالساً مع أحد الأصدقاء ببغداد فاقترب منى أبو العباس أحمد بن محيي، وكان من أئمة النحو فى عصره ، فسألنى : الظبى معرفة أم نكرة يا جاحظ ؟ ..

فقلت له إن كان مشوياً على المائدة فمعرفة ، وإن كان فى الصحراء فهو نكرة !

فقال العباس : ما فى الدنيا أعرف منك بالنحو ! .

منى سيد عبد الله ـ القاهرة

لقطة الشهر



أكبر ماسة مصقولة فى العالم ، موجودة فى التاج البريطاني ، وقد اكتشفت عام ١٩٠٥ ، وتم تشكيلها بالصورة التى تراها هنا ! .

بلاغة صبي !

مر البحتري بجماعة من الشعراء .. فرأى بينهم صبياً ، فقال له : أشاعر أنت ؟ .

قال الصبي : نعم .. وإنني لأشعر منك !

قال البحتري : مرحى .. هل تستطيع أن تجيز قولي : ليت ما بين من أحب وبيني .

قال الصبي : أتريد أن تقربه أم تبعده ؟

قال البحتري : أقربه .

رد الصبي : ليت ما بين من أحب وبيني
مثل ما بين حاجبي وعيني .

فطرب البحتري وقال : وإذا كنت أريد أن أبعده . فماذا تقول ؟

قال الصبي : ليت ما بين من أحب وبيني
مثل ما بين ملتقى الخافقين

د. رضا ابراهيم
مصر

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

مفكر عالمي انتهى به المطاف بعد رحلة شاقة طويلة في عالم الفكر وبحار الأيديولوجيات إلى اعتناق الاسلام والمناداة بأنه المخرج الأوحد للانسانية المعاصرة من معاناتها . اسمه الأصلي من كلمتين في أحد عشر حرفاً :

٤ ـ ١ ـ ٩ ـ ١١ يسقى
٥ ـ ٢ ـ ١٠ ـ ٦ مركب للسيدات يوضع على البعير .
٧ ـ ٣ ـ ٨ ثواب

أين ؟

الوطن الأصلي لذلك المفكر الاسلامي الكبير اسمه من خمسة أحرف :

٢ ـ ٤ ـ ٥ استقر على الشاطىء
١ ـ ٣ واحد الفنون

ما ؟

الفكرة التي يعتبرها ذلك المفكر الكبير من أعدى أعداء الانسانية وأشدها خطراً على الفكر الانساني . اسمها من تسعة أحرف :

٥ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٧ يحفظ
٤ ـ ٢ حرف استفهام
١ ـ ٨ ـ ١ ـ ٩ من كلام الله تعالى .

الإجابة الصحيحة

١) القرية التى ولد فيها سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام تقع في فلسطين ، وتعتبر من ضواحي القدس الشريف ، واسمها :
بيت جالا ـ بيت ساحور ـ بيت صفاف ـ بيت لحم .

٢) ثلاث من الجزر الآتية تقع شرق افريقيا :
الكوموروس ـ مدغشقر ـ موريشيوس ـ البليار ـ اسنسيون ـ سانت هيلانة

٣) أكثر الغازات في الغلاف الجوي للأرض هو :
النوشادر ـ ثاني أكسيد الكربون ـ الأزوت ـ الأوكسجين .

٤) أكتشف الانسان صناعة الفخار منذ العصر الحجري باحراق :
الطين ـ الحجر الجيري ـ الجرانيت ـ رمل الكثبان ـ الفحم الحجري .

٥) « بعض حيوانات الصحراء لا تشرب الماء أبداً بل تصنعه فى أجسامها بتوحيد الايدروجين مع الأوكسجين » هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟ .

٦) عدسة العين البشرية :
محدبة ـ مقعرة الوجهين ـ مسطحة ـ كروية .

٧) مكر مفر مقبل مدبر معاً أكمل هذا البيت وانسبه إلى قائله ، واذكر فيم قاله ومن أي بحور الشعر هو ؟؟

٨) ثلاث من القبائل التالية من الهنود الحمر سكان الأمريكتين الأصليين الذين أباد معظمهم الغزو الأوربي الاستيطاني منذ القرن ١٥م .
الأزتيك ـ الزولو ـ البشمان ـ الانكا ـ المايا ـ البشارية .

٩) الملكة حتشبسوت كانت حاكمة للمملكة :
البابلية ـ التدمرية ـ المصرية ـ الكنعانية ـ الحميرية .

١٠) نقول عواء الذئب ، ونباح الكلب ، ورغاء الابل ، وخوار :
البلابل ـ الحمائم ـ الأبقار ـ التيوس .

حل مسابقة العدد ٨٥

ـ أحمد عرابى ـ التل الكبير ـ الكتابة .

الاجابة الصحيحة

١ ـ شمال غربى .
٢ ـ ١٨٨٨ .
٣ ـ صحيحة علمياً لأن الماس يتكون من عنصر الفحم أو الكربون .
٤ ـ قائله أبو العلاء المعرى ـ القرن السابع .
٥ ـ أربع مرات .
٦ ـ الأحمر ـ الأصفر ـ الأخضر ـ البنفسجي .
٧ ـ ابن هشام الأنصارى .
٨ ـ قطر .
٩ ـ الباذنجانية
١٠ ـ الكنعانيون .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة ● الحل : عند العسكرى : خصلة شعر ـ خفة الحاجبين ـ ثقل الشارب ـ عند الحرامى : سنه فى الفك السفلى ـ نقطة العين أكبر ـ وجود مفاتيح ـ وجود شعرات بالرأس .
الفائز : نظيمة عبد الرازق ـ السعودية
الفائز : صلح مهنى علي ـ قطر
٢ ـ لأقوياء الملاحظة ● الحل : زهرة ـ فنجان قهوة أو شاى ـ سمكة ـ قارب شراعى ـ قرص شمس ـ خاتم خطبة ـ أحمر شفايف .
الفائز : خالد علي بن رايحة ـ ليبيا
الفائز : منى وحيد منياع ـ الكويت
٣ ـ خيال من ● الحل : فاليرى جيسكار

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : صفوان عبد الغنى محمود ـ الأردن .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : ايمان مصطفى كمال ـ ج.م.ع

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة : ليلى ابراهيم زاهر ـ ليبيا

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ أسعد محمد خطب ـ سوريا

٢ ـ هديل مروان موسى ـ أم القيوين

٣ ـ السيد نيازى عبد الجليل ـ مصر

٤ ـ عبد الرحمن موسى ـ اليمن الشمالى

٥ ـ عامر نجيب البيطار ـ أبو ظبى

٦ ـ أحمد صالح فارس ـ قطر

٧ ـ نعيمة مختار سيد أحمد ـ قطر

٨ ـ عبد الغنى عبد الهادى ـ الأردن

٩ ـ حمد النيل خريف محمد ـ السودان

١٠ ـ محمد ابراهيم زاهر ـ مصر

ستراحة الدوحة العدد ٨٥

يستان .

لفائز : شعبان السيد محمد علي ـ القاهرة

لفائز : جاهدة حقي ـ سوريا

٤ ـ لعبة الظلال ● الحل : رقم (٢)

لفائز: نصر الدين الدرديري مبارك ـ مصر

لفائز : بشار اديب دياب ـ الأردن

ـ يخلق من الشبه أربعين ● الحل : رقم

٥) الفائز : هالة مروان جراد ـ الامارات

فائز : وجيه ابراهيم خضر ـ سلطنة عمان

ـ هات أجمل تعليق : ● التعليق : شريط

بل الأكل وشريط بعد الأكل . الفائز : نبيل

سيد أحمد محمد الفز ـ ج . م . ع

ـ المثل يقول ● الحل : من شابه أباه فما

لم . لم يتوصل الى الحل أحد .

ماذا تعرف عن الوطاويط؟

الوطاويط هى الحيوانات الثديية الوحيدة التى تطير ، ويبلغ عدد أنواعها أكثر من ٤٥٠ نوعاً ، وقد يبلغ أكبرها حجم الثعلب ، بينما يقل أصغرها عن حجم فأر .. وللوطاويط أجنحة من جلد رفيع وليس بها ريش ، وتستطيع أن تطير بسهولة مثل الطيور العادية الأخرى .

وتسكن هذه الوطاويط فى المناطق الدافئة والاستوائية وبصفة خاصة فى جنوب آسيا وجزر المحيط الهادى ، وتختفى بالنهار وتخرج فى الليل متسللة طلباً للرزق ، وهناك أنواع تتغذى على الفواكه وأخرى تعيش على الحشرات ، وثالثة تعيش على دم غيرها من الحيوانات ذات الدم الحار .. وعندما تنام تعلق أرجلها الخلفية الى سقوف المغارات أو الى أغصان الأشجار وفى الشقوق والأماكن المظلمة ..



وقد كادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تستخدم الوطاويط كسلاح سرى فى حربها للقضاء على اليابان ، عندما اكتشف الأمريكان أن الوطواط يستطيع أن يحمل قنبلة حارقة صغيرة تحترق لمدة ٨ دقائق وينبعث منها لهب طوله ٥٥ سم ..

وقد قدر أن الوطاويط سوف تلجأ الى الشقوق والفجوات فى بيوت اليابانيين المصنوعة من الخشب ، وعندما تنفجر القنابل تشب الحرائق فى كل مكان ، وتحرق مدناً بأكملها .. وقد وافق الرئيس روزفلت على هذه الخطة ، وجمعت أعداد كبيرة من الوطاويط ، ولكن اختراع القنبلة الذرية حال دون تنفيذها.

حواش يوسف ـ الجزائر

كلمات لها معنى

ـ الشك هو إحدى الوسائل لبلوغ الحقيقة .

ـ إن الذين يريدون الغناء يجدون دائماً أغنية ينشدونها .

ـ الخطأ يبتلع نفسه أما الصح فلا يبتلعه الخطأ .

ـ الذى يعتقد أنه يعرف كل شىء .. هو لا يعرف أى شىء !

ـ الطبيب يحارب المرض رغم أنه المصدر الوحيد لرزقه .

ـ الكلمة الناطقة وليدة الصمت الواعي .

ـ السلام الحقيقى هو الذى يتحكم فى القوة ولا يحتكم اليها .

صالح عثمان خير ـ ارتيريا

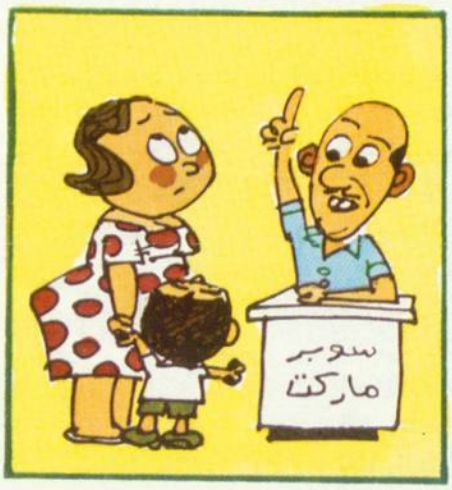
استراحة الدوحة

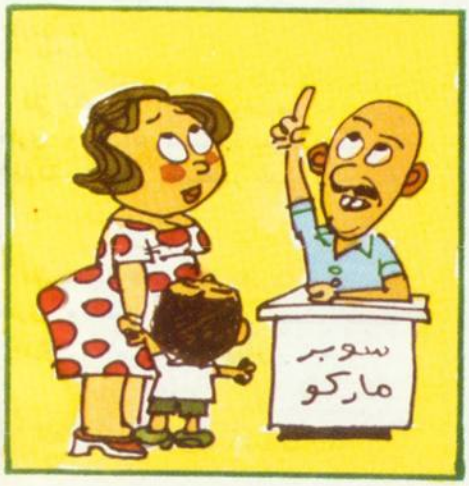


مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

رووف

أصل وصورة





● بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟ الجائزة (٦٠ ريالا) .

لوحة لم تتم!



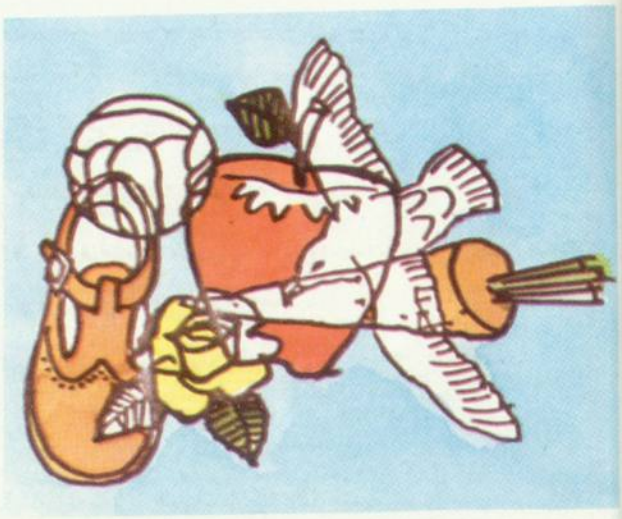
● هذه اللوحة لأحد رواد المسرح العربي .. مشكلة اللوحة أنها لم تتم . هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية هذا الفنان ؟ . الجائزة (٦٠ ريالا) .

المثل يقول



● ان هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عنه مثل شعبي عربي شائع هل يمكنك معرفته (الجائزة ٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل ارسله الينا لتحصـــــل على جائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



● الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الاديب إحسان عبد القدوس .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً .. وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة .. ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

هات أجمل تعليق :



● حاول أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرســـم الكاريكاتيري . وأرسله الينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

لعبـــــة الظـــــلال



● هل تستطيع ان تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا استطعت ذلك ، أرسل الحل الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :
اللغويات النظرية والتطبيقية - الآداب والآداب المقارنة - الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية - الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية - الدراسات التاريخية - الدراسات الجغرافية - الدراسات التربوية - الدراسات حول الفنون (الموسيقى - التراث الشعبي - الفنون التشكيلية - النحت ... الخ) - الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .
- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :
البحوث والدراسات - مراجعات الكتب - التقارير العلمية - المناقشات الفكرية .
- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني - نيسان - تموز - تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس
للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
- للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
- للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
- للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :-

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة) الكويت - الشويخ - ت : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣



إرو عَطشَك مَع

تيم

الدوحة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

إشعاع ثقافي من دوحة الخليج يحقق النجاح على امتداد الوطن العربي

الأهرام



تأسس سنة ١٨٧٥

القاهرة في ١١/١/١٩٨٣

السيد / الاستاذ رجاء النقاش
رئيس تحرير مجله " الدوحه "
ص.ب : ٢٣٢٤ - الدوحه
قطر

تحيه طيبه وبعد "

نتشرف أن نعرض على سيادتكم فيما يلى تطور توزيع مجلتكم الموقره " الدوحه " فى جمهوريه مصر العربيه وذلك خلال الفتره بين ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٢ :

البيان	الموزع	المرتجع	الصافى	نسبه	
				المرتجع	تغير الصافى
متوسط عام ٨٠	١٣٠٠١	٢٨٤٦	١٠١٥٥	٩ر٢١٪	—
متوسط عام ٨١	١٧٩٢١	١٨٨٧	١٦٠٣٤	٥ر١٠٪	+٨ر٥٧٪
متوسط عام ٨٢	٢٤٤٤٦	٤٢٦	٢٤٠٢٠	١ر١٧٪	+٥ر١٣٦٪

وفيما يلى بيان مفردات التوزيع خلال الربع الاخير من عام ١٩٨٢

البيان	الموزع	المرتجع	الصافى	نسبه المرتجع
العدد صدور اكتوبر ٨٢	٢٩٩٣٣	٣٦٣	٢٩٥٧٠	٢ر١٪
" " نوفمبر ٨٢	٢٩٨٦٤	١٥٩	٢٩٧٠٥	٥ر٠٪
" " ديسمبر ٨٢	٣٠٥٥٦	٩٥	٣٠٤٦١	٣ر٠٪

ولحن اذ نتمنى لسيادتكم دوام التوفيق "
نرجو قبول وافر الشكر """

نائب المدير العام
لشئون التوزيع والاشتراكات
صلاح الغمرى

تقرير عن تطور توزيع " الدوحة " فى مصر ، حيث قفز توزيعها إلى اكثر من ثلاثين الف نسخة شهريا ، وهذا التقرير هو صورة من تقارير التوزيع فى سائر انحاء الوطن العربى ، وسوف ننشر التقارير الواردة من العواصم العربية الأخرى فى اعداد قادمة .